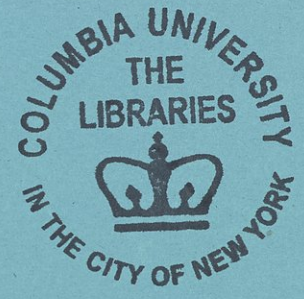
Old Testament Stories
Rev. Habib Mishriqi
Arabic

القس لبيب مشرقي

قصص الكتاب المقدس



١٩٥٢


COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

القس لبيب مشرقي

قصص الكتاب المقدس

أصدرته لجنة النشر المشتركة

سنة ١٩٥٢

By kind aid of A. C. L. C.

BS
558
.A7
M57
1952g

طبع في مطبعة النيل المسيحية

في داخل الكتاب

كنت أسمع عن الكتاب منذ أن بدأت افهم العالم الذي دخلته !

كان أبي يحدثني عنه ويحدثني عما رآه ويراه فيه . كان يدخل ذلك الاقليم الكبير ويعود وهو يحمل صوراً رائعة لأشخاص واشياء. وكنت لا أملّ احاديثه!

ومنذ خمسين سنة أو أزيد قليلاً «دخلت» الكتاب لأول مرة. وكان انفعالي عظيماً عند ما رأيت « الجنة » وأشجارها،شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة . لم أستطع في ذلك الوقت أن ادخل إلى أبعد من الباب . ولكني في ذلك الحيز القريب كنت أراني في عوالم لا نهاية لها ، الشمس والقمر والنجوم ، الاشجار والأطيار والاسماك والحيوانات . ولقد وقفت طويلاً أمام آدم . . . وأما حواء فلم استطع أن أرخي عيني عنها !

ولقد جلت مع آدم وحواء في البستان وقابلت معهما الحية .. وتأسيت لهما وهما يشعران بالعرى. وخرجت معهما من «الجنة» ولو اني لم أخرج من الكتاب !!

ومن ذلك الوقت بقيت داخل الكتاب.وتعرفت إلى أشخاص كثيرين و إلى أماكن كثيرة . وقد وقف الاشخاص أمامي صفاً طويلاً جداً ولكني تحدثت مع كل واحد منهم.نعم أن بعضهم مرّ أمامي كالطيف العابر ،ما أن ظهر حتى اختفى. وبعضهم لم يشأ ان يتحدث معي . ولقد حاولت أن اكشف اسرار الكثيرين وكشف بعضهم عن سرّه ولكن الاكثرين لم يبوحوا باكثر مما كنت أعرف !

وقد قامت صداقة بيني و بين عدد غفير منهم وقامت مشادات بيني و بين

عدد آخر. واكثرت من سلوك اما كن معينة وأقللت من سلوك اما كن أخرى. وقد فهمت حديث البعض تماماً ولم أفهم حديث غيرهم فهماً كاملا ! !

وهذه الصورة التي أقدمها في كتابي هذا هي ما فهمته « أنا » من أولئك الاشخاص وقد لا يكون فهمي صحيحاً تماماً ولكنه الفهم الذي فهمته أنا وأثر انطباعات الحوادث على ذهني !!

ها قد مرت خمسون سنة وأنا في داخل اقليم الكتاب وسأستمر إلى أن يدعوني سيد الكتاب اليه لأرى النسخة الأصلية من الصور التي رأيتها فيه أي لأرى سيدي نفسه وأرى آدم وحواء . . . وذلك الصف الطويل من البشر واكشف الاسرار التي اخفتها الأرض لأني هناك سأعرف كما عرفت !

لكن لماذا احدثك عن ذلك الاقليم السعيد ، لماذا لا تأتي معي . لماذا لاتقتحم ذلك المقفل المبارك . أنا أعلم أنك تخشاه . انه يبدو ضخماً كبيراً وأنت تحس أنه ليس من السهل أن تسير فيه بمفردك . لذلك ادعوك لأن تأتي معي لأرافقك في رحلة خاطفة . هلم بنا إلى عتبة الكتاب . انه ليس كتاباً واحداً . . انه مجلدان كبيران الأول كتب العهد القديم والثاني كتب العهد الجديد وسنكتفي في جولتنا الأولى بالمجلد الاول !

تدخل ذلك الكتاب الكبير فيلاقيك أول ما تلاقي خمسة كتب تدعى كتب موسى أو التوراة أو كتب الشريعة أو الناموس وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية . في الكتاب الاولى ترى الانسان الاول وتسير معه ومع ابنائه الى أن ... يدفن يعقوب في كنعان ولكنك تجد أولاده لا يزالون في مصر ! وفي الكتب الاربعة التالية ترى موسى يخرج ابناء يعقوب من مصر ويسير بهم في البرية ويضع لهم الشرائع الطقسية والادبية ثم يموت دون أن يدخلهم في أرض كنعان ! !

وبعد أن تسمع الشريعة مرة ثانية في « التثنية » تدخل القسم الثاني من الكتاب وفيه اثنا عشر كتاباً هي يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الاول والثاني وملوك الاول والثاني وأخبار أيام الاول والثاني وعزرا ونحميا واستير . وفي هذه الكتب تدخل مع بني يعقوب الى كنعان وتشاهد عصر تكوين الأمة بقضاتها وملوكها وانبيائها وتشاهدها في مختلف أطوارها من نجاح وفشل وفشل ونجاح !

ولقد تتضايق من ذلك الشعب الذي لايحسن التصرف مع الله بل الذي يعاند ارادته ويقاوم رسله ، وترغب أن تنفّس عن نفسك فتدخل القسم الثالث من الكتب وهو الكتب الشعرية وتبدأ بقصة أيوب ثم تدخل سفر المزامير التي وضع داود اكثرها وبعد ذلك تتجول في كتب سليمان الثلاثة الامثال والجامعة والنشيد وهي خلاصة حكمة ذلك الملك العظيم ! !

وعند ما تخرج من النشيد تدخل إلى القسم الرابع وهو كتب الانبياء — وكتب الانبياء سبعة عشر كتاباً تنقسم إلى قسمين خمسة وتدعى بالانبياء الكبار وهي اشعياء وارميا ومراثي ارميا وحزقيال ودانيال .

واثنا عشر وتدعى بالانبياء الصغار وهي هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي . واساس التسمية يعود الى حجم الكتب فانك إذا أخذت اشعياء أو أرميا أو حزقيال فانك تجد كل واحد من هذه بمفرده يزيد في حجمه عن مجموع الانبياء الصغار معاً. ودانيال وحده يساوي مجموع اكبر كتابين من كتب الانبياء الصغار . أما مراثي أرميا فقد وضع مع الأنبياء الكبار لانه لم يمكن فصله عن ارميا ! !

والانبياء الستة عشر يتصل ثلاثة عشر منهم بوقت خراب الامة وثلاثة تنبأوا بعد السبي — وقد تم السبي في فترتين فسبيت المملكة الشمالية حوالي ٧٣٤-٧٢١ قبل الميلاد. وقد تنبأ قبل تلك الفترة وخلالها الانبياء يوئيل ويونان وعاموس وهوشع واشعيا وميخا .

أما المملكة الجنوبية فسقطت بين ٦٠٦ — ٥٨٦ قبل الميلاد وانبياء تلك الفترة أرميا وحزقيال ودانيال وعوبديا وناحوم وحبقوق وصفنيا .

وقد رد سبي الامة حوالي ٥٣٦ـ٤٤٤ وتنبأ في تلك المدة حجي وزكريا وملاخي

وأما رسائل أولئك الانبياء فلم توجه كلها إلى هيئة واحدة فقد وجه عاموس وهوشع رسالتهما إلى اسرائيل و رسالة يونان وناحوم الى نينوى ودانيال الى بابل وحزقيال الى المسبيين في بابل وعوبديا في أدوم . ويوئيل وميخا وأرميا وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي إلى يهوذا !

ولا يسمح المجال ببسط رسائل كل نبي بالتطويل لذلك نكتفي ببسط خلاصة كل رسالة في أضيق حيز . فرسالة يوئيل رؤيا عصر الانجيل وجمع الله الامم — ويونان ، اشارة إلى اهتمام إله اسرائيل باعداء اسرائيل . وعاموس ينبيء عن خيمة داود الساقطة وعودة بيت داود الى حكم العالم . وهوشع يقدم « الله المرفوض من اسرائيل سيكون يوماً ما إله كل الامم » واشعياء يعلن أن لله بقية ومن أجلها يكون للأمة مستقبل مجيد. وميخا يذكر مجيء السيد من بيت لحم وملكه العام. وناحوم يتحدث عن دينونة وملاشاة نينوى . وصفنيا عن مجيء اعلان جديد باسم جديد وأرميا عن خطية أورشليم والقضاء عليها ومجدها الآتي. وحزقيال عن سقوط أورشليم ورد سبيها ومجدها الآتي . وعوبديا عن هلاك أدوم لاساءتها لشعب الله . ودانيال عن الممالك الاربع والمملكة الابدية . وحبقوق عن يقينية النصرة الكاملة لشعب الله. وحجي عن الهيكل الثاني ومجيء الهيكل الاعظم !

وزكريا عن الملك الآتي، بيته ومملكته العظيمة . وآخر الانبياء ملاخي وقد أشار إلى عهد جديد آت. ولعل نور مسيا قد أنار له السبيل فابصر على بعد أربع مئة سنة السيد يأتي إلى هيكله لينقي ويصفي ويشفي !!

وقد اضطررت الى حذف ثلاثين قصة بعد أن تم اعدادها فقد ضاق صدر الكتاب عن أن يسعها — وسأذكر لك عناوينها لتبحث عنها في القريب على

صفحات « الهدى » أو في الطبعة الثانية من هذا الكتاب إن شاء الله وهاك هي:

الزوجتان ـ يعقوب ولابان ـ الزوجة المفضلة ـ صفنات فعنيح ـ يهوذا ـ يعقوب يخاطب الأسباط ـ مريم الأولى ـ الأميرة المصرية ـ أيام موسى الاخيرة ـ موسى يبارك اسرائيل ـ عخان بن كرمي ـ سكان جبعون ـ امرأتان ورجل ـ مأساة بيت ـ الراعي والقصر ـ الراعي والجبار ـ بين المحبة والبغضة ـ العصابة ـ الشريد ـ امرأة حكيمة ـ داود و بيت الله ـ ابن المعصية ـ فضيحة شائنة ـ سليمان الكاتب ـ الملك الشاب ـ ابن آخاب ـ ياهو بن نمشي ـ الرجل الذي ابتدأ مع الشيطان ـ الملك الذي مات غير مأسوف عليه ـ كتب الانبياء .

ولعل من اللائق أن اذكر اني وأنا اجوس خلال « ملكوت الكتاب » وأبصر الروائع كنت أحاول أن انقل تلك الروائع بأمانة ولكني لم استطع . لقد وقف قلمي في يدي وعجز عن أن يصور الجمال والرواء لتلك الاقاليم الفائقة الروعة . ولئن عجزت أقلام الكتبة الملهمين عن نقل الصورة على حقيقتها فهل يستطيع قلم عاجز ؟ ان كل ما تشاهده من جمال في قصص هذا الكتاب ـ ان كان فيها شيء من الجمال ـ انما هو تكسّر النور السماوي الذي يقع عليها . وكل ما تراه من عيب هو ظلال الكائن الارضي الذي يحاول أن ينقل الى الأرض جواهر السماء !!!

ولا أريد أن اتحدث هنا عن جهود بذلت في اخراج هذا الكتاب ولا عن حياة سكبت أو نور عين ضاع في سبيله. كلا . لا أريد ان اتحدث عن شيء من ذلك ، لأني سعدت في اخراجه سعادة لم أحس بمثلها بأي غنم لقيته في حياتي ! كنت أعيش في الكتاب بالقرب من سيدي وكنت أقلب الكنوز السماوية بشغف ولذة انستني كل شيء حتى الحياة نفسها !!

ولست أبغي من اخراج الكتاب أي ربح مادي وهل هناك مادة تساويه ؟ لقد نقلت جواهر الله في الكتاب واين من يستطيع أن يدفع ثمن جواهر الله ؟ بل أن ثمن الورق وأجرة الطبع قد ساهمت فيهما هيئة نبيلة هي جمعية النشر العربية

المعروفة بـ A. C. L. C. كل ما ترجوه الجمعية المذكورة وكل ما أرجوه أنا ان يصل الكتاب إلى اكبر عدد من المتكلمين بالضاد، الى خدام الكلمة والى الاباء والامهات والى معلمي ومعلمات مدارس الاحد .. والى معلمي الدين في المدارس اليومية والى طلبة الكليات في الجامعة وطلبة المعاهد والمدارس الثانوية . . .

فاذا ما قرأت الكتاب واعجبك فعد الى « الكتاب المقدس » ـ عد الى ذلك «الكتاب» فانه النسخة الأصلية التي كتبتها يد القدير، لا الصورة الممسوخة التي نقلتها يد عاجزة . . .

« عد الى الكتاب »

دبسمبر ١٩٥٢ القس لبيب مشرقي

١

قصة الخلق

« وقال الله ليكن ... فكان » تكوين ١ : ٣
« السموات تحدث بمجد الله . والفلك يخبر
بعمل يديه » مزمور ١٩ : ١

كان يوم لم تكن فيه سماء ولم تكن أرض !
لم تكن نجوم ولا جلد !
لم تكن بحار ولا انهار ولا جبال !
ولم تكن أشجار ولا ازهار ولا اطيار !
كان يوم لم يكن فيه شيء !!

ونحن نعود الى ذلك اليوم ، ونحدق بعيوننا الكليلة ، نحاول ان نبصر وتعود أبصارنا دون ان نبصر شيئاً !!

على اننا نعود مرة اخرى لنبصر .. يا للعجب اننا ننظر !
اننا ننظر غير المنظور !
اننا ننظر الله !

قبل ان تكون سماء ، وقبل ان تكون ارض ، قبل ان تكون بحار وانهار وجبال ، قبل ان تكون اشجار وازهار واطيار ، قبل ان يكون شيء

كان الله !!

اللهم نسجد عند قدميك !
ونقدم لجلالك العبادة !

ونسكب على مذبحك المحبة والولاء والطاعة !

ونلتمس ان تهبنا من روحك نعمة ، فنراك بالايمان ونلمس وجودك الأزلي !

لقد أحسّت تلك النسمة الكائنة فينا بوجودك ، دون أن تراك عيوننا ، أو تسمعك آذاننا ، أو تلمسك أيدينا . تحرّك ذلك الكائن الالهي الجاثم في صدورنا واتجه نحوك !

اللهم اننا نؤمن !

احسبنا يارب في عداد المؤمنين !

* * *

وخلق الله العالم !

متى خلقه ؟

وكيف خلقه ؟؟

وفي كم يوم خلقه ؟؟؟

اللهم اننا لا نعلم ، ولا نريد ان نتعمق في بحوث يضل في سبلها العلماء !

كانت الارض خربة وخالية ، وروح الله يرف على وجه الغمر !

هذا أول ما رأيناه !

فهل خلق الله ارضاً خربة ؟

وهل خلق الله ارضاً خالية ؟

ام ان الله كان قد سبق فخلق ارضاً عامرة آهلة بالسكان ، ولكن سكانها طلبوا ان تنفتح عيونهم فانفتحت ، واتسعت معرفتهم فاخترعوا ، واكتشفوا ، ووصلوا الى السيف والمدفع والبارود والقنبلة .. بل وصلوا الى أبعد مما وصلنا ، فحولوا الارض نفسها الى قنبلة ذرية ، انفجرت في أحد الايام فصارت الارض خربة وخالية !

من يعلم ؟

ربما كان هذا هكذا !

على ان سيد الكون لايترك الارض خربة وخالية فهو يعيدها الى العمران ، ويخلق لها الانسان !

وخلق الله النور في اليوم الاول !

وفي اليوم الثاني خلق الجلد !

وخلق الاشجار والنباتات في اليوم الثالث !

وفي اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والنجوم !

وفي اليوم الخامس خلق الاسماك والطيور !

وخلق حيوانات الارض والانسان في اليوم السادس !!

* * *

هذه هي القصة البسيطة التي سطّرها الوحي في قصة الخلق. وقد قبلها المؤمنون كما جاءت ، لايسألون ولايتعمقون . حتى جاء في الايام الأخيرة علماء أو متعالمون ، يسألون عن عمر الارض . وهل يعد بالألوف أم على الأصح بالملايين من السنين ؟

ويسألون عن ايام الخليقة ، هل هي ستة ايام ، ام ست فترات من القرون ؟؟

ويسألون عن النور كيف خلق في اليوم الأول ، .. بل الارض كيف كانت قبل الشمس ؟

ونحن لا نحاول ان نشرح أو نفسّر . فان القصة جاءت في لغة الأدب لا في لغة العلم . والقصد منها تصوير حقيقة ، لاتفصيل دقائقها واسرارها ! ونحن لا يهمنا ان نعرف ان كانت الارض قد خلقت منذ ملايين ملايين السنين ، أو من ألوف

السنين ، كل مايهمنا انها خلقت. ولايهمنا ان نعرف ان كانت الارض قد وجدت قبل الشمس أو الشمس قبل الارض . انما يهمنا ان الشمس والارض قد وجدتا !

على ان التفسير العلمي وجد له تأييداً في القصة الكتابية البسيطة عن الخلق !

وازدانت الارض بالنور !

وبسط الجلد فوقها من فوق ، والماء عليها من تحت وارتفعت الاشجار وأورقت الازهار !

وأنشدت الاطيار !

وسبحت الاسماك !

ورددت الخليقة تسبحة الخلق للخالق !

السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه !!

٢

ابو البشر

« يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله . ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق » « ودعا آدم اسم امرأته حواء لانها أم كل حي » . تكوين ٥:١ ، ٣:٢٠

أتمّ المولى إعداد الدنيا لسيدها الذي سيتسلط عليها . ها هي الأرض وقد اكتست بالخضرة ، وانتثرت الاشجار محملة بالثمار . وها هي مجاري المياه تسير متعرجة كخيوط من فضة . وها هي الأنوار ترسل أشعتها الذهبية والعسجدية ، وترسم عقوداً

من درّ في صفحة الجلد ! ها هي الطيور والاسماك والحيوانات ، هذه الدنيا الجميلة كانت خالية من الانسان. لذلك نسمع الله يقول « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ! ! »

« فجبل الرب الاله آدم تراباً من الأرض . ونفخ في أنفه نسمة الحياة فصار آدم نفساً حية ! » .

هل خلق الله الانسان في لحظة ، أي أنه جمع تراباً وصوّره ونفخ فيه نسمة الحياة ، كل ذلك في لحظة من الزمان ؟

أم خلقه من تراب على أطوار ، جعل كل طور ينتقل الى طور آخر في ألوف السنين أو ملايين السنين الى أن جاء الطور الأخير ، آدم ؟ .

وهل جاء آدم كاملاً منذ خلق ، كامل الانسانية ، من عقل وخُلق ، أم كملت انسانيته بالتدريج ؟ ؟

وهل جاء انساناً منذ الأول ، أم كان حيواناً جعل ينتقل ـ كما يقول أنصار نظرية النشء والتطور ـ من حيوان أدنى الى حيوان أعلى ، حتى وصل الى القرد ، ثم الى الحلقة المفقودة ، ومن الحلقة المفقودة الى الانسان ؟ ؟

هذه أسئلة لا تزال على الكثير من الأفواه ، ولا تزال تتردد من جيل الى جيل ، ولا تزال مثار نزاع بين من يسمون أنفسهم الجيل الجديد ، ومن يتهمهم هذا الجيل بأنهم رجعيون متأخرون ! ! !

أما نحن فلا نتعب أنفسنا بهذا التفسير أو بذاك . ولا يهمنا كيف جاء آدم ولا متى جاء . وانما يهمنا أنه جاء . فقد أبصرناه في البستان رجلاً كامل الرجولة كامل الجمال ، كامل العقل ، كامل الفضل . كان على صورة الله في البر وقداسة الحق ! !

وكان يقيم في البستان ، سلطاناً على المخلوقات وحاكماً عليها . انه ينظر الى

الوحش فيخرج بريق من عينيه ، وإذا بالوحش يجمع نفسه قدامه ويهمهم بصوت خفيض ويجثم على الأرض عند قدميه ! ! ويلتفت الى العقاب الطائر في الجو ، فاذا بالعقاب ينحدر بكل تسليم ، مضطرباً أمام تلك النظرة القوية ، ويلمس بمنقاره الطويل طرف قدم سلطانه وملكه . . !!

لقد أعطاه الله السلطان على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب في الأرض !

ولقد قيل الكثير أيضاً في مصدر تلك السلطة . قال البعض أنها نقاوة حياته وطهارتها التي ملكت قلبه من قبل أن تدخله الخطية . فانه عند ما دخلت الخطية قلبه دخل الخوف . فلما دخله الخوف فقد الجانب الاكبر من عناصر سلطانه ! !

وقال البعض أن العقل الذي حباه المولى به كان هو مصدر تلك السلطة ، ولا يزال الانسان سلطاناً بعقله على كل كائنات الأرض !

وقال غيرهم أنها نسمة القدير التي أودعها صدره ، النسمة الالهية التي صيرت من أبي البشر لا مخلوقاً عادياً ، ولكن كائنا إلهياً ، فيه ما في إلهه ، ذلك العنصر الروحي يستمد منه سلطانه !

ولعلنا ننصف كثيراً اذا قلنا أنه استمد سلطته من هذه الثلاثة معاً ، من النسمة الالهية ومن العقل ومن كمال البر !

ولسنا نعلم كم مكث آدم في الجنة !

ولكنه بعد قليل سئم الوحدة ! ! !

لم يجد لا في الجمادات ولا في الحيوانات ما يذهب عنه وحشته !

نعم كانت الجنة جميلة . كانت أنهارها بمائها الفضي تنساب متعرجة بين الخضرة ، فترسم أجمل صورة رسمتها يد فنان . وكانت الاشجار الباسقة بأزهارها وأثمارها تملأ العين وتشبع النفس ! !

ولا شك أن أبي البشر كان يحس براحة نفس واستقرار شامل وهو يجلس الى الخضرة يتأملها ، ويتأمل الشمس الغاربة ، والنجوم ترسم قلائد من جواهر في قبة السماء ! ويصغى الى شدو الأطيار ، وهزيج البلابل.. نعم كان أبو البشر يعيش في أجمل مكان ، وبين أفضل رفقة . لم يكن انسان آخر يشوه جمال الأرض ، أو ينغص عليه راحته . ومنذ جاء الانسان الثاني امتلأت الأرض بالمآسى . ولكنه برغم ما كان عليه من الراحة والاستقرار والسلام والغبطة ، كان غير مستريح الى وحدته . كان يحس وحشة تجعل جوّ حياته مغطى بظلام وانقباض !

وعند ما جاءه المولى بالحيوانات والطيور دعاها آدم باسماء ، وكانت تمرّ أمامه ذكراً وأنثى. ولقد بلغت به وحشته حداً أحسّ فيه أنه أتعس كائن، حتى لقد حسد الحيوانات . لان كل ذكر كانت له أنثاه . أما هو فلم يجد له معيناً نظيره ! ! !

وقال الله ، ليس جيداً أن يكون آدم وحده فاصنع له معيناً نظيره ! !

وصنع الله حواء من احدى اضلاع آدم !

أوقع الله سباتاً على آدم ، ثم أخذ ضلعة من أضلاعه ، وملأ مكانها لحماً . وصنع من الضلعة امرأة ! !

واستيقظ آدم ليجد أمامه كائناً انسانياً .

لا شك أن حواء كانت جميلة بل آية في الجمال . فقد كانت النسخة الأولى التي صنعتها يد القدير . النسخة التي لم تلوثها أصابع البشر ، والتي لم تتلف جمالها آثار الخطية . لاشك انها كانت الجمال مصوراً ! !

ولا شك أن آدم أخذته نشوة ، وهو يتسلم من الله زوجته الحسناء ، وهو يقول، هذه عظم من عظامي ولحم من لحمي ، هذه تدعى امرأة لانها من امرىء اخذت !!

فخلق الله الانسان على صورته !

على صورة الله خلقه !

ذكراً وأنثى خلقهم ! ! !

وباركهم الله !

وقال لهم ، اثمروا واكثروا واملأوا الارض ، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض !

لا نعلم كم بقي آدم وزوجه في الجنة !

يبدو أن الأمر لم يطل معهما ! !

كانت وصية الله لآدم يوم وكّله على أشجار الجنة ، أن يأكل من جميع اثمارها ما عدا ثمرة شجرة واحدة دعاها شجرة معرفة الخير والشر ! !

ترى ماذا كانت تلك الشجرة ، وما هو السر في أن الاكل منها يقود الى الموت كما أنذر الله آدم ؟ ؟

قيل انها كانت شجرة عادية ، هي شجرة تفاح ، أو شجرة عنب ، أو سنبلة قمح . وأن الامر لم يكن متعلقاً بنفس الشجرة ، وانما بموقف آدم بالنسبة لالهه من الطاعة والعصيان ! !

وقيل أنها لم تكن ثمرة حقيقية ، وانما كانت ثمرة رمزية . وقد ربطوا بين الفاكهة المحرمة ، وبين العلاقات الجنسية بين آدم وزوجته ، العلاقة التي يقولون انهما لم يكتشفاها قبل ذلك . بدليل انهما كانا عريانين وهما لا يخجلان ! ! !

وقيل أنه كان سراً في نفس الشجرة ، ورجح أولئك القائلون ، أن الشجرة هي الكرمة . وان الخمر كانت نتاجها . وقالوا ان أول من صنع الخمر كان آدم . وشرب آدم من الخمر فسكر وتعرّى ! ! !

وأنا قد ذكرت لك هذه الآراء جميعاً ، لا لاني ارغب منك ان تؤمن باحدها وانما ذكرتها لتعرف ماذا يقول الناس . اما أنا فارغب ان آخذ القصة كما جاءت ببساطتها في الكتاب المقدس !

كان آدم وامرأته عريانين !

وامر الله آدم ألا يأكل من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر محذراً اياه انه يوم يأكل منها موتاً يموت !

وحدّث آدم زوجه بحديث الثمرة المحرمة !

وجاءت الحية وكانت احيل جميع حيوانات البرية ، وأغوت حواء ، فأكلت من الثمرة واغرت زوجها فأكل !

ولما أكلا انفتحت اعينهما وعلما انهما عريانان !!!

وحاولا ان يسترا عريهما باوراق التين !

وحاولا ان يسترا خوفهما بالاختباء خلف اشجار الجنة !!

واوقع الله العقاب !

وكان عقاب الحية ، على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل ايام حياتك !

وكان عقاب المرأة ، بالتعب تحبلين ، وبالوجع تلدين ، والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك !

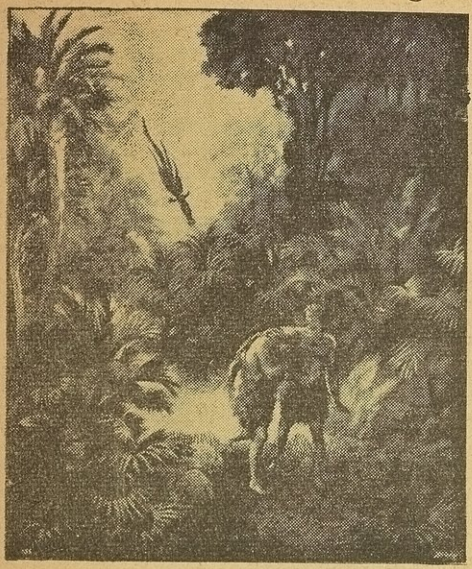
وكان عقاب الرجل ، بالتعب تأكل خبزاً كل ايام حياتك. اذا زرعت الارض لا تعود تعطيك قوتها . بعرق جبينك تأكل خبزاً . حتى تعود الى الارض التي اخذت منها . لانك تراب والى تراب تعود !!

واوقع الله عداوة بين الحية « ونسل المرأة » « هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » !!

ويهمنا في كل هذا ان آدم طرد من بستانه . وانه بدأ يحس بشدة وطأة الحياة ، لان الارض قست عليه ، وان طعامه لم يأته طيعاً سهلا ، بل اضطر أن يسكب من نفس حياته ثمناً لذلك الطعام . وتغيرت نفسيته فقد فقد الاطمئنان والهدوء وملأت المخاوف صدره ، وضعفت سلطته على المخلوقات الاخرى !!

والطبيعة الجميلة فقدت الكثير من بهائها وروائها . نعم قد بقيت الخضرة تحيط بالماء الجارى . ولكن كثيراً من الجدب تخلل أقاليم الخضرة . وبقيت الازهار

ترسل اريجها العطر ، لكن اشواكاً نبتت حول تلك الازهار — و بقيت الاطيار ترسل شدوها ، والفلك يتحدث الى الارض في همس ، والحياة تتجلى في زينتها ولـكن تلك الحياة دخلتها خيوط الموت فالقت ظلا من كآبة على كل جمالها ! !



آدم وحواء يطردان من الجنة وترى في الصورة ايضـا لهيب السيف المتقلب

وجرثومة الخطية التي استقرت في الارض لم تبق جرثومة صغيرة كما كانت ، ولكنها اتمت مدة حضانتها ، فخرجت وليداً مكتمل القوة الشريرة . واستطاع ذلك الوليد بما فيه من عناصر الايذاء ان يصبغ الارض بالدماء وان يملأها بالدموع . ولقد ابصر آدم فيما ابصر أحـد ولديه يذبح أخاه . ووقف على جثمان القتيل يبكي بدموع أحرّ من الدماء . ووقف يتطلع الى القاتل وهو يهرب بدموع امتزج فيها الغضب بالحزن والحب بالبغض ، وحصد ثمار الخطية المرة في كل يوم من أيام حياته الطويلة !

على ان أشياء جميلة بقيت له !

فقد بقيت له حواء تقيم بيتاً ملأه الحب بنور أبهى من نور الجنة !

وبقى له العمل ، يملأ وقته و يشغله عما يلاقيه من تعب ومن ألم . وعندما كان يحصد ثمار جهده كان البشر يتألق من خلال عرقه الساقط من جبينه !!

و بقى له الوعد ، ان نسل المرأة يسحق رأس الحية . فهو يتطلع الى المستقبل المأمول برجاء . ولئن طال أمد انتظاره فانه لا يزال يحتفظ بذلك الوعد . فاذا ما

انتهت ايامه ، لانه تراب و الى تراب يعود ، فان الوعد سيصل اليه بكيفية من الكيفيات ، وستتحقق عودته الى البستان !

وهكذا استقبل ابو البشر حياته الجديدة راضياً مسلماً راجياً . ومضت السنون مسرعة ، تحمل له في طياتها ماتحمل السنون من اشراق ودموع ، من تحقيق آمال وخيبة انتظار ، من أزهار وأشواك .. فكان يتلقاها كلها بيقين الرجاء الذي حمله له ذلك الوعد القديم المبارك !

وعندما بلغ عمره قرابة الالف دعاه ربه اليه فانطلق حزيناً يبكي ولكنه انطلق الى آخرته بدموع الرجاء !

٣
الحية

« فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضل العالم كله ... فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حربا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة المسيح » رؤ ١٢ : ٩ و ١٧

مرت بنا الحية مروراً خاطفاً وان كان أثر تلك اللمحة الخاطفة أعمق من كل الزمن !

فما هي هذه الحيـــة ، ماهو تاريخها ، وما هي تجربتها ، وما هو مصيرها ؟

ان كل ما يقوله الوحي عنها لا يزيد عن الكلمات « كانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي صنعها الرب الاله » !

وان الحية ذهبت الى حواء واغرتها على عصيان الله !

وان الله اوقع على الحية عقاباً بسبب ذلك !

ولكن الكتاب المقدس يذكر الحية فيما بعد باوصاف تكشف حقيقتها ، بل

يذكر صراحة في بعض المواضع الحية القديمة أي ابليس !

وتتحدث الكتابات القديمة اليهودية عن الحية ، حديثاً لا يمكن ان يبلغ مرتبة الحقائق الموثوقة . ولكننا اذا « غربلنا » ما كتب عن الحية وحللناه نصل الى بعض الحقائق ، أو ما يمكن ان يصل الى مرتبة الحقائق !

كانت الحية حيواناً ما في ذلك من شك !

وكانت حيواناً كثير الحيلة كثير المكر !

قيل انها كانت حيواناً جميل الصورة ، جميل الصوت . وقيل انها كانت تسير كما تسير الظرافة . وقال آخرون بل كانت في صورة الطاووس ، وجمال صوت البلبل وليس هناك ما يمكن ان يعتبر أساساً لمثل هذا الادعاء . سوى ان عقاب الحية شمل القول « على بطنك تسعين كل ايام حياتك » !

ولكن الحية لم تكن هي الشيطان . وانما قبلت ان تكون غلافاً له !

دخل الشيطان في الحية !

ولم ترَ حواء الشيطان ولكنها رأت الحية !

ولو انها فتحت عينيها واسعتين لأبصرت الشيطان بارزاً في عيني الحية وعلى لسانها . ولكنها كانت تنظر الى الشجرة فلم تفحص الحية !

ولم يرتكب الشيطان بدعاً في استخدام الحية . انه ماهر في استخدام كل اداة. ألا تتميز الحية بالحيلة ، اذن ليبادر بالاتفاق معها واستخدامها لاتمام غاياته !

ألم يفعل ذلك منذ استخدم الحية الى الآن ؟

ألم يستخدم الحديد الذي كان يمكن ان يكون محاريث تفيد الزرع الى سيوف تهلك الزرع والضرع ؟

ألم يستخدم الصوت الجميل الذي كان يمكن ان يعلن اسم إلهنا و يمجده ، الى غناء قبيح يخفي اسم إلهنا و يهينه ؟

ألم يستخدم « السينما » التي كان يمكن ان تكون أفضل اداة للوعظ والنصح

والارشاد الى اداة تنشر سموم الخطية ، وتبذر جرائم السرقة والقتل ، وتملأ قلوب النشء بالشهوات التي تحدر بهم الى أعمق الأوحال وأوحل الأقذار ؟؟

ألم يبادر الى « الراديو » الذي كان يمكن ان يحمل رسالة الله على أجنحة الهواء إلى كل أطراف المعمور ، ويحدّث العالم عن محبة الله ورحمته للخطاة والبائسين ، فاصبح اداة تنشر الكفر والالحاد والدعوة للمعصية والسقوط الاخلاقي ؟؟

ان ابليس ماهر في سرعة استخدام الاداة ، وهو يحسن انتقاء اداته. فقد تكون تلك الاداة شيئاً كالخمر ، ومائدة القمار . وقد تكون شخصاً بل قد تكون صديقاً أو حبيباً أو أخاً أو زوجة !

وفي قضية أبي البشر اختيار ابليس الحية فأغوت حواء ، واختار حواء فأغوت آدم !

ولعل لنا درساً حرياً بالتأمل في « تواضع » ابليس . انه لا يهتم بالظهور كما نهتم . انه يختفي اختفاء تاماً ويعطي « المجد » لغيره . اننا لا نرى ابليس في قضية أبي البشر ، ولكننا نرى الحية ولذلك سنتحدث عنها وحدها !

كانت حواء وآدم سعيدين السعادة كلها !

وكانا راضيين كل الرضا !

وكان ايمانهما بالله أقوى ايمان !

وجاءت الحية تحاول ان تعكر عليهما رضاهما وتفسد عليهما ايمانهما !

أحقاً قال الله « لا تأكلا » من كل شجر الجنة

لقد قال الله حقاً « لا تأكلا » ولكنه قصر ذلك النهي على شجرة واحدة !

على انه قال فعلاً « لا تأكلا » !

لقد حرم عليهما ان يأكلا من احدى الاشجار !

ومع ان المرأة لم تدر بما حدث حقيقة الا ان جرثومة عدم الرضاء دخلت في قلبها .

هوذا بستان كبير فيه العدد الكبير من الاشجار ذات الأثمار ، ولكن هناك شجرة صدرت الأوامر بصددها « لا تأكلا » !

وهل كان عدم الرضا خطية الجائعين العراة البائسين فقط ؟ بل انه ليصح أن نحذف الكلمة الأخيرة ، فنقول هل كان عدم الرضا خطية الجائعين العراة البائسين؟ اننا لنرى الجائعين يكتفون بالكسرة اليابسة يتبلغون بها ، والعراة يكتفون بالخرقة يستترون بها ، والبائسين يكتفون بابتسامة صغيرة من الزمن تمحو كل بؤسهم . أما الذين لهم الكثير فان البطر يملأ قلوبهم، وعدم الاكتفاء يبدو شعاراً دائماً لهم !!

ألا يكفيك يا آدم ، ألا يكفيك ياحواء ، بستان فيه من كل فاكهة زوجان تنعمان بجماله وتتمتعان بثماره ؟ نعم .. ولكن تلك الشجرة التي حرمها الله علينا . انها لتبدو وحدها اكثر عدداً من كل ما في البستان من شجر !!! وهكذا أحسّ الزوجان بالحاجة ومرارة الحاجة . ولقد نلومهما وهما يبدوان كما لو كان الجوع قد اسغبهما . ولكننا نشفق عليهما لان عدم الاكتفاء شر من الحاجة !

وهكذا افلحت الحية في غرس بذرة عدم الاكتفاء فنبتت شجرة الشكوى والمرارة والتذمر !

ولكن ثمت بذرة اخرى غرستها الحية بمكر هي بذرة الشك . لقد بدأت حديثها بسؤال يبدو ظاهر البرارة . ولكن ذلك السؤال هزّ ذلك الايمان الممكّن هزة لم يحتمل بعدها ذلك التكذيب الصريح !

— أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟

— كلا . من كل شجر الجنة تأكل أما شجرة معرفة الخير والشر فقد قال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا

— لن تموتا . .

كيف جسرت الحية ان تنطق بهذه الكلمة النكراء ، وكيف قبلت حواء أن تسمعها ؟ كيف تأخرت عن ان تلطمها لطمة شديدة وتطردها من حضرتها وهي

تصم السيد العظيم الصادق الأمين بما يتنزه عنه ؟ ؟

ولكن ذلك السؤال الظاهر البراءة الذي القته في أول الأمر « أحقاً قال الله » كان قد هزّ عمد الايمان في قلبها و بذر بذار الشك . وأثمرت تلك البذار فلما قالت الحية ، لن تموتا قالت المرأة ، هامسة لنفسها ، يغلب انك صادقة، بل قد امتد بها الأمر فقالت بل انك لصادقة !

وهكذا سمعت حواء للحية فنظرت الى الشجرة واستمرت تنظر والشجرة تزداد حلاوة في عينيها. فقد زادتها الشهوة حلاوة .. فمدت يدها وأكلت واعطت زوجها أيضاً فأكل .

وهكذا نجحت الحية في الجولة الأولى !

٤

الأم الاولى

« ودعا آدم اسم امرأته حواء لانها أم كل حي »
تكوين ٣ : ٢٠

لا نعلم كم مضى على أبي البشر من الزمن وحده . قيل انه قضى أسبوعاً وقيل شهراً وقيل اكثر من ذلك وقيل أقل . ولكنه أحسّ بوحشة قاتلة وكان يحسد الحيوانات والطيور لأن لكل حيوان وطير ألفه ورفيقه .

وقال سيد الأكوان ليس جيداً ان يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره !

وصنع الله له زوجة !

وقد صاغها من إحدى أضلاعه !

ولقد أجمع أرباب العلوم انها كانت آية الله في خلقه ، فقد صاغتها يد الله ، حسناء ، جمّلها بكل ما هو جميل. فكانت أجمل من الزهور وأرق من النسيم وأنقى من النور وأبهى من الشمس كما كانت ملتهبة العاطفة إذ صاغها الله من جانب القلب ! وحملها المولى عزّ وجلّ الى آدم وعقد قرانه عليها . وأخذ آدم بسحرها ، فرحب بها ، وقال : هذه الآن عظم من عظامي ، ولحم من لحمي . هذه تدعى امرأة لانها من امريء أخـذت . ثم قال بروح النبوة : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً !

ونحن لا نشك في ان المرأة الاولى كانت الجمال المصوّر لانها كانت الطبعة الاولى التي اخرجها المولى عزّ وجلّ قبـل ان تجري عليها الخطية ما أجرت على الناس . وبالرغم مما مرّ على المرأة من آثار الخطية فلا تزال تحتفظ ببقية من جمال أمها ، ولا تزال تفتن الرجال بذلك الجمال !

ومكثت المرأة الأولى مع الرجل الأول !

هل عاشا كزوجين ؟

هل عاشا كشقيقين ؟

هل كان الزواج في الجنة يشبه الزواج الذي نراه؟ هل كان فيه الحبل والولادة ؟ وهل كان في إمكان الزوجين الاولين ان يخرجا نسلاً وهما في البستان ؟

هذه وغيرها اسئلة لا نملك الجواب عليها . وانما نعلم ان الرجل الاول كان زوجاً شرعياً للمرأة الاولى. وان الزوجين تلقيا الأمر الالهي ان يثمرا ويكثرا. وانهما كانا في ذروة السعادة التي يشتاق كل زوجين ان يصلا اليها . وان محبتهما الواحد للآخر كانت محبة حقيقية لم تتلوث بعد بالخطية وما فيها من انانية وشهوانية !

وعاشت المرأة الاولى مدة لا نعـلم مقدارها ولـكنها كانت أسعد فترة في حياتها الزوجية !

وجاءت الحية الى المرأة !

جاءت اليها وهي وحدها !

قيل انها لم تشأ ان تستيقظ في أحد الأيام مع آدم ، وآثرت ان تنام فترة أخرى . وان آدم تركها ومضى الى الجانب الآخر يعمل في البستان !

وجاءتها الحية ووجدتها منفردة !

وقيل انها كانت ترافق آدم في كل جولاته وانها كانت تسير خلفه وتعمل معه ولكنه كان يحتفظ بالرآسة عليها وان كانت رآسة لا تعنت فيها ولا غطرسة . وانها فكرت في أحد الأيام ان تعمل مستقلة فهي ذات شخصية كبيرة . ولماذا تحيا حياة ثانوية ؟

وأخبرت رجلها بذلك وحاول ان يثنيها مبيناً ان في عملهما معاً ثمراً ازيد ، وجهداً اقل ، وسعادة اجتماعهما . وحاول ان يخبرها ان حياته في البستان قبل ان تجيء كانت موحشة. ولكنها أصرّت وتركته الى الجانب الآخر بعيدة عن رجلها !

وجاءتها الحية ووجدتها منفردة !

ولا شك اننا لا نعلم السبب الحقيقي لانفرادها . وانما نعلم انها كانت منفردة عندما جاءتها الحية !

وخدعت الحية المرأة الأولى بأن ولّدت فيها الغرائز التي لانزال نراها في المرأة. هل ولدت هذه الغرائز ، هل خلقتها فيها ، أم ان تلك الغرائز كانت في تركيبها مغلوبة بغرائز اسمى . وكان كل ما عملته الحية انها أيقظت تلك الغرائز ؟؟

فهذه غريزة الثرثرة تجد ميدانها . كان كلامها مع رجلها على قدر الحاجة ، ولكن الحية جاءتها تتكلم معها، أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ وكان يمكن أن يكون الجواب مجرد كلمة، كلا. ولكن غريزة الكلام استيقظت فيها فتقول: من ثمر شجر الجنة نأكل وانما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا ! !

وهذه غريزة المبالغة تبدو قوية . . لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا . لم يقل

الله ولا تمسّاه . ولا تزال هذه الغريزة ملازمة للمرأة تصل معها الى حدّ الكذب .

وهذه غريزة حب الاطّلاع . انها تسير بعيون مغلقة وتريد ان تنفتح عيناها وهي مستعدة ان تدفع اكبر ثمن في ذلك !

وهـذه غريزة الميل الى التعاظم . انها تريد ان تكون وزوجها مثل الله — ولا تزال هذه الغريزة عاملة في تاريخ العالم . تسوق احياناً الى خير واحياناً الى شر. تدفع المرأة رجلها الى اطماع تصل به احياناً الى الذروة وتصل به احياناً اخرى الى الحضيض !

وهذه غريزة الغيرة وزميلاتها تتجلى في نظرها وفي اشتهائها . . .

وهذه غريزة الاغراء تبدو في إقناعها رجلها ان يأخذ الثمرة من يدها ، ويأكل مخالفاً لله في سبيل إرضاء زوجته ! !

وإذا قلنا ان الحية أيقظت تلك الغرائز فاننا لا نقصد انها كانت فيها بالشكل الذي ظهرت به وانما كانت مركبة بما يجعلها قابلة للسمو أو الانخفاض تبعاً لاختيار المرأة. فغريزة الثرثرة، مثلاً، لم تكن إلا امتياز الكلام المنطقي، يمكن أن يسمو فيصير حكمة ويمكن أن ينخفض فيصير ثرثرة . وغريزة الفضول لم تكن في الاصل كذلك ولكنها كانت الجوع إلى المعرفة، يمكن أن يسمو فيصير بحثاً وراء الحقيقة ويمكن أن ينخفض فيصير فضولاً . . وهكذا !

ونجحت الحية في توجيه الغرائز إلى الأدنى !

وطردت المرأة الأولى وزوجها من الجنة !

ومنذ ذلك اليوم عرفناها باسم الأمّ الأولى حواء أمّ كل حي ! !

وأقامت حواء لزوجها بستاناً آخر لا يقل جمالا وبهاء عن بستان عدن، ذلك هو بستان البيت . لقـد حرمت من كل ما في بستان عدن من مباهج . خرجت دون أن تأخذ معها شيئاً مما كانت تملكه في البستان، ولكنها أخذت حبها، وبذلك الحب بَنَت البيت الاول !

كان بيتاً خشن البناء !

وكان مؤثثاً بأخشن الأثاث !

وكان لا يضيء فيه نور كهربائي . وليس في سقفه ثريات !

كان كوخاً بدائياً ينقصه كل شيء !

ولكنه كان أسعد بيت ، إذ كان الحب يملأه ، ويضيء جنباته ، ويحول خشونته إلى ليونة ، ونقصاته إلى ترف . في ذلك البيت سكبت الزوجة كل حبها لزوجها . وعاونته في عمله الشاق في الارض . كانت تمسح عرق جبينه بقبلاتها ، وتخفف آلامه بكلماتها الحلوة !

وفي ذلك البيت حبلت وولدت وذاقت في حبلها وولادتها الآلام التي كانت ضريبة زوجيتها . . وولدت قايين وهابيل !!

وفي ذلك البيت بكت وناحت على جسد ابنها الصغير وعلى ضياع ابنها الكبير !!

وفي ذلك البيت تعزّت وولدت ابناً ثالثاً و بنين و بنات ! !

نعم في ذلك البيت استيقظت آمالها احياناً ونامت احياناً اخرى . ولكنها بقيت تتطلع الى اليوم الذي ستعود فيه الى البستان . ولما يئست من عودتها بشخصها تطلعت الى المستقبل الغامض وأبصرت في الدماء التي كان زوجها يسكبها على المذبح ، ذاك الذي سيسير في طليعة ابنائها و بناتها و يردّهم الى البستان في موكب نصرته . ولو انه سيسفك دمه في سبيل ذلك !

وماتت حواء وكثيرون من أبنائها ساخطون عليها وعلى أمومتها . ولكن الكثيرين يباركونها و يباركون أمومتها ، تلك الأمومة التي حملت الى التاريخ نوحاً وابرهيم واسحق و يعقوب وصموئيل وداود وحزقيا ومريم العذراء و يسوع المخلص !

نعم يسوع ابن مريم !

هو ايضاً يسوع ابن حواء ! !

٥

الاخَّان

« وولدت (حواء) قايين . وقالت اقتنيت رجلا
من عند الرب . ثم عادت فولدت اخاه هابيل »
تكوين ٤ : ١ و ٢

أقام أبو البشر في بيته شرق البستان الذي طرد منه . كان يعمل في الارض وكانت زوجته تحاول ان تخفف عنه عبء الحياة . فكانت ابتسامتها ولمسة يدها وخدمتها تملأ البيت بالحياة وبالرجاء . وتفانت في حب زوجها بل أشاعت المحبة في كل جوانب البيت حتى لنكاد نصدق ما قيل عنها على لسان بعض الكتَّاب المتقدمين من انها قالت : « لقد تسببت في إخراجك من بستان عدن . ولكني سأعوضك عنه ببستان البيت السعيد » ! وكادت تنجح في ذلك !

وولدت لزوجها ابناً هو قايين !

ثم عادت فولدت ابناً آخر هو هابيل !

كانت تظن يوم أن ولدت ابنها الاول انه البطل الذي سيعود بها الى البستان ولذلك دعت اسمه قايين قائلة : اني قد اقتنيت رجلاً من عند الرب . أو كما يقول المترجمون : اني قد اقتنيت رجلاً هو الرب ـ فلما لم تعد الى البستان وجاء ابنها الثاني دعت اسمه هابيل أي بُطل أو كذب أو رجاء بلا أساس .

وكبر الولدان

كبرا في كنف والدين أبصرا أسعد الايام وأشقاها . وذاقا أحلى ما في الحياة وأمرَّها !

كبرا معاً ، ولكنهما كانا يختلفان في كل شيء ! !

فاذا صدقت التقاليد فقد كان قايين فارع الطول ، ممتلىء الجسم ، وسيم الوجه برّاق العينين ، وبالجملة فقد كان آية في الجمال والفتنة ! !

أما هابيل فكان على نقيض أخيه في ذلك !

على انهما اختلفا ايضاً في اتجاه عملهما ، أما قايين فأخذ يزرع ويبدو انه نجح كثيراً في إخراج ثمر الارض . وأما هابيل فاكتفى ان يرعى أغنامه في المراعي القريبة . كان عمل قايين يتطلب كثيراً من الفهم والتقدير والنشاط والمثابرة والانتظار ، بخلاف عمل هابيل الذي كان يتطلب الجلوس بصمت أمام الطبيعة الصامتة ، والتأمل فيها وفي سيدها !

كذلك اختلف الأخان في خُلقهما فقد كان قايين معجباً بنفسه فخوراً بجماله معتزاً بمقدرته وصناعته ، متشامخاً متكبراً . أما هابيل فكان رضي النفس ، مسلم الايمان ، وديعاً متواضعاً ، مطيعاً لوالديه ولربه !

وكان اختلافهما الأكبر في أن الاول رفض أن يستقر الله على عرش قلبه ، وكيف يسمح بذلك وقد أجلس على ذلك العرش صنمه المحبوب « أنا » ؟ كان إله قايين هو قايين نفسه . كان ربه الأعلى هو شخصه . وعن ذلك العرش خرجت كل الرذائل الانسانية . أما هابيل فقد أجلس الله على عرش قلبه ، وجلس هو عند موطىء قدميه . وسارت حياة هابيل على مقتضى إرادة ذلك العرش السامي المجيد فكانت حياة مكللة بالنور والبهاء ، متوجة بالاشراق والضياء ، زانتها الفضائل والكمالات وصاحبتها السيرة الحسنة وصالح الاعمال !!

ذانك هما الاخان قايين وهابيل أو على الأصح هابيل وقايين ! !

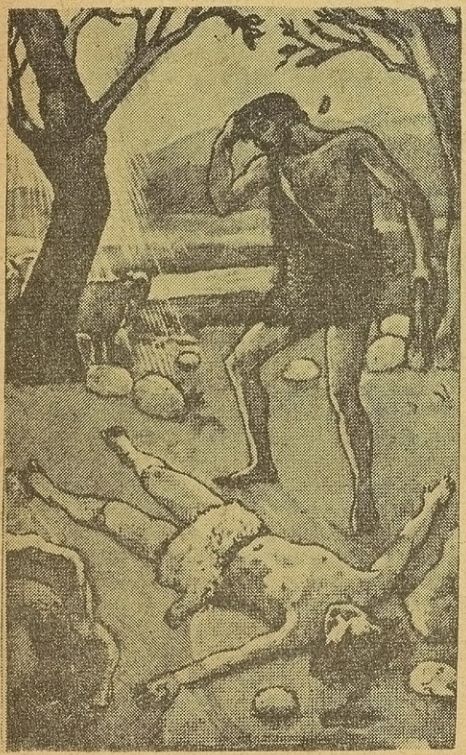
هابيل الصالح !

وقايين الشرير !

٦
الهارب

«تائها وهاربا تكون في الارض» تكوين ٤:١٢

قايين وهابيل شابان في بيت أبيهما . أو لعل كلاً منهما أقام في بيته الخاص على قول الأحاديث اليهودية . وقد أعدا العدة للزواج !



القاتل الاول

ولا بد أن أباهما ذكر لهما أمر خطيته وطرده وزوجه من الجنة. وروى لهما قصة الكفارة وما يلزمها من صـــلاة ومن ذبيحة، والشكر وما يرافقه من تسبيح ومن تقدمة !

وأسرع هابيل الى أغنامه فاختار اكبرها وأسمنها وتقدم الى الله متواضعاً متذللاً . أما قايين فلعله رأى عـــدم لزوم ذبيحة من الغنم . انه يود أن يتقدم الى إلهه، أو على الأصح الى إله أبيه مختالاً فخوراً فهو يقدم له من ثمار أرضه تقدمة وقرباناً !!

قدم هابيل ذبيحة رأى فيهـا بالايمان ذلك الدم الذي امتد خيطاً طويلاً اخترق الاجيال حتى سكب دم حمل الله على الصليب ! !

أما قايين فقدم تقدمة لا مكان فيها للدم ولا للـكفارة ولا للخطية !

قدم هابيل ذبيحته متذللاً لله . أما قايين فتقدم متكبراً . انه يبغي الاعلان عما يستطيع ان يخرجه من الارض بقوة يده وحسن تفكيره . انه أقوى من أخيه بل أقوى ممن هم أقوى من أخيه !

وتقبل الله ذبيحة هابيل !

ورفض الله تقدمة قايين !

ولسنا نعلم مظاهر ذلك القبول أو الرفض !

قيـل ان ناراً نزلت من السماء واكلت ذبيحة هابيل . لكن تقدمة قايين ظلت كما هي !

وقيل ان آدم وكان كاهن الأسرة أعلن لهما ذلك القبول وذلك الرفض وكان يتكلم اليهما باسم الرب !

وقيل ان الله نفسه أعلن لهما بفمه انه قبل ذبيحة هذا ورفض تقدمة ذاك !

ونحن لا نعلم بعد كل شيء ، كيف ظهر القبول وكيف أعلن الرفض . لـكن ماذا تهمنا الكيفية . إن ما يهمنا هو الحقيقة نفسها !

سرّ هابيل ولا شك . أما قايين فكان حزنه طاغياً . لقد مسّ ذلك الرفض كبرياءه . لم يكن يهمه الله ولا رضاء الله إلا على قدر ما يتصل ذلك بشخصه ! هل يقبل الله أغنـام أخيه الراعي ويرفض أثماره وغلاته ؟ هل يقبل الله هابيل ويرفض قايين !! ؟!

كان جرح كبريائه كبيراً !

وقبع قايين في بيته ينوح على كبريائه الجريحة ، وقد تدلت رأسه على صدره ، واكتسى وجهه بثوب من غم ، وغطته سحابة من ظلام ! !

فقال الرب لقايين : لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟ لا ترفع عينك الى فوق أو الى يمين و يسار . إن الامر فيك أنت . تستطيع ان ترفع وجهك وتعيد الاشراق الى نفسك . عد الى ربك بالطاعة و بالتو بة وقدم ذبيحتك كما قدم أخوك يغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر !

ولكن قايين تمادى في كبريائه فرفض عرض إلهه ؟

وغلى صدره حسداً وحقداً ضد أخيه المسكين . كيف يطيق ان يراه ؟ كلما ابتسم هابيل مزقت صدر قايين سكين الغيرة . وكلما بدا هابيل راضياً اشتعلت في صدر قايين نار الحسد . كلا . انه لا يطيق ان يراه . يجب ان يذهب من طريقه . يجب ان يذهب الى غير رجعة !

يا للعار ! أخان لا تسعهما الدنيا !

لا تسلني وما هو ذنب هابيل حتى يفكر قايين في الانتقام منه ، ولا تقل مندهشاً ، وما هي جريرته ؟ إن قايين يفكر ، وهو يصوب سهام غضبه الى هابيل ، في تصويبها نحو إله هابيل ! ان ـ مه لا يستطيع ان يصل الى صدر الله ، فهو يصو به الى صدر حبيب الله !

ووسوس الشيطان في صدر قايين ان اقتل اخاك !

لم يكف ذلك العدو ما عمله حتى الآن مما أدى الى إخراج الأسرة من الجنة ، والى لعنة الارض ، والى تعب العمل ، وتعب الحمل والولادة . لم يكفه ما عمله مع الوالدين بل يجب ان يلاحق الأولاد ايضاً !

اقتل أخاك !

لا شك ان الكلمة لم تكن سهلة في أول الامر . ولكنها على كل حال وقعت على تربة مستعدة . وظلت الفكرة تنمو وتنمو حتى تحولت تدبيراً .

ولكن عقبات وقفت أمامه .

فان أخاه يسيء الظن به مذ رفض الله ذبيحته وسقط وجهه !

ولن يكون من السهل ان يجرّه الى حيث ينوي ان يقتله !

وأبوه وأمه سيقفان ، ولا شك ، في جانب « هابيل » يدافعان عنه ! !

وهناك الآلة التي تصلح للقتل ، اين هي وماذا يعمل بالجثة . . . أسئلة ذات شأن وقفت امام قايين . فجلس بهدوء ورتب كل شيء بحيث استراح تماماً الى ما رتب . فأصلح اولاً ما بينه و بين أخيه . « وكلم قايين هابيل أخاه » ومعنى ذلك انه بسط عضلات وجهه وابتسم له وتلطف في الحديث معه بحيث أنس أخوه له واطمأن الى صحبته ووثق به . آه ما اكثر الوجوه التي تلبس برقع الخداع وترسم ابتسامة الرياء أو تسكب دموع التماسيح لغرض الإيقاع بالأخ المسكين !

ثم أخذ قايين أخاه الى الحقل . . . بعيداً جداً عن منطقة « أذني » والديه . لن يوجد من يدافع عنه أو يسمع صراخه. وهناك في ذلك المكان البعيد انفرد به .

وآلة القتل . . . ومع ان الكتاب لا يحدثنا عنها ، ولكن سياق القصة يرينا ان قايين كان رجل اختراع . بل ان الاختراع كان في دمه . كان ابناؤه أول من اخترع آلات الحديد والنحاس. وأنا لا أستبعد ان قايين بعقله الكبير الجبار اخترع « آلة قتـــل » ولا ادعوها آلة قتال . وربما كان هذا هو السبب الذي جعل « انتصاره » على أخيه هيناً . واعتقد ان قايين هنأ نفسه على عبقريته، ولو انه وجد من يفتخر امامه لافتخر بآلة الفتك الحديثة التي استطاع بها ان ينهي من العالم « دولة » أخيه !

وقد أسعفت الارض قايين بشرب دم الجريمة . ثم رتب ان يدفن الجثة . . . وهكذا كان . وكان حسابه دقيقاً . لقد أزاح أخاه من الطريق ولن يستطيع أحد ان يدينه . انه يستطيع ان يبسط يده بدون خوف . . من ذا يدينه ؟

لـكن « حسبة » قايين كانت خاطئة . . خاطئة حتى من قبل ان يكتشفه العالم الخارجي ! ما هذا الذعر الذي يحسّ به .. ما هذا الاضطراب الذي يساوره ؟ لماذا يسير في الطريق زائغ العينين . . ولكنه يتجلد ويتشجع . يسمع صوتاً من

اعماق نفسه « يا قاتل » . ولكنه يحاول ان يخنق ذلك الصوت في مهده ويعود الى بيته ويتقدم الى المذبح بذبيحته فيسمع الله يكلمه : أين هابيل أخوك ؟

— أحارس أنا لأخي ؟

— ماذا فعلت . صوت دم أخيك صارخ إليَّ من الارض . فالآن ملعون أنت من الارض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك . متى عملت الارض لا تعود تعطيك قوتها !

تائهاً وهارباً تكون في الارض !

وقضى قايين حياته يتنقل من مكان الى مكان تائهاً وهارباً في الارض !

٧

الرجل الذي سار مع الله

«بالايمان نقل اخنوخ لكي لا يرى الموت.
ولم يوجد لان الله نقله اذ قبل نقله شُهد له
بانه قد ارضى الله » عبرانيين ١١ : ٥

اسمه اخنوخ

وهو ابن يارد

وكل ما ميزه التاريخ المقدس به انه سار مع الله ولم يوجد لان الله أخذه !

فانه يبدو في أول امره رجلا عادياً، ولد كما يولد سائر الناس . ونما كما ينمو غيره من الناس . وتزوج غالباً بعد أن وصل الستين أو زاد عنها . ولما بلغ الخامسة والستين ولد له ابنه متوشالح الذي عاش اكثر من أي رجل آخر في كل التاريخ . وولد له أيضاً بنون وبنات في خلال ثلاث مئة سنة أخرى !

لم يختلف اخنوخ عن أي رجل آخر !

لم يجر آية ولم يعمل معجزة . ولم يشتهر بخطابة أو بيان . ويبدو ان ثروته كانت نظير غيره . انه واحد من أولئك الألوف الذين سبقوه وعاصروه !

على انه أتى عملا سجل له ، بدا فيه انه يختلف عن غيره . ذلك انه سار مع الله وانه لم يوجد لان الله أخذه !

ونحن نتساءل عن معنى القول انه سار مع الله . ولماذا ذكر له هذا تميزاً عن غيره مع ان «شيثا» ومن تبعوه ساروا مع الله . ولقد ابتدأ منذ أنوش بن شيث يدعى باسم الله . وكان أبناء شيث يدعون أبناء الله !

ونظن نحن ان أخنوخ عاش حياة شركة كاملة مع الله . كان مع الله في سره وفي جهره . كان يستيقظ صباحاً ليواجهه . ويسير طول النهار معه . وعندما ينام يسلم نفسه لعنايته . وكان ينفق الساعات الطويلة في تأملات روحية مستمرة !

وقد ابتدأت تلك التأملات في أول الأمر محدودة في وقتها اذ كانت عليه التزامات لعمله ولزوجته ولأولاده وبناته. ولكن تلك الساعات جعلت تتزايد وتتزايد حتى احتلت كل وقته . وجاء الوقت الذي كان أخنوخ يقضي فيه كل ساعات نهاره وليله مع الله واذ ذاك نقله الله اليه ليبقى معه باستمرار !

وقيل في التلمود «ان أخنوخ عاش متعبداً لله في دير في البرية بعيداً عن الناس مدة تسعين سنة . وفي ذلك الوقت جاءه ملاك من السماء ودعاه ، أخنوخ أخنوخ وقال أخنوخ هأنذا يارب ؟ وقال الملاك قم وتمش بين الناس وعلمهم الطريق وارشدهم سواء السبيل. واطاع أخنوخ أمر ربه فجال بين الناس وعلمهم الطريق الحق وسبيل الصدق ونادى اتباعه: أيها الناس كل من اراد أن يعرف طريق الله فليذهب الى أخنوخ — وملك أخنوخ على الجنس البشري وأطاعه الناس . وقد خدموا الله وعاشوا في سلام طول مدة ملكه عليهم . وقد ظل ملكه ثلاث مئة وخمسين

سنة وكانت سني عدل وحق وسلام وولد له ابن هو متوشالح وولد لمتوشالح ابن هو لامك ! ومات آدم بعد أن بلغ من العمر تسع مئة وثلاثين سنة حين كان عمر لامك خمساً وستين سنة . وقد دفن في احتفال كبير دفنه شيث وأخنوخ ومتوشالح ووضع جثمانه في مغارة تقول بعض المصادر انها مغارة المكفيلة — وكانت حفلة دفن آدم أولى حفلات الدفن !

وكان موت آدم في السنة المئتين والثلاثة والخمسين لملك أخنوخ . وقد أحسّ وقتذاك باشتياق الى حياة التنسك والعبادة ، فاعتزل الناس . ولكنه لم يعتزلهم دفعة بل تدريجياً. كان في أول الأمر يمكث مع الناس ثلاثة أيام ثم يحتجب عنهم أربعة. وبعد وقت صارت الاربعة خمسة ثم ستة . ثم جعل يحتجب شهراً ويظهر لهم يوماً ! ثم شهرين الى أن بلغت مدة احتجابه سنة ويظهر للقوم يوماً — وعاش مع الله حياة مقدسة وكان الناس يخشونه ويضطربون في حضرته ولكنهم كانوا يحبونه ويرغبون سماعه . وكلما ظهر لهم انحنوا امامه وصاحوا ليحيا الملك !

وفي ذلك الوقت دعاه الملاك ان اصعد الى السماء واحكم هناك . وقال أخنوخ للناس لقد دعيت الى السماء ولو اني لا اعلم متى يكون ذلك . ولذلك سأمكث معكم أعلمكم وارشدكم الى ان انطلق ومكث بينهم وكان وجوده بركة لهم وعم السلام والاتحاد والمحبة !

وفي أحد الايام اعتلى أخنوخ حصانه وانطلق بعيداً عن الناس ولكن بعضهم تبعوه ورافقوه طول النهار فالتفت اليهم وطلب منهم ان يعودوا فعاد بعضهم وبقي البعض وهؤلاء رافقوه اليوم الثاني . وطلب منهم في اليوم الثاني أن يعودوا فعاد البعض وبقى البعض وهكذا في اليوم الثالث والرابع الى السادس وهو يحذرهم مغبة عنادهم . ولكن بعد اليوم السادس كف عن الكلام معهم .

وفي اليوم السابع صعد الى السماء في العاصفة في مركبة من نار تجرها خيل من نار !

وانقطعت أخباره والذين معه فارسل القوم من يبحثون عنهم ووصلوا الى النقطة التي تركوهم فيها و وجدوا جليداً وثلوجاً فحفروا وحفروا وأخيراً وجدت جثث القوم أما أخنوخ فلم يوجد لان الله أخذه ! »

وسواء صحّت قصة التلمود أو كانت من وحي الخيال فان فيها كثيراً من الحقائق التي لا تنكر ! فقد كان أخنوخ معلماً لقومه ونبياً . تنبأ للناس عن مجيء الله « في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع اعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجاراً » ! !

وقد صعد أخنوخ الى السماء، ما في هذا شك، صعد بكيفية اخرى هي الكيفية التي سيصعد بها الاحياء يوم يختطفون الى السماء في المجيء الثاني !

ولعل قصة صعود أخنوخ أبلغ اعلان لبني البشر عن خلود النفس . فلقد مات آدم ومات شيث وأنوش وقينان وغيرهم. وكان الموت نهاية الحياة . وربما ولّد موت هؤلاء الشعور بالفناء. فلما صعد أخنوخ الى السماء فكر الناس في الخلود وآمنوا بالبقاء !

٨

قوس قزح

« وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الارض » تكوين ٩:١٧

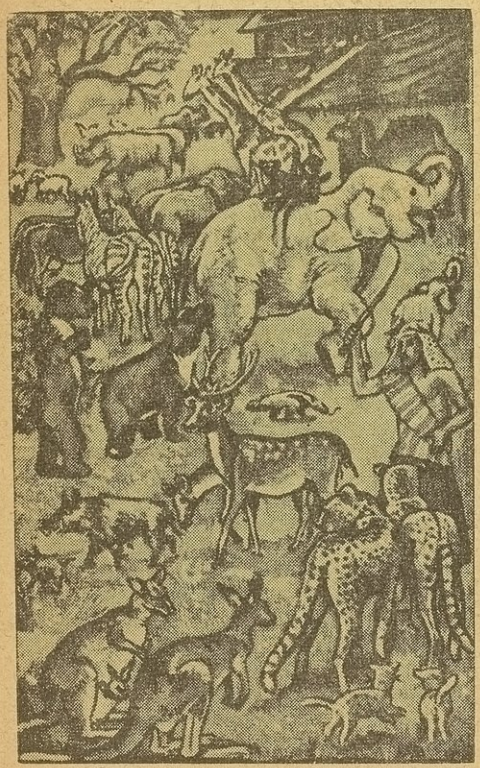
ها نحن نرى سلسلتين من الانساب . فقابين بدأ سلسلة كبيرة امتدت واتسعت حتى ضمّت الألوف !

وشيث بدأ سلسلة اخرى لم تكن اقل من السلسلة الأخرى !

وهناك البنون والبنات الذين ولدهم آدم وشيث وانوش وقينان . . وهكذا ويظن ان هؤلاء انضموا الى رؤوس العائلات !

وسارت السلسلتان في خطين متوازيين. كان احدهما متصلاً بالله حتى لقد أطلق عليهم ابناء الله ـ أما الثاني فقد قطع صلته بالله وقد اطلق عليهم ابناء الناس ! !

كان اذن نوعان من الناس، ابناء الله وابناء الناس. وكان كل نوع يسير منفرداً في طريقه لا تربطه بالنوع الثاني علاقة اقتصادية او اجتماعية !



نوح يدخل الحيوانات الى الفلك

ورأى ابناء الله بنات الناس انهن حسان المنظر. اجمل من بنات الله. فاختاروا لهم نساء منهن من كل ما اختاروا . ونتج عن ذلك الزواج جيل من الناس كان خليطاً من شرّ بنات الناس وشهوات ابنـاء الله . وامتزج النوعان فضاع الخط الفاصل بين ابناء الله و بنات الناس واصبح الكل من ابناء الناس !

وامتلأت الارض بالشر !

ورأى الله وحزن !

وكيف لا يحزن وهو يرى الانسان الذي صنعته يداه ، والذي يحوي في شخصه نسمة حياة من ذات الله ، كيف لا يحزن وهو يراه يضل الطريق ويفسد ؟

كيف لا يتـألم وهو يراه يلوث بأوزار الخطية كل مقدس في ذاته ، فتمتلىء عيناه بالشهوات وفمه باللعنات ، ويداه بالأذى ، وكل جسده بجرائم الاثم . . كيف لا يتألم ؟

لم يكن ذلك الانسان هو الانسان الذي خلقه ورآه صورة منه ! !

وأرسل الله إلى الناس من يدعوهم إلى الرجوع اليه . إن قلبه المملوء رحمة لا يتركه يستريح دون أن يحاول معهم مرة وأخرى ومرّات، ولـكنهم تقسّـوا ولم يرعووا . وكانت عودتهم مستحيلة لان الخطية ملأت كل جزء من حياتهم !

« ورأى الله ان شر الانسان قد كثر في الارض. وان كل تصوّر افـكار قلبه انما هو شرير كل يوم فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض . وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته. الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لاني حزنت اني عملتهم » .

هذا هو إلهنا !

انه لا يغضب على شر الانسان !

ولـكنه يحزن !

ولا يقصد ان يلاشي الانسان انتقاماً ولـكنه يلاشيه ، في الحق ، رحمة ! ! إذ

لا يليق ان يبقى صورة ملوثة . إن محو الانسان عن وجه الارض محاولة لاصلاح الانسانية ! !

وكان في الارض رجل واحد لم ينجس حياته في الآثام هو نوح . وتذكر التقاليد اليهودية ان الله ناداه وقال :

يا نوح خذ لك زوجة، ولِدْ أولاداً لاني رأيتك باراً قدامي . فاني سأهلك جميع الناس إلا أنت وزوجتك وأولادك!! وأطاع نوح وصية الله وتزوج من نعمة ابنة اخنوخ وكان عمره لما تزوج اربعمائة وثمانية وتسعين سنة وولدت له نعمة ابناً دعته «يافث» قائلة ان الله قد أوسع لنا في الارض. ثم عادت فولدت «حام» وولدت ابناً ثالثاً ودعته «سام» قائلة ان الله قد أعطاه اسماً عظيماً بين الناس . وكان عمر نوح لما ولد ساماً خمس مئة وسنتين .



علامة العهد

ونستطيع ان نقول بيقين ان نوحاً سعى جهده ان يصلح من أمر القوم ولكنهم لم يسمعوا له . « وفسدت الارض امام الله وامتلأت الارض ظلماً . ورأى الله الارض فاذا هي قد فسدت . إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الارض » .

وقال الله لنوح :

« نهاية كل بشر قد أتت أمامي . لان الارض امتلأت ظلماً منهم . فها أنا مهلكهم مع الارض . اصنع لنفسك فلكاً . . . »

ووصف المولى لنوح فلك النجاة هذا، وصف نوع خشبه ونوع صناعته ومنافذه وأعلن ان ذلك الفلك سيكون أداة نجاته من طوفان الماء الذي سيرسله لأهلاك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء . كل ما في الارض يموت !!

وقال الله انه يقيم عهده مع نوح لينجّيه وزوجته وأولاده وزوجاتهم مع كل الحيوانات والطيور التي تدخل معه إلى الفلك !

و بدأ نوح يصنع الفلك كما أمره الرب !

وظل يعمل فيه اياماً كثيرة !

كان يبني فلكاً على اليبس بعيداً عن الماء !

ولا بد ان الناس كانوا يقفون ليسألوا ، ولا بد ان نوحاً كان يعلن لهم ان الله سيهلك العالم بالطوفان ! كان نوح كارزاً وقد ظل يكرز سنين طويلة ! وكان فوق كرازته يصلي من اجل الناس . ولكن الناس استهزأوا برسالته ، وانغمسوا في شرورهم ، وازداد ظلمهم وفسادهم !!

واقترب يوم الدينونة !

وأمر الله نوحاً ان يدخل إلى الفلك ، فدخل هو ومن له وماله ، وأغلق الرب عليه . وظلوا سبعة ايام داخل الفلك قبل ان ينزل المطر ، وكان ذلك شهادة !!

وأقبل اليوم المعين يحمل للأرض نهاية الخليقة . في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم . وانفتحت طاقات السماء . وكان المطر على الارض أربعين يوماً وأربعين ليلة !!

ولا يمكن لقلم ان يصوّر ما حاق بالبشر من رعب ، فلقد سارعوا إلى الأقبية والغرف المسقوفة ولكن هذه انهارت امام فيضان الماء . وركضوا يطلبون الاماكن العالية ولكن الماء ركض خلفهم وكانوا يسقطون امامه وقد صرعهم جميعاً . حتى الذين لجأوا إلى قمم الجبال لم تستطع الجبال ان تحميهم لان المياه تعاظمت كثيراً جداً على الارض . فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء . فمات كل ذى

جسد كان يدب على الارض . . . الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس . كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات !

وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط !

* * *

ثم ذكر الله نوحاً .

وأمر، فهدأت المياه وانسدت ينابيع القمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء ورجعت المياه عن الارض رجوعاً متوالياً !

ويلذ لنا ان نراقب الفلك وهو يصعد على سطح الماء ويسير في اتجاه تياره . ويرتفع إلى أعلى من قمم الجبال .. ثم تنخفض المياه فينخفض الفلك ويستقر اخيراً على جبال أراراط . والمياه تتناقص من حوله !

ويلذ لنا ان نراقب نوحاً وهو يحاول ان يكتشف حال الارض. فيرسل الغراب. والغراب يسير فلا يجد إلا ماء ولكنه يجد ايضاً جثثاً كثيرة ينشغل بنهشها. ومع انه لا يجد مستقراً لرجله فانه لا يفكر في العودة إلى الفلك !

وتنقضي سبعة أيام دون أن يعود الغراب . فيفتح نوح طاقة الفلك ويرسل الحمامة . والحمامة تطير من مكان إلى مكان وهي لا تبصر شجراً أو أرضاً ظاهرة ولما لا تجد مستقراً لرجلها تعود في نهاية اليوم الى نوح إلى الفلك .

وتمر سبعة أيام أخرى فيعود نوح ويرسل الحمامة ، وتسير الحمامة من مكان إلى مكان . وهي لا تبصر أرضاً جافة ولكنها تبصر أشجاراً فتحمل في منقارها ورقة من غصون الزيتون وتعود بها الى نوح .

كم ابتهج نوح وهو يقرأ تلك الرسالة الخضراء وكم سرّ !! لقد اقترب وقت الخروج من الفلك !

و بعد أسبوع آخر أرسل نوح الحمامة فذهبت ولم تعد . . و بعد أسبوع آخر أمر الله نوحاً ان يخرج من الفلك !

وانفا لنتخيل ذلك الخروج !

خرج نوح وزوجته وأولاده ونساؤهم ؟

وحالما لمست أقدامهم الارض انكفأ نوح على وجهه وخرّ ساجداً وقدم لله شكراً فاض به قلبه !

ثم بنى مذبحاً !

وقدم عليه قرابين شكر !

وتنسم الرب رائحة الرضاء !

وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الارض ايضاً من اجل الانسان لأن تصوّر قلب الانسان شرير منذ حداثته !

ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت !

وقال الله لنوح و بنيه :

ها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم . . أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد ايضاً بمياه الطوفان . ولا يكون ايضاً طوفان ليخرب الأرض .

وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني و بينكم . .

وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني و بين الارض. فيكون متى أنشر سحاباً على الارض ، وتظهر القوس في السحاب، اني اذكر ميثاقي فلا تكون ايضاً المياه طوفاناً .

شكراً لله ! !

٩

أب المؤمنين

«ابوكم ابراهيم تهلل بان يرى يومي فرأى وفرح » يو ٨ : ٥٦

ألا أحدثكم حديث أعظم رجل سجلت تاريخه الأسفار المقدسة في الأديان الثلاثة الحديثة ؟ لقد مات منذ آلاف السنين ، ولكنه لا يزال حياً يرسل أشعة نوره الى كل طريق ، ويتحدث أجمل الحديث الى الاجيال القديمة والى الجيل الحديث !

انه ابرهيم !

كان اسمه ابرام وغيّر الله اسمه الى ابراهيم

وكان يقيم مع أبيه تارح في أور الكلدانيين على نهر الفرات . وجاءته الدعوة ان يترك أرضه وعشيرته وينطلق الى حيث يقول له الله !

وخرج تارح مع ابنه أبرام وابن اخته لوط واستقر بهم المطاف في حاران . وظل أبرام هناك الى أن مات أبوه . وجاءته الدعوة مرة ثانية ان يترك ارضه وبيت أبيه ويذهب الى حيث يقول له الله . وكان عمره خمسة وسبعين سنة ، ومع ذلك فقد لبّى الدعوة وترك حاران واتجه الى كنعان — لم تكن له خطة موضوعة . كانت خطته «شخصاً» لا شيئاً . انه يتبع الله ، وحيث يقول الله ، يستقر . هذا هو الايمان ! يكفي أن نراه « هو » لانه الطريق والحق والحياة !

لكن الأمر العجيب أن الرجل الذي يخرج من أرضه وهو لا يعلم الى أين

يذهب ومع ذلك يخرج مطمئناً عالماً ان إلهه قد سبق ورسم طريقه ، من العجيب ان ذلك الرجل بعينه يضطرب ويجزع خوفاً من البشر !

حدث جوع في الارض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب في الارض لان الجوع كان شديداً . لم يقل له الله ، انزل الى مصر ، وانما اتبع وحي تفكيره . وقبل أن يدخل مصر ساوره فكر اضطرب له . انه يعلم ان امرأته جميلة . كانت في ذلك الوقت اكثر من ستين سنة ومع ذلك فقد كان جمالها فاتناً . وخشي ابرام أن يراها المصريون فيقتلونه ويسلبونها . لم يكن المصريون همجاً بهذه الدرجة . كان في مصر مدنية وكان فيها قضاء وعدل ، ولكن ابرام لم يكن يعلم ذلك . وأفضى لزوجته بما ساور فكره وطلب منها أن تقول انها أخته ليكون له خير بسببها . ولسنا نعلم هل كان في فكره انهم يأخذونها ويستبقونه ، أم كان في فكره انهم ربما تركوها لانها ليست زوجته . الأرجح انه كان يستند على نباهة زوجته وحذاقتها في التخلص من المأزق . على أن ما أتاه ابرهيم كان أمراً قبيحاً . لم تكن هذه مجرد كذبة . لقد كانت انحداراً شديداً في وادي عدم الايمان ! داس ابرام على كل أسس الشرف والكرامة والدين . ولعله من النافع لنا ان نقرأ قصة عدم الايمان هذه لنعرف ان البشر بشر ، وان لهم ضعفاتهم مهما بلغوا من القوة !

ورأى المصريون سارة زوجة ابرام ، وقيل لهم انها أخت رأس القبيلة الكبيرة الآتية من الشرق . وحملت الى الملك ليتزوج منها ، لا لانها جميلة فحسب ، لكن لانها أخت رجل كبير . فقد كان الزواج بين الملوك والحكام وسيلة لربط الأمم والممالك بعضها ببعض ، وحفظ علاقات السلام بينها ! وصار لابرام خير بسبب ذلك !

ونستطيع ان نؤكد ان سارة أعلنت لفرعون انها زوجة الرجل لا أخته ، وانها نهته عن الاقتراب منها ، وحدثته أن لها حماية في اله السماء الرب سيد الأكوان ، وانها ذكرت له الكثير من صفات ذلك الاله العظيم . ولم يصدقها فرعون في أول

الأمر ، وزعم انها انما تفعل ذلك لانها تراه دميما قبيح الشكل بينما هي حسناء . وهنا ضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة . ماذا كانت تلك الضربات والى أيّ مدى امتدت ؟ لسنا نعلم، ولكنها كانت ضربات عظيمة ، جعلت فرعون يصدق سارة ويدعو اليه زوجها ويوبخه توبيخاً صارماً من اجل كذبه ، ثم يطرده من البلاد قائلا ، والآن هوذا امرأتك . خذها واذهب وأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له !!

ولا بد أن ابرام خجل خجلا عظيما. انه لم يجد كلمة واحدة يرد بها على فرعون. لذلك خرج خافض الرأس ! وكان فرعون كريماً معه فتركه يذهب وترك له كل ما أعطاه له !

ولقد حصد ابرام ثماراً مرة لنزوله الى مصر ، سنراها في حينها . وانما يحسن أن نذكر من الآن انها جاءت عليه بسبب مصر . فقد حدث خصام بينه وبين لوط ابن أخيه بعد حوادث مصر. ونحن نحسُّ بأنّ مقام ابرام قد انحدر في نظر ابن أخيه بسبب ذلك . ومن مصر أخذ ابرام هاجر المصرية التي لعبت دوراً هاماً في تاريخه ، دوراً لايزال أبناء اسحق يذكرونه بمرارة! — بل ان انحداره في مصر لم يكن درساً يعلمه الصدق وانما كان اثماً يعقبه اثم . فانه في جرار بعد ذلك بمدة ارتكب نفس الفعلة فقال عن زوجته انها أختي . وأخذها أبيمالك ملك جرار لتكون زوجته . والله تداخل في الأمر اذ ظهر له في حلم ، وأمره برد زوجة الرجل اليه ، بل طلب منه أن يلتمس من ابراهيم أن يصلي من أجله لانه نبي !

ان الذي يسلك في طريق الخطية مرة واحدة يجد أمامه طريقاً مفتوحاً لها !!

١٠

فآمن ابرام بالله

« فآمن بالرب فحسب له براً » تكوين ١٥ : ٦

تركنا ابرام وساراي يخرجان من مصر، وسنلاقيهما بعد وقت ابرهيم وسارة !! ويليق ان نرافقهما بعض الطريق !

خرجت الأسرة المختارة من مصر ، وجعلت تضرب في الصحراء ، متنقلة من مكان إلى مكان ، وكان طريقها شاقاً فلا أقل من ان نحتمل مع الأسرة، بالفكر فقط ، بعض هذه المشقة !!

سار ابرام الى بيت ايل حيث كانت خيمته في البداءة ، الى مكان المذبح الذي عمله هناك أولا . وهناك حدثت معه حادثة مؤلمة نغّصت عليه حياته وكانت لها نتائج بعيدة المدى . فقد حدث خصام بين رعاة ماشية لوط ورعاة ماشيته . ولابد ان ابرام حاول أن يصلح الأمور ولم يفلح . ونحن نلاحظ في حديثه مع لوط أن لوطاً اشترك في الخصام وانه « فتّح عينيه » في عمه ومصدر ثروته . لم يكن ابرام بعد مصر هو ابرام قبل مصر . ولم يثر العم ولم ينعت ابن أخيه بشر النعوت التي يستحقها . ولم يطرده ، وكان يستطيع أن يسلبه كل ما معه ويطرده . ولو انه فعل ذلك لما كان فعله أزيد من استرداد ماله . اذ أن ثروة لوط كانت كلها من ابرام . كلا لم يفعل ابرام شيئاً من ذلك. وانما تحدث برقة الى ابن أخيه ، لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك لاننا أخوان . ولماذا تكون المخاصمة ، أمن أجل المراعي هوذا الارض واسعة الرحاب . أليست كل الارض أمامك . اعتزل عني .

ان ذهبت شمالا فأنا يميناً وان يميناً فأنا شمالا !

وكأن لوطاً كان ينتظر الاذن له بالذهاب، فرفع عينيه ورأى كل دائرة الاردن ان جميعها سقي، وانها تشبه أرض مصر إلى حد كبير. لقد آذته مصر اذ سحرته بجمالها الخادع. فهو يبحث عن أقرب الأماكن إلى مصر، وهو ينقل خيامه إلى سدوم، لا يعبأ بشرّها وقد كانت نهايته شر نهاية !

أما ابرام فبقى في مكانه حزيناً باكياً. كان لوط له بمثابة الابن العزيز اذ لم يكن له ابن وهاهو لوط يتركه. قيل انه لم يتركه إلا بعد أن تزوج. وان الجانب الأكبر من نار الخصام كان من صنع زوجته. ورفع ابرام عيناً دامعة إلى إلهه، وأتى اليه إلهه ومسح دموعه، ولمس قلبه وجبر كسره، وقال له « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الارض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الارض حتى إذا استطاع أحد أن يعدّ تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد. قم امش في الارض طولها وعرضها لاني لك أعطيها ! »

يالها من رسالة ملأت صدره بالتعزية وقلبه باليقين والرجاء !!

ولم تطل راحة لوط في سدوم فقد قامت حرب اشتركت فيها سدوم وكسرت، وحمل جميع من فيها مسبي السيف، وحمل لوط وبيته. وبلغ النبأ ابرام وكان جرحه لا يزال داميا. لم ينس بعد « تفتيح لوط عينيه » في وجهه، ولم ينس « فضفضة » لسان زوجة لوط، ولكنه حالما سمع بالنبأ جمع رجاله ورجال حلفائه وشنّ حرباً على من سبوا سدوما، ورد كل السبي اكراماً للوط. وحاول ملك سدوم أن يجعل ابرام يأخذ حقه من مال السبي، اذ قال له، أعطني النفوس وأما الأملاك فخذها لنفسك. أما ابرام فيجيب جواباً عظيما يليق بصديق الله « رفعت عيني إلى الرب الاله العلي مالك السماء والارض. لا آخذن لا خيطاً ولا شراك نعل ولا من كل ماهو لك فلا تقول أنا أغنيت ابرام »

ومرت الأيام على ابرام طويلة مملة حتى ضاقت نفسه . هاهو يتقدم بخطوات سريعة نحوالنهاية ، وزوجته لا تقل عنه شيخوخة . وهذه الثروة التي له تتزايد كل يوم . انه يبغضها . انها تظهر أمامه سياطاً تلهب ظهره لماذا يجمعها ولماذا يكومها ؟؟

وفي إحدى الليالي نام بصدر مثقل وقلب حزين . وفي وسط الليل جاءه الله في رؤيا وقال « لا تخف يا ابرام . أنا ترس لك . أجرك عظيم جداً » وقال ابرام لله شاكياً ، أي أجر هذا أيها السيد الرب ، وما فائدة العطايا الكثيرة لي وأنا ماض عقيما ، وسيكون وارثي عبدي اليعازر الدمشقي ؟ ؟ نعم يارب فانك لم تعطني نسلا وهوذا ابن بيتي وارث لي ! ولكن الله قال له، كلا . لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك ! ثم أخرجه إلى خارج وقال ، انظر إلى السماء وعد النجوم ان استطعت أن تعدّها .. هكذا يكون نسلك !

كانت كل الظروف التي تحيط بابرام تحكم باستحالة هذا الكلام . فأبرام فوق الثمانين وزوجته فوق السبعين . وقد انقطع رجاء الاثنين في الاولاد . ولكن الله يقول ان نسله لن يعد من الكثرة . أن الظروف تحكم بغير ذلك ، ولكن الله يقول بذلك. الله صادق وأمين، الله كلامه حق !

وآمن ابرام بالله !

وحسب الله ايمان ابرام براً !

١١

اسماعيل

« وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك»
تكوين ١٧ : ١٨

آمن ابرام بالله !
وانتظر تحقيق الوعد !
وطال انتظاره !
وطال انتظار زوجته ساراي !
ولم يأت الابن المنشود !

وهنا تأتي ساراي عملاً من تلكم الأعمال النبيلة. انها تحاول أن تساعد على اتمام وعد الله. لقد قال الله لابرام أن نسله سيكون مثل نجوم السماء في الكثرة .لكن كيف



ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الأشجار . . . وجلست مقابله لانها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت

يجيء ذلك النسل. انه لن يأتي منها بالطبع، فقد انقطع أن يكون لها عادة كالنساء!

إذن ممن يأتي ذلك النسل؟ لماذا لا يأتي من امرأة أخرى؟

لم يكن هذا فكراً سهلاً!

انه اذ يمر بخاطر المرأة يهزّها ويقلب كيانها، ويحول نورها إلى ظلام، وضحكها إلى غم! ولكن سارة فكرت في ذلك، بل قدمت المرأة الأخرى لزوجها، فهي تقول له، هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة، ادخل إلى جاريتي هاجر لعلي أرزق منها بنين!

كان الاقتراح ظاهر الحسن ولكن ابرام لم يقبله بسهولة. وكان على ساراي أن تقدمه وتوضحه وتلحّ على زوجها في قبوله إلى أن سمع لها وتزوج من الجارية!

وحبلت الجارية!

وأحست انها شيء مذكور!

نعم هي جارية ساراي، ولكنها تحمل في أحشائها وريث ابرام سيد البيت. وستكون هاجر اذ ذاك، لا جارية، وانما سيدة مكرمة! اليست هي أم سيد البيت، أما ساراي فمن هي وما هي قيمتها بدون أولاد؟ وجعلت هاجر تعامل سيدتها باحتقار وازدراء. ويبدو انها وجدت من ابرام بعض العناية فظنت انه سيقف إلى جانبها ضد ساراي!

وازداد تطرف الجارية في مسلكها حتى ضاقت ساراي بها ذرعاً، واشتكت إلى زوجها، قالت «ظلمي عليك. أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت انها حبلت صغرت في عينيها. يقضي الرب بيني وبينك!»

وتأثر ابرام ويغلب انه لاحظ انه سلك في بعض الأوقات مسلكا يساعد على وجود الظن عند هاجر انها اصبحت الزوجة لا الجارية. ولذلك قال لزوجته، «هوذا جاريتك في يدك، افعلي بها ما يحسن في عينيك!»

وها نحن نرى المرأة الجريح، في انتقامها. فقد عاملت ساراي جاريتها بمنتهى الشدة. وأحست هاجر أن الحياة اصبحت لا تطاق، ليس فقط لان ساراي كانت

قاسية عليها ، لكن لان هاجر كانت قد أخذت على حياة ألين ، فهربت . ولكن ملاك الرب أمرها بالعودة والاحتمال ، وقال لها ملاك الرب ، تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها : ها أنت حبلى فتلدين ابناً اسمه اسماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انساناً وحشياً . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وامام جميع أخوته يسكن . وعادت هاجر إلى بيت ابراهيم . ولما تمت أيامها ولدت ابناً دعاه أبوه اسماعيل. لابد ان هاجر قصّت لابرام قصة الملاك ويغلب أن مسلكها بدأ يتغير ، وتغير تبعاً لذلك مسلك سارة — وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل !

ولايمكن ان نصف البهجة التي ملأت بيت ابرام بولادة اسماعيل . وقد أحبه أبوه حباً مفرطاً وتمنى لو أن الله يسمح أن يكون هو ابن العهد . قال ابراهيم لله، ليت اسماعيل يعيش أمامك! فقال الله، « بل سارة امرأتك تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم عهدي معه عهداً أبديا لنسله من بعده . واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي اقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية »

وختن اسماعيل لما كان عمره ثلاث عشرة سنة — ختن مع ابرهيم ابيه ومن ذلك الوقت تغير اسم ابرام إلى ابرهيم وساراي إلى سارة

وولد اسحق — وستكون قصة ميلاده موضوعا لحديث آخر — وكان ميلاده إيذانا بانتهاء مجد اسماعيل . وتآمرت هاجر وابنها ضد اسحق . كان اسحق ابن خمس سنوات كما يقول التلمود عندما لاحظت سارة ان اسماعيل كان يمزح . ولا نعلم بالضبط ما هو الفعل الذي عبرت عنه القصة بالقول « يمزح » . قيل انه كان يتكلم كلمات قبيحة جداً ويعمل اعمالا قبيحة مع اسحق ، اعمالا ذكرها أيضا قبيح. وقيل انه كان يحمل جعبته وسهامه وانه كان قبل خروجه للصيد يصوب أحد سهامه مازحا نحو اسحق ، وهو يقول سأقتلك !

ولم تسترح سارة إلى هذا « المزح » وطلبت ان يطرد ابرهيم سارة وابنها من البيت قائلة انه لا يجوز ان ابن الجارية يرث مع اسحق . وقبح الكلام جداً في عيني ابرهيم لسبب ابنه. ولكن الله امر ابرهيم ان يفعل كما قالت سارة « لانه باسحق يدعى لك نسل » — « وابن الجارية ايضا سأجعله أمة لانه نسلك »

واطاع ابرهيم كارها !

ففي الصباح أخذ خبزاً وقربة ماء واعطاها لهاجر واضعا اياها على كتفها — ثم اعطاها الولد وصرفها . صرفها لا إلى البرية كما قد يتبادر إلى الذهن بل إلى خيمة اخرى من خيام ابرهيم . ولكن هاجر تاهت في برية بئر سبع . وفرغ الماء منها ، واشتد عطش الغلام ، وجف حلقه إلى درجة اليبوسة ، واوشك ان يموت . واشتد كرب هاجر . هل يموت ابنها بين يديها ، وهل تراه وهو يلفظ انفاسه ؟ كلا انها لا تطيق ان تنظره يموت فهي تطرحه تحت احدى الاشجار ، وتبتعد عنه نحو رمية حجر ثم ترفع صوتها وتبكي !



فذهبت هاجر وملأت القربة ماء وسقت الغلام

وارتفع إلى السماء صوت بكاء هاجر وصوت بكاء الغلام ممتزجين معا . وسمع الله ، فارسل ملاكه يشددها ، ويكشف عن عينيها ، فترى بئر ماء ، كانت البئر موجودة طول الوقت ، ولكن هاجر لم ترها إلى ان هداها الملاك اليها . وشرب الغلام وشربت هاجر وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامى قوس . وسكن في برية فاران . واخذت له أمه زوجة من ارض مصر

ولم نعد نرى اسماعيل بعد ذلك إلا مرتين ، المرة الأولى رأيناه وهو يدفن أباه والمرة الثانية لم نره هو ولكننا رأينا عيسو يتزوج من ابنته !

على اننا نسمع ان اسماعيل سكن في بلاد العرب ، وان قبائل قريش جاءت من نسله . وانقسم العالم الديني إلى قسمين المسيحيين وينسبون أنفسهم إلى اسحق، والمسلمين وينسبون أنفسهم إلى اسماعيل !

١٢

اسحق

«لانه باسحق يدعى لك نسل »
تكوين ٢١ : ٢١

اسحق ابن الوعد !

طال ترقب والديه لمجيئه . ومع انهما آمنا بالله ، فقد تزعزع ذلك الايمان أحيانا !

فهذا ابرهيم يقول انك لم تعطني نسلا ، وهوذا ابن بيتي وارث لي ! وهذه سارة تقول لزوجها هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل إلى جاريتي لعلي أرزق منها بنين ، وزوجها يسمع لها !

يسمع ابرهيم الله يقول له ، ان امرأته لا تدعى فيما بعد ساراي بل سارة ، وان الله سيباركها ويعطيه أيضاً منها ابناً . يباركها فتكون أمماً ، وملوك شعوب منها يكونون . يسمع ابرهيم ذلك فيسقط على وجهه ويضحك ، ويقول في قلبه هل يولد لابن مئة سنة ، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟؟ وهكذا تفعل سارة !

كان ابرهيم جالساً في باب خيمته عند حرّ النهار عند ما مرّ عليه ملائكة الله في صورة بشر ، وقد أضافهم ابرهيم وأكرمهم . وبعد أن تناولوا الطعام سألوه أين سارة امرأتك ؟ واجاب هاهي في الخيمة . وقال ملاك الرب اني ارجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن ! فضحكت سارة في باطنها قائلة أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ؟ ووبخ الملاك عدم ايمانها قائلا لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت ، هل يستحيل على الرب شيء ؟ ومع ان سارة انكرت انها ضحكت فاننا نحسّ معها ان لها الحق أن تضحك . هل تلد امرأة عمرها تسعون سنة ؟

وافتقد الرب سارة كما قال ، وفعل الرب لسارة كما تكلم ، فحبلت سارة وولدت لابرهيم ابناً في شيخوخته ، في الوقت الذي تكلم الله عنه ، ودعا ابرهيم اسم ابنه اسحق ! وكان ابرهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه . وقالت سارة قد صنع إليّ الله ضحكا . كل من يسمع يضحك لي . وقالت، من قال لابرهيم سارة ترضع بنين . حتى ولدت ابناً في شيخوخته ؟

وختن ابرهيم اسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام — ويوم فطم الولد صنع ابرهيم وليمة عظيمة .

وتربى الولد في أحضان العناية . كان اسحق أكرم على والديه من كل شخص وكل شيء . من أجله طرد اسماعيل وأمه من البيت اذ لا يجوز لابن الجارية أن يرث مع ابن سارة. ومن أجله ضحّى ابرهيم بقلبه كأب يوم أرسل اسماعيل بعيداً ! وبلغ اسحق سنّ الصبا !

وحدث ان الله امتحن ابرهيم :
قال له يا ابرهيم فقال هانذا !
فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق !
خذ اسحق واذهب إلى أرض المريا !
واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي اقول لك !
يالها من تجربة !
ابنك ؟!
وحيدك ؟!
الذي تحبه ؟!
اسحق ؟؟!!
إلى أين يارب ؟
إلى جبال المريا ؟
نعم يارب ؟
وأصعده لي محرقة ؟!!
اسحق ، أصعده أنا بيدي محرقة ؟
اضطرب ابرهيم كما يضطرب الطـــير الذبيح ، ولكنه أجاب نعم يارب نعم يارب !!

وفي الصباح باكراً ، شد على حماره وطلب من اثنين من غلمانه أن يرافقاه ، وأخذ طريقه مع اسحق إلى حيث أمر الله أن يذهب . ولئن كان الكاتب قد سكت عن وصف ما كان يعتلج في صدر ابرهيم ، فاننا نحن نكاد نلمس ذلك الهم الثقيل الذي أحنى ظهر ذلك الرجل الشيخ . ولكم وشوش الشيطان في أذنيه : عد أيها الرجل ، عد من رحلتك المشئومة هـــذه . كيف تطاوع دعوة مخيفة كهذه الدعوة . فكّر في حياتك بدون اسحق . لقد كانت حياتك قبل أن يأتي صحراء

جدباء موحشة ولكنها ستكون بعد أن يذهب جحيما يلتهب سعيره . ان الموت سيكون بركة إذا ما جاء اليك. وتلك الآمال التي راودت خيالك يوم ولد اسحق، ذلك الشعب الذي ظللت تحلم به ، الجمهور الكبير من الامم الذي تغير اسمك بسببه من أبرام إلى ابرهيم . وأرض كنعان التي عشت فيها غريباً في خيام ، وأنت تنتظر أن يرثها نسلك . وأسفاه لقد انتهى كل ذلك فان اسحق سيموت !!

وليته يموت ميتة هينة . ليته يموت في أحضان أمه . ولكنه سيموت مذبوحاً وتلك اليد الآثمة التي ستذبحه هي يد أبيه !!

* * *

ظل الشيطان يوشوش في أذن إبرهيم بمثل هذا الكلام ، وابرهيم ينحنى وينحنى إلى أن كاد ايمانه يضيع . ولكن تلك اليد الالهية أسعفته فهو يرفع عينيه إلى السماء ، ويذكر كلمات الله نفسه ، باسحق يدعى لك نسل . ولئن ذبح اسحق فان الله سيقيمه ... ولئن سر الله انه يموت وينتهي فلتكن ارادة الله . ان اسحق عزيز علي ، أعز من مالي ، ومن زوجتي .. نعم وهو أعز عندي من نفسي . ولكن الله أعز منه ، ورضاء الله عندي هو غاية مناي ومقصدي !!

كان ابرهيم يتحدث إلى نفسه بمثل هذا الكلام عندما سمع ابنه اسحق يناديه ياأبي هاأنا أرى الحطب والنار فأين الذبيحة التي ستقدمها ياأبي ؟ وتمزق قلب ابرهيم وهو يسمع تلك الكلمات ، وكاد يجأر بالبكاء ويقول ، أنت هو الذبيحة يا ابني . ولكنه تجلد وأمسك دموعه وقال ، الرب يرى له الذبيحة ياابني !!

وعند سفح الجبل طلب ابرهيم من الغلامين أن ينتظرا وأخبرهما انه سيعود مع اسحق بعد وقت . اذ لم يشأ ان يشاهدا أقدس عمل سيقوم به في حياته ! !

* * *

وصعد الاب والابن إلى الجبل . وتحدث الاب مع ابنه عن أمر الله . وقابل

الابن ذلك بكل تسليم . عندما رتب ابرهيم المذبح ووضع الحطب ، وجاء أوان ربط الذبيحة وضع اسحق!! قيل ان اسحق طلب منه الا يربطه مؤكداً له انه لن يتحرك من مكانه وقيل غير ذلك، انه طلب من ابيه ان يشدّ رباطه حتى لا يسبب تعباً لأبيه في ذبحه !!

وأمسك ابرهيم السكين، وكان على وشك ذبح اسحق عندما قبضت على يده يد غير منظورة وجاءه صوت عال ، ابرهيم ابرهيم ! فقال هأنذا

لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل شيئاً لاني الآن علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني .ورفع ابرهيم عينيه ناحية الصوت ليرى من هو الذي يكلمه فلم يرَ انساناً ولكنه رأى كبشاً مربوطاً بقرنيه . لم يكن هناك كبش قبلاً . اذن السماء هي التي ارسلته . فحلّ ابنه وجاء بالكبش ، وهو يقول حقاً قد رأى الرب الذبيحة لنفسه وقدم الكبش لله ذبيحة . واذا به يسمع الصوت مرة اخرى صوت الله نفسه أو صوت ملاكه يقول ، بذاتي اقسمت يقول الرب اني من اجل انك فعلت هذا الامر ، ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة واكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطيء البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الارض !!

وعاد ابرهيم واسحق والبهجة تملأ صدريهما . وحدّث ابرهيم سارة بكل ما حدث . ونحن ننظر بكل تقدير الى ابرهيم الذي لم يمسك ابنه من اجل الله ولكننا ننظر بكل خشوع الى الآب الذي لم يمسك ابنه من اجل الخطاة !!

١٣

الاميرة

« وقال الله لابرهيم سـاراى امرأتك
لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة .
واباركها واعطيك ايضاً منها ابنا »
تـكوين ١٧ : ١٥ ١٦

كان اسمها ساراى أي سيدتى أو أميرتى وصار اسمها سارة أي السيدة أو الأميرة. ولقد كان لها من اسمها نصيب كبير ، فقد كانت في الحق سيدة جليلة وأميرة خطيرة !

ولقد رأيناها أول ما رأيناها زوجة للشاب أبرام بن تارح. ومن حديث زوجها في ما بعد نعلم انها كانت أخته ابنة أبيه فقط !

ومع ان سارة عاشت في ظل ابرهيم إلا ان ابرهيم لم يستطع ان يخفي كل ضيائها. ومع ان قصة حياتها يمكن أن تندمج في قصة حياة ابرهيم، إلا ان شخصيتها القوية تبرز بحيث تتطلب دراسة مستقلة لتلك الحياة !

وأول ما نعرفه عن سارة انها كانت جميلة جداً بل آية في الجمال . ولقد بقي جمالها أخاذاً ساحراً حتى بعد ان وصلت الى حدود الشيخوخة . بعد السبعين بل بعد الثمانين قال لها زوجها «اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر » ـ على ان جمالها الفتان هـذا كان مصاحباً بجمال داخلي أعمق . وحياتها حياة السيدة . . السيدة الجميلة حقاً !

ونحن نرى جمالها البهي في جمال وفائها وطاعتها. ها هو تارح يقول : هيا هيا يا ناحور . هيا يا ابرام . هيا يا لوط ـ ولكن ناحور تردد . قيل ان ملـكة زوجته

رفضت ان تترك مكانها . أما ساراي زوجة أبرام فلم تعترض . انها تترك الأمر لحكمة « سيدها » .

واستقر تارح في حاران الى ان مات .. وبعد موته صار أمر الى أبرام ، اذهب من أرضك ومن عشيرتك . وزوجته لا تعترض ولا تتذمر بل ها هو ينتقل من مكان الى مكان. لا يستقر في مكان، وسارة هي هي، تحمل ذات الابتسامة القديمة. ان لها شخصية قوية ولكنها لا تحاول ان تتسيطر على رجلها بل تقدم له الطاعة والاكرام !

بل لقد بلغ من ولائها له انها ارتضت ان توافقه على انها أخته لا زوجته وارتضت ان تحمل الى بيت فرعون و بيت ابيمالك . لقد قال لها ابرام ان حياته رهن برضائها وحياته عندها أهم من حياتها ومن كرامتها . لقد كانت تعلم ان الله سيحفظها . نزل ابرام الى مصر وطلب رجال فرعون « أخت » ابرام فحملوها الى القصر . ولكنها دخلت « سيدة » . انها تختلف عن كل النساء اللواتي دخلن الى القصر . ان لها هيبة ووقاراً . انها جميلة فاتنة ولكن في جمالها نوراً قدسياً . ان فرعون لا يجسر أن يتطلع اليها ، ولا يستطيع ان يعاملها كما يعامل بقية النساء . انها تحمل اليه صورة أقدس من صور الآلهة الذين آمن بهم . انه ينام ويقوم وهو يفكر في ذلك الجمال القدسي . ومذ دخلت الى قصر فرعون أصيب بيت فرعون بضربات . قيل ان نساءه أصبن جميعاً بالعقم وانه هو أصيب بالانحلال . وقيل ان الله كشف له في الليل ان سبب ذلك أخذه لزوجة ابرام . وفرعون يستدعي ابرام ويوبخه توبيخاً صارماً ويأمره بترك البلاد . فهل استطاع أن يجد كلمة يقولها ضد سارة ؟ لقد كانت سارة سيدة ! !

وتكرر هذا الامر بعد سنين عديدة عندما تغرب ابرام في جرار وقال عن سارة امرأته هي أختي ، وأخذها أبيمالك ملك جرار . ولكنه ايضاً لم يرَ فيها جمال الجسد الذي يستهوي الغرائز ، بل رأى جمالاً آخر سامياً ونبيلاً . وهو يكتشف

كما اكتشف ايضاً فرعون ان المرأة متزوجة . . وهو يردها معززة مكرمة الى زوجها . يوبخه هو ولكنه يكرمها هي ! !

وقامت المخاصمة بين زوجها وابن أخيه ، وكان يمكن لزوجة ابرهيم ان تشعل النار وتثير الفتنة ، وتأخذ مال لوط ، وترسله فارغاً . كان يمكن أن تحرّض ابرام على فعل ذلك، وكان في إمكان ابرام ان يلاشي لوطاً. ولكننا لا نسمع حسّ سارة. انها لا تتداخل في المنازعات بين الرجل وابن أخيه . وهي تعلم ان سبب الخصام الأساسي في بيت لوط ، وان زوجة لوط هي « محراك النار » ولكن ذلك ايضاً لا يثيرها . انها تعلم ان إثارة الرجل تؤذي أول ما تؤذي نفس زوجها !

وذهب لوط الى سدوم واتسع اتساعاً عظيماً . . وفي أحد الأيام حملت الأنباء الى ابرام ان مدينة سدوم قد سبيت وان لوطاً وزوجته وجميع من له وما له قد حملوا الى السبي . وكان ينتظر أن سارة تبتسم ابتسامة عريضة هي ابتسامة الشماتة بتلك المرأة الشريرة التي قسمت البيت وفتحت الجروح ، ولكنها لم تفعل شيئاً ، بل ساعدت على ان يقوم رجلها ويضع حياته في كفه ويرد سبي لوط . فكانت سيدة حقاً بل اكرم سيدة ! !

وتنقضي عليها السنون وهي لا تحبل ولا تلد . ومع انها قد سمعت الوعد أن نسل ابرام سيكون كرمل البحر ، وفهمت ان ذلك النسل سيأتي منها إلا انها لم تقلق ولم تنفعل ولم تفكر في هذه الوسيلة أو في تلك — فلما يطول امد عقمها تقوم بعمل لا تعمله امرأة . تعطي جاريتها لزوجها حتى يلد منها النسل الذي وعد به . ولا يمكن أن يدرك مقدار تلك التضحية إلا امرأة . بل ان الوقت لا يطول علينا حتى ندركها. فعندما أحسّت الجارية انها حبلى صغرت سيدتها في عينيها ، وتطور هذا الى احتقار واهانة . ان الجارية قد صارت زوجة وعما قريب ستصبح أماً . وهنا لم تستطع سارة ان تحتمل اكثر . هنا أدركت ثقل التضحية فذهبت الى زوجها واشتكت: «ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي الى حضنك. فلما رأت انها حبلى صغرت

في عينيها . يقضي الرب بيني و بينك . يبدو أن الجارية كانت لا تعلم شيئاً عن شخصية سيدتها ولا قلب سيدها . أما ابرام فأطلق يد سارة في جاريتها . وكانت سارة امرأة فاذلّت غريمتها وكانت يدها شديدة فلم تستطع هاجر إلا ان تهرب !

ولكن ملاك الله طلب منها ان تعود و بشرها بميلاد اسماعيل وقال انه سيكون انساناً وحشياً يده على كل واحد و يد كل واحد عليه . . وولدت هاجر اسماعيل لما كان عمر ابرام ستاً وثمانين سنة !

مرت ثلاث عشرة سنة وسارة تنتظر، والمولود المرتقب لا يأتي . وجاءت البركة أخيراً جاءت ملائكة في صورة بشر ودعاهم ابرهيم الى بيته . وطلب من زوجته ان تعدّ للضيوف طعاماً .

ان ثقل الضيافة يقع جلّه على المرأة ولو كان عندها خدم كثيرون . ولا شيء يسيء الى المرأة بمقدار مفاجأتها بالضيوف . ولكن سارة لا تغضب من ابرهيم بل تعمل جهدها فتقدم الطعام بدون تأخير للضيوف الذين جاءوا وقت حرّ الظهيرة

ويأكل الضيوف خارج باب الخيمة وسارة داخل الخيمة مستعدة لكل طلب . ويسأل الملاك عن سارة ويقول انه سيكون لها ابن في سنة من الزمان . كان عمر سارة نحو تسعين سنة وقت ذاك . وهي تسمع انها ستلد لذلك لا تتعجب إذ نراها تضحك . وكامرأة فاضلة تضحك في باطنها وتهمس لنفسها « أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ » والملاك يوبخها برفق لأنها ضحكت وهي تضطرب فتنكر أنها ضحكت وتؤمن بوعد الله، تؤمن بالرغم من انه قد انقطع ان يكون لسارة عادة كالنساء أو كما يقول كاتب سفر العبرانيين « بالايمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل و بعد وقت السنّ ولدت إذ حسبت الذي وعد صادقاً » .

وجاء اسحق !

لا بد ان فرح سارة كان طاغياً . ها قد جاء أخيراً الابن الذي وُعِد به

وكان اسحق موضوع عنايتها!

أعتنت بجسمه!

واعتنت بروحه!

وكان كل فرد في بيت ابرهيم يرعى اسحق ويطلب له الخير ماعدا شخصين هاجر واسماعيل

ويقول الكتاب ان سارة رأت ابن هاجر يمزح . . . ولا نعلم بالضبط ما كان ذلك الفعل . يقول الرسول بولس انه كان يضطهد اسحق . ويقول التقليد انه كان يعمل عملا قبيحاً مع اسحق . ولا شك ان هاجر كانت تحرّض ابنها على الاساءة الى اسحق ، ونطق الألفاظ البذيئة قدامه ، وعمل الاعمال القبيحة معه . وتعرّض اسحق لنتائج سيئة في جسمه وذهنه وروحه !!

وهنا ثارت الأم تدافع عن ولدها !

ان المرأة التي كانت مثالاً للدعة والهدوء والتسامح وكرم النفس تثور كالنمرة وتقول اطرد هذه الجارية وابنها !

ساء الكلام في عيني ابرهيم وقبح الكلام في عينيه لسبب ابنه ولكن الله يقول له لا يقبح في عينيك من اجل الغلام ومن أجل جاريتك . في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها . . .

ولقد حاول الكثيرون ان يلوموا سارة ويتهموها بالقسوة. والامر يبدو كذلك لأول وهلة . ولكن الدارس المدقق يلاحظ انه كان يلزم ان تعمل ذلك ، والا تعرضت نفس اسحق للضياع

لقد كانت أماً !

وكأم أمينة لواجبها ينبغي ان تفصل ابنها عن الوسط الشرير !

وقد فعلت !

وكبر اسحق !

ونشأ ابناً تقياً مستقيماً !

كان أبوه يحبه !

ولكن أمه كانت تعبده . كانت ترعاه بعينها و بقلبها !

وجاءت كارثة !

الله يأمر ان يقدم ابرهيم ابنه اسحق على أحد الجبال !

كان اسحق غلاماً في نحو الثالثة عشرة

و بكر ابرهيم صباحاً !

أخذ معه كل ما يلزم للذبيحة

وأخذ معه غلامين !

وسار هو واسحق والغلامان !

لكن القصة لا تذكر سارة !

يحاول البعض ان يبعد سارة عن الميدان ، فيقول ان ابرهيم استيقظ مبكراً قبل ان تستيقظ سارة، وانه اخذ اسحق من حضنها ، وأنه خرج دون ان يقول لها !

فهل نستطيع نحن ان نصدق ذلك ؟

هل يمكن ان يؤخذ اسحق من حضن سارة دون ان تستيقظ ؟ ؟ ! !

هل يمكن ان يتم ترتيب ذبيحة تتطلب حطباً وناراً وغلامين وحماراً . . . كل هذا دون ان تدري سارة ؟

أم الأصح ان ابرهيم تحدث الى سارة ؟

وان سارة استقبلت الامر الالهي بتسليم !

نعم انكسر قلبها ووصل الجرح الى عمق قلبها، و بكت ماشاء لها البكاء، وناحت

على وحيدها . ولكنها كانت تؤمن في قلبها ان الله سيرى له الذبيحة . أو ان الله سيقيم ابنها من الاموات . كانت في قرارة حزنها مؤمنة مسلّمة !

وأعطت ابنها لابرهيم ليقدمه لله !

نعم هذه هي سارة !

لا يمكن ان نقبل ان تكون سارة ما يحاول البعض ان يصوّروه من الكسل والجهل وعدم الدراية !

بل ان سارة هي امرأة الايمان !

تؤمن ان الله قادر ان يعطيها ابناً بعد الوقت !

وتؤمن ان الله قادر ان يقيم من الاموات !

ومرّت سنوات . . وجاءت الساعة التي انطلقت فيها سارة الى ربها ذاكرة فضله شاكرة حبه

وتزوج ابرهيم امرأة بعد سارة

فهل انتهت تلك السيدة ؟

وهل وضع التاريخ نقطة كبيرة في نهاية قصتها ؟ . . . كلا

فهوذا بطرس بعد ألوف السنين يتحدث الى نساء الكنيسة المسيحية فيقول « كذلكن أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وان كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة . ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف . ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب بل انسان القلب الخفي في العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادي الذي هو قدام الله كثير الثمن . فانه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يزيّن أنفسهن خاضعات لرجالهن . كما كانت سارة تطيع ابرهيم داعية اياه سيدها . التي صرتن أولادها صانعات خيراً وغير خائفات خوفاً البتة ».

١٤

المرأة التى صارت عمود ملح

« ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » تك ١٩ : ٢٦

ما أقل ما سجله الوحي عن هذه المرأة !

انه لم يذكر اسمها !

ولم يرسم صورة تقريبية لشكلها !!

ولم يصف اخلاقها أو دينها !

هذا كل ما كتبه الوحي عنها

« ولما طلع الفجر كان الملا كان يعجلان لوطاً قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باثم المدينة . ولما توانى أمسك الرجلان بيده و بيد امرأته و بيد ابنتيه لشفقة الرب عليه »

« فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء وقلب تلك المدن وكل الدائرة ... ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح »

ولكننا نقرأ بين سطور مأساة لوط قصة زوجته التعسة !

خرج لوط مع عمه ابرام بن تارح ، خرج وهو لا يملك شيئاً او لعله كان يملك شيئاً قليلا وكان لوط ينظر الى ابرهيم بكل احترام وولاء وكان يرى فيه المثل الاعلى للانسان الكامل .

وبارك الله ابرام !

فكثرت غلاته وتضاعفت أغنامه وماشيته واتسعت ثروته !

ولوط السائر مع ابرام كان له أيضاً غنم و بقر وخيام !

وقامت منازعة بين لوط وابرام !

قيل ان سببها ان الارض لم تحتملهما أن يسكنا معاً . وان مخاصمات قامت بين رعاة مواشي ابرام ورعاة مواشي لوط

كان هذا السبب الظاهر !

لكننا نسأل منذ متى كان للوط أن يرفع وجهه أمام ابرام وهو يعلم ان كل ما عنده انما جاءه عن طريق ابرام . وانها بركة عمه لا بركته هو، هي التي جعلت ثروته تتسع ؟!

وكان لوط لا يجسر أن ينظر إلى وجه عمه . وكان يعامله معاملة الابن لابيه في تلك الايام ، أي ايام ان كان هناك احترام كبير من الابناء للآباء !!

نعم كان لوط كذلك ـ على ما يراه البعض ـ إلى أن تزوج، ومنذ حلّت في بيته امرأة جعلت توسوس في أذنه ان عمه يسيء اليه ، وان ثروته تتضاءل وتقل بسبب هذه الشركة ، وانه خير له ان ينتصب على قدميه رجلاً و يعيش مستقلاً . لماذا يعيش طفلاً يتناول اللقمة يتفضل بها عليه عمه !

وكان لوط يداور امرأته في أول الأمر لكن طول شكايتها أثمر وجاء الوقت الذي ظهرت الخصومة فيه عنيفة مرة ؟ ؟

ولا بد أن ابرام أدرك أساس القصة فلم يحاور لوطاً ولم يجادله . ولم يذكر له ان رعاته بدأوا بالاساءة ، وان الآبار كلها هي آباره (آبار ابرام) وان لوطاً لا يملك منها شيئاً . كلا . لم يقل له شيئاً من ذلك لانه كان يعلم ان امرأة خلف الموضوع وانها وطنت نفسها على ان تنفصل ، فسهل المهمة لابن أخيه وقال له : لا تكن مخاصمة بيني و بينك ، و بين رعاتي ورعاتك لاننا نحن أخوان. أليست كل الارض قدامك اعتزل عني . ان ذهبت شمالا فأنا يميناً وان يميناً فأنا شمالا

وهكذا « عزّل » لوط من بيت عمه !

وهل لوط هو الوحيد بين الرجال الذين أخرجتهم زوجاتهم من كنف آباء أو اعمام ؟ ألسنا نرى المرأة تعمل هذا الأمر بكثير من حيلها فتنقسم البيوت الكبيرة ويحدث الشقاق بين العائلات وتبقى مرارة لا تذهب بها الأيام ؟ ؟

على اننا ايضاً نرى امرأة لوط مرة اخرى. نراها يوم اختار لنفسه دائرة الاردن ولسنا نجزم ان زوجته كانت خلف الاختيار . ولـكننا نؤكد انها هي التي حرضته على نقل خيامه إلى مدينة سدوم !

لم يذهب لوط في أول الأمر إلى المدينة . انه ارتحل شرقاً ، واقام في خيامه في المراعي وكانت المدينة قريبة . ورغبت الزوجة الشابة في ان تقيم في بيت في المدينة وظلت مع رجلها حتى لان وترك حياة الخيام ونقل الى سدوم !

وأبصرت في المدينة ما لم تبصره في البادية !

كان أهل سدوم أشراراً لدى الرب جداً !

كانوا سكيرين . كان الخمر طعامهم بل كان أهم عندهم من الطعام. ألسنا نلاحظ كيف ان ابنتي لوط لم تنسيا ان تأخذا معهما كمية من الخمر عن هروب العائلة من سدوم؟

وكان الفسق في سدوم شيئاً عادياً ! كانوا كلهم فاسقين من الحدث الى الشيخ الاطفال والشيوخ مع الشبان انغمسوا في أوحال الفجور !

كانت لهم بالطبع ليالي حمراء !

ولابد انهم تفننوا كما تتفنن المدن الشريرة في اقامة السهرات الحافلة بالرقص والمجون والفسق !

وَسِرّ هذا زوجة لوط !

لقد تعلمت كيف تلبس ثياب المدينة !

وكيف تخطو خطوات بنات المدينة !

وكيف تشرب ، وكيف ترقص ، وكيف تتكلم ، وكيف تخطو ، كما كان بنات المدينة يعملن !

ولا بد انها اشتركت في محافلهم ولذ لها ان تسير نظيرهم !

ما أجمل سدوم وأهل سدوم !

انها مدينة النور مدينة المدنية !

ان سكانها بشر لا بهائم !

انها أسعد امرأة في سدوم !

ما اكثر الليالي التي كانت تلك الزوجة تحدث فيها نفسها حزينة على السنوات التي قضتها في البادية .. انها لن تحرم بناتها مما حرمت هي منه . ستمتعهن بكل متعات سدوم . لقد كانت فيها بقية من لغة البادية ومن عادات البادية وكان القوم يتغامزون عليها احياناً. ولولا انها كانت تحتل مكاناً ملحوظاً في المدينة بالنسبة لثروة زوجها لكانت موضوع سخرية تلك الطبقة الراقية . أما بناتها فلن يتغامز عليهن أحد ، ولن يسخر منهن أحد. لقد بدأن الحياة في سدوم . «مودة» سدوم ، وكلام سدوم ، وعادات سدوم وحفلات سدوم ، ومجون سدوم ، وكل ما في سدوم اصبح جزءاً من حياتهن !

وهل كان يمكن ان تعيش زوجة لوط بعيداً عن سدوم. انها تحسّ ان سدوم قد اصبحت حياتها ونورها !

جاء ملوك وحاربوا سدوم وأخذوا سكانها سبايا وسبي لوط وزوجته. وبلغ الأمر ابرام فقام لفوره ورد السبي . فهل فكر لوط في ان يترك سدوم ، ويعود إلى الحياة مع عمه ؟ كلا . انه لم يفكر في شيء من ذلك لان زوجة لوط لاتستطيع أن تعيش بعيداً عن سدوم !

وطال الأمد عليها وولدت بنات زوجت عدداً منهن لرجال من سدوم . لقد اصبحت سدومية . كان لوط غير مستريح إلى الحياة في ذلك الوسط . كان يعذب نفسه البارة كل يوم . أما زوجته وبناته فكن مستريحات جداً إلى ذلك الوسط . انك لا يمكن ان تلمح أي فرق بينهن و بين نساء سدوم !

وأخيراً !

وأخيراً صدر الحكم على سدوم !

لقد امتلأ الكأس !

سيقلب الله سدوم وعمورة وكل الدائرة لان شرها قد صعد إلى الله !

ووقف ابرام يناضل عن سدوم !

رباه كيف تهلك سدوم كلها ، فربما كان فيها عدد من الصالحين ، حاشا لك أديان كل الارض لا يصنع عدلا؟هل تهلك البار مع الأثيم ؟ ربما كان هناك خمسون باراً في المدينة ! ويعلن الله انه يعفو عن سدوم لو ان فيها خمسين باراً .. بل اربعين بل ثلاثين .. بل عشرين .. بل عشرة !

لم يوجد في سدوم عشرة أبرار !

وجاءت الملائكة إلى سدوم رحمة بلوط و بنيه !

واستقبل لوط الملاكين بكل احترام ، ودعاهما إلى بيته وألحّ عليهما جداً فمالا اليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة !

لكنهما قبل ان يضطجعا سمعا حسّ رجال المدينة يحيطون بالبيت .. كل الشعب . يطلبون من لوط طلباً قبيحاً !!

ويخرج لوط اليهم ويحاول ان يهدئهم ونحن ننذهل من اللغة التي نطقت بها شفتاه . هل هذا لوط ، ابن أخ ابرهيم ، لوط البار هل يمكن ان يكون هو ؟ انه يعرض على القوم اشنع ما يعرض رجل وأب . والقوم يثورون طالبين الرجلين ! !

يا للمساكين !

انهم لم يعلموا ان الرجلين ملاكان !

آه لو عرفوا !

اذن لجاءوا ساجدين وطلبوا الرحمة والعفو ، ولكنهم لم يعرفوا ! !

ويصاب أهل المدينة بالعمى !

و يخبر الملاكان لوطاً بمصير المدينة !

سيحرق الله سدوم !

سيهلك كل حي فيها !

ستتلاشى مدن الدائرة كلها !

وارتاع لوط ! !

ولكن زوجته لم تضطرب !

وابنتاه لم تهتما !

وأصهاره الآخذون بناته لم يصدقوا ، بل كان كمازح في أعينهم ! !

وهو يعود الى بيته يحاول ان يعد نفسه للهروب من سدوم !

ولكن زوجته تعطله !

كيف هذا يا رجل ؟ !

من قال لك ان المدينة ستهلك ؟

ان كلام الرجلين قد يكون مجرد عبث !

هل يجوز ان نصدق كلامهما ونترك بيتنا ومالنا وصحبنا ؟

هذا البيت الذي فرشته وأثثته فكان تحفة . . هل أتركه ؟

هل أترك المدينة ذات الشوارع والطرقات والملاهي والملاعب والمتنزهات ؟

هل اترك الصحاب والخلان ؟

هل أترك الليالي الساهرة والحفلات الطروب ؟

كلا . يا رجل لا يأتي هذا الامر عاقل !

وكان لوط يقول انه يصدق الرجلين ألم يتكلما باسم الرب؟ ألم يجريا آية واضحة ألم يصب القوم بالعمى فعجزوا عن ان يعرفوا طريق الباب . انهما صادقان وليس لنا الا ان نهرب !

ولكن الزوجة لاتزال متشبثة بسدوم !

ان قلبها في سدوم !

ولوط قد تزعزع يقينه ، أو على الاقل اضطرب أمره . ان الملاكين صادقان لكن الخسارة كبيرة !!

هذا والملاكان لا يكفان عن تعجيل لوط . فلما توانى أمسكا بيده ويد امرأته ويد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه خارج سدوم وقالا اهرب لحياتك لا تنظر الى ورائك !

وجرّ لوط زوجته جرّاً يبغي ان يصل الى مدينة صوغر . فعند وصوله الى صوغر سيبدأ الله ان ينزل كبريتاً وناراً على سدوم وعمورة !

وكانت زوجة لوط تسير متباطئة، انها لا تريد أن تترك سدوم المحبوبة. ها هي تسير خلف زوجها مترددة. ها هي تخالف أمر الملاك وتنظر الى الوراء، والحسرة تملأ قلبها. تنظر باكية على كنوزها التي تركتها في سدوم. وفي نظرتها صارت عمود ملح!!

هل كانت ضربة إلهية !

أم أن الكبريت المتصاعد من الأرض أحرق جسمها فتحولت الى كتلة من الملح . وسواء كان هذا أو ذاك فقد صارت تلك المرأة التي كانت يوماً ما كوكب الصالونات عمود ملح !!!

وبعد سنين طويلة جاء السيد يلقي عظاته السامية على الناس المعرّضين للنسيان فقال :

اذكروا امرأة لوط !!

١٥

ملك ساليم

« وملكي صادق ملك ساليم.. وكان كاهناً
لله العلي . . قال مبارك ابرام »
تكوين ١٤ : ١٨

هذا ملك يبرز فجأة وسط غموض التاريخ إذ بينما نحن نتابع حركات ابرهيم نبصره ، ونؤخذ بروعته . فانه يتقدم من أب المؤمنين ، ويباركه ويعطيه ابرهيم عشراً من كل شيء !

رجل يبارك ابرهيم !

ويقدم له ابرهيم العشر !

رجل كهذا لا بد أن يكون أعظم كثيراً من ابرهيم !!

لكن من هو ؟

ومتى بدأ ؟

ومتى انتهى ؟

وأين أقام ؟

هذه وألوف الأسئلة تقابلنا، ونحن نقف أمام تلك الشخصية الغامضة .. أسئلة تظل بدون جواب ، أو على الأقل بدون جواب حاسم !!

كل ما نعرفه أن اسمه ملكي صادق !

وانه ملك ساليم ! ! . .

وقد ظن البعض أن ساليم هذه هي أورشليم . وان ملكي صادق كان ملكاً عليها ! !

وأكّد آخرون أن ساليم ليست مدينة ولا مملكة . وانما هي كلمة معناها السلام ، وان ملكي صادق اسم للرجل الغامض ، وان معنى الاسم ملك السلام !

وانه كاهن الله العلي ! !

لكنه لم يتسلم الكهنوت من أب !

ولم يسلمه لابن !

وقد ذكر عنه كاتب كتاب العبرانيين حديثاً غريباً !

فهو ملكي صادق !

ملك ساليم !

كاهن الله العلي !

المترجم أولاً ملك البر !

ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام !

بلا أب !

بلا أم !

بلا نسب !

لا بداءة أيام له ! !

ولا نهاية حياة ! !

بل هو يشبه بابن الله ! !

هذا يبقى كاهناً الى الأبد ! !

وبسبب هذه الكلمات الغامضة تشعبت الآراء عنه . ولا بأس أن نسمع بعض هذه الآراء العجيبة !

فقد قالت جماعة منهم ان ملكي صادق هو الروح القدس !!!

وقالت جماعة أخرى انه واحد من ظهورات الله ، وانه المسيح في أعلى مراتبه ، فهو الصورة الأولى التي جاء المسيح على منوالها !

وقالت جماعة ثالثة انه ابن الله ، الكلمة ! وهو هو الذي ظهر لابرهيم ، وأنبأه بميلاد اسحق !

وقال أوريجانوس انه كان ملاكاً !

وقال غيرهم انه كان انساناً أوجده الله قبل الخليقة من مادة روحية لا ترابية ،

وآخرون قالوا انه أخنوخ أعاده الله الى الأرض نوراً وهداية !!

أما آخرون فقالوا انه سام ابن نوح !

وآخرون قالوا انه أيوب !

أما نحن فنعتقد انه كان ملكي صادق فقط !!! وانه كان أحد المؤمنين بالله الذين حفظوا ايمانهم وسط ظلام الوثنية ! وانه كان كاهناً لله . لكن كهنوته لم يكن كهنوتاً على غرار كهنوت لاوي . فقد تسلّمه رأساً من الله ، لا من أب كاهن ! ولم يبدأ كهنوته في سنّ معينة ولم ينتهِ في سنّ محددة !!

وكان كهنوته رمزاً لكهنوت أسمى وأجلّ وهو كهنوت ابن الله !!

ما أعظم ما أكرم الله ذلك الرجل الذي أشرق نور ايمانه وسط ظلمات الالحاد ! يكفي انه كلما ذكرنا اسمه نذكر المسيح ابن الله !!

١٦
اختيار الزوجة

« من عند الرب خرج الأمر ... هوذا رفقة قدامك . خذها واذهب . فلتكن زوجة لابن سيدك كما تكلم الرب » تكوين ٢٤ : ٥٠ و٥١

دفن الرجل الشيخ زوجته !
ودفن معها كثيراً من عواطف قلبه وآماله !
وتلفت حوله يبحث عمن كانت تملأ حياته !
وأحسّ لأول مرة انه غريب في الأرض !
كان ابرهيم غريباً ، ولكنه لم يكن يحسّ بمرارة تلك الغربة ، عندما كانت سارة تقف إلى جانبه فقد كانت له عالماً بأسره !
فلما ماتت رأى نفسه وحيداً !
وذكر ابرهيم ما كانت له سارة !
لقد كانت له أحب شخص .
وأكرم زوجة وآمن رفيق وأقوى عضد وأبرك معين !



رفقة
حسناء حاران

كان معنى اسمها أميرة أو سيدة وكانت سيدة بحق !

وفكر في أن يزوج ابنه المحبوب من سيدة !

لقد كانت بنات كنعان حسان المنظر ، ولكنه كان ينظر إلى أعمق من الجلد! فرأى فيهن دمامة الروح . ونفرت نفسه من فكرة وجود احداهن بجانب ابنه المحبوب اسحق !

وهو يدعو اليه رئيس بيته اليعازر الدمشقي و يطلب أن يذهب إلى بيت أبيه و يختار زوجة لابنه من أهله وعشيرته — وكأنما خشى انه يموت قبل ان تتم مهمة اختيار الزوجة فاستحلف عبده أن يفعل ذلك !

وأعدّ العبد نفسه لرحلة طويلة من كنعان إلى حاران . أي من فلسطين إلى حدود العراق ! وكانت الرحلة تتطلب استعداداً كبيراً . اذ تتطلب وجود قافلة يلتحق بها بجماله، ووجود عدد كبير من الرجال ليتولوا الحراسة. وتم كل هذا واليعازر على رأس قافلته . واتجه شمالا إلى بلاد سوريا واتجه شرقاً إلى الصحراء التي قضى فيها بولس سنتين في ما بعد . وقطع الصحراء بعد مشقة ، ووصل الى حاران عند البئر قرب المساء ! وأناخ جماله المتعبة على الارض ورفع صلاة لاله ابرهيم والهه « أيها الرب اله سيدي ابرهيم . ها أنا واقف على عين الماء و بنات أهل المدينة خارجات ليستقين ماء فليكن ان الفتاة التي اقول لها أميلي جرتك لأشرب فتقول اشرب وأنا اسقي جمالك ايضاً هي التي عينتها لعبدك اسحق و بها اعلم انك صنعت لطفاً الى سيدي » .

ولم يطل انتظاره اذ أقبلت فتاة في ميعة الصبا ، حسناء بل آية في الحسن . وقد أكسبتها حياة البادية قوة وجمالاً . ونظر العبد اليها مأخوذاً وهى تنزل درجات البئر وتملأ جرتها ، وهي تلقي نظرة من جانب عينيها، الى القافلة التي اناخت جمالها . وصعدت من البئر واستدارت تيمّم بيتها . واذا بعبد ابرهيم يتقدم منها و يطلب ان تمنحه قليلاً من الماء من جرتها . ولم يكن مثل هذا الطلب غريباً . فما اكثر المسافرين

الذين الهبت الصحراء حلوقهم وهم يطلبون رشفة ماء تبرد لهيبهم وقالت الفتاة وقد أحمر وجهها خفراً وحياء، اشرب ياسيدي. ثم ألقت نظرة اخرى الى قافلته وقالت سأستقي لجمالك ايضاً حتى تفرغ من الشرب !

ووقف العبد يراقب تلك الصبية الحسناء وهي تذهب الى البئر وتملأ الجرة ثم تصبها في حوض الشرب ، وتعود مرة اخرى وثالثة ورابعة وتظل في هذا العمل حتى تشرب كل الجمال !

كان يراقبها وفي قلبه مزيج من عواطف . فهو يعجب بالصبية ، يعجب بشبابها وجمالها وأدبها وكمالها ورشاقتها ونشاطها وسخاء روحها ، وهو يشتاق ان تكون تلك الصبية سيدة بيت سيده . انه يذكر سارة ويتحسر على أيامها الغرّ الميامين . وعندما ماتت ظن انه لايمكن ان توجد سيدة تحل محل السيدة لكنه يرى « سارة » اخرى . وهو يسأل ترى أأنجح الرب طريقه ؟ !

وعندما فرغت الجمال من الشرب تقدم العبد منها ووضع في يدها خاتماً من ذهب وسوارين من ذهب .

وعلمت الفتاة معنى تقديم الهدية !

انها ليست اجرة الخدمة التي قدمتها

من العار أن تأخذ أجرة لخدمة الغريب !

ان الرجل يخطبها لأحد المتصلين به !

وهو يقدم لها «شبكة» ذات قيمة تدل على ان الرجل متصل بامراء. والقافلة التي معه تدل على ان سادته قوم عظام !

والرجل نفسه ، لقد مالت اليه . انه لا يشبه العبيد الذين يمرُّون بحاران من الغرب ومن الشمال . انه لا يحلف ولا يسب ولا يقسو على ما معه ومن معه . وهو مهذب في كلامه ومتّزن. وسبحت أفكار العذراء في بحر الخيال، ترى من هو الأمير الجميل الذي سيكون عريسها . ولكنها تستيقظ من خيالها وهي تسمعه يقول : بنت

من أنت . اخبريني . هل في بيت أبيك مكان لنا لنبيت ؟

وكأني برفقة أدركت ان ذلك العبد قادم من البلاد التي تضم قومها الذين نزحوا من زمن إلى كنعان فهو ان لم يكن منهم لابد أن يعلم شيئاً عنهم ولذلك كان جوابها أنا بنت بتوئيل ابن ملكة الذي ولدته لناحور

وصمتت قليلاً ثم قالت وعندنا تبن وعلف كثير ومكان لتبيتوا ايضاً !

ورأت الصبية عجباً !

رأت ذلك العبد الشيخ يخرّ إلى الارض ويسجد لله، وسمعته يقول، مبارك الرب اله سيدي ابرهيم الذي لم يمنع لطفه وحقه عن سيدي اذ كنت أنا في الطريق هداني الرب إلى بيت أخوة سيدي !

وضاء وجه رفقة !

هذا إذن هو عبد ابرهيم !

ابرهيم العظيم الذي باركه الرب واعطاه اسحق ابناً في شيخوخته !

اسحق إذن هو عريسي !

وكان انفعال الصبية عظيماً . توالت الحوادث امامها بسرعة وكانت عجباً فوق عجب !

قافلة كبيرة من الجمال والرجال !

رجل يطلب ان يشرب !

« شبكة » ذات قيمة كبيرة من الذهب !

صلاة خاشعة تكشف ان القوم قومها وأهلها

ولم تدر رفقة إلا وهي تركض . تركت جرتها وأسرعت الى بيت أبيها وحدثتهم وأنفاسها تتلاحق . وسمع أخوها القصة ورأى الهدية .. وكانت فيه طبيعة التاجر فأحسّ ان الرجل « زبون » لقطة. فأسرع اليه وحيّاه أكرم تحية، أدخل يامبارك الرب . لماذا تقف خارجاً وأنا قد هيأت البيت ومكاناً للجمال .

ودخل الرجل الى البيت ، وحلّ عن الجمال فأعطى تبناً وعلفاً للجمال !

ثم تقدم لابان نفسه ، زيادة في الاكرام ، فأعطى ماء لغسل رجلى عبد ابرهيم وأرجل الرجال الذين معه ، ومدّت الموائد !

كان القوم من سكان البادية ، وكان اكرام الغريب من طبيعتهم . يدخل الغريب دون ان يُسأل من هو ، ولا من أين أتى ، ولا ماذا يريد . ويتمتع بالضيافة ثلاثة أيام . . ثم يتكلم

أما عبد ابرهيم فيخالف العرف!

انه يمتنع عن الاكل . . يقول ، كلا . لا آكل حتى أتكلم كلامي !

— تكلم !

وتكلم أليعازر فروى قصة سيده ابرهيم ، وعظمة غناه ، وتكلم عن ولادة اسحق ، وان ابرهيم أعطاه كل شيء ! وتكلم عن طلب ابرهيم ألا يأخذ زوجة لاسحق من بنات الكنعانيين ، « بل الى بيت أبي تذهب والى عشيرتي وتأخذ زوجة لابني » . . وتكلم عن مجيئه الى عين الماء ، وصلاته ، والعلامة التي قدمها .. ومجيء رفقة ، وما عملت معه ، وذكر عن صلاته ، فقال « خررت وسجدت للرب وباركت الرب إله سيدى ابرهيم الذي هداني في طريق أمين لآخذ ابنة أخى سيدي لابنه » ـ وختم حديثه بالقول « والآن ان كنتم تصنعون معروفاً وأمانة الى سيدي فأخبروني والا فأخبروني لأنصرف يميناً أو شمالاً » ! !

كان العبد يعلم ان القوم لا يمكن أن يطلقوه قبل أيام الضيافة ، فكانت كلماته الأخيرة لا تعنى الا تشديداً في الطلب فهو يطلب ان يأخذ رفقة والا فانه يرفض الضيافة !

وأجاب الأخ والأب . من عند الرب خرج الامر . ليس لنا نحن كلام فيه هوذا رفقة قدامك . خذها فلتكن زوجة لابن سيدك كما تكلم الرب !

وسجد أليعازر الدمشقى مرة أخرى ! !

ثم قام وأخرج آنية فضة وآنية ذهب وثياباً وأعطاها لرفقة. وأعطى لأخيها وأمها تحفاً وكانت هداياه عربوناً لما ينتظر رفقة من ثروة. انها لم ترَ اسحق، ولم ترَ ما عنده، ولكن أليعازر كشف لها في تلك الهدايا شيئاً عما يتميز بها عريسها. وهي تسر لذلك!

وكان عبد ابرهيم رجل عمل، فانه في الصباح طلب ان يأخذ رفقة ويذهب. وحاول أخوها وأمها ان يؤخراه مدة، ولكنه أصرّ على الذهاب وهو يقول لا تعوقوني والرب قد انجح طريقي. اصرفوني لأذهب الى سيدي. وهم يترددون في الاجابة وأخيراً يضعون الأمر في يدي رفقة نفسها «ندعو الفتاة ونسألها شفاهاً». فدعوها وسألوها هل تذهبين مع هذا الرجل؟ فقالت أذهب!

لقد رأينا الصبية الجميلة المجتهدة المهذبة الكريمة الرشيقة الذكية.. وها نحن نرى المرأة الحازمة. تبدو لنا شخصيتها القوية في جوابها هذا: أذهب!!

وكانت رحلة طويلة وشاقة!

رفقة والفتيات على الجمال!

وسارت الجمال مخترقة صحراء دمشق!

ولكن الرجال كانوا يصفرون للجمال ويغنون أغانيهم الجميلة التي تخفف من حدة التوتر. وكذلك فتيات رفقة كن ينقرن على الدفوف ويرسلن أصواتهن الرقيقة تدوي في جوانب البرية!

وانتهت الرحلة!

وأبصرت رفقة من بعيد رجلاً يرفع عينيه نحو القافلة، وسألت العبد عن الرجل الماشي في الحقل للقائهم. وأجاب العبد، انه سيدى. فنزلت عن الجمل وغطّت وجهها احتراماً!

ووصل اسحق وقدمت التحيات المعتادة وسمع اسحق قصة اختيار الزوجة..

فأخذها الى خباء أمه فصارت له زوجة . . وأحبّها وتعزى اسحق بعد موت أمه !

* * *

أحب اسحق رفقة !

واكرمت رفقة اسحق !

كانت المسافة كبيرة بينهما !

كان يكبر عنها بنحو ربع قرن !

كان في مرتبة أبيها !

على ان اسحق كان ضعيف الشخصية . لقد كان ابن الشيخوخة . وعاش في حضن أمه ، ورعاية أبيه واليعازر . وعند ما أرادوا أن يزوّجوه لم يرسلوه ليختار الزوجة ولكنهم اختاروا له !

وكانت رفقة قوية الشخصية !

ولكنها استطاعت ان تسعد كزوجة . مكثت عشرين سنة بدون أولاد . فلما ولدت كان زوجها شيخاً . وكانت هي في ذروة الشباب !

لما كانت عاقراً صلى اسحق من أجلها فحبلت !

وكان حملها مؤلماً لها فسألت من الله. وقيل لها في بطنك أمّتان، ومن أحشائك يفترق شعبان . شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير !

ولما ولدت جاء عيسو أحمر كفروة شعر ، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب !

كان اسحق ابن ستين . . وكانت رفقة في الخامسة والثلاثين !

ويدهشنا أن العلاقة بين الزوجين لا يظهر لها أثر في سياق القصة . لقد ملأ الولدان كل فراغ في قلبي الزوجين !

أحب اسحق عيسو لأنه رأى فيه استكمالاً لشخصيته !

وأحبت رفقة يعقوب !

ولعلنا نندهش ونحن نرى المرأة ذات الشخصية القوية تسكب محبتها كلها على ذلك الصبي الأملس الذي يشبه البنات . وتحرم منها عيسو الذي يحمل كل معاني الرجولة !

ولكننا لا نندهش من أي عمل تأتيه المرأة !

وعاشت رفقة في بيت زوجها بعيدة عن زوجها وعن ابنها البكر ، ملتصقة كل الالتصاق بابنها الآخر !

وتزوج عيسو من امرأتين كنعانيتين مرّرتا حياة رفقة وصيرتها جحيماً حتى تمنت لنفسها الموت !

وكان من جراء ذلك ان بعدت الثقة بينها و بين ابنها. أم هل نقول انها أبغضته؟

وشاخ اسحق !

وتقدم في الأيام !

واظلمت عيناه !

وأحسّ أن أيامه قد اقتربت !

فدعا اليه ابنه عيسو !

واقتربت رفقة تتسمع ما عسى ان يقول الرجل الشيخ لابنه البكر. وهي تسمعه يقول أن أيامه قد اقتربت، وانه يخشى انه لن يعيش طويلاً. وهو لذلك يطلب منه ان يخرج الى البرية ليتصيد صيداً ، ويصنع له طعاماً من كل ما يحب . . و بعد أن يأكل من صيد ابنه يسلّمه بركة أبيه ابرهيم !

كان اسحق يظن أن البركة تسلّم ولم يعلم انها يجب أيضاً ان تتسلّم . انها لا تعطى فقط ولكنها ينبغي ان تؤخذ . ينبغي ان يكون لها مكان في من يأخذها !

ولكن اسحق كان يعنى بالبركة ، بركة المكان الاول في الأسرة . وهو ما ندعوه اليوم بولاية العهد !

وسمعت رفقة وارتاعت !

عيسو سيأخذ البركة !

ويكون هو سيد البيت !

وتكون زوجتاه الآمرتين ! ! !

ويعقوب الحبيب يُحرم من البركة !

كلا . إن هذا لا يكون ! !

وتبحث رفقة عن يعقوب ، وتقصّ له حديث البركة ، وتقول له ان البركة من نصيبه هو ، وان كل ما يجب عليه عمله حتى ينال البركة ان يحضر لها جديين جيدين ، وهي تصنع لأبيه الأطعمة التي يحبها ، وهو يدخل بها الى أبيه ليأكل ويباركه

وتردد يعقوب !

انه بالرغم من طبيعته الماكرة ينفر من استغلال عمى أبيه !

لكنه لا يواجه أمه بهذا السبب . بل يقول لها : نعم انه لا ينظرني لكن هبيه جسّني ولم يجدني أشعر بالطبع . الا أكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة !

ولكن هذا العذر لا يعطل مشروع رفقة . أنها تستطيع أن تتغلب على هذه العقبة . كلا لا تخف يا يعقوب لعنتك علي يا ابنى . اسمع لقولى فقط واذهب خذ لى الجديين كما قلت . .

وأعدت رفقة الطعام !

وكست عنق يعقوب ويديه بجلد الجدى !

وأرسلته مزوداً برضاها الى أبيه !

وانتظرته حتى خرج وقد نال البركة !

وظنت أن المسألة انتهت !

كانت تعرف طبيعة الاستهانة بعيسو !
وكانت تظن انه لن يغضب كثيراً !
فلما جاء عيسو رأت أن الأمر غير ما قدّرت !
غضب عيسو غضباً هائلاً !
وهدد بقتل يعقوب !
وهنا أدركت ان التوفيق لم يحالفها تماماً .
ولكن رفقة لا تسلّم !

فهى تدعو يعقوب وتحدثه بحديث أخيه عيسو ، وتتفق معه على ذهابه الى بيت أخيها ، وسترسل له بعد هدوء ، غضب عيسو وتردّه !

وهي تذهب الى اسحق وتتحدث معه عن زواج يعقوب وقد زاد عن الاربعين، وتتحدث عن شر زوجتي عيسو وشر بنات كنعان ، وتقترح ان يذهب يعقوب الى بيت أخيها ليجد زوجة هناك !

واسحق يوافق و يدعو يعقوب و يتحدث اليه بشأن ذهابه الى حاران ليتزوج!

ولكن رفقة تستعجل الامر فترسل يعقوب بعجلة دون أن يعرف عيسو . ونحن نعرف ذلك من رؤيتنا يعقوب يضرب في الصحراء وحده . ان رحلته تحمل كل سمات الهارب لا الخاطب !!

ورفقة ترسله والحزن يقطع نياط قلبها !

وساعة أن ودعته ملأت الدموع عينيها ، وأحست في قلبها أنها لن تعيش حتى تراه . ترى هل تم عليها قولها له .

لعنتك علي يا ابني !

وماتت رفقة قبل أن يعود يعقوب بوقت قصير . ماتت وآخر كلمة على فمها كانت، على الأرجح، «ابني يعقوب !! »

١٧

١ – أسرة منقسمة

« فاحب اسحق عيسو . . . وأما رفقة
فكانت تحب يعقوب» (تك ٢٥: ٢٨)

كان اسحق رجلاً عظيما ، وقد تميز بأكمل الصفات . وكانت زوجته رفقة فضلى النساء وقد كانت أسرتها في أول الأمر نموذج الارتباط الزوجي السعيد !

وقد عاش الزوجان عشرين سنة بدون أولاد، لم نسمع في خلالها تذمراً من رفقة، ولم نحس قلقاً من اسحق ! ولم يكن عقم رفقة مثيراً لملل اسحق ، أو محرضاً له على التماس النسل من زواج آخر !

ولكننا نراه يصلي !!

وفي صلاته لم يكن انانيا فانه لم يصلِّ لاجل نفسه بل لاجل رفقة امرأته !

واستجاب له الرب !

وولدت رفقة ولدين جاء أولهما احمر كله كفروة شعر فدعوه عيسو، وجاء ثانيهما قابضاً بعقب أخيه ، فدعا اسمه يعقوب !

وكبر الطفلان ونحن نراهما صبيين !

وقد تجلت فيهما مظاهر الاختلاف الطبيعي ، الذي رأيناه في جسميهما يوم ولدا . فنما عيسو صبيا خشنا ، كساه جسمه الاشعر بثوب مبكر من الرجولة . كان صوته خشنا وألعابه عنيفة. كان يصور الوحش ويضعه على مسافة منه، ويصوب نحوه سيفاً أو رمحا أو سهما ، مما كان يصنعه بيديه. وكان أبوه يراقبه، دون ان يدري ، وكان اعجابه به عظيما !

كان اسحق رجل سلام . وكان يفضّ مشاكله بدون عنف. كان في كل خلاف بينه وبين جيرانه ينزل عن حقه فيخسر قليلا من المادة ، ويربح الكثير من راحة الفكر وراحة الضمير ، بل كانت المادة نفسها تأتيه طيعة. وكان جانب من سر ذلك السلام يعود الى طبيعة جسم اسحق الرقيق . نعم كان اسحق رجلا صالحا ، ممتلئا بمحبة الله ، ولكن جسمه الرقيق ساعده على اتباع رسالة السلام. ولا بد أن كثرة المظالم حركت فيه مرة ومرة الرغبة في مقاومة ظالميه بالعنف . ولكن طبيعته الرقيقة كانت ترده الى المسالمة والملاينة . فلما رأى في ابنه عيسو قوة البدن والطبيعة العنيفة أبصر فيه العنصر الذي كان ينقصه وسر لذلك كثيراً، واحب اسحق عيسو ! !

فلما امتدت الايام بعيسو وصار شابا تحولت العابه الصبيانية الى عمل ، فصار صياداً يحمل سلاحه، ويخرج الى البرية ويستخلص الصيد من بين فكّي الوحش . وكانت سهامه تردى الاسد قتيلا والنمر والذئب. وكان يعود حاملا للغزلان . وابصر أبوه صيده ورأى في ذلك الصيد القوة التي تملكها ذراعاه فكان اعجابه بابنه لا يعدله اعجاب . واحب اسحق عيسو لان في فمه صيداً !

أما يعقوب فكان جميلا جداً وكان جسمه رقيقا . في الحق كان يعقوب اقرب الى صورة الفتاة منه الى صورة الفتى . وكانت العابه وهو صبي العابا رقيقة لا تزيد عن تربية الدواجن والعناية بها مما كانت الفتيات يعملنه . وكانت العابه كلها في الخيمة بالقرب من أمه، يبدأ النهار معها وينهيه بالنوم في حضنها !

ولا بد أن عيسو كان يختلف مع يعقوب كثيراً كما يختلف الأطفال والصبيان كثيراً في البيت . لا بد أن يعقوب مد يده إلى بعض لعب عيسو ، فأخذ بعضها وأتلف بعضها ، ولا بد أن عيسو اقتص من يعقوب ، أو حاول أن يقتص منه ، ولا بد أن يعقوب ركض يطلب الحماية عند أمه ، فكانت تقف إلى جانبه ، وتحميه بل كانت تلوم عيسو وتقتص منه . وكان اسحق يراقب ذلك ويرى في مسلك

رقة ظلماً لعيسو ، اذ كان الذنب في غالب الاوقات على يعقوب . ومع انه كان لا يدخل في المنازعة الا انه كان يكشف لعيسو عن محبته ، وكان فتوره بالنسبة ليعقوب يدفع الصبي اكثر الى أحضان أمه !

ولما صار يعقوب شاباً سكن بجوار أمه ، وكان يرعى الأغنام حول الخيمة . وكانت علاقته بأمه تزداد توثقاً ، فأحبت رفقة يعقوب ! لا نقول انهـا كانت تبغض عيسو ، ولـكنها كانت تخشاه !

كان عيسو رجـلاً بالمعنى المعروف في تلك الاوقات . كان ينظر الى المرأة كمخلوق أقل منه . كان ينظر اليها كمخلوق ضعيف وكان يرى في الخشونة الرجولة الأكمل التي تسود على المرأة . وكان لخشونته لا يظهر شيئاً من المعاملة اللينة لأمه . فكانت تنظر فيه صورة الرجل المخيف . كان ابنها وقد خرج من أحشائها ولـكنها لم تستطع أن تحبه كما تحب الأم ابنها !

وهكذا انقسمت العائلة !

وقف اسحق وعيسو في صف !

ووقفت رفقة ويعقوب في صف آخر !

ولم يظن اسحق ولم يخطر ببال رفقة ان ذلك الانقسام سيتحكم في تاريخ الشابين ، بل سيتحكم في تاريخ الأمتين اللتين تأسستا ، وان ذلك سيمتد لا الى جيل واحد بل الى أجيال مستمرة . ولـكننا نحن الذين نعيش في الأيام الأخيرة نرى الآثار الدامية لذلك الانقسام .

ومن اللائق أن نذكر ذلك الدرس الذي تحدث للتاريخ بصوت مجلجل : أيها الآباء والأمهات تحكّموا في تصرفاتكم مع أولادكم ، وأشعروهم بأنهم أولادكم ، وأظهروا لهم تساوي عواطفكم . وإلا فالويل كل الويل للبيت المنقسم !!

١٨

٢ – السياسة والحيلة

« جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك .
فقال الا ان اسمه دعي يعقوب . فقد
تعقبني الآن مرتين أخذ بكوريتي
وهوذا الآن قد أخذ بركتي »
تك ٢٧ : ٣٥ و٣٦

عيسو ويعقوب شابان كمل لهما الشباب !
وقد اقترب الاثنان من سن الاربعين !

لايزال عيسو يعمل في خدمة حياته ، فهو يخرج والظلام باق ، ويعود في الظهيرة أو بعد ذلك !

أما يعقوب فهو في خيمته ، تراقب عيناه قطيعه الصغير وهو رابض في المرعى المجاور !

شابان مختلفان كل الاختلاف !

شباب يعتمد على القوة وعلى السلاح وعلى الكدح والمغامرة !



يعقوب يقدم طبق العدس لعيسو

وشباب يعيش على فراش الأحلام !

شباب يستخلص لقمته من أنياب الموت ، وشباب ليس عليه إلا أن يمدّ يده ليتناول لقمته !

ولعلنا اذا خيّرنا نختار اللقمة السهلة . ولكننا في نفس الوقت نعجب باللقمة القاسية المرّة ، ولا نملك إلا ان نثني على صاحبها !

عاد عيسو في أحد الايام بعد مغامرة شديدة، وقد أنهكه التعب وأضناه الجوع. عاد فوجد أخاه يعقوب يفرغ من طبيخ عدس ، ويشتمّ عيسو رائحة ذلك الطبيخ الذي يحسن أهل البادية طهيه ، فيحسّ ان حياته كلها معلقة به. فيتقدم الى أخيه قائلا ، أطعمني من هذا الاحمر لاني قد أعييت !

وهنا تستيقظ مطامع يعقوب . يا طالما حسد أخاه . حسده وهو يراه مكتمل الرجولة ، وحسده وهو يراه يتقلد السلاح ويخرج الى البرية ، وحسده وهو يراه يسير يدب بقدميه على الارض ، ويواجه الصحراء بوجه صلب ونظرات صارمة ، وحسده وهو يراه يعود حاملاً صيده الثمين ، وحسده وهو يرى أباه يرحب بعودته ويثني عليه . نعم كان يحسده !

وكان يحسده قبل كل شيء لمكانه من الأسرة ، فهو البكر وله ولاية العهد . سيكون بعد انتقال أبيه رأس الاسرة وسيدها، وسيكون رئيسها الروحي وكاهنها ، وستكون المواعيد الالهية له ، المواعيد التي قدمت لابرهيم وانتقلت من ابرهيم الى اسحق . وستتم له البركة القائلة : في نسلك تتبارك جميع قبائل الارض . ومن نسله سيأتي ذاك الذي يسحق رأس الحية .

كم اشتعلت نار الغيرة في صدره !

عيسو البكر لأنه وُلد قبله بدقائق !

لقد كانا معاً في بطن واحدة ، ولكن عيسو نال البكورية . . وهو فقد كل شيء ، لانه وُلد بعد أخيه . . بدقائق ! ! !

ولطالما ثارت نفسه فيه ، وودّ لو انه يستخلص البكورية ، ولكنه كان يعود الى صوابه سريعاً . عند ما كان ينظر جسم أخيه القوي وجسمه هو الضعيف ! !

والآن واتته فرصة !

هوذا عيسو يقول : قد أعييت !

أطعمني من هذا الاحمر لاني قد أعييت ! !

وتحرك ذهن يعقوب سريعاً . هوذا عيسو معيي ، ماذا أستطيع ان أستخلص منه ؟ وفي أقل من ثانية ، استقر رأيه فقال لأخيه : بعني اليوم بكوريتك !

لو كان عيسو في حالته العادية لدفع يعقوب عنه دفعة شديدة . ولكنه كان في غاية الاعياء . انه لا يفكر في شيء إلا في جسمه المتعب . إن حياته معلقة في طبق الطبيخ . إن رائحته تملأ خياشيمه ، وترسل أبخرة الى رأسه فيدور ، ويتجرب ان ينقض على الطعام فيلتهمه . ولكنه عزيز النفس فهو لا يتعدى على ملك غيره . انه مستعد أن يدفع الثمن الذي يطلبه أخوه !

البكورية !؟

نعم انها شيء كبير جليل !

ولكن ما الذي يفيده من البكورية ، وها هو يموت .. يموت جوعاً . انه يقول ها أنا ماض الى الموت فلماذا لي بكورية ؟

بل ماذا أفيد من البكورية ؟

لا شيء . . نعم لا شيء !!

فهل هناك غنم في الرآسة الروحية ؟

وهل أنال صيداً من تقديم الذبيحة ؟

وما الذي يجديني اذا نال أحفادي المواعيد ؟

وهل يؤثر في نفسي ان يتبارك في نسلي جميع قبائل الارض ؟

ونسل المرأة الذي سيسحق رأس الحية هل يهمني ان كان سيأتي مني أم من غيري ؟

كلا . انني لا أنال غنماً حقيقياً من البكورية !

ان طبقاً من العدس لأفضل عندي من مئة بكورية ! !

أعطني العدس يا يعقوب وخذ هذه البكورية حلالاً لك !

ولكن يعقوب الماكر لا يصدق أخاه . ان يعقوب لا يعرف الصدق ولا الكلمة الواحدة. انه لا يصدق ان عيسو يقصد ما يقول. فهو يقول : هل أنت جاد حقاً ؟ إذن احلف، لي احلف ان البكورية لي. ويتقدم عيسو ويقول : ناولني طبق العدس وخذ عشرة أقسام ان البكورية لك . انني لا أتمسك بها . انني لا أعتبرها شيئاً ذا قيمة . انني احتقرها . اعطني العدس وخذها !

وهكذا باع عيسو بكوريته بطبق من العدس !!!

* * *

علم اسحق بما حدث بين ولديه ، فلم يعترف به بل ظل يعتبر عيسو البكر . على ان عيسو كان قد فقد البكورية فعلاً . لا لأن يعقوب تمسك بالصفقة لكن لان عيسو احتقرها !

وقد ظهر أثر احتقاره لها من مسلكه الديني في كل أموره . اننا لم نره يوماً يصلي ، ولم نسمع انه قدم ذبيحة . ولم يذكر يوماً وعداً من مواعيد الله . بل قد أيّد بيعه للبكورية في زواجه . إذ لم يستشر والديه في الزواج . ولم يطلب زوجة من أهله كما تزوج أبوه . وقد انقطعت بزواجه صلاته بأهله . والرابط الروحيـة التي كانت تجمعه بأبيه وأمه انحلت وضاعت !

وكان مسلك زوجاته سبباً في تنغيص حياته وحياة اسحق ورفقة !!

لقد احتقر البكورية عندما باعها فخطا الخطوة الاولى نحو فقدانها !

واحتقر البكورية عندما تزوج من الوثنيات فخطا الخطوة الثانية نحو ذلك الفقدان ! !

* * *

وامتدت الايام باسحق ورفقة وابنيهما . هوذا اسحق يبلغ الشيخوخة مبكراً . غالباً بسبب عينيه . انه يخشى ان يموت قبل ان يورّث « بكره » عيسو بركة أبيه ابرهيم . إذن ليدعه اليه وليطلب منه ان يتقلد سلاحه ويخرج الى البرية ويصطاد صيداً يصنع منه طعاماً لأبيه حتى إذا أكل من صيد ابنه ورضى عليه فاض قلبه ببركة ابرهيم يسبغها عليه .

القى اسحق تلك الكلمات ورفع بها عن صدره ثقلاً أوقره . سيبارك عيسو قبل ان يموت !

وخرج عيسو مبتهجاً ليعد لأبيه الطعام المشتهي. وسينال بركة «البكر» وهكذا يسترد ما سلبه بالمكر والخديعة أخوه يعقوب . و بدا كأن يعقوب سيخسر الجولة !

ولكن رفقة سمعت كلام اسحق وخشيت ان تضيع البركة على ابنها المحبوب يعقوب، الابن الذي عاش في حضنها طفلا وصبياً وشاباً ورجلاً ! الابن الذي وعد ألا يتزوج إلا من فتاة ترضاها . . وفوق الكل ، الابن الذي سبق الله فأعلن انه سيسود على أخيه .

لقد قال الله يوم تزاحم الولدان في بطنها « في بطنك أمّتان ومن أحشائك يفترق شعبان ، شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير » !

لكن الامر يكاد يسير بالعكس . فهوذا عيسو يوشك ان ينال البركة . إذن ينبغي ان تعمل شيئاً لتحقق وعد الله . ولو أن رفقة كانت اكثر ايماناً لتركت لله ترتيب الامور !

ان خطأ الناس الاكبر قائم في انهم لا يصبرون للعناية . انهم يستعجلون طريقهم لنوال البركة، ويستعملون في ذلك وسائلهم الآثمة . ولعمري ، كيف يمكن ان ندعو بركة ما نأخذه بطريق الشر والمعصية ؟!

واسرعت رفقة إلى يعقوب وقصّت له قصة أبيه وأخيه، ورتبت أن تعد طعاماً لأبيه وأن يتنكر هو في ثياب أخيه حتى يأخذ البركة. وتردد يعقوب، لا لان ضميره كان حياً يقظاً، لكن لانه خشي أن يكتشف، فهو أملس وعيسو أشعر. ولكن هذه المشكلة لا تقف بدون حل امام رفقة، فهي تغطي يدي يعقوب وعنقه بجلود الجديين اللذين ذبحتهما، ثم تلبسه ثياب عيسو الفاخرة وتدفع به و بالطعام إلى حيث اسحق. و يتكلم يعقوب فيدعو أباه إلى مائدته و يسأل اسحق، من هذا الذي يدعوه، فيجيبه يعقوب أنا ابنك عيسو. و ينذهل اسحق لأن الصوت لا يشبه بالمرة صوت عيسو بل هو فعلا صوت يعقوب. يطلب اسحق من يعقوب أن يقترب منه فيجسه و يحس بجسمه الأشعر، فيقول متردداً، عجباً الصوت صوت يعقوب. ولكن اليدين يدا عيسو!

و يأكل اسحق من الطعام و يشرب، وتأتي الساعة التي يبارك فيها ابنه. ولكنه لا يزال متردداً. ان هناك شيئاً من الشك يساوره. لقد لمس يديه وعنقه واتضح انه عيسو. لكنه لا يزال يحس بشيء من القلق، لا يعلم سرّه، ولذلك يدعوه ليقبله فيقترب منه يعقوب و يشتم اسحق رائحة ثياب عيسو، واذ ذاك تنطق شفتاه بالبركة « انظر. رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض. وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل كن سيداً لاخوتك وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين»

كان يعقوب يسمع هذه الكلمات وقد تنازعته عاطفتان، عاطفة الطرب وعاطفة الاضطراب. ولما انتهى أبوه خرج وقد تنازعه الخوف والبهجة!

ولم يبتعد يعقوب كثيراً عن المكان، حتى اقبل عيسو يحمل الطعام إلى أبيه ويدعوه « ليقم أبي و يأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك » وسأل اسحق بقلق. من أنت؟ فاجاب، أنا ابنك بكرك عيسو! نعم. هذا هو عيسو، هذا صوته، وهذه نغمة كلامه. أما الآخر فمن هو..؟

كان ارتعاد اسحق عظيما جداً ، وقال فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به اليَّ فأكلت من الكل قبل ان تجيء و باركته . نعم ويكون مباركاً !

لقد كانت صدمة قاسية لعيسو !

لقد احتمل بيع البكورية سنين هذا عددها . كان صغيراً عندما باعها . فلما كبر وأدرك حماقة ما أتى حاول ان يستردها !

انه يقول لأبيه أنا ابنك بكرك عيسو !

انه يطلب بركة ابرهيم !

ولكن هوذا أخوه يعقوب يأتي بمكر للمرة الثانية و يسلبه بركته !

صرخ عيسو صرخة عظيمة ومرّة جداً وقال لأبيه باركني أنا ايضاً يا أبي !

وقال اسحق متأسفاً قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك !

واجاب عيسو ، انه ليس أخي انه عدوي ، انه نظير اسمه الشرير قد تعقبني الآن مرتين ، أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي !

و بكى عيسو بدموع مرة . بكى كما لم يبك من قبل . ثم قال أما ابقيت لي بركة . أليست لديك بركة واحدة بعد . باركني أنا ايضاً ياأبي . ورفع عيسو صوته و بكى !

وتحدث اسحق اليه فقال « هوذا بلادسم الارض يكون مسكنك ، و بلا ندى السماء من فوق . و بسيفك تعيش . ولأخيك تستعبد . ولكن يكون حينما تجمح انك تكسر نيره عن عنقك »

— ماهذا ياأبي ماهذا ، هل هذا كل ماتستطيع ان تعطيه لي. مهلاً يايعقوب مهلاً . لا تخدعنك نفسك . انني لن اتركك تتذوق حلاوة نصرك . سأقتلك ، نعم سأقتلك . افرح بالبكورية وافرح بالبركة . ولكن لاتفرح طويلاً فلقد قربت مناحة أبي . سأبقى عليك اكراماً له . وعندما ينطلق إلى قومه ستنطلق أنت معه. سأقتلك يوم يموت أبي !!

٣ – بيت إيل

« فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً ان الرب في هذا المكان وانا لم اعلم وخاف وقال ما ارهب هذا المكان . ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » تكوين ٢٨ : ٢٦، ٢٧

لم يسمع كلمات التهديد التي نطقت بها شفتا عيسو إلا النفر القليل . بل لقد كان يظن أن أحداً ما لم يسمعه، لانه همس بتلك الكلمات في قلبه . على ان أحدهم ولا نعرف من هو، نقل « نيّة » عيسو الى رفقة ، فانزعجت واضطرب أمرها ، وذكرت تلك القصة القديمة التي توارثها الابنـاء عن الآباء ، قصة هابيل الذي قتله أخوه قايين. وصوّر لها الخوف انها يعقوب وقد مزقت صدره سهام أخيه، وصوّر لها الخوف انها فقدت ولديها في يوم واحد . فأرسلت ودعت يعقوب وقالت له « هوذا عيسو أخوك متسلّ من جهتك بأنه يقتلك . فالآن يا ابني اسمع لقولي وقم اهرب الى أخي لابان إلى حاران ، وأقم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك، حتى يرتد



حلم يعقوب في بيت إيل

غضب أخيك عنك وينسى ما صنعت به . ثم ارسل فآخذك من هناك . لماذا أعدم اثنيكما في يوم واحد »

مسكينة رفقة !

لقد دبّرت تدبيرها بأحكام واستخلصت البركة ليعقوب ، وكان سرورها لذلك طاغياً ولكن ها هي ذا تدفع الثمن دموعاً ودماً !

لقد كانت تظن أن قلبها لن يستريح حتى ترى البركة على رأس يعقوب . وها هي قد نالت تلك الأمنية ولكن قلبها مذ ذلك الوقت لم يعرف طعم الراحة !

و بدلا من أن تسأل الله كما فعلت في القديم ، سألت نفسها ماذا أعمل و كيف أعمل ورتبت « بحكمتها » و « مهارتها » سبيل خلاصها من ورطتها ، وكان تدبيرها وبالا عليها، فقد أرسلت ابنها إلى أيام قليلة حتى يرتد غضب أخيه، ولكنها ماتت، وابنها في أرض الغربة فلم تره منذ ودعته .

الله وحده يعلم ما اعتلج في قلبها من سعير ، وما التهبت في صدرها من نيران !

الله وحده يعلم عدد الليالى التي لم تعرف فيها طعم النوم ، ولم يستقر جنبها على فراش !

الله وحده يعلم عما أقض مضجعها ، وقسّى وسادتها ، وفرش بساطاً من شوك تحت جسدها ، ذلك هو الضمير الثائر !

كم من ليلة ثار ذلك الضمير فبكت وطال نشيجها ، وهي تقول : أنا السبب ، لقد قذفت بابني من حالق !

وعند ما وصلت إلى حافة النهر كانت عيناها تتطلعان إلى الغرب علّها تبصر شبح ذلك الابن الذي شرّدته هي ولكن عينيها اظلمتا ! واختفى العالم كله أمامها إلى الابد دون أن تتزود بنظرة واحدة من ذلك الابن !

لم ترَ رفقة شيئاً من هذا يوم أشارت على ابنها بالهرب ، ولكن كل هذا جاء عليها فيما بعد !

* * *

لكن كيف ترسل رفقة يعقوب إلى حاران دون أن تثير شكوك عيسو؟ هامي تعود مرة أخرى إلى طبيعتها الماكرة . فتشغل حيلتها . . وتنجح !

ذهبت إلى اسحق وأضافت شكوى أخرى إلى شكاواها القديمة من زوجتي عيسو يهوديت ابنة بيري الحثي و بسمه ابنة ايلون الحثي . لقد كانتا مرارة نفس لاسحق ورفقة . وماذا ينتظر أن تكون زوجات من بنات الحثيين ؟

وقالت رفقة لاسحق أن الوقت قد حان لزواج يعقوب . في الحق انه كان ينبغي ان يتزوج من مدة لأن عمره قد زاد عن الاربعين ولكن رفقة لاتقبل ان يتزوج يعقوب من بنات حث . انها تتمنى لنفسها الموت قبل ان ترى حثّية زوجة له . واسحق متفق مع رفقة في هذا . وهو يدرك ان الله قد أمر بالبركة ليعقوب ، فيدعوه اليه و يباركه و يوصيه ألاّ يأخذ زوجة من بنات كنعان، بل يرسله الى بيت بتوئيل أبي أمه ليأخذ زوجة من هناك من بنات لابان أخي رفقة « والله القدير يباركك و يجعلك مثمراً و يكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب و يعطيك بركة ابرهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لابرهيم »

ولقد كنا ننتظر أن يذهب يعقوب في قافلة من الجمال ومعه العبيد كما فعل ابرهيم عندما أرسل عبده ليحضر زوجة اسحق. على أن الامر لم يكن كذلك فاننا نرى يعقوب يسير وحده يقطع تلك الصحراء بدون رفيق و بدون شيء إلا العصا التي عبر الأردن بها . ولقد يساورنا الشك في صدق الرواية ولكننا نلمح في الأمر أصبع رفقة. انها قلقة على يعقوب وتخشى ان عيسو ينطلق خلفه و يصيب منه مقتلا. فهي تتظاهر باعداد الرحلة في الوقت الذي ينطلق فيه يعقوب بمفرده حتى إذا ما تنبه عيسو للأمر كان يعقوب قد نجا .

* * *

وها نحن نرى يعقوب يسير وحيداً في تلك الفلاة. ذلك الرجل الذي عاش في حضن أمه حتى كاد يصل الى الشيخوخة، يسير وحده في برية قفر بلا أنيس ولا حارس!

ها هي الشمس تميل الى الغروب ! !

وها هو يلقي نظرة الى كل جهة فلا يرى إلا الرمال الصفراء تمتد الى مدى النظر ـ يا له من مكان مخيف !! هل يمكن أن يسلّم نفسه الى ليل الصحراء ؟ هل يمكن أن يطمئن له جنب على رمالها وصخورها؟ هل يمكن أن تغمض له عين وسط حيواناتها ووحوشها ؟ ماذا يعمل إذا انقض عليه في الليل ذئب أو نمر أو أسد ؟ بل ماذا يعمل إذا هجمت عليه حية من حيّات الصحراء ؟

ولا شك أن مخاوفه وجدت لها من ثورة ضميره سنداً . انه يذكر أيامه في بيت أبيه ، ويذكر انه كان يمكن أن يعيش كأسعد ما يكون انسان لو انه سلك في طريق مستقيم . انه يذكر كيف سلب أخاه بكوريته ، وكيف خدع أباه وسلب أخاه بركته . والآن ها هو يخرج وحيداً بلا بكورية وبلا بركة ، وها هو يبحث في الصحراء عن مكان يسند فيه رأسه ، فلا يجد !

لـكنه بعد طول تحديق ، يبصر كهفاً صغيراً فيقصده ويمهد الرمال التي فيه ، ويضع حجراً تحت رأسه ، ويسجد ، ربما لأول مرة في حياته ، ويطلب حراسة الله. لقد كان إلى الأمس القريب يستند على حيلته وسياسته ، ولكنه يبدأ منذ تلك الليلة يرى كائناً أعظم من كل حيلة ، كائنا يدبر كل شيء ويرعى كل شيء . لقد دفعته ضيقة نفسه إلى الله !

وفي هدأة الليل استيقظت روح يعقوب . كان جسمه مثقلاً تحت قوة النعاس ، ولكن روحه استيقظت . وهو يلقي نظره إلى الصحراء ويندهش . انها لم تعد تلك الصحراء المظلمة الموحشة التي رآها ساعة ان طرح جسمه على رمالها . لقد بدت قصراً متسع الأرجاء اكتست أرضه بالذهب ، وتناثرت حبات الجوهر هنا وهناك ، ترسل بريقاً ولمعاناً . وغمر الجو نور اختلف كل الاختلاف عن كل نور أبصره وسمع أصواتاً فالتفت أمامه واذا فرق من حرس نوراني يحيط به ، واذا سلّم مضيء يستند على الأرض ويمتد إلى السماء وقد تغطى ذلك السلم بأجنحة الملائكة وهي

تصعد وتنزل . وعلى رأس السلم كان أعظم ضوء واذا السيد نفسه ، وهوذا يتكلم مع يعقوب وهذه هي الكلمات التي سمعها « أنا الرب اله ابرهيم أبيك واله اسحق . الارض التي انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الارض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً . ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض . وها أنا معك واحفظك حيثما تذهب واردّك إلى هذه الارض . لاني لا اتركك حتى افعل ما كلمتك به »

وفتح يعقوب عينيه ولكنه لم ير ما رأته روحه . لقد أبصر الصحراء المظلمة الموحشة. على ان صوت الله ظل يرن في أذنيه . فقال، حقاً ان الرب في هذا المكان وأنا لم اعلم . وملأه خوف طاغ فقال : ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء !

وفي الصباح أخذ يعقوب الحجر الذي كان تحت رأسه وأقامه عموداً وصبّ زيتاً على رأسه ودعا اسم ذلك المكان «بيت ايل» .

ونذر يعقوب نذراً، ان كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه واعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس ورجعت بسلام الى بيت أبي يكون الرب لي الهاً ، وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله وكل ما تعطيني فاني أعشّره !

ومن اللائق أن نقف قليلاً في بيت ايل

هناك القى يعقوب نذره !

ولما عاد يعقوب من حاران الى كنعان حدثت معه أحداث . فقد طارده خاله وكاد يفتك به لولا ان الله ظهر له في الطريق وحذره من ايذاء يعقوب

ومرت به ليلة المصارعة مع الملاك وكسر حق فخذه !

وجاء عيسو ورجاله الاربعمئة !

ثم حدثت مأساة « دينة » وانتقام شمعون ولاوي من شكيم وحمور !

وهنا يسمع صوت الله « قم اصعد الى بيت ايل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك . وهـــاهو يذهب ويجدد عهوده مع الله .

ومن ذلك الوقت اصبح بيت ايل مزار يعقوب ، يحجُّ اليه كلما لمسته ضيقة أو اجتاز في طريق تجربة

ولم ينس يعقوب بيت ايل . انه يتحدث عنه في آخر أيامه فيقول ليوسف « الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني وقال لي هاأنا اجعلك مثمراً واكثرك واجعلك جمهوراً من الامم واعطي نسلك هذه الارض من بعدك ملكاً أبدياً »

لقد كانت الوسادة الحجرية في بيت ايل !

وفي بيت ايل كانت ايضاً الرؤيا السماوية ! !

٢٠

٤ - يعقوب في ارض الغربة

الزوجتان

« فاعطـاه راحيل ابنته زوجة له .
وأحب ... راحيل اكثر من ليئـة »
تكوين ٢٩ : ٢٨ ، ٣٠

كان حلم بيت ايل اكثر من حلم ليعقوب !

كان حقيقة بل اكثر من حقيقة !

لقد خرج من كنعان إلى مصير مجهول. يملأ صدره مزيج من غم ومن خيبة

ومن قلق . وكان فكره نهب وساوس جعلته يترنح في سبيله المظلم !

كانت الظلمات تحيط به !

لقد التمس البكورية والبركة... ونالهما. ولكن ماهي البكورية وماهي البركة لرجل يضرب في الصحراء ولا يعلم له مستقراً ؟

وعندما اضطجع على الأرض وأسند رأسه على الحجر كان يأسه قد بلغ أقصاه !

فلما ظهر له الله وتحدث اليه عاشت نفسه ، وانقشعت ظلماته واكتشف طريقه وتجلى الرجاء قوياً بهياً أمامه !

فقام في الصباح غيره بالأمس !

وسار في طريقه وقد اكتسى وجهه بالنور !

بل لقد قيل انه كان يغنى بعض تلك الأغاني التى كان ينطق بها وهو يرعى أغنامه في خيام اسحق !

واقترب من العمران !

وأبصر عدداً من الرعاة حول بئر عليها غطاء كبير !

ها قد وصل أخيراً إلى حاران !

وهو يسأل عن لابان بن ناحور فيجيبه الرعاة انهم يعرفونه ، بل يبدو من اجابتهم انه رجل له مكانة الصدارة ، وان البئر له ولبنيه. ويقولون ، ان ابنته راحيل قادمة على مسافة من الغنم !

كانت العذارى في ذلك الوقت يعملن في رعاية الغنم ولو كنّ من بنات الامراء . ولذلك لم يكن غريباً أن تأتي راحيل ابنة لابان لترعى غنم أبيها . وقد رأينا قبل ذلك رفقة تعمل نفس العمل !

واقتربت راحيل من المكان ، وأبصرها يعقوب فوقعت في قلبه ، وأحبها من النظرة الأولى . كانت عذراء شابة وجميلة وكان قلبه يتعطش إلى الحب ، اذ كان

قد حرم من كل حنان . فلما أبصر راحيل رأى فيها كل آمال حبه ، الحب الذي يوجد في قلب القريب والحبيب .

وكل حبيب أراد ان يعلن لمحبوبة قلبه انه ذو خلق وذو قوة . فأسرع يرفع غطاء البئر الكبير ويروي أغنام لابان ويحدث راحيل انه ابن عمتها ومن ثم يقبلها وهو يبكي اذ غلبته المسرة لما لقيه من التوفيق بعد طول سفره وتعبه .

طفح السرور عليّ حتى انه من فرط ماقد سرني أبكاني

ووقع يعقوب في نفس راحيل وقعاً طيباً ولعل قلبها كان قد بدأ يتفتح للحب فوجدت في ذلك الرجل القوي الذي رفع غطاء البئر وحده ، الرجل الكريم الذي بادر إلى معاونتها في سقي الغنم ، وجدت فيه رجل أحلامها !

ما أعجب الحب !

يعقوب الذي عاش أقرب إلى الفتاة منه إلى الفتى يوليه الحب قوة اربعة رجال ، فيرفع الحجر وحده ، ويبعث فيه الجسارة وهو الحيّي فيتقدم الى راحيل ويقبلها ، ويستطيع أن يغزو ذلك القلب المتفتح للحب في وقت قصير !

وراحيل ، وقد ملأ الحب قلبها ، أسرعت الى أبيها وحدثته حديث ابن رفقة فركض وعانقه وقبله وأتى به الى بيته . كانت قد مرت أزيد من ستّين سنة منذ خرجت أخته عروساً لاسحق ولم يرها بالطبع طول تلك المدة والآن هاهو يرى ابنها وقد أربى على الاربعين !

ولا بد انهما تحدثا طويلا !

فتحدثا عن ولادة التوأمين !

وتحدثا عن عمل حياتهما !

وقص يعقوب لخاله قصة البكورية

وقصة البركة !

وقصة هروبه !

وقصة الحلم !

ولا بد ان لابان، وكان نظير أخته ونظير يعقوب رجل حيلة ومكر، لا بد انه أعجب بيعقوب وأثنى على ذكائه وسرعة بديهته !

وعاش يعقوب شهراً في بيت لابان يرعى أغنامه . وقد سر لابان بخدمته وأدرك قيمتها ورغب في ان يبقيه عنده !

وقال لابان ليعقوب ، ألأنك أخي تخدمني مجاناً ؟ أخبرني ما أجرتك؟! ألعله كان كثير الحساسية فلم يقبل ان يستغلّ ابن أخته، ويستغل ضيافته ، أم انه على الأرجح خشي ان يعقوب سيفلت منه قريباً ولذلك التمس طريق تقييده اليه !؟؟

ولم يسرع يعقوب في الجواب !

انه يذكر لخاله انه ابنه ، وان الابن لا يخدم اباه بأجر ، وأنه يفخر ان يخدم خاله وانه وانه . . مما نعلمه في بلادنا من الكرم الكلامي !

على ان لابان اصرّ ان يعين اجرة ليعقوب فانه رجل على ابواب الزواج ولا بد ان يكون له بيت ولا بد ان يكون له مال !

وقال يعقوب اخيراً

ان كل الاجر الذي اطلبه هو ان تزوجني من راحيل ابنة خالي . وليكن مهرها خدمة سبع سنوات !

لقد جاء عبد اسحق بهدايا كثيرة . اما يعقوب فليس له ما يقدمه الا قلبه وخدمة سبع سنوات !

ورحب لابان بالفكرة ترحيباً كبيراً وأن كان قد نوى في قلبه الغدر ، لأنه بعد السنوات السبع ادخل له في خبائه ليئة الابنة الكبرى للابان ، ولم تكن في جمال أختها ولم يكتشف يعقوب ذلك الا في الصباح. وكان استياؤه عظيماً ولكن لابان قال له انه لم يكن يستطيع ان يزوج الابنة الصغيرة قبل أختها . وهو فوق ذلك مستعد ان يعطيه راحيل بعد اسبوع في نظير خدمة سبع سنوات أخرى !

وفي نهاية الاسبوع تزوج يعقوب من راحيل محبوبة قلبه . فأحبها اكثر من ليئة :

ويلذ لنا ان نراقب ذلك البيت الذي جمع بين الأختين، زوجتين لرجل واحد!

كانت ليئة الأخت الكبرى الزوجة المكروهة !

وكانت راحيل الزوجة المحبوبة!

وقد اشتعلت نار الغيرة بين الأختين !

أعطى الله لليئة الرحم المفتوح ! !

أما راحيل فكانت عاقراً !!!

وولدت ليئة ابناً وابناً ثانياً وثالثاً ورابعاً ، وظلت راحيل عاقراً وكانت ليئة في كل مرة تعلن عن فوزها. دعت اسم ابنها البكر رأوبين لانها قالت « إن الرب نظر الى مذلتي . انه الآن يحبني رجلي » ولما ولدت الابن الثاني قالت « إن الرب قد سمع اني مكروهة فأعطاني هذا أيضاً » ودعت اسمه شمعون. ولما ولدت الثالث قالت « الآن هذه المرة يقترن بي رجلي لاني ولدت له ثلاثة بنين » ودعي اسمه لاوي فلما ولدت الرابع قالت « الآن أحمد الرب » لذلك دعت اسمه يهوذا . وكانت في كل مرة تتكلم معلنة عن بهجتها، فتنزل كلماتها سعيراً في قلب أختها. بل ان نفس اسماء الأولاد كانت سياطاً لراحيل . كلما سمعت اسم رأوبين رأت فيه « الابن » وكلما سمعت اسم شمعون رأت فيه «سمع الله». ولاوي معناه «الاقتران» ويهوذا «الحمد»

وقد بقيت راحيل بلا ابن . الله لم يسمع لها ، وزوجها على وشك ان يهجرها وهي لا تستطيع ان تحمد . كلا . لا تستطيع . انها لا تستطيع إلا ان تشكو وقد ملأتها الغيرة ، فتتقدم الى يعقوب قائلة هب لى بنين وإلا فأنا أموت .

وقد بلغت المنازعة بين الاختين الى أبعد حد . هوذا راحيل تقدم جاريتها لزوجها عسى ان تحبل وتلد على ركبتيها وولدت الجارية ابناً . . ثم ولدت ابناً ثانياً

وأنت تسمعها وهي تتحدث عن ذلك فتعجب كيف تقتل الغيرة أسمى العواطف ، فانها بعد ولادة الابن الاول دعت اسمه دانا قائلة « قد قضى لي الله وسمع ايضاً لصوتي وأعطاني ابناً » ـ ولما ولد الثاني قالت « مصارعات الله قد صارعت أختي وغلبت » ودعت اسمه نفتالي !

وليئة ؟ لم تكتف بأولادها !

لماذا تلد جارية راحيل وجاريتها هي لا تلد ؟

ما أعجب ما تعمل الغيرة ؟

المرأة التي يغيظها ان ترى ضرة لها ! ويسيئها ان ترى امرأة اخرى تشاركها زوجها تدفعها الغيرة الى ان تحضر هي امرأة اخرى لكي تغيظ ضرتها !

نعم قدمت ليئة ايضاً جاريتها زلفة وولدت الجارية ابنين !

وظل بيت يعقوب نهباً للخصومات بين أربع نساء وعدد من الأولاد. وكانت كل من الزوجتين تحاول أن تغيظ الاخرى وتتفنن في أساليب الاغاظة . وكانت النصرة لليئة فهي قد ولدت ستة بنين وابنة !

وراحيل لا تزال عاقراً !

ولقد أذلها العقم فالتفتت الى الله وتوكلت عليه وعدلت عن الاتكال على اللفاح أو تفاح المحبة وصلّت لله فأجاب صلاتها وذكرها فحبلت وولدت ابناً فقالت قد نزع الله عاري ودعت اسمه يوسف قائلة يزيدني الرب ابناً آخر وولدت فيما بعد بنيامين وقد دفعت حياتها ثمناً له !

كان بيت يعقوب جحيماً للزوج !

وكان جحيماً للزوجتين !

وكان جحيماً للأولاد !

ولقد قاسى الرجل وزوجتاه مرارة ذلك البيت المنقسم !

وحصدوا مرّاً وعلقماً في أولادهم !

كانت حياة الأولاد شريرة الى أقصى ما يكون الشر . ولقد عبر الكتاب عن ذلك بالقول . إن يوسف أتى بنميمة اخوته الرديئة !

كانوا جماعة سكيرة عابثة مجرمة !

وقد اعتادوا حياة الفجور . لم تكن القبائح أمراً غريباً عليهم حتى ان رأو بين صعد على فراش أبيه ونجّسه !

والابنة التي كان ينبغي ان تحتفظ باسمها وشرفها ، باعت ذلك الاسم وذلك الشرف بلا ثمن . وتاريخ سقطتها نقطة سوداء في حياة يعقوب !

وجريمة شمعون ولاوي !؟

وبيع الاخوة لأخيهم !

ما اكثر المآسي في بيت يعقوب !!

ولقد بكى يعقوب ما شاء له البكاء ، ورفع عينيه الى السماء يشكو ويرجو . ولكن يعقوب كان يعلم !

ونحن ايضاً نعلم ! !

أن يعقوب كان يحصد البذار الذي زرعه !

وان اللوم الاول كان عليه هو دون غيره !

فان ما يزرعه الانسان إياه يحصد ايضاً ! !

٢١

٥ – اسرائيل

« فقال له لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب
بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس
وقدرت » تكوين ٣٢ : ٣٨

انتهت مشكلة لابان ولكنها لم تكن المشكلة الاخيرة !

كانت هناك مشكلة أقسى هى مشكلة عيسو . لقد استطاع أن يتملص من لابان و بقليل من ظاهر الغيظ استطاع أن ينتصر عليه . ولكن عيسو ليس لقمة سهلة كلابان !

نعم ان عيسو اكثر اخلاصاً من لابان !

لكنه رجل جد !

وقد أقسم ليقتلن يعقوب !

وهو على ذلك موتور ، فقد سلبه يعقوب بكوريته و بركته !

ومع عيسو جنود وسلاح ، وهو يستطيع أن يمسح يعقوب وكل من له وكل ماله في أقل وقت !

و يعقوب يحس انه يستحق !

لقد أساء إلى عيسو !

وانتقام عيسو حق !

لكن ألا يمكن أخذ عيسو بالحيلة ؟ لماذا لا ! ؟

لذلك يرسل رسلاً قدامه إلى عيسو أخيه إلى أرض سعير بلاد أدوم، وهو يأمرهم قائلاً هكذا تقولون لسيدي عيسو . هكذا قال عبدك يعقوب تغربت عند لابان

وابثت إلى الآن . وقد صار لي بقر وحمير وغنم وعبيد واماء وارسلت لأخبر سيدي لكي أجد نعمة في عينيك !

وعاد رسل يعقوب يخبرونه انهم أدوا الرسالة وان « عيسو قادم للقائك واربع مئة رجل معه »

ها قد حلت الكارثة !

عيسو وأربع مئة رجل !

انه بالطبع لا يأتي بهذا العدد العديد من الرجال ليصافحني ويرحب بي !

ولا يأتي بهم لكي يحرسوني ويحفظوا ما معي !

لاشك انه قادم ليضربني ضربة ساحقة !

اربع مئة رجل !

وكيف استطيع ان أقف امامهم ؟

ونحن نلاحظ حرباً سجالاً في داخل يعقوب بين يعقوب رجل الحيلة ، ويعقوب الذي أبصر حلم بيت ايل !

فيعقوب الأول يقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال الى جيشين ، حتى اذا جاء عيسو الى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش الباقي ناجياً !

ولا يقف في الحيلة هنا ، ولكنه يأخذ مما أتى بيده هدية لعيسو أخيه ، من ماعز وتيوس ونعاج وكباش ونياق مرضعة وبقر وثيران وأتن وحمير ، وهو يسلم هذه لعبيده قطيعاً قطيعاً ، ويطلب أن يجعلوا فسحة بين قطيع وقطيع ويطلب من كل عبد اذا صادفه عيسو وسأله قائلاً لمن أنت وإلى أين تذهب ولمن هذا الذي قدامك ان يقول « لعبدك يعقوب . هو هدية مرسلة لسيدي عيسو وهاهو أيضاً وراءنا » — وهو يأمر أيضاً الثاني والثالث وجميع السائرين وراء القطعان قائلاً بمثل هذا الكلام تكلمون عيسو حينما تجدونه وتقولون « هوذا عبدك يعقوب أيضاً وراءنا »

هذا هو يعقوب السياسي الذي يرجو أن يستعطف وجه أخيه بالهدية السائرة

امامه قبل ان ينظر وجهه عسى أن يجد نعمة في عينيه !

غير أن يعقوباً آخر كان يعمل في داخله هو يعقوب بيت ايل !

يعقوب الذي لا يطمئن إلى الحيلة أو السياسة أو الحكمة الارضية !

يعقوب الذي لا يفكر في البشر أو ذراع البشر أو قوة البشر !

يعقوب الذي يرفع عينيه إلى الله ، ويقول يا اله أبي ابرهيم واله أبي اسحق ، الرب الذي قال لي ارجع الى ارضك والى عشيرتك فأحسن اليك . صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت الى عبدك. فاني بعصاي عبرت هذا الاردن والآن قد صرت جيشين . نجني من يد أخي من يد عيسو ، لاني خائف منه أن يأتي ويضربني الأم مع البنين . وأنت قد قلت اني احسن اليك واجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يعد للكثرة !

يعقوب بيت ايل الذي يستمر الليل كله يصارع الملاك .. وتبلغ حدة مصارعته درجة ما بعدها درجة حتى يقول له الملاك اطلقني لانه قد طلع الفجر، فيقول له، كلا. لااطلقك ان لم تباركني .. فيسأله ما اسمك فيقول يعقوب فيجيب الملاك لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل ، لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت !

ومن ذلك الوقت اختفى اسم يعقوب وظهر اسم اسرائيل !

وفي الصباح أقبل عيسو ورجاله ! وحالما أبصر يعقوب ركض للقائه وعانقه ووقع على عنقه وقبله وبكيا !

وكان عيسو كريماً فحاول ان يرفض هدية أخيه ، ولكن يعقوب أصرّ — وحاول أن يأخذ يعقوب الى دياره فاعتذر. وعرض أن يترك من رجاله من يحرسون يعقوب فشكره يعقوب !

وافترق الأخان على اتم وفاق ، شقيقين محبين متصافيين !

ورفع يعقوب عينه مرة أخرى الى السماء الى ملاك بيت ايل ، والقى تسبحة شكر صامتة !!

٢٢

٦ - تجارب نارية

وهو وقت ضيق على يعقوب ولكنه سيخلص منه

« فخاف يعقوب جداً وضاق به الامر وقال
يعقوب يا اله ابي ابرهيم واله ابي اسحق نجني
من يد اخي من يد عيسو لاني خائف منه»
تكوين ٣٢ : ٧ و ٩ و ٢١

لم تكن طريق يعقوب مفروشة بالورد ، بل كان الجانب الاكبر منها مغطّى بالشوك . ولقد غيّر الملاك اسمه من يعقوب الى اسرائيل ولكن ذلك التغيير استلزم في ذلك الوقت ان يضربه الملاك على حق فخذه فيكسره . لم يستطع يعقوب ان ينال البركة رخيصة . ولم يتغير اسم يعقوب فقط بل بدأت أطوار تغيير في حياته . انه ينتقل فعلا من يعقوب الى اسرائيل ، من الانسان المتعقب الذي يشبه الكلب ، الى الامير المنتصر . ولكن ذلك التغيير كان يتطلب ان يسير في بحر من نار !!

نجا من لابان . . ونجا من عيسو وظن انه سيستريح . ولكنه لم يسترح بل تلقى تجارب عدة كانت تجارب نارية .

عاد عيسو الى بلاده وارتحل يعقوب الى سكوت ومنها الى شكيم . . وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور الى شكيم . وظن أن متاعبه انتهت وانه سيستقر بعد طول ارتحال !

لكنه في شكيم لقى إحدى أمرّ تجاربه . فقد خرجت ابنته لتنظر بنات

الارض وما كان ينبغي ان تخرج . فقد تربّت في البادية ولها طباع بنات البادية وهي تريد التعرف الى بنات المدينة . لم يكن طريقها أميناً . ومهما قلنا عن مأساة بيت يعقوب ، فقد كانوا أنقى قلباً وأخلص ضميراً من بيوت المدينة ! !

وفي المدينة زلّت قدمها . وحاول الشاب المسيء ان يغطي إساءته فعرض على أبيها واخوتها ان يتزوج منها !

أحسّ يعقوب بطعنة قاتلة في قلبه !

و بنوه رأوا في إذلال أختهم لطمة أذلّت أنوفهم وأحنت رؤوسهم الى التراب!

وتكلم اخوة الفتاة بمكر. قالوا انهم لا يستطيعون أن يزوجوا أختهم من أغلف وانهم لا يستطيعون الارتباط بمدينة شكيم إلا إذا اختتنت المدينة كلها . فاذا كانوا جادّين في طلب الزواج فليختتنوا !

وحسن الكلام في عين الشاب وعين أبيه وأقنعا قومهما فاختتن كل ذكر كل الخارجين من باب المدينة !!!

وفي اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين قام شمعون ولاوي ابنا يعقوب واستل كلّ منهما سيفه ، وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر ، وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف وأخذا أختهما دينة من بيت شكيم وخرجا ! ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة..سلبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل مافي البيوت!!

وكان عمل شمعون ولاوي عملاً عظيماً تقره قوانين البادية ، ويتفق مع كرامة أهلها، ولكنه كان عملا خطيراً وخطراً. فقد كانت لشكيم وحمور صلات قرابة وغير قرابة بكثير من المدن المحيطة. وكان المنتظر أن تقوم تلك المدن وتمسح يعقوب و بيت يعقوب من خريطة الارض . وقد ثار يعقوب على ولديه وقال لهما ، كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الارض ، الكنعانيين والفرزيين ، وأنا نفر قليل ،

فيجتمعون عليّ ويضربونني فأبيد أنا وبيتي ! . . وأمره ملاك الرب ان يصعد الى بيت إيل فقام هو وبيته وكان خوف الله على المدن التي حولهم ، فلم يسعوا وراء بني يعقوب . وهكذا تحقق مرة أخرى الوعد القائل « وهو وقت ضيق على يعقوب ولكنه سيخلص منه » .

وبعد أن قضى يعقوب وقتاً في بيت إيل ارتحل منها . ولما كان مسافة من الارض بعد حتى يأتوا الى افراتة ولدت راحيل وتعسّرت ولادتها. وحاولت القابلة ان تشيع البهجة في نفسها قائلة لها لا تخافي لأن هذا ايضاً ابن لك . ولكنها لم تعش لتفرح بابنها الثاني . وكان قبل ان لفظت آخر انفاسها انها دعت اسم ابنها بن اوني أي ابن حزني وغمّي !!

أما يعقوب فقد هزّه موت راحيل . صحيح انه لم يقبل ان يدعى ابن راحيل بن اوني فدعاه بنيامين أي ابن قوتي. إلا ان حزنه لفقد محبوبة الشباب كان طاغياً. ونحن نحس بذلك الحزن يتجدد عنده. وبعد سنين كثيرة نسمعه يتحدث عن راحيل وابني راحيل بنغمة عميقة تكشف عن ألم دفين لم تستطع الايام ان تخفف من حدته !

ماتت راحل ولم يبق من اثارها إلا يوسف و بنيامين !!

ولقد تعزّى يعقوب بابني راحيل . كانا له كل شيء . وعند ما سمع عن سيرة أولاده الرديئة حزّ ذلك في قلبه وتألم لذلك أشد الألم ولكنه عزّى نفسه بأنه قد بقى له سبب رجاء ، يوسف و بنيامين !

غير أنه في أحد الايام خرج يوسف ليفتقد اخوته ولم يعد . بل جاء اخوته يقولون لأبيهم وقد أمسكوا بقميص ملوث بالدم « حقق أقميص ابنك هو أم لا » فتحققه وقال قميص ابني وحش ردىء أكله . افترس يوسف افتراساً ومزق يعقوب ثيابه ، ووضع مسحاً على حقويه ، وناح على ابنه أياماً كثيرة . . وحاول أبناؤه ان

يعزّوه فأبى ان يتعزى وقال اني أنزل الى ابني نائحاً الى الهاوية . . وجعل يبكي ويبكي الى أن ضاع نور عينيه أو كاد ! !

واستمر حزن يعقوب . نعم قد فقد الحزن حدته بمرور الزمن ولكنه ظل حزناً طاغياً جارفاً . وبعد عشرين سنة تعرّض ابنه الثاني للضياع . كان إذ ذاك ابن مئة وثلاثين سنة. وأبناؤه يقولون: لا نستطيع ان نذهب الى مصر لنشتري قمحاً لأولادنا إلا اذا ذهب بنيامين معنا ، هكذا قال سيد الارض ! !

وثار ذلك الشيخ وكاد يتمرد على الله وانحنت رأسه تحت ثقل تلك التجربة. وذهب بنيامين إلى مصر ولكنه عاد . وكانت فرحة أبيه بعودته لاحد لها . وتضاعف الفرح فان بنيامين يحمل له خبراً لا يصدق ، ان يوسف حي وانه سيد مصر . وانه هو الذي يوزع الطعام للعالم الجائع . وانه يدعو أباه و بيته اليه !

هذه ولاشك أحلام !

أو هي تخريف الشيخوخة !

هل يمكن أن يكون هذا ؟

يوسف حي !؟!

يوسف سيد مصر !

يوسف عنده الطعام ؟؟؟

يوسف يدعوني لأذهب اليه !؟

كفى . يوسف ابني حي بعد . اذهب وأراه قبل ان أموت !

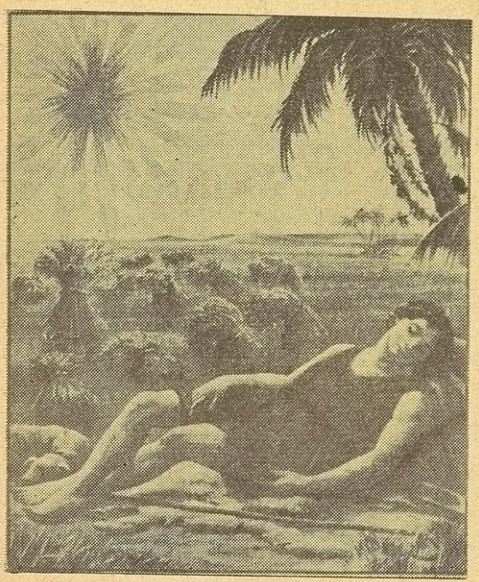
وذهب يعقوب وقبّل يوسف. وعاش سبع عشرة سنة وأسلم روحه بين يدي ابنه وقد انطلق الى ربه راضياً مرضياً .

٢٣

صاحب الاحلام

« فأتى أخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم
الى الارض .... فتذكر يوسف الأحلام
التي حلم » تكوين ٤١ : ٦ و ٩

نام يوسف مبكراً كعادته واستغرق في نومه الحلو ، وقد غمر نور سماوي وجهه النقي الذي يشبه في براءته وجوه الأطفال. وفيما هو مستغرق في نومه، بدأ فمه ينفرج عن ابتسامة صغيرة . ظلت تتسع وتتسع حتى ملأت وجهه . وفي الصباح قصّ على اخوته حلماً رآه في ليلته الماضية . اجتمعوا وهم ينظرون اليه نظرات صارمة ، يتجلى فيها مزيج من الحسد والاحتقار .



أحلام يوسف

وبعد أن بدأ يقص حلمه ، تحولت نظراتهم شواظاً من نار ، وامتلأت وجوههم الكريهة بغضب جهنمي !

لم يلاحظ يوسف ما تجلى على وجوه أخوته من البغضة فاستمر يقص حلمه قال :

رأيت اننا في الحقل !

وان الوقت وقت الحصاد !

وجمع كل منا حزمة من القمح ، وطرحناها متجاورة في طرف الحقل !

وبغتة حدثت آية !

ابصرت واذا حزمتي تتحرك من مكانها ، وحدقنا النظر اليها نبحث عمن يحركها ولكننا لم نر أحداً. وظلت الحزمة تتحرك حتى قامت منتصبة. كانت كأنها تقف على قدميها ، أو تجلس على عرش عال ! وبغتة بدأت كل الحزم الاخرى تتحرك ولكنها لم تنتصب بل تقدمت حزمكم وسجدت لحزمتي !

وقطر السم من عيون أخوته وفاضت كلماتهم أفسنتيناً ، وقالوا أفعلك تملك علينا ملكاً أم تتسلط علينا تسلطاً ؟!

أما يوسف فلم يلاحظ غضبهم وثورة نفوسهم بل مضى في طريقه مبتهجاً . ومرّت عدة أيام وفي صباح يوم قال لأخوته، لقد رأيت حلماً آخر وكان حلماً غريباً! قال رأيت اننا امام الخيمة وأنا اتطلع الى السماء . كانت الشمس تجلس على عرشها الذهبي وترسل أنوارها النارية الى كل جهة . وكان القمر يتألق بالقرب منها بنوره الفضي . ثم أبصرت عدداً من الكواكب تحيط بالقمر كعقد دري . وفيما أنا أتعجب من وجود تلك المجموعة السماوية في مكان واحد ، وكيف ان نور الشمس لم يحجب أضواء القمر والنجوم ، فيما أنا اسأل نفسي عن سر ذلك ، اذا بي أرى الشمس تتقدم وقد تجلى في مشيتها خضوع ، وظلت تسير وسار في ركابها القمر والكواكب الأحد عشر . وانحدرت تلك المجموعة من عليائها ، وظلت تنحدر الى ان وصلت الى الأرض ، الى حيث كنت جالساً وسجدت لي !

وصاح يعقوب ، ماهذا الحلم يايوسف. اتظن انني أنا وأمك وأخوتك سنسجد لك الى الارض ؟

اما أخوته ففاض قلبهم حقداً ، وفاضت عيونهم بغضة ، ولكنهم لم ينطقوا بكلمة واحدة ، وتركوه وقلوبهم تغلي !

قال أحدهم ، ان المغرور يحلم بالسلطة والسيادة. ذلك المجنون. انه يجلس طول يومه يتأمل في قميصه الملون ويفكر في ان يكون خليفة أبيه !

وقال الثاني ، نعم فقد رأيته كثيراً وهو يجلس ساهماً يتأمل في الفضاء البعيد ، ويتحدث الى المجهول عن آماله في ان يكون رأساً ورئيساً

وقال الثالث ، وهكذا تنقلب خيالات نهاره أحلاماً في الليل !

وقال الرابع ، ويدّعي ان الله ارسل له اعلاناته في الاحلام ، وينال مكان السيادة بهذا التهويش !

وهكذا جعل أخوته يتحدثون بسخرية عن احلام أخيهم وعن انتظاراته . وفي ذلك الوقت نبتت في رؤوسهم فكرة اهلاكه . نبتت فكرة غامضة متأرجحة ولكنهم احتضنوها ووالوها بالرعاية حتى نمت وترعرعت في ما بعد ، وانمرت تلك الجريمة المروعة التي سجلها الوحي على الاخوة الآثمين !

ولكن أحلام الشاب يوسف لم تكن خيالات طائشة ، ولا قصوراً في الهواء ، وانما كانت ذلك الهدف البعيد الذى كانت نفس الشاب ترنو اليه من بعيد وتعمل على تحقيقه . ولقد بنى مجده لا من خارج نفسه بل في داخله ، فأحاط نفسه بسياج من العزيمة والثبات والايمان ، وأبرز سيادته قوية في خلقه وسمو صفاته . نعم فقد ملك يوسف على اخوته من قبل ان يملك في مصر . ولو ان حياته انتهت قبل ان يصل الى القصر لقلنا أن أحلامه تحققت !!

على ان يوسف وصل بعد جهود وجهاد الى تحقيق أحلامه بصورة ظاهرة عند ما ملك في مصر وجاء اخوته وسجدوا له فعلا !

كان سجود الحزم حلماً !

وكذلك كان سجود الشمس والقمر !

وقد تحققت هذه الاحلام ! !

٢٤

الطريق الى العرش

« فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا
رجلا فيه روح الله » تكوين ٤١ : ٣٨

كان يوسف بن يعقوب ابن راحيل أحب الابناء الى أبيه . فهو أول من ابتسمت له أمه ، بل الوحيد الذي ابتسمت لمقدمه ، لان ابنها الثاني عند ما أقبل انطلقت هي !!

وكان يوسف شاباً فاضلاً . لم يفسده تدليل أبيه ، بل كان نقياً تقياً . وقد ساءه ان يرى اخوته يأتون المحرمات ، وحمل من أمرهم الى أبيه ما أحزن قلبيهما ! وعزم يعقوب ان يمنح البكورية ليوسف ، وصنع له قميصاً ملوناً علامة على ذلك . ولكن أخوة يوسف حسدوه وأبغضوه . ولما قصّ عليهم أحلامه ازدادوا أيضاً بغضاً له .

كان يوسف يحلم انه سيكون الرأس والرئيس ولكننا لا نرى ذلك في أول الامر ! ها نحن نراه ينطلق ـ إطاعة لأمر أبيه ـ الى حيث قيل له ان اخوته يرعون . يبدو أن غيبتهم طالت على أبيهم ، وانه شغل على سلامتهم حتى انه ارتضى ان يرسل يوسف المحبوب .

وكان اخوة يوسف يرعون على مسافة غير بعيدة وقد سلك يوسف أقرب السبل الى ذلك المكان ، فلما لم يجدهم سار الى حيث ظن انهم ذهبوا ، وضلّت به الطريق وكان يخشى انه يضيع في تلك المراعي الجبلية ، لولا أن أحد الرعاة هداه الى حيث اخوته !

وأبصره اخوته من بعيد واستيقظت فيهم غيرتهم وكراهيتهم ، وتآمروا على قتله والسخرية بأحلامه ! ووصل يوسف وهو ينتظر قبلات ، فاذا بهم يستقبلونه بأسنان مسنونة وعيون غاضبة ، وامتدت أيديهم اليه فمزقت قميصه وطرحته أرضاً . وكانوا على وشك الفتك به لولا ان أخاه رأوبين أنقذه من ايديهم . وأشار بأن يطرحوه في بئر جافة ، ويتركوه ليموت دون أن تمتد أيديهم الى سفك دمه !!

وكان رأوبين يقصد أن يختلس فرصة ينقذه فيها ويرده الى أبيه !

إن العين تكاد تجمد وهي تبصر مدى قوة الشر في قلب الانسان . اخوة يحاولون أن يفتكوا بأخيهم، لا لسبب إلا لأن أباه يحبه ، ولانه أبصر أحلاماً قصّها عليهم بكل براءة . أناس من البشر يتحولون الى وحوش ضارية لا يرقّون لضعف أخيهم ولا يتأثرون لدموعه وتوسلاته. لا شك انه طرح نفسه عند أقدامهم والتمس من هذا الأخ ثم من ذاك وذاك ان يبقى على حياته، ولكنهم صاروا وحوشاً بقلوب من حجر . وقذف به أحدهم الى البئر وهو يضحك ساخراً ، يا صاحب الاحلام أين أحلامك ! ؟

وصرخ يوسف صرخة مروعة ، وأحس ان عظامه قد ترضضت ، وان جسمه كله قد أصيب بسهام حادة ، وبكى ما شاء له البكاء ، واعول ذاكراً أباه وأخاه . أما هم فجلسوا بالقرب من البئر يأكلون ويضحكون ويسمرون !

ومرت بالطريق قافلة من التجار الاسماعيليين في طريقها الى مصر ، وجمالهم حاملة أطياب بلادهم. وومضت في رأس يهوذا فكرة طارئة، فقال لاخوته ما قولكم اذا كنا نبيع أخانا عبداً للقافلة الذاهبة الى مصر . نقذف به بعيداً عنا فنستريح منه ولا تكون يدنا عليه لانه، بالرغم من كل شيء، اخونا ولحمنا . وهتف اخوته هتافاً عالياً وهنأوه على رجاحة رأيه وسلامة تفكيره ، وذهب بعضهم فأصعدوا أخاهم من البئر ، وباعوه للقافلة عبداً بعشرين ديناراً .

يا له من مصير !

لقد رأى يوسف نفسه في أحلامه سيداً وملكا !

فاذا به يفقد قميصه الملون و يطرح في البئر !

ثم يباع عبداً لقافلة ذاهبة الى مصر !

ورفع يوسف عينيه الى فوق وكأني به يبصر غير المنظور وهو يقول له لاتخف لاني معك !

أنا معك . . أنا معك ! !

ووصلت القافلة الى مصر وباعت بضاعتها !

و باعت يوسف ! !



فقال لهما يوسف : أليست لله التعابير قصّا عليّ

باعته عبداً لفوطيفار وزير مصر !!

وهكذا انتهى طريق صاحب الاحلام الى ان يكون عبدا !!

على ان الطريق لم ينته هنا . ان هنا حجراً واحداً ينتهي عنده جزء ، سيتلوه جزء آخر ، وينبغي ان نسير الى المنتهى قبل ان نحكم على احلام يوسف !

كان يوسف عبداً في بيت فوطيفار، كان عبداً في نظر الناس وفي نظر فوطيفار ولكنه كان في الحقيقة سيداً . كان الرب معه فكان رجلا ناجحاً . لقد انتصر وهو في بيت فوطيفار على كل القوات التي أذلّت غيره، ولو أعطينا النظرة الصحيحة لرأينا يوسف سيداً ورأينا سادته عبيداً !

فقد صار هو صاحب البيت بسبب اجتهاده وأمانته ، ولم يكن سيده وسيدته إلا بعض افراد ذلك البيت ، يأكلون ويلبسون من يده !

بل ان سيدته استهواها جماله واذلّتها الشهوات ، فرفعت عينيها الى العبد وارادت منه ان يخون عهد الأمانة. وسعت في ذلك جهدها وشغلت كل ماتستطيع المرأة ان تشغله . حاولت ان تصطاده بجمالها و بملث كلامها ، ولكنه دافع عن نفسه دفاعاً قوياً ، ولما هاجمته يوماً هجوماً عنيفاً وأمسكته من قميصه ترك قميصه وهرب، وكأنه يعطي لذلك الرسول المثال الأول للقول الذي القاه بعد ألوف السنين ، «اما الشهوات الشبابية فاهرب منها» .

لم تكن التجربة التي واجهها يوسف حرباً سهلة ، بل كانت حرباً عنيفة طويلة ماكرة ، ونحن نراه ينتصر لانه أحسن الدفاع . انه لم يسخر من التجربة او يستهين بها. انه ينظر اليها كشر عظيم. لقد كان شاباً ومع ذلك فانه لم يدعُ التجربة عبثاً ، ولا مغامرة ، ولا طيش شباب، بل دعاها شراً عظيما يضطرب امامه، خصوصاً وهو يعتبره شراً ضد الله ، الذي يطل عليه من عليائه ويراقب كل خفياته !

ثم هو لايقف ليعابث التجربة بل يهرب منها كما رأينا !

وكان غضب « سيدته » عظيما . لقد جرحها في صميم كبريائها ، واحتقرها فأبغضته . انقلب ذلك الحب الكبير إلى كراهية مخيفة ، ورتبت ان تقذف به من حالق الى اعماق الهاوية . ينبغي ألا يعيش. اذن لتصرخ وتتحدث الى من في بيتها ان « العبد العبراني » لم يكرم سيده أو بيت سيده فهو يهجم عليها ، ويريد ان يعتدي عليها وينتهك عرضها ، ولكنها تصده واذ تصرخ مستنجدة يترك رداءه في يدها ويهرب !

ويأتي زوجها فتروي له قصة العبد ، وهو ككل رجل احمق ، يثور بدون تأمل . ولو انه تمهل قليلاً لأبصر في القصة ثلمات كثيرة، ولكنه لا يتمهل . هل يجسر انسان ان يرفع عينيه الى زوجته ، ذلك الملاك الطـاهر ؟؟! ليذهب يوسف الى غير رجعة !

لكنه لا يأمر بقتله بل يكتفي بحبسه

وهنا نجد مجالاً كثيراً للتأويل والاستنتاج اوالرجوع الى كتاب التلمود ليسهب في ما لم يسهب فيه الكتاب

فهل عفا عن قتله لانه لم يصدق زوجته ، ولم يكن يثق فيها كل الثقة ، اذ كان يرى منها احياناً ما يثير ريبته ! ؟؟

ام هل عفا عن قتله لانه عطف عليه ، فقد كان شاباً جميلاً وحيداً . وامينا وقد تبارك بيت فوطيفار على يديه . وهو على ذلك رقيق ليس من طباعه العنف؟؟ وهبه رفع عينيه الى زوجته فقد اخطأ ولكن لا الى الحد الذي يستحق فيه القتل !

ام هل عفا عن قتله لان القضاة ، كما يقول التلمود ، حكموا ببراءته ، ولكنهم رأوا ان يدينوه ابقاء على كرامة سيدة كبيرة ! ؟؟

لا نعلم لماذا فعل ذلك ، ولكن هكذا فعل ، وها نحن نرى يوسف في نهاية الطريق في السجن !

نعم فقد انتهى أمر صاحب الأحلام الى ان ينطرح على ارض السجن !

الى اين انتهى طريق الاجتهاد ؟

والولاء لله ؟

والولاء للسيد ؟

والعفة ؟

الى أين انتهى كل ذلك ؟ ؟ ؟

الى السجن ! ! !

لكن هل كان السجن حقاً آخر الطريق؟

كلا . انه لم يكن إلا نهاية لاحدى المراحل ، وقد بقى امامنا الطريق مفتوحاً

بل ان يوسف السجين كان سيداً !

يكفي انه كان يستطيع ان ينام بضمير مطمئن !

يكفي انه لم يعمل ما يلوث صحيفته النقية !

ولا ما يرسم غمامة في تاريخ بيته !

ولا ما يسيء الى رجل ائتمنه !

بل يكفي انه لم يعمل ما يسيء به الى الهه !

ونحن نراه ينبطح على ارض السجن ويرسل من صدره أنيناً شاكياً !

هل هذه يارب نهاية الأحلام ؟ وهو يسمع من بعيد صوتاً يبدو انه قريب جداً ؟ انا معك يايوسف ، لا تخف !

وعاش يوسف في السجن !

ولكنه سجين غريب ! !

لقد رأى فيه السجان ملاكاً لا سجيناً. ان نوراً يملأ وجهه ونعمة تملأ شفتيه فهو يسلّمه كل شيء ويطمئن الى ادارته !

منذ دخل يوسف الى السجن صار السجن شيئاً آخر . لم يعد السجان يسمع الشتائم، والمشادات ومحاولات الهروب ، واصوات النواح . منذ دخل يوسف تحول

السجن من جحيم ، الى ما يقرب من النعيم . كان يوسف حيثما يسير يلقي ظلالا من نور ومحبة وسلام فاذا بالغليان والثورة والكراهة كل هذه تتلاشى . لاشك ان ذلك الأسير كان شيئاً آخر !

وفي احد الايام ارسل فرعون الملك اثنين من عبيده مغضوباً عليهما . كان لهما مركز كبير في القصر اذ كان احدهما ساقي الملك الذي يشرب الملك من يده . والثاني الخبـاز الذي يقدم له الخبز ويطهي له الطعام . وقد اتهم الاثنان بمحاولة قتل الملك بالسم — وقد أمر الملك بتسليمهما لوزيره الأكبر ريثما يرى في شأنهما ما يرى !

وطلب حافظ السجن من يوسف ان يولي السجينين الكبيرين شيئاً من العناية. ونحن نرى يوسف يوليهما كثيراً من العناية وهما يحسان بذلك ، ويبهجهما ان يتولى امر العناية بهما يوسف ، وهما يستقبلانه في كل يوم بوجه مشرق وبابتسامة كبيرة . على انهما استقبلاه في صباح ما بعبوس ، وحاولا ان يبتسما فلم يستطيعا . وقد سألهما عن سبب ذلك، فحدثاه عن حلمين رأياهما وهما لايعلمان تأويلهما ، ويخشيان ماعسى ان يعلنه هذان الحلمان . وقال يوسف حدثاني بما رأيتما ، فان لله تفسير الاحلام !

تقدم كبير السقاة وقال : رأيت في حلمي كرمة ، وفي الكرمة ثلاثة قضبان ، وهي اذ أفرخت طلع زهرها ، وأنضجت عناقيدها عنباً ، وكانت كأس فرعون في يدي. فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون وأعطيت الكأس في يد فرعون!!

وصمت الساقي ، وتطلع بقلق الى يوسف ، ثم قال ، هذا هو حلمي فماذا عسى أن يكون ؟ وخفض يوسف رأسه ، وصعدت من صـدره صلاة صامتة ، وعيناه مغلقتان . ثم رفع رأسه ، وقال للساقي ، لك التهنئة ، فقد انتهت ايام بؤسك . الثلاثة القضبان هي ثلاثة ايام . في ثلاثة ايام ايضاً يرفع فرعون رأسك، ويردك الى مقامك . فتعطي كأس فرعون في يده كالعادة الاولى حين كنت ساقيه !!

وأشرق وجه الساقي وتهللت اساريره ، وتقدم من يوسف يحاول ان يقبّل قدميه ، وهو يقول : آه يا سيدي ليت تعبيرك يصدق، إذن كنت شاكراً لك مدى

الحياة. بل سأكون عبداً رقاً، بل اني منذ الآن عبدك. قل لي كيف أرد جميلك ؟!!

وأجاب يوسف : لست أطلب منك شيئاً . كل ما اطلبه ، ان تذكرني لدى سيدك ، فتخرجني من هذا البيت ، لاني قد سرقت من أرض بعيدة . وهنا ايضاً لم افعل شيئاً حتى وضعوني في السجن ! !

وقال الساقي : سأفعل ، نعم سأفعل المستحيل حتى أخرجك . سأنطرح عند قدمي فرعون ، وسأحدثه عنك ، وعن روح الآلهة الذي فيك ، وسأخبره عن تفسيرك لحلمي . . نعم سأفعل المستحيل لكي أخرجك . لن انسى . كلا لن انسى بل ثق اني لن استطيع ان انسى ! !

وعندئذ تقدم رئيس الخبازين الى يوسف ، وقال ، وقد امتزجت في اساريره علائم القلق مع علامات الرجاء ، وأنا ايضاً رأيت في حلمي اني احمل ثلاثة سلال على رأسي . وفي السلّ الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز . ورأيت الطيور تحوم حول السلّ وتأكل من الطعام الذي فيه !!

وصمت يوسف طويلاً ، و بدت سحابة قاتمة في عينيه، وتجلى حزن عميق على وجهه ! ! واشتد قلق الخباز وقال : بربك لا تطل انتظاري . حدثني عن مصيري كيفما كان . وقال يوسف بألم : إن حلمك يا صديقي لا يبشر بخير فان الملك سيرفع رأسك عنك بعد ثلاثة ايام و يعلقك على خشبة ، وتأكل الطيور لحمك عنك . قال هذا وواسى الرجل بكلمات العطف والمحبة ! !

و بعد ثلاثة ايام أمر فرعون بالافراج عن الساقي ، وردّه الى وظيفته . وحكم على الخباز بقطع رأسه وتعليقه على خشبة .

وكان فرح الساقي طاغياً . ولم ينسَ ان يقبّل يد يوسف قبل خروجه ، و يؤكد له انه لن ينساه. ولكنه حالما وقف امام الملك نسي يوسف ووعده ليوسف !!

وهكذا بقي يوسف في السجن !

ورفع يوسف رأسه الى السماء معاتباً . أهكذا ينساه ربه ايضا ؟ ولكن الله

واساه وجاءته رسالة ربه عزاء لقلبه ، كلا يا يوسف ان الله لا ينسى صفيه ! !

مرت سنتان كاملتان ، ويوسف لا يزال سجينا . وقد بدأ اليأس يتسرب الى صدره ولكن الفرج جاءه من حيث لا يحسب !!

استيقظ فرعون صباح يوم مضطربا !

واذا اضطرب فرعون ، فقد اضطربت زوجته وأهل بيته !

واذا اضطربت اسرة فرعون ، فقد اضطربت الحاشية !

واذا اضطرب قصر فرعون ، فقد اضطربت العاصمة !

واذا اضطربت عاصمة فرعون ، فقد اضطربت البلاد !

وشاع الاضطراب في كل مكان ! !

لقد ابصر الملك حلماً .. بل حلمين افزعاه !

وهوذا أحكم حكماء مصر يأتون ويسجدون عند قدمي الملك ، ولكن الأمر أغلق عليهم . ان حلمه غريب ، لم يسبق أن رأى أحدهم نظير ذلك الحلم . لقد أبصر سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم فارتعت في روضة . ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطىء النهر. فاكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة . وظلت بقرات هزيلة كما كانت ، واستيقظ فرعون. ثم نام فحلم ثانية وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة . ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة. وبقيت سنابل رقيقة كما كانت، واستيقظ فرعون ! !

فشل سحرة مصر وحكماؤها . لم يوجد بينهم من يعبر الحلم لفرعون . وكان ثمت اضطراب وشاع قلق ! وهنا ذكر الساقي يوسف وتقدم الى سيده وحدثه عن الغلام العبراني عبد رئيس الشرط، وتعبيره للاحلام، وحدثه عن تعبير حلمه وحلم الخباز وأمر الملك ، فأسرعوا بيوسف من السجن ، بعد أن حلق وأبدل ثيابه . وقال

فرعون ليوسف حلمت حلماً وليس من يعبره وأنا سمعت عنك قولا انك تسمع أحلاماً لتعبرها . وأجاب يوسف جواباً يدل على تواضعه كما يدل على حكمته وحسن تصرفه قال : ليس لي . الله يجيب بسلامة فرعون !!

وروى فرعون حلميه ليوسف وطلب منه أن يفسرهما له ، اذا كان ذلك ميسوراً ! وصلى يوسف لله ، وجاءه الجواب من فوق !

قال يوسف ، ان الحلمين هما في الحقيقة حلم واحد . فالبقرات السبع السمينة والسنابل السبع الممتلئة هي شيء واحد ، هي سبع سنين شبع تأتي على مصر . والبقرات السبع النحيفة والسنابل السبع الملفوحة هي شيء واحد . هي سبع سنين جدب . ستأتي على البلاد سبع سنين تمتلىء مصر فيها بالغلّات وتفيض بالخيرات . ثم تعقبها سبع سنين تأكل الأخضر واليابس وتملأ الأرض بالموت . وصمت يوسف قليلا ، وهو يلاحظ تأثير كلامه في وجه فرعون . فقد رأى القلق في عينيه وان كان قد أبقى على ثباته . وهنا قال يوسف واذا سمح لي مولاي فاني أرجو أن ينظر فرعون رجلا بصيراً وحكيماً ويجعله على أرض مصر ليجمع خمس غلة البلاد في سبع سني الشبع ويخزنها طعاماً في المدن وذخيرة لسبع سني الجوع ! !

كانت المشورة ظاهرة البساطة ولكنها كانت رأياً من السماء . كيف لم يخطر هذا على بال فرعون وبال حاشيته ؟ ! وابتسم الملك لأول مرة ، والتفت الى حاشيته وقال هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟ ثم التفت الى يوسف وقال بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك . أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبّل جميع شعبي . نعم ستكون رأساً لمصر لا يعلو عنك إلا فرعون ! !

وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف ، وألبسه ثياب بوص ، ووضع طوق ذهب في عنقه ، وأركبه في مركبته الثانية ونادوا أمامه اركعوا ! !

وهكذا بعد ثلاث عشرة سنة وصل يوسف أخيراً الى العرش في طريق مملوء بالاشواك ! وسنتركه الآن لنجتمع به مرات أخرى آتية !

٢٥

الخطية التى دفنت في كنعان

تستيقظ في مصر

«وقالوا بعضهم لبعض حقاً إننا مذنبون الى أخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة»
تكوين ٤٢ : ٢١

ملأ الحسد أولاد يعقوب !

وكان حسداً قوياً جارفاً لم يستطع كل ما في دمائهم من أصل طيب ان يقف في سبيله !

ولو كان الحسد كما يقولون ، لأحرق الحسد كل أرض كنعان ، فقد كان حسدهم ناراً من الجحيم !

حسد الاخوة أخاهم يوسف !

لم يطيقوا أن ينظروا اليه !

كان هو أصغرهم ، ومع ذلك فقد أعطاه أبوه مقام الصدارة وميّزه عليهم بالقميص الملوّن !

وثار ثائرهم !

كيف يكون ذلك ؟

فلئن قلنا أن رأوبين لا يستحق الصدارة لانه في ساعة طيش نجّس فراش

أبيـه ، فان شمعون ولاوي حقيقان بها . وان قلنا ان شمعون ولاوي قد تلوثت أيديهما بالدم ، فان يهوذا أولى بها !

لكن يعقوب لم يعبأ بجميع ابنائه !

وأعطى المقام الاول ليوسف الصغير !

ونظر الاخوة الى أخيهم بمقت !

كم هو كريه .. كم هو سمج !!

انه يتيه بجماله كما لو كان فتاة !

انه لا يزيد عن فتاة ، لا رجولة فيه !!

انه يتحدث بنعومة كالنساء !

والعجيب انه يحلم انه سيكون رئيساً وملكاً !!

وجعل الحسد يتملك تلك القلوب ، فاذا به ينقلب شجرة من أشجار جهنم، فيها كل ما في الجحيم من سموم !

وتحيّن الاخوة فرصة يستريحون فيه منه !

وكأن ابليس كان يستمع لهمس قلوبهم !

لانه عندما أبصروه من بعيد ، وهو منطلق ليسأل عن سلامتهم ، وشوش في آذانهم ان هلموا فاقتلوه وتخلصوا منه !!

وقبض الاخوة على أخيهم !

مزّقوا قميصه الملوّن !

وقيّدوه من يديه ومن رجليه !!

وقيل ان شمعون كان المتقدم في ذلك ، وانه لطمه لطمات قوية ، وركله بقدمه على بطنه وظهره ثم طرحه بعنف في البئر !!

ثم باعوه للاسماعيليين !

وهكذا اختفى يوسف عن أنظارهم !!

* * *

على ان رأوبين عاد الى البئر لينقذه ولم يكن في المكان ساعة ان باعوه، فلما لم يجده مزّق ثيابه، ورجع الى اخوته وقال : الولد ليس موجوداً وأنا الى أين أذهب ؟

وهنا استيقظت الخطية !

حركت في الخطاة عاطفة الخوف !!

ماذا يقولون لأبيهم ؟

وكيف يخفون جريمتهم ؟

هل يقولون انهم لم يبصروه ؟

هل يدّعون انه ضلّ في البرية ؟

هل يتّهمون اللصوص بالقبض عليه ؟

جلسوا يتدارسون الموضوع ، وهم يقلبون كل فكرة على مختلف وجوهها ، فرفضوا فكرة عدم ذهاب يوسف في طريقهم ، ورفضوا فكرة تيهانه في البرية ، ورفضوا فكرة قبض اللصوص عليه . . واستراحوا نوعاً الى فكرة فتك الوحوش به. لكن الفكرة كانت مفككة من بعض نواحيها ! أين فتك الذئب به ، وكيف علموا بذلك ، وهل ضاعت معالم الجثة ؟ ؟

ونبتت فكرة ماهرة في رأس أحدهم .

قيل انه رأوبين .

وقيل انه يهوذا .

ماذا ، لو انهم ذبحوا جـــدياً ، ولوّثوا قميص يوسف بدمه . وأخذوا ذلك القميص الى أبيهم ؟

ماذا لو فعلوا ذلك ؟

كانت الفكرة رائعة !

ان يعقوب لن يميّز بين دم الجدي ودم يوسف .

ولن يسأل أسئلة تفصيلية أخرى . لان الاخوة لا يعلمون شيئاً عن الموضوع.

لقد وجدوا القميص في البرية، وهم يظنون انه قميص أخيهم ولكنهم غير متأكدين!

كانت الفكرة قاسية!

كانوا يعلمون أن قلب أبيهم سينكسر!

ولكنهم لم يتأثروا لذلك!

سيبكي يعقوب ردحاً من الزمن ثم يتعزّى. وهكذا تموت خطيتهم وتدفن في كنعان! ونفذوا الخطّة!

وحملوا القميص الى أبيهم، وقالوا وجدنا هذا. حقّق أقميص ابنك هو ام لا؟

وقبض يعقوب بيدين مرتعشتين على القميص وتحققه، وصرخ كالطير الجريح، نعم هو قميص ابني. وحش رديء اكله. افترس يوسف افتراساً!!

ومزق يعقوب ثيابه، ووضع مسحاً على حقويه، وناح نوح ثاكل على وحيده!

ونحن نتألم ولا شك مع يعقوب. لكن ما هذا. اننا نلاحظ وجوه لاخوة شاحبة كوجوه الأموات. ان الخطية التي دفنوها ترفع رأسها وتطل عليهم بوجهها الكالح. عندما قال يعقوب، وحش رديء اكله أحس كل منهم انه يرسل الكلام اليهم. وعندما قال افترس يوسف افتراساً، خيل اليهم انه يتحداهم ـ وعندما ناح تأثروا و بدأت الخطية تقرصهم وتلسعهم. ما اردأ الخطية انها لا تموت!!

وقام جميع ابناء يعقوب وجميع بناته يحاولون أن يعزوه، ولكنه أبى أن يتعزى، وقال اني انزل الى ابني نائحاً الى الهاوية!

و بكى يعقوب و بكى!

وتقول التقاليد اليهودية انه ظل يبكي الى أن فقد عينيه تماماً!!

وسارت الأمور كما تسير عادة. نسي القوم يوسف وأحلام يوسف. ودفنت جريمة الاخوة. لقد ذهب يوسف ولن يعود. ان بينهم و بينه ألوف الاميال. فاطمأنوا الى أن فعلتهم لن تكشف. سيموت يعقوب واذ ذاك يضيع كل أثر لذلك الابن الذي أحبه!

ومضت على ذلك عشرون سنة!

وها نحن نرى أبناء يعقوب يشدون الرحال الى مصر ليشتروا قمحاً ، فقد سمعوا أن في مصر طعاماً . لم يسمعوا هم بالطبع أن فرعون رأى حلما ، ولم يعرفوا أن سجيناً في سجن رئيس الشرط فسرّ الحلم ، فاخبر عن سبع سني شبع ستتلوها سبع سني جوع . ولم يسمعوا أن الملك عين ذلك السجين كبير وزرائه ، ولم يسمعوا أن ذلك السجين جمع في وقت الشبع خمس غلة مصر . ولم يسمعوا اسم ذلك السجين بالطبع ، السجين الذي نعرفه نحن ونعرف قصته . كل ما سمعوه أن في مصر طعاما فهم يشدون الرحال الى مصر ليشتروا قمحاً ، لان الجوع كان شديداً في كل البلاد !

وابصرت مصر قافلة كبيرة من عبرانيين تسأل عن الرجل الموكل ببيع القمح . فأخذوهم اليه وكان الموكل هو صديقنا يوسف وان كانت مصر تعرفه باسم صفنات فعنيح ! ! دخل الرجال في حضرته ، فعرفهم أما هم فلم يعرفوه . وحالما دخلوا انبطحوا على وجوههم الى الارض أمامه ساجدين . وتذكر يوسف أحلامه . ها هي تتحقق حرفيا . وجاشت في صدر يوسف شتى العواطف وكان أولها الانتقام . ها قد وقعوا تحت سلطانه . انه يستطيع ان يسحقهم ويلاشيهم وهم يستحقون . غير أن عواطف أخرى اعتلت في صدره ، عاطفة المحبة



يوسف واخوته

والشفقة والصفح . برزت كل هذه العواطف معاً . وتداخلت الواحدة في الأخرى ، حتى اختلط على يوسف الأمر . . انه يرغب أن يقتلهم ولكنه في نفس الوقت يتوق ان يقبّلهم . يخطر بباله أن ينتقم ، وفي نفس الوقت يمر الصفح قويا في ذهنه . ونحن نرى في حديثه معهم ذلك المزيج العجيب من العواطف ، فقد وجّه اليهم الكلام بجفاء وقال لهم :

من أين جئتم ؟

فأجابوا بخضوع لقد جئنا يا سيدي من ارض كنعان لنشتري قمحا . . .

ونظر اليهم يوسف بصرامة وقال كلا . لا اصدق انكم تأتون من كنعان ثم قال بخشونة جواسيس أنتم !

فقالوا له لا يا سيدي بل عبيدك جاءوا ليشتروا طعاما . نحن جميعا بنو رجل واحد نحن امناء . ليس عبيدك جواسيس !

فقال لهم كلا بل لتروا عورة الارض جئتم !

وازداد اضطرابهم لكن اضطرابهم كان أزيد مما تسببه التهمة . انهم يستطيعون ان يبرروا انفسهم بقليل من المنطق ، فما بالهم يضطربون أزيد من اللازم ، ويدخلون في تفاصيل لم يطلبها يوسف منهم ؟ ما بالهم يتحدثون عن دقائق العائلة ، « عبيدك اثنا عشر اخاً . نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان . وهوذا الصغير عند أبينا اليوم والواحد مفقود » . السنا نرى الخطية تتحرك ؟ اثنا عشر اخا . . . الصغير عند ابينا اليوم والواحد مفقود ؟ ! مع انهم كان يجب ان يقولوا افترسه ذئب . لماذا يخشون ان يقولوا انه مات ؟ انهم لا يعلمون انهم يتحدثون مع يوسف . انهم يتحدثون مع رجل غريب ، ومع ذلك فانهم لا يجسرون ان يعيدوا الكذبة . انهم منزعجون ! !

ولم يجدِ هم دفاعهم بل يبدو انه عقّد المشكلة اكثر ، فهوذا يوسف يقول لهم ، ذلك ما كلمتكم به قائلا انكم جواسيس أنتم . بهذا تمتحنون وحياة فرعون لا

تخرجون من هنا إلا بمجيء اخيكم الصغير الى هنا . ارسلوا منكم واحداً ليجيء باخيكم وانتم تحبسون . فيمتحن كلامكم هل عندكم صدق وإلا فوحياة فرعون انكم لجواسيس !

ثم أمر فحبسوا ثلاثة أيام ! !

لا تذكر القصة شيئاً عن حالتهم في الايام الثلاثة، لكن هل نحتاج الى أن نقرأ أو نسمع شيئا عن ذلك ؟ لا بد أنهم ذكروا شرهم مع اخيهم وان حاولوا ان يخفوا ذلك . لقد كان كل واحد يحاول أن يخفي الامر عن الآخر ، بل ربما حاول كل واحد أن يموّه على نفسه . ها هم يحصدون أجرة الخطية بعد عشرين سنة ! !

وفي اليوم الثالث ، جاءهم يوسف وقد لان وجهه قليلا ، وقال افعلوا هذا واحيوا . أنا خائف الله . ان كنتم أمناء فليحبس أخ واحد منكم في بيت حبسكم ، وانطلقوا انتم وخذوا قمحا لمجاعة بيوتكم . وأحضروا أخاكم الصغير إليّ فيتحقق كلامكم !

ووافقوا على ذلك . لم يكن امامهم اختيار . وكان الاخ المحبوس شمعون . وعندما تركوا أخاهم في بيت الحبس ، احسوا بضيقة عظيمة تثقل على قلوبهم ، وقال بعضهم لبعض حقا اننا مذنبون إلى اخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة . وقال رأوبين الم اكلمكم قائلا لا تأثموا بالولد وانتم لم تسمعوا . فهوذا دمه يُطلب !

ثم أمر يوسف ان تملأ اوعيتهم قمحاً وترد فضة كل واحد إلى عدله سراً ، وان يعطوا زاداً للطريق . ففعل لهم هكذا . فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك فلما فتح أحدهم عدله ليعطي عليقاً لحماره رأى فضته واذا هي في فم عـــدله . فقال لاخوته ردت فضتي وهاهي في عدلي فطارت قلوبهم وارتعدوا بعضهم في بعض قائلين ما هذا الذي صنعه الله بنا ؟

ونحن قد نندهش عندما نلاحظ جزعهم . ان وجود الفضة في فم اعدالهم لا يجوز ان يسبب لهم كل ذلك الجزع . على ان الذي اطار قلوبهم شعاعاً لم يكن

الفضة ، بل الخطية الكامنة التى ظنوا انهم دفنوها ونسوا امرها . وهاهي تذكرهم انها لم تمت .. ان الخطية والخوف توأمان !

ووصلوا الى كنعان وحدثوا أباهم عما لاقوه من قسوة وعنت سيد الأرض ، وكيف تحدث معهم بجفـــاء وحبسهم ثلاثة أيام . ثم وافق على اطلاقهم وحبس شمعون واشترط ان يعودوا ومعهم أخوهم الصغير .

وكان جزع يعقوب عظيماً !

أعدمتموني الأولاد !

يوسف مفقود !

وشمعون مفقود !

وبنيامين تأخذونه !

صار كل هذا عليّ !

وكان تأثر يعقوب بالغاً . وعلم الأخوة ان لا فائدة من مناقشته في أمر ذهاب بنيامين معهم . على ان رأوبين تقدم من أبيه قائلاً اقتل ابني ان لم اجىء به اليك سلمه بيدي وأنا أرده اليك . ونظر يعقوب إلى رأوبين حزيناً . ان رأوبين الآن شيخ ولـكنه يتحدث كطفل أحمق . انه يكذب أو على الأقل يخدع نفسه . بل هبه يعني ما يقول فهل يرد ، قتل ابنه ، ابني . بل هل استطيع ان اقتل حفيدي . كلا . لا ينزل ابني معكم لان أخاه قد مات ، وهو وحده باق . فان أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية !

وفرغ القمح أو كاد !

وأحس بيت يعقوب بالحاجة إلى الطعـام !

وقال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر وابتاعوا لنا طعاماً . ولكنهم أعلنوه انهم لا يستطيعون ان يذهبوا بدون أخيهم — ويعقوب يندهش من اخبارهم باسرارهم وذكرهم لدقائق تلك الأسرار . وهم يحاولون أن يبرروا انفسهم ويضعوا اللوم على

سيد مصر . وفي الحق ان اجاباتهم كان سببها جزعهم الناشىء من خطيتهم لا من أسئلة يوسف !

وتحدث يهوذا إلى أبيه !

ارسل الغلام معي لنقوم ونذهب ونحيا ولا نموت نحن وأنت واولادنا جميعاً . أنا اضمنه ، من يدي تطلبه . ان لم اجىء به اليك واوقفه قدامك أصر مذنباً اليك كل الايام !

ولم يجد يعقوب بداً من الاذعان . فقال ان كان هكذا فافعلوا هذا . خذوا من افخر جنى الارض في اوعيتكم وانزلوا للرجل هدية قليلا من البلسان وقليلا من العسل وكثيراء ولاذنا وفستقاً ولوزاً . وخذوا فضة اخرى في اياديكم والفضة المردودة في أفواه عدالكم ردوها في اياديكم . لعله كان سهواً

ثم تنهد بألم وقال وخذوا أخاكم !

وقوموا ارجعوا الى الرجل !

والله القدير يعطيكم رحمة امام الرجل حتى يطلق لكم الآخر و بنيامين !

ولم يستطع هنا ان يداري جزعه ففاضت مدامعه وقال ، وأنا اذا عدمت الأولاد عدمتهم !

كانت كل كلمة من كلمات ابيهم سهما مبرياً يخترق قلوبهم . انهم هم سبب كل هذا . ان خطيتهم التي ارتكبوها منذ عشرين سنة تتطلب أجرتها . وكلما ظنوا انهم فرغوا منها اذا بها تعود مرة اخرى ! ما اردأ الخطية . انها خاطئة جداً !

وعاد الأخوة الى مصر !

وادخلوهم الى بيت يوسف !

وهنا ثار خوفهم

لماذا يأخذوننا الى بيت الرجل ؟

لم يخطر ببالهم انهم مدعوون لوليمة ، بل ظنوا ان ذلك بسبب الفضة المردودة

ليهجم علينا ويقع بنا ويأخذنا عبيداً وحميرنا . ولماذا يخطر ذلك ببالهم ؟ وهل يوسف في حاجة إلى عبيد وحمير ؟ ألم يروا بأعينهم ان الرجل سيد كل أرض مصر ؟ انها الخطية التي تشيع الخوف حيث لا خوف !

وتقدموا الى الرجل الموكّل على بيت يوسف ، استمع ياسيدي اننا قد نزلنا أولاً لنشتري طعاماً ، وكان لما أتينا الى المنزل اننا فتحنا عدالنا واذا فضة كل واحد في فم عدله . فضتنا بوزنها . فقد رددناها في أيادينا . وانزلنا فضة اخرى في أيادينا لنشتري طعاماً . لا نعلم من وضع فضتنا في عدالنا !

وطمأنهم الرجل بل كلمهم كلاماً غريباً ، قال لهم سلام لكم . لا تخافوا . الهكم وإله أبيكم اعطاكم كنزاً في عدالكم . فضتكم وصلت اليّ !

ثم اراد ان يزيد اطمئنانهم فاحضر لهم شمعون

واعطاهم ماء ليغسلوا ارجلهم !

واعطى علفاً لحميرهم !

واخبرهم انهم سيتناولون الطعام على مائدة السيد . ان اسمه صفنات فعنيح !

فهل اطمأنوا تماماً ؟

بل لا يزال القلق يساورهم . ان كل شيء يؤكد لهم انهم في أمان ، ولكنهم غير مطمئنين . مرة اخرى تنفث الخطية سمومها ، سموم القلق والخوف . هاهم يجهزون الهدية . وهاهم يسجدون امام يوسف باضطراب . وهو اذ يرى بنيامين يسأل عنه وعن أبيه ويتركهم ليبكي من تأثره !

وتسير الأمور معهم على عكس ما ظنوا !

ان الامير يكرمهم اكراماً عظيما !

ثم يرسلهم بعدال مملوءة !

وهم يسيرون بابتهاج . لقد عادوا كلهم إلى أبيهم الشيخ !

لكن ما هذا ؟

ان عبد يوسف يقود فرقة من الشرطة وهو يأمرهم بالوقوف !

وهنا بلغ اضطرابهم أقصى حد !

— ماذا ياسيدي ؟

— لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير ، لقد سرقتم كأس سيدي وهو يتفاءل به . اسأتم في ما صنعتم !

— نحن ياسيدي . نحن نسرق الكأس ؟

أنت تعلم اننا رددنا الفضة التي وجدناها في أفواه عدالنا . حاشا لعبيدك ان يفعلوا مثل هذا الامر. نحن ؟ نحن نسرق من بيت سيدك فضة أو ذهباً . اسمع. ان الذي يوجد الكأس معه من عبيدك يموت،ونحن ايضاً نكون عبيداً لسيدي..وقال الرجل : كلا ان الذي يوجد معه الكأس يكون لي عبداً وأما أنتم فتكونون أبرياء !

وأنزل القوم عدالهم وجعل العبد يبحث من الكبير حتى وصل الى بنيامين . وقد وجدت فضة كل واحد في فم عدله، ولكن الرجل لم يهتم بذلك. فلما جاء الى عدل بنيامين وجد الكأس . ونحن نعلم ان الامر كان مرتباً بأمر يوسف !!

وكانت صدمة هائلة للاخوة !

مزّقوا ثيابهم وعادوا الى مصر !

وأمام يوسف وقعوا على الارض .

وقال يهوذا ماذا نقول لسيدي . ماذا نتكلم و بماذا نتبرر . الله قد وجد اثم عبيدك. ها نحن عبيد لسيدي نحن والذي وجد الكأس في يده جميعاً . كان يهوذا يعترف بذنب قديم . انه يعلم يقيناً ان بنيامين لم يسرق الكأس ، و يعلم انهم لم يأثموا في حق صفنات فعنيح ، ولكنه يعترف بأثم أتوه في حق يوسف « الله قد وجد اثم عبيدك » !

وتقدم يهوذا من يوسف يدافع عن بنيامين ، أو على الأصح يدافع عن أبيه يعقوب ، ويختم حديثه بالقول : فالآن متى جئت الى عبدك أبي والغلام ليس معنا

ونفسه مرتبطة بنفسه . يكون متى رأى ان الغلام مفقود انه يموت فينزل عبيدك شيبة عبدك ابينا بحزن الى الهاوية لان عبدك ضمن الغلام لأبي قائلاً ان لم اجيء به اليك أصر مذنباً الى أبي كل الأيام . فالآن ليمكث عبدك عوضاً عن الغلام عبداً لسيدي و يصعد الغلام مع اخوته . لاني كيف أصعد الى أبي والغلام ليس معي ؟

يا له من دفاع ! !

ولكننا نحس ان قوة ذلك الدفاع مستمدة لا من الضمان وحده بل من التوبة. ألسنا نراه يفتدي أخاه بنفسه ؟

منذ عشرين سنة باع يهوذا أخاه بعشرين ديناراً ! !

وهو اليوم يريد أن يكفر عن خطيته !

فيشتري أخاه !

نعم يشتريه بنفسه !

وهنا يحدث أمر من تلكم الأمور التي تعتبر فاصلة في التاريخ . يصرخ صفنات فعنيح، أخرجوا كل انسان عنّي. فخرج الجميع ما عدا اخوته. وقال بالبكاء والنشيج :

أنا يوسف ! ! !

ولو أن القصة كانت تختلف قليلا عما حدثت ، لانطلق الأخوة نحو أخيهم المفقود يقبلونه !

ان أخاهم المفقود موجود !

وهو سيد أرض مصر !

ولكنهم يصمتون صمت القبور و يتجلّى ارتياعهم مخيفاً . و يرى يوسف و يعلم وهو يعالج الآن الخطية علاجها الصحيح . ان الخطية لا تدفن بالنسيان او بالخديعة . انها تدفن بالصفح والغفران . قال يوسف لاخوته : تقدموا إليّ . أنا يوسف أخوكم

الذي بعتموه إلى مصر . . . ! ! يا لها من كلمات تكشف الخطية فتظهرها في شر صورها. أخوكم . . بعتموه!! لكن يوسف لا يحقد على اخوته . انه يصفح . ان الامر تم بتدبير الله لحفظ حياتهم وحياة العالم . ان الله هو الذي أرسله إلى مصر وهو قد جعله رأساً لفرعون وسيداً لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر . وهو يطلب منهم أن يذهبوا الى كنعان و يرجعوا بأبيهم و بيت أبيهم لكي يعولهم في مصر لان الجوع سيستمر أيضا خمس سنوات أخرى !

ويحس الأخوة بقبلات الصفح . ولكن تلك القبلات أيضاً كانت تشوي قلوبهم . ما أردأ الخطية حتى بعد الصفح !

اطمأن الأخوة !

عولجت الخطية علاجها الصحيح !

فهل ذهبت كل آثارها ؟

بل بقيت تلك الآثار . . . وستبقى !

ونحن نرى تلك الاثار ظاهرة في قلقهم وهم يتحدثون مع ابيهم عن يوسف الحيّ !

ومع أن يعقوب لا يتكلم عن يوسف المفقود ، وكيف فقد بدا انه عرف ولو انه آثر أن يسكت ! إلى أن اعترف الابناء له يوماً . و بعد أن سافروا الى مصر وعاشوا مدة في كنف يوسف ، مات يعقوب . وهنا أيضا استيقظ خوفهم ، ونحن نراهم بعد دفن أبيهم ينبطحون على الارض أمام يوسف، وهم يقولون آه ، اصفح عن ذنب اخوتك وخطيتهم فانهم صنعوا بك شراً . فالآن اصفح عن ذنب عبيد إله أبيك ! !

هل هناك شيء أقوى من الخطية ؟

نعم . الغفران ! !

٢٦
المنقـذ

« فسمع الله انينهم . فتـذكر الله ميثاقه مع
ابرهيم واسحق ويعقوب . ونظر الله بني
اسرائيل وعلم الله » خروج ٢ : ٢٤و٢٥

مات الامير صفنات فعنيح الذي عرفت مصر فضله !
مات هو، ومات فرعون الذي كان يعرفه، ومات كل الجيل الذي ذكر جميله!
وقام فرعون آخر !

ونظر فرعون ، واذا شعب كبير وغريب يقيم على مقربة من الحدود !
كانت علاقة ذلك الشعب بأسرة الملوك السابقين الذين طردهم الملك الجديد ، وليس من الفطنة عدم دراسة الموقف دراسة دقيقة. ان ذلك الشعب لا يخيف مصر، لان قوات مصر العسكرية قمينة بسحق كل حركة عصيان يمكن ان يقوم به ذلك الشعب. هذا فضلاً عن انهم جماعة مسالمون يعيشون مع أغنامهم في أراضي المراعي!

ولكن من أدرانا ان اولئك المسالمين يمكن أن يكونوا طابوراً خامساً لعدو مهاجم من الخارج ؟ من أدرانا انهم لا يكونون الإسفين الذي يساعد على فتح ثغرة قاتلة ؟

اذن يجب ان نفكر جدياً في كيف نتقي شر أولئك القوم !

ولو أن فرعون كان حكيماً ، لفكر في ان يكتسبهم بالمودة والاحسان فيأمن كل شر يمكن أن يأتي من ناحيتهم. لكن فرعون ـ وشأنه في ذلك شأن كل ملك طاغية ـ ظن انه يمكنه ان يأمن جانبهم اذا أذلّهم وأضعفهم. وكان يظن أن إذلالهم سيقلل عددهم ، وسيقل ذلك العدد شيئاً فشيئاً الى ان يتلاشوا !

وجعل الملك يفكر ويفكر الى ان هداه تفكيره الى تشغيلهم في ضرب الطوب وتجفيفه وبناء مدن المخازن . واشتغل بنو اسرائيل في ذلك العمل ، وكان شغلاً شاقاً جداً لقوم كان كل عملهم ان يجلسوا على العشب يراقبون أغنامهم !

وقد بنوا لفرعون مدينتي مخازن للأساحة ، فيثوم ورعمسيس . ولكن بحسبما أذلّوهم هكذا نموا وامتدوا ! !

وشدد المصريون معاملتهم لبني اسرائيل ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل ، واستعبدوهم بعنف ، ولكنهم برغم ذلك ظلوا يتزايدون !

وكلم فرعون قابلتي العبرانيات ان تراقبا المولودين ساعة الميلاد وطلب منهما ان تقتلا المولود إن كان ذكراً ، وان تبقيا عليه إن كان أنثى . وانتظر مدة وعلم ان القابلتين لم تنفذا أمره فاستدعاهما للمحاكمة ، وهما اخبرتاه انهما لم تستطيعا تنفيذ أمر الملك لأن النساء العبرانيات قويات يلدن قبل ان تأتيهن القابلة . وكان في كلامهما بعض الصدق كما كان فيه محاولة لانقاذ الاطفال !



الطفل موسى

فلما رأى فرعون ان لا فائدة من القابلتين أصدر أمره ان كل ابن يولد للعبرانيين ينبغي ان يطرح في النهر . وكان في أمره هذا يبغي أمرين ، الاول قتل الاطفال والثاني إكرام النهر والتعبّد له !

وطرح أطفال كثيرون في

النهر ، وتمزقت قلوب أمهات ورجال . كم توسل الرجال وكم استرحمت النساء ، ولكن قلوب القوم كانت وكأنها قدّت من الصخر !

كانت أياماً سوداء !

الرجال يعملون من الصباح الباكر الى المساء المتأخر تحت أشعة الشمس اللاذعة وسياط المسخرين !

والنساء يعملن في البيوت عمـل الرجال والنساء معاً . . والاطفال يصرخون في النهر !

كان جرح كبير دام يمزق صدر ذلك الشعب المسكين . وقد احتملوه بصبر ، احتملوه مدة طويلة الى ان فرغ معين ذلك الصبر ، فتنهدوا من العبودية وصرخوا. فصعد صراخهم الى الله من أجل العبودية وسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع ابرهيم واسحق ويعقوب . ونظر الله بني اسرائيل وعلم الله .

نعم سمع ، ونظر ، وعلم ، وهو يدبر لهم خلاصهم ويعدّ لهم منقذهم !!

٢٧
المنقـذ

« فظن ان اخوته يفهمون ان الله على يده يعطيهم نجاة . واما هم فلم يفهموا »
أعمال ٧ : ٢٥

من قبل أن يخرج انين بني إسرائيل من صدورهم ويصل إلى أفواههم ، سمع الله ذلك الأنين ، وتذكر ميثاقه ، وها هو يعدّ لهم المنقذ !

ومن اللاذّ أن نلاحظ فكر الله في المنقذ !

انه يرتب أن ينقذ الناس بواسطة انسان من الناس ! !

ثم هو يعدّ ذلك المنقذ إعداداً كافياً . فلا يرسل منقذاً غير كفء.

وهو يرسم خططه وتفصيلاتها رسماً دقيقاً ، لا يترك جانباً، مهما بدا تافهاً، بدون إعداد كامل !

وها نحن نرى ذلك المنقذ منذ يوم ولد ، بل في الحق من قبل أن يولد . ها نحن نرى أباه يتزوج من امه ، وها نحن نرى المنقذ يولد طفلا جميلا ، يعز على امه أن تسلمه للموت ، فتخبئه مجازفة بحياتها . لقد كانت عاطفتها كأم ، وجماله كطفل ، من عوامل انقاذ ذلك الطفل !

وخبأت الأم طفلها ثلاثة أشهر . كان قلم المخابرات المصري يجوس خلال الديار ليكتشف العبرانيين الذين عصوا امر الملك . كم من ليلة قامت الأم مفزوعة مضطربة ، لأن رجال العسس طرقوا الباب المجاور ! وكم من نهار سقط قلبها ، لانها أبصرت رجال الشرطة يمرون أمام بابها !

لمدة ثلاثة شهور لم تنم ساعة كاملة بل كان نومها نوماً متعباً ، تقطعه المخاوف ، وتؤرقه الأحلام . وهي ترى ولدها يسحب من حضنها بقسوة ، ويطرح بعنف في النهر ، فتقوم مفزوعة ، وهي تضم ابنها الى صدرها !

ولم تستطع أن تحتمل اكثر !

بل كانت مستعدة أن تحتمل ، ولكنها لم تستطع ان تخبئه اكثر . لقد ارتفع صوته ولم يعد في الامكان مداراة الأمر !

وزوجها لا بد انه كان يظهر خوفه . وقبلت أخيراً أن تضعه في سفط من البردي بين الحلفاء على النهر عسى ان يمر به قلب رقيق من المصريين فيرحمه . ووقفت اخته تراقبه من بعيد . وجثت الأم تصلي بدموع لله حتى يرحمها و يرحمه !

ومرت الأميرة الجليلة ابنة فرعون ، وابصرت السفط ، وأمرت الجارية باحضاره وفتحه ، ورأت طفلا جميلا يبكي، فرقّ قلبها وحنّت احشاؤها ، وقررت ان تبقيه على قيد الحياة !

وجاءت اخته وعرضت أن تحضر لها مرضعة من العبرانيات . . وهكذا عاد موسى الى امه . ونحن لا نعلم كم مكث معها . ربما مكث سنتين وربما مكث اقل . ولكننا نعلم انها استطاعت أن ترضعه مع اللبن الايمان بالله . ونظن ، ويرتفع ظننا إلى مرتبة اليقين ، أن ابنة فرعون سمحت لأمه بالمجيء بين حين وآخر لترى الطفل الذي ارضعته ولتلقنه اصول دينه !

وهكذا نال موسى تربية روحية في مدرسة البيت . ونحن نذكر بالشكر لله امه الحقيقية وامه بالتبني . في هذه المدرسة عرف موسى انه عبراني ، وان إلهه هو يهوه . . ولم يخجل من ذلك !

وإذ كان الله يريد أن يعد موسى لخدمة دهرية ، أعده لهذه الخدمة أيضاً بالمعرفة . فقد تهذب في كل حكمة المصريين . وكانوا وقت ذاك يدرسون شيئاً كثيراً من التشريع والمنطق والفلك والشعر والطب والفلسفة ، فضلا عن كثير من العلوم التي انتقلت اليهم من بلاد اليونان . وفوق الكل درس شيئاً من فنون الحرب وفنون القيادة ، وتبحر في الدين المصري — وقد اخذت دراسته اربعين سنة من حياته !

ولعل بعضنا يظن أن الوقت الذي انفقه في دراسات هاتيك العلوم وقت ضائع ، اذ ماذا يفيد من الحرب او التشريع او الفلسفة وهو لن يكون ازيد من كاهن ولكننا نعرف حكمة الله في ترتيبه ، وها نحن نرى بركة تلك المعرفة ، ونحن نرى المسئولية الجسيمة توضع عليه — فقد صار موسى قائداً للشعب في السلم وفي الحرب ، وصار مشرعاً يضع قوانين اصبحت قوانين التاريخ . وقد احتاج موسى إلى كل كلمة تلقاها في مدرسة القصر ، بحيث لو لم يتلقّ كل ما تلقاه من علم في مصر لكانت رسالته فشلا ، ولضاع هو وضاع معه شعب باسره ، بل ضاع عالم باسره ، لما للشعب اليهودي من اثر وارتباط بتاريخ كل المدنيات في العالم !

اذن كان ترتيب العناية ترتيب اله يرى ما لا يراه الناس . لقد بكت أم موسى

يوم ولد ابنها ، وتحسرت لانها تعيش في زمن يؤخذ فيه الابناء من أحضان أمهاتهم وعندما اودعته بين أشجار البردي ، ظنت ان الله إله قاس لا يرحم قلب الأم الممزق ، وعندما اخذت ابنة فرعون ابنها منها ليعيش في القصر ، بكت ما شاء لها البكاء ، وهي تسأل ربها ، لماذا اذن سمح بان تحمل موسى تسعة شهور في بطنها ، ثم تتعذب في ولادته اذا كانت التي ستأخذه إمرأة غريبة . لماذا لم تلده تلك المرأة الغريبة ؟

ولـكننا نحن بعد ذلك العدد من السنين ندرك محبة الله الأزلية ، ونرى ان تدبير عناية الله هو الحكمة بعينها ، وان الخير كل الخير في ما أجراه هو ، لا في ما كنا نطلب ان يكون !

فهل انهى دور المدرسة يوم أخذ موسى درجته العلمية من كلية القصر ؟ لقد ظن موسى انه قد أنهى دراسته . لقد نال ما يدعوه الناس اليـــوم درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه . ولو انه كان في أيامنا لنادوه يا دكتور موسى أو يا دكتور ميسو باللغة المصرية !

وظن هو وظن غيره انه قد فرغ من دراسته !

غير انه لم يكن قد فرغ بعد !

كان لا يزال يحتاج الى دراسة اخرى !

لقد درس في مدرسة البيت وفي مدرسة القصر مدة اربعين سنة . وكان عليه ان يدرس في مدرسة البرية اربعين سنة اخرى . غير انه لم يذهب الى المدرسة الاخيرة طائعاً بل ذهب مضطراً !

بعد ان اكتملت لموسى اربعين سنة خرج ليفتقد اخوته !!! مالك أنت ايها الامير المصري وما لليهود المسخرين ؟ ياساكن القصر لماذا تجوس خلال الاكواخ تتعرف الى البؤساء والتعساء ؟ يا ابن ابنة فرعون لماذا تهتم بابناء المذلة الذين حكم عليهم بالعبودية القاسية ؟ والامير المصري يقول ، انني لست مصرياً . انني اقيم في مصر ولـكن مصر ليست في دمي . انني احمل اسماً مصرياً هو ميسو ولـكنه يتحول

بسهولة الى اسم عبراني هو موسى ! اني اقيم في القصر بحسب الظاهر والحقيقة ان جسمي هو الذي يقـــيم في القصر ، أما قلبي فيعيش مع اخوتي ، اخوتي المسخرين المستعبدين المضروبين المذلين .. نعم قلبي يقيم مع اخوتي !

وأبصر في طريقه اخوته يحملون الأثقال وينوءون تحتها ، وهم يرسلون انفاسهم زفيراً ملتهباً . ابصرهم وهم يسيرون تحت أشعة الشمس اللاذعة تلهب ظهورهم بنارها وترافقها لسعات سياط المستبدين . أبصرهم وهم يبنون مدن المخـازن من الصباح الباكر الى المساء المتأخر ، وهم لا يتبلغون بسوى كسرة صغيرة بلا ادام . أبصر شبابهم وقد انحنوا حتى صـاروا شيوخاً . لم يجد دم الشباب ولا فتوة الشباب ، بل رأى هياكل بشرية تتحرك كالآلات لان المسخرين يحركون تلك الهياكل بسياطهم وعصيهم !

أبصر كل ذلك فغلا الدم في عروقه ، وثارت نفسه فيه ، ووثب قلبه من مكانه حتى سمع دقاته مضطربة ، وقلبه يكاد ينخلع من مكانه ، واقسم في سره ليضربن مصر ضربة لا قيام بعدها . وابصر وهو في ابان اضطرابه مصرياً يضرب عبرانياً ، فلم يعد يستطيع أن يحتمل اكثر . كان العبراني جاثماً تحت حمل ثقيل وقد انـكفأ على وجهه والدم يسيل منه ، ومع ذلك فان المصري كان ينهال عليه بالسوط بضربه في كل مكان في جسمه ، لا يهتم أأصاب سوطه عين الرجل أو أنفه أو فمه . ومن دون أن يفـكر التفت موسى حوله فلم يجد أحداً من المصريين ، فانثنى على المصري وقبض على عنقه بيدين حديديتين ، ولم يتركه إلا جثة هـامدة ! وهرب العبراني قبل ان يرى النتيجة ولكنه خجل من نفسه فوقف عن بعد وهو يرى موسى يدفن الرجل في الرمل . ومضى يحدث أخوته عن الامير موسى الذي قتل المصري !

كان موسى يظن ان هذه هي الطريقة المثلى لمعالجة مشكلة العبرانيين في مصر . لقد أذلتهم العبودية فأضاعوا قوتهم المعنوية ولم يعودوا يفكرون في الثورة أو التمرد .

سيحتملون ما قدر عليهم الى ان يموتوا . لم يوجد بينهم رجل واحد يستطيع ان يرفع رأسهم و يقول لهم ، هلم ورائي . لكن ها هو موسى يأتي اليهم و يفتقد شئونهم و يتجاسر فيقتل المصري . انهم ولا شك سيفهمون وسيؤلفون في السر وحدات منظمة وسيتصلون بموسى لدراسة الموقف وسينجحون في تأليف جيش يقف أمام جيش مصر . هذا ما قدره موسى. ظن أن اخوته يفهمون، ولكنهم لم يفهموا. لم يطل الأمد به حتى أدرك حقيقة ذلك الفشل ، وحتى أدرك ان خطته خطة فطير ينقصها النضوج . ان دراسته ناقصة. لقد درس في الكتب ولكنه لم يدرس الناس. خططه كانت على الورق، بينما ينبغي ان تكون على الطبيعة ! قيادته كانت قيادة القوة بينما ينبغي ان تكون قيادة المحبة !

فقد حدث انه مرّ في اليوم التالي بين اخوته فرأى « مضروب » الامس أو زميلاً لمضروب الامس مشتبكاً مع أخ له في عراك. يا للعجب . لقد كنا نظن أن المظلوم يتعفف عن الظلم، ولكن الامر على النقيض. وتقدم منهما موسى وقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك ؟ هل كانت ريح السلطة تبدو في كلامه ؟ ربما . لان المذنب أجابه بعنف، من جعلك رئيساً وقاضياً علينا. أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري؟؟

آه من أولئك الحمقى . . انزل عن مكاني لأعمل على نجاتهم ، وهم يرفضون ، أولئك الأولاد! ثم هم بغباوتهم يحملون الخبر الى كل مكان. كان كل انسان يتحدث جهاراً بقتل المصري بالأمس . وسمع فرعون بالأمر ولم يبق مكان لموسى في مصر ، لان فرعون يطلب قتله. فهرب موسى من وجه فرعون وذهب الى أرض مديان! وفي أرض مديان في كلية البرية أتمّ دراسته ومن اللائق ان نسمع قصة مديان هذه مستقلة فلنستودع موسى الى اللقاء القريب إن شاء الله !

٢٨

كلية البرية

« واما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه
كاهن مديان فساق الغنم الى وراء البرية »
خروج ٣ : ١

وقد خرّجت « كلية البرية » كثيرين ممن نعرفهم !

انها كلية ذات اسم !

ألم يتخرّج منها اسماعيل الانسان الوحشي فانه عند ما كبر سكن في البرية وكان بنمو رامي قوس !

وفي البرية تلقى يعقوب الدرس الذي ظل معه الى منتهى الحياة — درس بيت إيل !

وفي البرية تخرّج داود ، وقد جمع منها حكمة الأولين والآخرين !

ويوحنا المعمدان كان رجل البرية ، تلقى كل دراسته فيها !

وشـاول الطرسوسي اكتشف ان كل دراساته السابقة لا تغنيه عن كلية التخصص في البرية !

كلية البرية إذن ليست غريبة علينا ونحن نقص عليك قصة التحاق موسى بها ودراساته فيها وتخرُّجه منها !

قلنا ان موسى هرب من فرعون وذهب الى مديان . وكان المديانيون شعباً كبيراً يمتد من حدود مصر الى فلسطين ، ثم يتجه شرقاً الى نهر الفرات. ولم يكونوا أمة واحدة بل كانوا عشائر عشائر . وهرب موسى الى إحدى تلك العشائر بجانب

خليج العقبة . ووصل موسى متعباً مكدوداً الى البئر خارج المخيم وعند البئر تقرر مصيره !

جلس موسى يراقب الرعاة يسقون أغنامهم ، وأبصر سبع بنات ـ علم فيما بعد انهن لكاهن مديان ورئيسها ـ يرعين أغنام أبيهن . كانت بنات الامراء لا يتعففن عن خدمة الرعاية . وقد رأينا قبل رفقة وراحيل ترعيان الغنم !

اذن لم يكن منظر بنات كاهن مديان يرعين غنم أبيهن غريباً على موسى . وقد رآهن يستقين و يملأن الأجران ماء. ولم يتحرك موسى من مكانه لمساعدتهن، لانه كان على الأغلب في شدة التعب. على أن شيئاً حدث حرّكه من مكانه. فقد أقبل بعض رعاة الغنم من الرجال وطردوا البنات الى ان يسقوا هم أغنامهم . فثارت نخوة موسى فيه وقام من مكانه وألقى كلماته عالية مدوية : الى الوراء أيها الجبناء، وحرّك عصاته في وجوههم ! وقد أدت كلمة السلطان التي ألقاها مع حركة العصا فعلها الساحر، فركض الرعاة ، وتقدم هو وهدأ من روع البنات وسقى أغنامهن وأطلقهن !

لم يكن موسى يظن أن ذلك الحادث الصغير سيكون نقطة تحول في تاريخه . لكن هكذا كان فقد عادت البنات إلى أبيهن مبكرات على خلاف العادة ، واخبرنه بقصة المصري الكريم ، فارسلهن او على الأرجح ارسل إحداهن لدعوته ليأكل طعاماً ـ وجاء موسى ضيفاً وعلم الكاهن بقصته فدعاه الى الاقامة عنده ، وارتضى موسى ان يسكن مع الرجل . وتزوج من صفورة ابنته التي قيل انها الفتاة التى دعته إلى البيت ، والتي وقعت في قلبه أجمل موقع ، وكانت أول حبه . وظهر كأن موسى انتهى به المطاف الى أن يكون راعياً في البرية !

القانون المدني والتشريع الديني والفلك والمنطق والتشريح والكيمياء والشعر و بقية العلوم انتهى أمرها ، وها هو موسى يدفنها في برية مديان . ودرجة الدكتوراه و بقية الدرجات أصبحت بلا قيمة ! ! !

ترى هل خطر ببال موسى أن حياته قد انتهت الى فشل ، وان الرسالة التي ظن ان السماء دعته اليها قد تلاشت الى الابد . . لا نظن ! فقد ظل موسى منشغلا بمصر وهو يترقب حوادثها ، ويتابع ما يتم فيها من احداث ، وان كان هو لا يعلم كيف تتيح له الأيام ان يشترك في حوادث تاريخها !

على ان موسى تعلم في البرية أشياء كثيرة .

عندما تخرج من كلية القصر رأى نفسه شيئاً كبيراً وعظيما ، ولكنه في البرية أبصر نفسه على حقيقتها . رأى نفسه شيئاً ضئيلا بالنسبة للبرية الممتدة . ان وقفة على رمال الصحراء تملأ النفس بالخشوع . وفي البرية تعلم موسى انه لا شيء وان ما تلقاه من علوم ومعارف ، وما أحاط به من مظاهر يختفي كما لو كان سحابا متقطعاً !

وفي البرية تعلم الهدوء . ذلك الاندفاع الذي اتسمت به حياته في مصر ، والذي كان سبب فشل رسالته ، تلاشى في برية مديان وحل محله هدوء ولد حلماً كان يلزم ان يوجد فيه قبل ان يقود ذلك الشعب المتمرد العاصي !

وفي البرية تعلم كيف يقود . كان عليه ان يقود شعباً فأعطى ان يقود قطيعاً من الغنم . كانت البرية « المعمل » الذي اجريت فيه التجارب المصغرة لما سيتولاه فيما بعد . « في البرية » استطاع ان ينظر بغير عين ويتكلم بغير لسان ويسمع بغير اذن ـ ما اكثر ما اخذ موسى من البرية ! ! !

ان كل من يتولى قيادة يحتاج الى أن يذهب الى البريه ويتعلم !

وقد ذهب موسى وتعلّم ! !

٢٩
الدعوة

« والآن هوذا صراخ بني اسرائيل قد اتى اليَّ ورأيت ايضاً الضيقة التي يضايقهم بها المصريون . فالآن هلم فارسلك الى فرعون وتخرج شعبي بني اسرائيل من مصر»
خروج ٣ : ٩ و ١٠

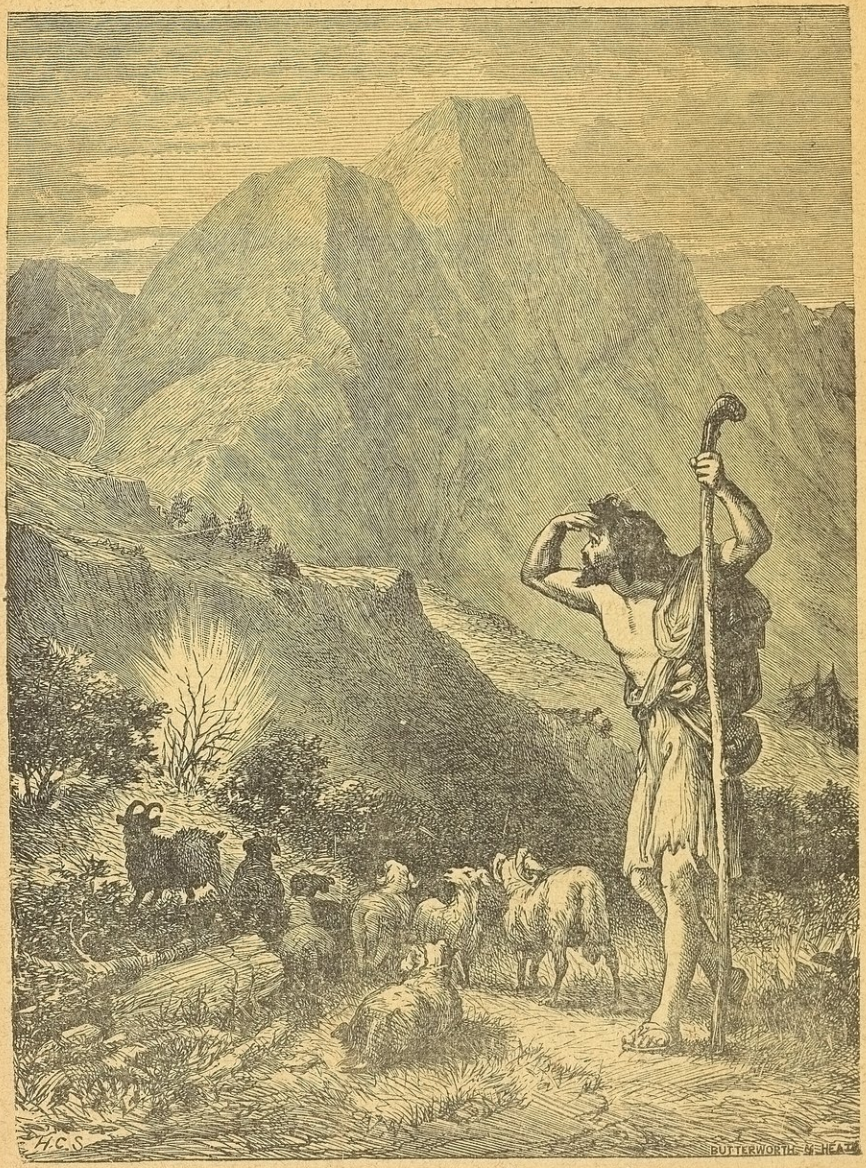
قضى موسى أربعين سنة في مديان يرعى غنم حميه يثرون ويعيش حياة البدو. وقد ولد له في خلال ذلك من زوجته صفورة ولدين . وظهر كما لو أن أمره انتهى الى الاقامة الدائمة هناك ! ! !

وكان المديانيون وغيرهم يمرون به في طريقهم من مصر الى الشرق ، ويقصون له قصص الشعب المستعبد وعنف المصريين معهم. وكان موسى يسمع ذلك، ولكن البرية والسنين هدأت من حدة ثورته. إذ ماذا عسى ان يفعل بازاء فرعون العظيم؟؟

وفي أحد الأيام ساق أغنامه الى مسافة بعيدة ، الى وراء البرية حتى جاء الى جبل الله حوريب . وترك الاغنام ترعى العشب المتناثر هناك، وجلس هو على رابية يرسل أنظاره الى بعيد ، وهو يتأمل في خليقة الله وفي يده المتسلطة على كل البشر. وبغتة لفت نظره منظر غريب . أبصر عن بعد ناراً غريبة. كانت تختلف عن كل نار أخرى لانه رأى لها بهاء ونوراً عجيبين، ولم يرَ لها دخاناً ، كما انها لم تكن تمتد. وحدّق النظر فأبصر عليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق .

وأدهشه المنظر كثيراً ، وأراد أن يفحصه عن قرب، فقال : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة . وتقدم نحو العليقة، ولكن صوتاً من وسط العليقة ناداه : موسى موسى !! واضطرب مومى اضطراباً شديداً، وأجاب بارتعاد :

هانذا . وجاء الصوت : لا تقرب الى ههنا . اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة !



فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة

وأسرع موسى وخلع حذاءه ، ووقف بخشوع وبخوف !!

وجاء الصوت مرة أخرى :

« أنا إله أبيك إله ابرهيم وإله اسحق وإله يعقوب » ! فخاف موسى خوفاً عظيماً إذ رأى انه في حضرة الله ! وغطّى وجهه حتى لا يرى الله ، وصمت في حضرة القدير منتظراً ان يسمع رسالته !

وقال الرب : انى قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر ، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. انى علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين واصعدهم من تلك الارض الى أرض جيدة وواسعة ، الى أرض تفيض لبناً وعسلاً !

وامتلأ صدر موسى بابتهاج طاغ . شكراً لله ان سنى المذلة قد أوشكت على انقضاء ، وسيتنفس الشعب ، نعم سيتنفسون نسيم الحرية وسيتذوقون طعم الراحة !

ويغلب ان فكره اشتغل بأمر نجاة الشعب ، وهو يسأل ترى كيف ينجيهم ، وبأية قوة ، وكيف يخضع الله شوكة فرعون ، وهكذا من مختلف الاسئلة . وفيما هو يفكر في هذا سمع المولى يقول :

« والآن هوذا صراخ بني اسرائيل قد أتى إلىّ ، ورأيت أيضاً الضيقة التي يضايقهم بها المصريون ، والآن هلم فأرسلك الى فرعون ، وتخرج شعبي بنى اسرائيل من مصر !

لو أن هذه الدعوة جاءت موسى من أربعين سنة ، لأسرع قائلاً : نعم يا رب أرسلنى ، أنا مستعد أن أذهب في الحال . منذ أربعين سنة كان يظن انه الرجل الكفء للمهمة العظيمة . ولكنه اليوم غير ذلك . عند ما سمع الله يدعوه هلم فأرسلك ، وثب من مكانه وصاح : أنا يا رب ؟ من أنا حتى أذهب الى فرعون وحتى أخرج بني اسرائيل من مصر ؟ وقال الله لموسى : لا تضطرب ولا تجزع. ان فرعون قوى وله أجناد ، وأنت لا تستطيع ان تقف أمامه ، ولكنك لن تقف وحدك ، انى اكون معك .

و بالرغم من هذا الوعد العظيم ، فقد كان جزع موسى عظيما . انه يحس ان المهمة تكاد تكون مستحيلة . لقد عاش في مصر ورأى فرعون . وقد رأى اكثر من ذلك ، بنى اسرائيل ، وهو يعرف الصعوبة المزدوجة للمهمة . ولكنه في تردده يحاول التملص بكل وسيلة . فهو يسأل ، يارب ، هـا أنا آتى الى بنى اسرائيل ، واقول لهم إله آبائكم ارسلنى اليكم ، فاذا قالوا لى ما اسمه فماذا اقول لهم؟ واجاب الله ، قل لهم « أهيه الذي أهيه » نعم قل لهم ، أهيه ارسلني اليكم . يهوه اله آبائكم اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب ارسلنى اليكم . هذا اسمى الى الأبد وهذا ذكرى الى دور فدور !

وصمت موسى ، فعاد الله يقول ، اذهب واجمع شيوخ اسرائيل ، وقل لهم الرب اله آبائكم اله ابرهيم واسحق ويعقوب ظهر لى قائلاً ، انى قد افتقدتكم وما صنع بكم في مصر ، فقلت ، اصعدكم من مذلة مصر الى ارض الكنعانيين الى ارض تفيض لبناً وعسلا .

فاذا سمع لك شيوخ بنى اسرائيل فادخل أنت وهم الى ملك مصر وقولوا ، الرب اله العبرانيين التقانا ، فالآن نمضي سفر ثلاثة ايام في البرية ونذبح للرب الهنا !

وجعل موسى يفكر في نفسه ، ماذا عسى أن يكون جواب فرعون على هـذا الطلب . واذا بالمولى يجيب عن سؤاله الصامت ، انى اعلم ان ملك مصر لا يدعكم تمضون ولذلك سـأمد يدى واضرب مصر بكل عجائبى التى اصنع فيها و بعد ذلك يطلقكم !

ياللعجب لا يزال موسى على تردده ، ولذلك يتقدم إلى المولى ويقول ، رب هبهم لايصدقوننى ولايسمعون لقولى . بل يقولون لم يظهر لك الرب. ولو ان موسى سكت لكان المولى زوده بالوثائق اللازمة . ومع ذلك فان الله لايتركه في قلقه بل يمنحه ما يؤيد رسالته ، واعطاه لذلك ثلاث علامات . العلامة الاولى علامة العصا التي تحولت إلى حية . أمر الله موسى ان يطرح عصـاه على الارض فاذا هي حية

تسعى ، كان موسى على وشك الهروب منها ، الى ان أمره الله ان يمسك بها من ذنبها فاذا هى تعود عصا كما كانت !

والعلامة الثانية علامة يده وقد تحولت برصاء اذ وضعها في عبِّه ، وعادت صحيحة عندما ردها مرة ثانية !

وقال الله اذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الاولى ، فانهم يصدقون صوت الآية الأخيرة . ويكون اذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك انك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة فيصير الماء الذي تأخذه من النهر دماً على اليابسة !

لم يبق لموسى عذر !

ولكنه لا يزال على تردده . ولذلك نراه يبحث عن أعذار في نواح اخرى . انه يقول للرب ، استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ... بل أنا ثقيل الفم واللسان !

وكان موسى يعلم ان هذا عذر سخيف ، ولكن الله ، في طول أناته ، أجابه ، من صنع للانسان فماً ، أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى . أما هو أنا الرب ؟؟ فالآن اذهب وأنا اكون مع فمك واعلمك ماتتكلم به !

ولو أن موسى اطاع لمنحه الله اللسان الذهبيّ وجعله سيد المتكلمين . ولكن موسى لا يريد أن يذهب . واذ قد فرغت أعذاره فهو يتملص بدون عذر ويقول استمع أيها السيد ، أرسل بيد من ترسل . ارسل غيرى يارب فانى لن اذهب !

فغضب الله على موسى ، وأمره بالذهاب ، واخبره ان هرون أخاه سيتكلم بالنيابة عنه « وستجده خارجاً لاستقبالك وأنت في طريقك إلى مصر . أنت تضع الكلمات في فمه وأنا اكون مع فمك ومع فمه واعلمكما ما تصنعان »!

وهكذا قبل موسى الدعوة كارهاً !

٣٠

موسى وفرعون

« فقال الرب لموسى الآن تنظر ما انا افعل
بفرعون . فانه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية
يطردهم من ارضه » خروج ٦:١

يلذ لنا ان نرافق موسى وهو يؤدي رسالة السيد ! !

عاد من البرية واستأذن حماه، ويمم طريقه نحو مصر، خصوصاً وقد جاءته أنباء موت جميع الذين كانوا يطلبون نفسه هناك، أى فرعون و بعض رجال حكومته !

ونحن نرى تلك القافلة الصغيرة ، المؤلفة من موسى وزوجته صفورة وولديه ، تسير من أرض مديان نحو الغرب . وعند حدود البرية رأى موسى أخاه هرون قادماً لاستقباله ! وكان لقاء مبهج ! وقد تحدث الأخان عن حالة الشعب وعنف الاستعباد . وأخبر موسى أخاه بكلام الله اليه ، وأخبر هرون أخاه برسالة الله له ـ وجلس الأخان يرسمان خطة المستقبل !

أرسل هرون ، بناء على أمر موسى ، ودعا شيوخ اسرائيل ، فجاءوا وطلب موسى من هرون أن يكلمهم فكلمهم بجميع ما أمر الرب به موسى ، وصنع الآيات أمام عيون الشعب. وتأثر الرجال تأثراً عميقاً ، فخرّوا وسجدوا لله وشكروه من عمق قلوبهم لانه افتقدهم ونظر الى مذلتهم !

وتشدد موسى وهرون ، ودخلا الى فرعون وقالا ، هكذا يقول الرب إله اسرائيل، اطلق شعبي ليعيّدوا لى في البرية . ونظر فرعون الى موسى وهرون نظرة احتقار وقال ، من هو الرب هذا حتى اسمع لقوله فأطلق اسرائيل. لا أعرف الرب،

واسرائيل لا أطلقه . لقد كان فرعون يعرف آلهة مصر أما إله اسرائيل فلا بد أن يكون إلهاً ضعيفاً جداً ، و إلا ما ترك شعبه يسام الخسف و يعامل كأحط السوائم . بل لعله ضحك وهو يسمع عن إله العبرانيين الذين يقتل هو أطفالهم دون أن يتحرك لنجدتهم . ولئن كان لهؤلاء القوم إله فلماذا لم يسرع لنجدتهم وقد طال امد عبوديتهم، والعجب ان القوم يطلبون أن يعبدوا إلهاً ضعيفاً مثله ! ! وقال موسى وهرون لقد التقانا إله العبرانيين، وعلينا ان نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح له لئلا يصيبنا بالوبأ أو بالسيف . ونظر فرعون الى موسى وهرون ساخراً ، وكأنه يقول : وأى وبأ أو سيف أقسى مما يلاقيه ذلك الشعب . انكما يا موسى وهرون تسيئان صنعاً . لماذا تبطلان الشعب من أعماله ، اذهبا الى أثقالكما ! !

وأمر فرعون أن يقسّي النير على اسرائيل . لقد كانوا يعملون اللبن ، وكان التبن يعطى لهم . فأمر بأن يكلفوا بجمع التبن ، وألاّ يقل ما يصنعونه بعد ذلك عما كانوا يصنعونه قبلاً ! ! وعجز الشعب ان يقوموا بالعمل كاملاً فضرب المسخرون مدبري اليهود ، وقالوا لهم : لماذا لم تكملوا صنع فريضتكم من صنع اللبن ؟ وصرخ المدبرون الى فرعون قائلين : لماذا تفعل هكذا بعبيدك . التبن ليس يعطى لعبيدك ، واللبن يقولون لنا اصنعوه، وهوذا عبيدك مضروبون، وقد اخطأ شعبك!! فقال لهم فرعون ، متكاسلون أنتم متكاسلون ، لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب . فالآن اذهبوا اعملوا ، وتبن لا يعطى لكم ، ومقدار اللبن تقدمونه !

فرأى مدبرو بنى اسرائيل أنفسهم في بلية ، وصادفوا موسى وهرون واقفين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون. فقالوا لهما، ينظر الرب اليكما ، و يقضي لانكما أنتنتما رائحتنا في عينى فرعون وعيون عبيده حتى تعطيا سيفاً في أيديهم ليقتلونا ! !

وكانت كلمات القوم طعنة في قلب موسى ، فعاد إلى الرب وقال يا سيد لماذا اسأت إلى هذا الشعب ؟

لماذا أرسلتني ؟ ؟

فانه منذ دخلت الى فرعون لأتكلم باسمك أساء الى هذا الشعب !

وأنت لم تخلص شعبك !

فقال الرب لموسى انتظر . الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون ، فانه بيد قوية يطلقهم و بيد قوية يطردهم من أرضه !

وضرب الرب مصر ضرباتها العشر ، ولكنه كان ينذر فرعون قبل كل ضربة ، و يطلب منه أن يخضع ، وفرعون كان يزداد قساوة !

حول له ماء النيل و بقية المياه دماً ، فأنتنت المياه ! ورأت مصر نهر النيل وهو إلهها الكبير ، يضرب . . ولكن فرعون لم يخضع ! !

أرسل الضفادع فصعدت وغطت ودخلت بيت فرعون والى مخدع فراشه وعلى سريره والى تنانيره ومعاجنه ، وأظهر فرعون ميلا نحو الخضوع غير انه حالما رفعت الضربة عاد وتقسى !

ضرب الله مصر الضربة الثالثة ، ضربة البعوض فكان البعوض على الناس وعلى البهائم وشهد عرافو مصر أن هذه اصبع الله ، ولكن اشتد قلب فرعون فلم يسمع !

وكانت الضربة الرابعة ضربة الذبان . فدخلت ذبّان كثيرة إلى بيت فرعون و بيوت عبيده ، وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان . وطلب فرعون من موسى وهرون أن يصليا ليرتفع الذبان واعداً أن يخضع لأمر الله ، ولكن بعد أن ارتفع الذبان اغلظ فرعون قلبه فلم يطلق الشعب !

وضرب الله مصر الضربة الخامسة وكانت وبأ ثقيلا على مواشي المصريين ، فماتت جميع مواشيهم ، وأرسل فرعون ، واذا مواشي إسرائيل لم يمت منها ولا واحد . ولكن غلظ قلب فرعون فلم يطلق الشعب !

أما الضربة السادسة فكانت دمامل خبيثة على الناس طالعة ببثور . وهنا عجز عرافو مصر أن يقفوا أمام الضربة ، ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما !

وجاءت الضربة السابعة ، ومع أن كل ضربة سابقة سبقها انذار إلا أن انذار الضربة السابعة كان قويا . فقال موسى لفرعون يقول الرب إله العبرانيين ، اطلق شعبي ليعبدوني ، لأني هذه المرة أرسل جميع ضرباتي الى قلبك وعلى عبيدك وشعبك ، لكي تعرف أن ليس مثلي في كل الارض ، فانه الآن لو كنت أمد يدي واضربك وشعبك بالوبأ لكنت تباد من الأرض . ولكن لأجل هذا أقمتك لكي اريك قوتي ، ولكي يخبر باسمي في كل الأرض . أنت معاند بعد لشعبي حتى لا تطلقه . ها أنا غداً مثل الآن أمطر برداً عظيماً جداً ، لم يكن مثله في مصر منذ يوم تأسيسها الى الآن !

وجاءت الضربة ، مرعبة مروّعة . أعطى الرب رعوداً و برداً ، وجرت نار على الأرض ، فكان برد ، ونار متواصلة في وسط البرد شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل أرض مصر منذ صارت أمة . فضرب البرد في كل أرض مصر جميع ما في الحقل من الناس والبهائم ، وضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد !

وانحنى فرعون . ارسل إلى موسى وهرون وقال لهما اخطأت هذه المرة ، الرب هو البار وأنا وشعبي الأشرار ، صليا الى الرب ، وكفى حدوث رعود الله والبرد فاطلقكم . . . وصلى موسى فانقطعت الرعود والبرد ولم ينصب المطر على الأرض . ولكن فرعون لما رأى أن المطر والرعود والبرد انقطعت اشتد قلبه فلم يطلق بني إسرائيل !

أما الضربة الثامنة فكانت ضربة الجراد ، وأنذر موسى فرعون قبل أن تجيء الضربة . فقال عبيد الملك له ، الى متى يكون هذا لنا فخا ؟ اطلق الرجال ليعبدوا

الرب إلههم . ألم تعلم بعد أن مصر قد خربت ؟ وحاول فرعون أن يتفق مع موسى وهرون أن يذهب بعضهم ويبقى بعضهم ، ولكن موسى أعلن أنه ينبغي ان يذهبوا بكل من لهم وبكل ما لهم . وغضب فرعون وطرد موسى وهرون !

وجاءت الضربة ! !

صعد الجراد على كل أرض مصر وحل في جميع تخوم مصر ، شيء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا . وغطى وجه كل الأرض حتى اظلمت الارض ، واكل جميع عشب الارض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد . حتى لم يبقَ شيء أخضر في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر !

وانكسر فرعون ، ودعا موسى وهرون مسرعاً وقال أخطأت الى الرب إلهكما واليكما ، والآن اصفحا عن خطيتي هذه المرة فقط ، وصليا الى الرب إلهكما ليرفع عني هذا الموت فقط !

ورفعت الضربة وتملص فرعون من وعده وتشدد قلبه فلم يشأ أن يطلق الشعب !

وجاءت الضربة التاسعة بدون انذار . مدّ موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام . لكن جميع بني إسرائيل كان لهم نور في مساكنهم .

وهنا طلب فرعون من موسى أن يذهبوا ليعبدوا الرب ، على أن يتركوا غنمهم وبقرهم ، ولكن موسى أصر على أن يأخذوا كل شيء ، ورفض فرعون أن يطلقهم ، بل هدد موسى قائلا ، احترز لا تر وجهي أيضاً . انك يوم ترى وجهي تموت ، فقال موسى نعما قلت . أنا لا أعود أرى وجهك أيضاً !

٣١

الضربة العاشرة

« ثم قال الرب لموسى ضربة واحدة أيضاً
أجلب على فرعون وعلى مصر . بعد ذلك
يطلقكم من هنا وعندما يطلقكم يطردكم
طرداً من هنا بالتمام » خروج ١١ : ١

ترى هل فشل موسى امام قساوة قلب فرعون ، وهل ساوره يأس من صلاح قلبه وخضوعه ؟ نعتقد ان موسى فعلاً لم يكن عنده رجاء في ان فرعون سيخضع وهاهي نفس كلماته توحي لنا بذلك . فانه بعد فشله في مقابلته الاولى ، رجع موسى الى الرب وقال ، ياسيد لماذا اسأت الى هذا الشعب . لماذا ارسلتني فانه منذ دخلت الى فرعون ، لاتكلم باسمك أساء الى هذا الشعب . وأنت لم تخلص شعبك !

وبعد ضربة الذبان وطلب فرعون ان يصلى من أجله ، قال له موسى ، ها أنا اخرج من لدنك وأصلى الى الرب فترتفع الذبان عن فرعون وعبيده وشعبه غداً ، ولكن لا يعد فرعون يخاتل حتى لا يطلق الشعب ليذبح للرب !

ولما جاءت ضربة البرد توسل فرعون الى موسى ان يصلى من اجله وقال موسى انه سيصلى « فتنقطع الرعود ولا يكون البرد أيضاً لكي تعرف ان للرب الارض واما أنت وعبيدك فأنا اعلم انكم لم تخشوا بعد من الرب الاله »

يغلب ان موسى كان يعلم ان فرعون لن يخضع ، وكان ينتظر ان الله يسحقه ويجعل الشعب يدوس عليه . وكان يقينه في قوة الهه يزداد يوماً بعد يوم . حتى انه كان يتكلم امام فرعون بكل جسارة !

مرت تسع ضربات كان فرعون يظهر الميل نحو التوبة ، ولكنه كان يعود

فيتقسى . وهانحن نسمع المولى يتحدث الى موسى فينبئه انه سيضرب مصر ضربة واحدة أخيرة، وستكون الضربة من الشدة ، بحيث ان فرعون سيضطر الى اطلاقهم بل الى طردهم !

وأنبأ موسى فرعون وقومه بالضربة الآتية قال انها ستأتي في يوم غير معين في منتصف الليل . اذ يخرج ملاك الله الى طرقات مصر ، ويدخل بيوتها ويقتل كل بكر في أرض مصر ، من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الجارية التي خلف الرحى ، وبكر كل بهيمة . وذكر موسى انه سيكون صراخ عظيم في كل أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله أيضاً . أما اسرائيل فلن يصيبهم ضر ولا يمسهم شر ، « لكي تعلموا ان الرب يميز بين المصريين واسرائيل » — وقال موسى لفرعون ان الويل سيكون عظيما يضطر جميع عبيدك الى أن ينزلوا اليّ ويسجدوا لى قائلين اخرج أنت وجميع الشعب الذين في أثرك وبعد ذلك اخرج !



خذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم

وسمع فرعون كلام موسى ولابد انه أيقن ان الضربة آتية ما في ذلك ريب ، وكان يجب ان يخضع لله ويستسمح موسى ويطلب منه الا تأتي الضربة . ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك

بل أغلظ القول لموسى وهدده بالقتل ان هو جاءه مرة أخرى فخرج موسى من لدنه بحمو غضب !

على ان المولى أخبر موسى ان النهاية قد اقتربت ، وأعدّهم للخروج من مصر وطلب منهم أن يذبحوا شاة يصنعون من دمها علامة على أبوابهم ، حتى اذا ما مر الملاك المهلك يرى الدم فيعبر عنهم . ثم يأكلون الشاة مشوية ، وعلى أعشاب مرة ، وبخبز فطير ، علامة على عجلتهم في الخروج . ووضع لهم نظام ذلك العيد الذي صار فيما بعد أهم أعياد اليهود، وهو عيد الفصح ، أي عيد العبور ، عبور الملاك المهلك عن بيوتهم بسبب الدم ونجاة أبكارهم من الموت !

وجاء اليوم ، وخرج الملاك الى مصر وضرب كل بكر في أرض مصر . ولنا ان نتخيل ذلك الليل الاسود الذى امتد الصراخ فيه من قصر الملك الى كوخ الجارية ـ وأرسل فرعون عبيده الى موسى وهرون ليلا وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم . خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا . وبارکوني أيضاً !

وحاول بنو اسرائيل ان يتأخروا قليلا ريثما يعدون أمورهم ولكن المصريين ألحوا على الشعب ليطلقوهم عاجلا من الارض لانهم قالوا ، جميعنا أموات . فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر ، ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم . وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، فأعطوهم ما طلبوا والتمسوا منهم أن يعجلوا الذهاب !

وهكذا خرج بنو اسرائيل من مصر بيد قوية وذراع ممدودة . وكان عددهم نحو ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الاولاد . وصعد معهم عدد كبير من غير الاسرائيليين أي من المصريين وغيرهم من الذين تهودوا بسبب الآيات التي رأوها !

في نصف الليل خرج من مصر نحو مليوني نفس ، واتجه هذان المليونان الى الشرق !

٣٢

على الجانب الشرقي

من البحر

«فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع
جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر.
لم يبق منهم ولا واحد. واما بنو اسرائيل
فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور
لهم عن يمينهم وعن يسارهم»
خروج ١٤ : ٢٨ و ٢٩

كان صفاً طويلاً جداً اختلط فيه كل شيء بحيث كان من الصعب ان تميز بين الرجال والنساء والحمير والأمتعة — وكانت الحركة بطيئة صامتة، كسها الليل بثوب من خوف. وانقضى الليل وجاء نهار وعقبه ليل والشعب يسير وكان يمكن أن يسيروا في طريق القوافل المعتادة فيصلون الى حدود كنعان في أربعين يوماً. ولكن الله كان يعلم انهم غير مستعدين لدخول الارض. كانت أمامهم أسوار وحصون وأبراج وأقوام مسلّحة ـ وكان أمامهم تقسيم للأرض وتنظيم وتشريع. لم يكن من الحكمة ان يخرج العبيد المسخرون مباشرة من ذل العبودية الى سلطان الحرية. كان ينبغي ان يمروا في تدريب وتربية، ولذلك لم يشأ الله ان يهديهم الى الطريق القريبة، لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا الى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحرسوف ـ وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم، وليلا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً!

وأخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب، وانه لن يعود في ما بعد. وتعطل

الكثير من الاعمال التي كان المسخرون يقومون بها . فتغير قلب فرعون وقلوب عبيده ونسوا الله وقوة الله ، فقالوا ماذا فعلنا حتى أطلقنا اسرائيل من خدمتنا ؟ وأمر الملك فأعدت فرقة من الجيش في ست مئة مركبة حربية تحت قيادة فرعون نفسه. وسار فرعون خلف «الهاربين» حتى أدركهم وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون . وكان الموقف سيئاً جداً بالنسبة لاسرائيل ، إذ كان البحر أمامهم وفرعون خلفهم وجبال عالية عن يمينهم وعن يسارهم !

ولما أحس بنو اسرائيل باقتراب مركبات فرعون فزعوا جداً وصرخوا الى الرب وكان جزعهم عظيماً اذ رأوا موتهم أمراً محتوماً . فالتفتوا الى موسى وقالوا : هل لانه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين : كفّ عنا فنخدم المصريين لانه خير لنا ان نخدم المصريين من ان نموت في البرية !!!

كانت هذه كلمات عبيد امتزج فيها الخنوع بالجبن وعدم الايمان . ولكن الله كان لطيفاً بهم . كانوا لم يتخلصوا بعد من آثار العبودية فنظر موسى اليهم بعطف ، وقال : لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم . فانه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً الى الابد. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون!!

وكان يقين موسى بلسماً ، ولكن الداء كان عياء ، فظل القوم يشتكون . واتجه موسى الى ربه يستغيث به بصلاة قوية كانت صراخ قلبه!! وناداه الله: ما لك تصرخ إليّ. لقد جعلت لك نجاة في البحر قل لبني اسرائيل ان يرحلوا وارفع أنت عصاك ومدّ يدك على البحر وشقّه فيدخل بنو اسرائيل في وسط البحر . لم يكن الوقت وقت شكاية ولا وقت صلاة بل وقت عمل ، وعلى اسرائيل ان يسير الى الامام . لا يجوز له ان يتوقف أو يعتذر عن عدم السير بحجة وجود بحر أمامه لان الله يتولى أمر البحر !

ومد موسى يده الى البحر ، واذا البحر ينفلق شطرين ، ويمر بنواسرائيل على

اليابسة ، والبحر سور لهم من هنا وسور لهم من هناك . لا يجسر الماء أن يندفع نحوهم أو يلمسهم ، بل يقف سوراً واقياً لهم ، حتى يعبروا الى الشاطىء الآخر بسلام وذلك البحر الذي ظن فرعون وعبيده انه سيكون لهم عوناً على اسرائيل صار عوناً للشعب المختار وو بالا على مصر . فقد تبع فرعون وجيشه جماعة الهاربين في البحر ، ولكن ما ان بلغوا منتصف البحر حتى أحسوا ان هناك قوة عليا تحاربهم ، فاذا بمركباتهم تتعثر لأن الرب خلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقلة — وهاهم يحسون ان البحر يزمجر ضدهم فيفكرون في الهروب منه ويعودون أدراجهم ولكن البحر يهجم عليهم فيغطيهم عن آخرهم ويقذف بجثثهم على الشاطىء الشرقي ليراها اسرائيل ، ويدرك قوة الله وعظمته . فيرنم الشعب نشيده الخالد « أرنم للرب فانه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما في البحر . . . » وكذلك رنمت مريم أخت موسى وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص !

هذه معجزة مجّد الله فيها ذاته وأكرم عبده موسى ، ونصر المظلومين وسحق قوة الظالمين .

ولقد قام بعض المتشككين يضعون العراقيل امام صحة الآية ، ويسألون مستنكرين عن صدق الرواية !! يقولون كيف يقف ماء البحر سوراً ، وكيف يعبر شعب بين الماء والماء ؟ ويزعم بعضهم ان القصة من نسج الخيال ، ويرى غيرهم انها قصة رمزية تحاول ان تكشف عن حقيقة عملية ، فان البحر يمثل هنا حسب رأيهم مجموعة الصعاب والمقاومات للشعب . والله يشق لشعبه طريقاً في وسط هذه الصعاب بل يحولها اداة للعون !

أما نحن فسنظل نستمسك بحرفية القصة الى ان يثبت لنا غير ذلك . فسنؤمن ان موسى ضرب البحر ، وان البحر انشق وفتح طريقاً لاسرائيل ... وانه انطبق على فرعون وجيشه ... وسنؤمن ان الله الذي خلق البحر يستطيع أن يشق البحر ويستطيع ان يجعل الماء سوراً ، لانه الله الذي يستطيع كل شيء ولا يعسر عليه أمر!

٣٣

خبز الملائكة

« الرب يعطيكم في المساء لحماً لتأكلوا وفي الصباح خبزاً لتشبعوا » خروج ١٦: ٨

بالأمس هتف الشعب !

واليوم نسمعهم يصرخون !

بالأمس رقصوا وغنوا !

واليوم يشتكون ويتذمرون !

ماذا بك أيها الشعب وما الذي ينغص عليك حياتك . لماذا تشكو وتتذمر ؟

ويجيب الشعب أنا عطشان . لا يوجد ماء والنبع الوحيد الذي وجدناه مُرّ لا يطيق انسان أن يذوق منه نقطة واحدة .

و يأمر الله موسى فيقطع شجرة كانت في البرية ويطرحها في الماء ، فاذا الماء عذب واذا الشعب يشبع ويرتوي وينتعش !

أما تلك الشجرة فقد قيل فيها الكثير !

قالوا ان آدم وهو مطرود من الجنة سمح الله له ان يأخذ عوداً من أشجار الجنة وزرع ذلك العود فأصبح العود شجرة كبيرة . ومن تلك الشجرة أخذ موسى عصاه التي أجرى الله بواسطتها آياته وقواته . ومنها أخذ الخشب الذي صنع منه تابوت العهد . وسليمان أخذ منها الخشب الذي وضع بعضه في الهيكل . ومن خشبها صنع الصليب الذى رفع عليه المسيح . ومن هذه الشجرة أخذ موسى فرعاً وضعه في النبع المرّ فبرىء الماء !

ونحن لا نتعرض لما قيل عن هذه الشجرة، ولا يهمنا ان نسأل عنها لاننا نؤمن ان الله هو الذى أبرأ الماء وليس الشجرة . وان الشجرة لا تزيد عن أداة استخدمها الله وكان يمكنه ان يستخدم غيرها كما يشاء !

شرب الشعب وارتوى ، وربما عاد الى الهتاف مرة أخرى، وربما عاد للرقص والغناء . ولكن ذلك لم يطل فقد بدأ يشكو ويتذمر . وفي هذه المرة ارتفع صوت الشكوى وعلا صوت التذمر

ـ مالك أيها الشعب وممّ تشكو ؟

ـ انني جائع. لقد فرغ الخبز الذى حملته معي من مصر وفي البرية لا يوجد طعام!

والله يقول لموسى طمئن الشعب . سيكون لهم في البرية طعام . نعم في البرية ! سيكون لهم طعام وفير . « فها أنا امطر لكم خبزاً من السماء فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومه ... ويكون في اليوم السادس انهم يهيئون ما يجيئون به فيكون ضعف ما يلتقطونه يوماً فيوماً ! »

وفي الصباح كان سقيط الندى حوالى المحلة. ولما ارتفع سقيط الندى، اذا على وجه البرية شيء دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض. فلما رآه الشعب قالوا بعضهم لبعض «من هو» فقال لهم موسى هو الخبز الذي اعطاكم الرب لتأكلوا. التقطوا منه كل واحد على حسب اكله . ففعل بنو إسرائيل هكذا ، والتقطوا كل واحد على حسب اكله ! !



يجمعون المنّ

وكانوا يطحنونه دقيقاً ويخبزونه

ملاّت أو يطبخونه . وكان طعمه كقطائف بزيت او كرقاق بعسل !

ولم يكن ثقيلا على المعدة، فكان ألزم طعام لقوم رحّالة يتعرضون للاجواء المتقلّبة.

وقد دعاه الشعب « منّا » كما دعى خبز الملائكة .

وقال لهم موسى ، لا يبقِ أحد منهم الى الصباح . لكنهم لم يسمعوا بل أبقى منه اناس الى الصباح . خافوا لئلا يمتنع نزول المن فخزنوا الطعام فتولد فيه دود وأنتن . فسخط عليهم موسى . لانهم لم يؤمنوا بالله !

ولو جاء موسى ورأى الذين يخزنون البضائع خشية الجوع لكان سخطه أشدّ وأقوى !

وأمر الله أن يجمعوا في اليوم السادس طعام يومين ، لأن المن لا ينزل في اليوم السابع . وفعل بنو اسرائيل كذلك ولكن بعضهم لم يفعل ذلك! وخرج ذلك البعض في اليوم السابع ليجمعوا كالعادة فلم يجدوا . وسخط موسى مرة أخرى والله نفسه تألم من هذا الشعب الذي لا يطيع . وقال لموسى الى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي . انظروا ان الرب إلهكم أعطاكم السبت . لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين اجلسوا كل واحد فى مكانه . لا يخرج أحد من مكانه فى اليوم السابع !

وظل المن ينزل أربعين سنة في البرية . ولم ينقطع إلا عندما دخل بنو اسرائيل أرض كنعان واكلوا من غلة الأرض !

وبعد سنين طويلة جداً جاء اليهود الى المسيح وسألوه ، ماذا يستطيع أن يعطيهم اكثر مما أعطاهم موسى ، الذي جاءهم بالمن من السماء ؟ فأجابهم أن موسى لم يعطهم المن بل الله . وأما هو فيعطيهم نفسه طعاماً ! هو الخبز النازل من السماء ... أباؤهم أكلوا المن في البرية وماتوا ، وأما من يأكل من الخبز الذي يعطيه هو فسيحيا الى الأبد والخبز الذي يعطيه هو جسده الذي يكسر من أجلهم ! !

٣٤
الوصايا العشر

« ونزل الرب على جبل سينا .... ثم
تكلم الله بجميع هذه الكلمات »
(خروج ١٩ : ٢٠ و٢٠ : ١)

« جبل سيناء » أهم جبال العهد القديم يذكره التاريخ بتقدير . عنده تكونت الأمة الاسرائيلية دينياً . فعلى جبل سيناء نزل « ملاك الله » والقى للشعب « الناموس » الذي يعتزّون به ويحسبونه تراثهم الخالد !

وها نحن نسمع السيد يقول لموسى « هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى اسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلىّ . فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب فان لى كل الارض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة »

وتكلم موسى مع الشعب بهذا الكلام فاجابوا وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل . ونحن نعلم انهم ربما كانوا مخلصين فى وعدهم ولكنهم لم يستطيعوا أن ينفذوه !

وقد رتب السيد أن يعمل مع اسرائيل عملاً لم يعمل مع شعب من شعوب الأرض منذ أول التاريخ . فرتب أن ينزل اليهم ويتكلم معهم . وأمرهم موسى بفم الله أن يستعدوا لليوم الثالث فيتقدسوا ويغسلوا ثيابهم ثم يأتوا ويقفوا تحت الجبل والله يكلمهم من الجبل !

وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح انه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب الذي فى المحلة . وأخرج

الشعب من المحلة لملاقاة الله . فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل ان الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل .

ونزل الرب على جبل سيناء !

وتكلم الله بجميع هذه الكلمات

أنا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية !

لا يكن لك آلهة اخرى امامى !

لاتصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما في الماء من تحت الارض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني أنا الرب الهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الابناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع احساناً الى الوف من محبي وحافظى وصاياى !

لاتنطق باسم الرب الهك باطلا لأن الرب لايبرىء من نطق باسمه باطلا !

اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك . لاتصنع عملا ماأنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك. لان فى ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها . واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه !

أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الارض التى يعطيك الرب الهك !

لا تقتل !

لا تزن !

لا تسرق !

لا تشهد على قريبك شهادة زور !

لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك !

* * *

وكان جميع الشعب يرون البروق والرعود وصوت البوق والجبل يدخن، فكان خوفهم عظيما ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى ، تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت !

فقال موسى للشعب لاتخافوا لأن الله انما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا !

والى اليوم يفتخر شعب اسرائيل انهم دون غيرهم من سائر الشعوب نزل الله اليهم وتكلم معهم . مع ان الذي نزل لم يكن الله نفسه بل « ملاك الله » وقد ذكر استفانوس فيما بعد عن « الملاك الذي ظهر لموسى في العليقة » « والملاك الذي كان يكلم موسى على جبل سينا »

وكاتب سفر العبرانيين ذكر الناموس على انه « الكلمة التى تكلم بها ملائكة » .

وكان اليهود يتكلمون عن الملاك انه الرب . كما قال جدعون وشمشون وغيرهما !

أما نحن فقد نزل الينا الرب ، وتجسد فى المسيح ، وكان هو كلمة الله . وينبغي ان نصغي لوصية الله القائلة !

« اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم »

٣٥

العجل الذهبي

« فقال الرب لموسى اذهب انزل لانه قد
فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر.
زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به.
صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له ذبحوا له
وقالوا هذه الهتك يا إسرائيل التي أصعدتك
من أرض مصر » (خروج ٣٢: ٧ و ٨) .

كان المنظر الذي رآه الشعب رائعاً .. ومروعاً . امتزج فيه بهاء الله بقوته . وسمع الشعب صوت الله فجثوا على ركبهم وعفروا وجوههم في التراب قدامه . واقسموا أمام موسى أن الله وحده سيكون الهمهم ، على ألا يظهر لهم بمجده و إلا ماتوا من الخوف . وقالوا لموسى ، تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت !

وصعد موسى فوق الجبل ليتلقى أوامر الله !

ومكث اسرائيل تحت الجبل ينتظره !

وطال انتظاره !

كان موسى في ذلك الوقت في حضرة الله يستمتع بأقدس شركة ، وقد خلصت نفسه من جسدانية الحياة ومن ظلمتها . كان كملاك امام الله . ماذا قال الله أو ماذا قال لله ، كيف جلس امام الله ، وكيف صمت ، وكيف تكلم ، وهل كان منتبهاً ام كان في اغماءة ، هل كان في الجسد أم خارج الجسد ، كل هذه أسئلة لا نستطيع الاجابة عليها ، ولذلك نتركها الى ان تدور عجلة الزمان حتى تصل الى الابدية وهناك نعرف !

وطال انتظار الشعب لنبيّهم !

فلما لم يأت أحسّوا انهم في حاجة إلى اله يتقدم امامهم !

فاجتمع زعماء الشعب على هرون وقالوا له ، قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . ويبدو ان اجتماعهم لم يكن هادئاً . ولابد أن هرون حاول ان يثنيهم عن فكرهم الرديء هذا ، ولكنهم أصروا على انهم في حاجة الى هذه الآلهة للقيادة . ونرجح ان هرون قال ان الله هو القائد ، ولم يعترضوا هم على ذلك . انهم يؤمنون بالله ، وانه لايوجد اله غيره . ولكن الله كائن روحي لايرى بالعين ، وينبغي ان يتمثل في شيء مادي حتى يمكن الاحساس بالثقة فيه. ثم ان جمهور الشعب لايمكن أن يدرك الروحيات فهو في حاجة الى المحسوسات . والله نفسه اختار موسى لينوب عنه . وهم لم يروا الله وانما موسى، وحتى على الجبل لم يظهر الله لهم في صورة رجل أو امرأة أو أي مظهر آخر ، وانما الذي ظهر كان موسى! موسى اذن هو الشخص الذي تجسم فيه الههم ، وموسى هو الذي أخرجهم من مصر . وها قد مضى موسى عنهم وهم لايعرفون ماذا اصابه :

وخشي هرون ان يرفض الطلب فقد رأى الشعب انه في شر . فقال لهم انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . هل كان طلبه هذا محاولة اخرى منه أن يمتنع عن اجابتهم ؟ ربما . فان الحلي للمرأة لها مكانها ، وليس من السهل أن تخلع المرأة حليها إلا للأمر الشديد . لكن العجب انهم فعلوا ذلك بعجلة وجادوا بالذهب الى هرون !

ولو انه طلب الذهب لغير الوثنية لترددوا مئة مرة ومرة قبل أن يجيبوا . ولم يأت الشعب في ذلك ما يخالف الاتجاه العام للبشر عامة ، فان الاموال تنهال على مذابح الشهوات والقبائح التي تخرب بينما يشكو مذبح الله من الشح !

ولم يطل تفكير هرون . لقد رأى المصريين يعبدون العجل ، فلماذا لا يصنع لهم من ذهبهم عجلاً ؟ ونحن نراه يصور الذهب بالأزميل ويصنعه عجلاً مسبوكاً

وعندما رآه الشعب هتفوا بصوت عال هذه آلهتك ياإسرائيل التى اصعدتك من ارض مصر. ونحن لا نملك إلا ان نبتسم ونحزن بسبب الغباوة والشر اللذين امتزجا في ذلك النداء . ويزداد ألمنا انه كان نداء غالبية الشعب . نعم كان فى الشعب عدد لا يستهان به لم يرض عن هذه الحماقة ولكن الصوت البارز كان فى جانبها بل ان هرون نفسه بنى مذبحاً وأعلن عن تخصيص الغد عيداً للرب !

وفي اليوم التالي بكر الشعب لعبادة آلهتهم الجديدة . كانوا كسالى مع الله ، ربما طلبوا ان تتأخر الصلاة الى الظهر لانهم يريدون أن يناموا بعد جمع المن . لكنهم مع العجل لم يطلبوا شيئاً من ذلك ، بل بكروا واصعدوا محرقات وذبائح . وبعد أن قاموا بالفرائض الدينيـة ، جلسوا للأكل والشرب ثم قاموا للعب . وقد نقلوا العابهم هذه مما كانوا يرونه في مصر من الألعـاب التي ترافق عبادة الآلهة . وهي العـاب تتفق مع الانحدار الروحي ، والانحدار الذهني لمن يعبدون آلهة غـير الله !

ومع اننا في سياق قصة لا في حديث وعظى ، الا اننا لا نملك إلا أن نسأل عن حقيقة الوثنية وأثر الوثنية على مستوى الأخلاق والآداب

وقد رأينا من مناقشة الشعب وهرون أن الوثنية لم تبدأ في الأصل بانكار وجود الله ، أو بمحاولة عبادة غيره ، بل بدأت بمحاولة تقريب الله إلى ذهن الجمهور كان هذا صحيحاً كما علمنا في مصر فقد عبد القوم النيل مثلا لانه أداة الخصب والحياة ، وعبدوا الشمس لانها أداة النور وعبدوا القمر لانه مظهر الجمـال وهكذا . وكل هذه كانت تعلن جوانب عدة مما نعتقد انه فى الله ولقد يبدو هذا أمراً معقولا ولا ضير منه . ولكنه انزلاق . نعم ان الانزلاق فى أول الأمر لا يكاد يظهر ولكنه يتسع بالتدريج كما حدث مع الشعب اذ انتهى بهم الأمر الى « اللعب » — والذي يقرأ قصة الوثنية في بلاد اليونان . مثلا يرى مقدار الهوان الأخلاقي الذي انحدر

اليه الشعب بسبب الوثنية . ذلك أن الوثنية في أساسها هي عبادة للكائن المادي لايسمو عن الانسان وما لا يرتفع سينخفض ولاشك !

كان الشعب يرتكب هذه الحماقة تحت الجبل في الوقت الذي كان موسى فوق الجبل يجلس الى الله و يتمتع بأقدس مايتمتع به انسان مع الله ! ولم يدر موسى بما أتاه الشعب . وكذلك يشوع وقد كان ينتظر موسى على مسافة منه !

ولـكن الله رأى !

وتألم !

وهل نقول أيضاً وتعجب !

وهانحن نسمعه يقول لموسى ، وقد امتزج كلامه بالألم والمرارة والسخرية، اذهب انزل لانه قد فسد «شعبك الذي أصعدته من أرض مصر» زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك ياإسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر !!

وانقض الخبر على موسى انقضاض الصاعقة فلم يحر كلمة، وتجلى الألم المبرح على وجهه . ياللفضيحة !! بعد كل ما رآه الشعب من يد الله القوية يزوغ كذا سريعاً !

وقال الرب لموسى ، رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيما !

لقد كان موسى يفكر نظير هذا التفـكير . ان الشعب يستحق أن يتلاشى . ولـكنه عندما سمع الله يقول ذلك استيقظت محبته التي لاتعرف حدوداً. هل يهلك الشعب الذي رعاه من مصر الى البرية ، هل يهلك ؟؟ هل يترك الله ليهلكه ؟؟ كلا لايكون ذلك . وهوذا موسى يتضرع الى الله . وهو لا يستشفع بتخفيف الذنب أو بشيء من الفضل فيه ، وانما سر الشفاعة مجد الهه . ولذلك نسمعه يقول، لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر . أنت يارب الذي اخرجته وليس أنا. وقد أخرجته بقوة عظيمة ويد شديدة ولماذا تفعل يارب مايجعل المصريين

يتكلمون قائلين اخرجهم بخبث لكي يقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الارض .
ثم انحنى موسى الى الارض وقال بصوت باكٍ ، ارجع يارب عن حموّ غضبك واندم على الشر بشعبك. اذكر ابرهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم، اكثر نسلكم كنجوم السماء واعطي نسلكم كل هذه الارض التي تكلمت عنها فيملكونها الى الأبد !

واستمر موسى يتضرع الى الله و يلتمس الصفح عن الشعب حتى قبل الله شفاعته وارتد حمو غضبه « وندم » عن الشر الذي قال انه يفعله بشعبه!

* * *

وانصرف موسى !

ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده . وهما لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين . واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين !

وقد كتب الله على اللوحين الوصايا العشر التي كان قد القاها للشعب على جبل سينا .

وعلى مسافة من الجبل برز يشوع ليستقبل موسى. وسار الاثنان صامتين وظلا سائرين حتى اقتربا من الوادي . وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه ، فقال لموسى صوت قتال في المحلة ! واجاب موسى . كلا . انه ليس صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة ، بل صوت غناء أنا سامع !

و بالرغم من أن موسى كان قد أعدّ لقبول الخير ، الا انه حالما أبصر العجل والرقص حمي غضبه واشتعل كأتون وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل . ما فائدتهما؟؟ ليس لله مكان مع ذلك الشعب الأحمق. ولعله ندم انه تضرع من أجل الشعب . انه يستحق أن يتلاشى من على وجه الارض!

ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه. لابد انه مزج به مواداً اخرى

صيرته قابلا للحريق والسحق . فلما صار ناعماً ذرّاه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل !

والتفت موسى الى هرون في شدة غضبه وقال ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة ؟؟ واضطرب هرون وانكمش امام غضب موسى وقال لا يحم غضب سيدي . أنت تعرف الشعب انه في شر فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لان هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا اصابه . فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطيني !

وجاءوا بالذهب !

فطرحته في النار !

فخرج هذا العجل !

لم يشأ موسى أن يجادل هرون. ان دفاعه ركيك لايليق بزعيم. ليكن الشعب في شرّ ياهرون . انك عبد لله وواجب الولاء انك تتمسك به الى الموت. كان ينبغي أن تقف الى جانب الله ولو قتلوك !

ثم هذا العجل الغريب ، كيف خرج من النار عجلا كما تقول . طرحته في النار فخرج هذا العجل ! ياله من عجل !

الشعب هو المسئول أولا !

والنار هي المسئولة ثانياً !

والعجل هو المسئول ثالثاً !

أما هرون فلا ذنب عليه . الشعب هدده فخضع . وضع الذهب في النار فخرج العجل ! !

لم يقف موسى ليجادل هرون في ترهاته، بل وقف يتأمل في الشعب الذي عرّاه هرون . عرّاه من ذهبه وعرّاه من أخلاقه بسبب نزوله في ميدان الرذيلة — واذ ذاك نادى بصوت عظيم :

من للرب فالىّ !

وجاء الى موسى جميع بنى لاوى

فأمرهم موسى أن يتقلدوا سيوفهم ويمروا في المحلة ويقتلوا كل من بقى على الوثنية ولو كان أخاً أو قريباً !

عاد الشعب الى صوابه حين رأى موسى ولكن البعض بقوا على الدين الجديد هؤلاء قتلهم اللاويون وكانوا ثلاثة آلاف !

وفى اليوم التالى اجتمع الشعب باكين نادمين

وتقدم موسى الى الله يصلى من اجلهم !

ويلذ لنا أن نتأمل في تلك الشفاعة وما لازمها من حديث !

موسى يقول لله ، آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب . اغفر لهم يارب . اغفر ، والا فان كان ذلك متعذراً فامحنى من كتاب الحياة !

والله يجيبه انه يصفح ويطلب منه ان يذهب ويهدى الشعب وان ملاك الله سيسير أمامهم . انه هو لا يسير في وسطهم لانهم شعب صلب الرقبة وسيفنيهم اذا سار في وسطهم .

واسرائيل يحزن ويبكى وينزع زينته !

وموسى لا يزال يتضرع ويتشفع ويقول ، ان لم يسر وجهك أمامنا فلا تصعدنا من ههنا !

والله يصفح أخيراً ويقول :

وجهى يسير فأريحك !

٣٦

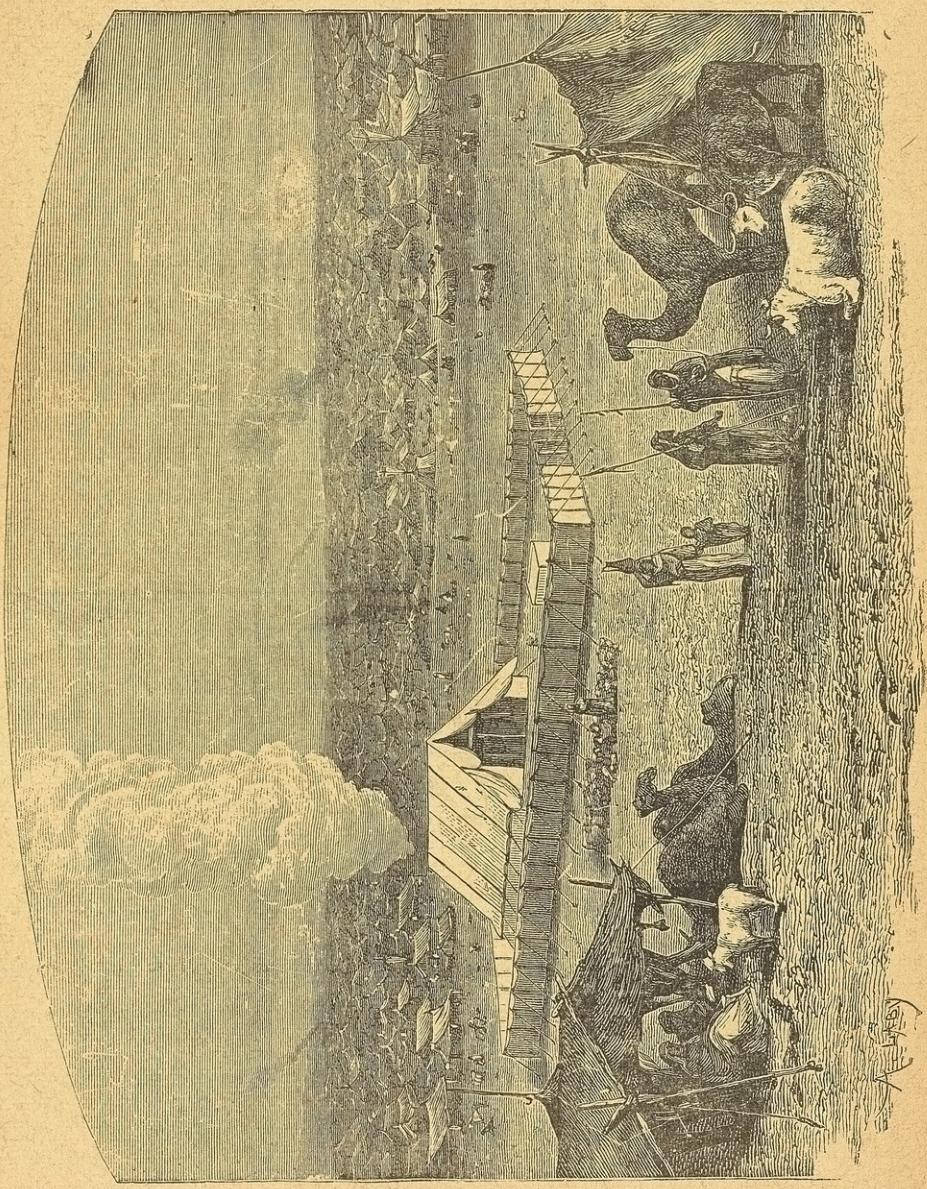
خيمة الاجتماع

« وكلم الرب موسى قائلا في الشهر الأول في اليوم الاول تقيم مسكن خيمة الاجتماع وتضع فيه تابوت الشهادة وتستر التابوت بالحجاب وتدخل المائدة وترتب ترتيبها . وتدخل المنارة وتصعد سرجها . وتجعل مذبح الذهب للبخور امام تابوت الشهادة . وتضع سجف الباب للمسكن . وتجعل مذبح المحرقة قدام باب مسكن خيمة الاجتماع . وتجعل المرحضة بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء وتضع الدار حولهن . وتجعل السجف لباب الدار » (خروج ٤٠ : ١-٨)

كانت الوصايا العشر خلاصة الوصايا للشعب ، وتدعى الناموس الأدبى . وقد القى الله لاسرائيل على يد موسى وصايا اخرى تتصل بالفرائض والذبائح والقرابين ، وتدعى الناموس الطقسي . كما القى اليهم مجموعة من القوانين المتصلة بالمجتمع وعلاقتهم به من ناحية الزواج والمواريث والصحة وما الى ذلك ويدعى الناموس الشرعى

وظهرت الحاجة ماسة الى مكان يؤدى فيه الشعب عباداته وذبائحه ويعيّد فيه أعياده ، وفي نفس الوقت يتزود فيه التعاليم والقوة . ورسم الله صورة ذلك المكان في ما ندعوه خيمة الاجتماع !

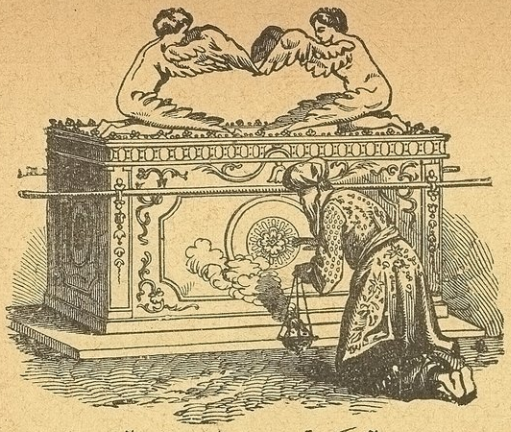
وتقع الخيمة في ثلاثة أقسام الأول وفيه مذبح النحاس الذي تقدم عليه الذبائح



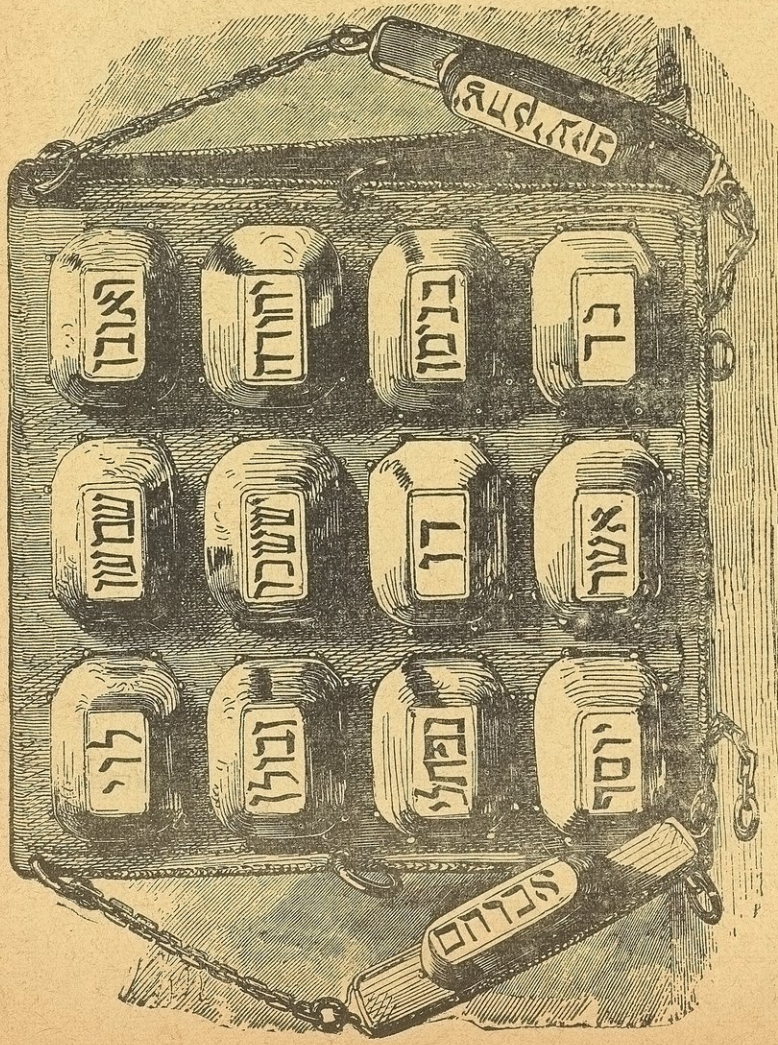
خيمة الاجتماع

الدموية للتكفير عن الخطية .

وبداخله القدس وفيه مذبح البخور وتقدم عليه قرابين الشكر . والثالث بداخل القدس ، وفيه تابوت العهد،



رئيس الكهنة ينضح الدم امام التابوت



صدرة رئيس الكهنة وقد ظهرت عليها اسماء الأسباط

وكان الله يحل بمجده على غطاء التابوت ، وكان رئيس الكهنة يدخل الى قدس الأقداس ليتشفع في الشعب مرة في السنة ! وكان يدخل ودم الذبيحة على يديه !

وكانت الخيمة صور لكيفية الاقتراب الى الله . يأتى الخاطىء الى الله معترفاً بخطاياه نادماً ومقدماً ذبيحة للتكفير عن هذه الخطايا !

وبعد ذلك يجوز له ، وقد اصبح مبرراً ، أن يدخل بتقدمته وقربانه الى الله !

وبعد ذلك يجوز له أن يدخل الى الله ليتشفع في غيره !



واخذ ابناء هرون ناداب وابيهو كل منهما مجمرته وجعلا فيها ناراً غريبة .. فخرجت نار من عند الرب واكلتهما

وكان الغرض من الخيمة ومشتملاتها تعليم الشعب حقيقة الاقتراب الى الله . ولكنهم حفظوا العبادات والخدم وظنوا انها هى نفسها الهدف ! فعبدوا المذبح والتابوت والخيمة وقدسوها ونسوا جوهر الناموس وروحه !

وجاء المسيح فيما بعد فكشف للناس حقيقة الدين وحقيقة العبادة !

٣٧

أربعون سنة

في البرية

« واما اطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فانى سأدخلهم فيعرفون الارض التي احتقرتموها . فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر . وبنوكم يكونون رعاة في القفر اربعين سنة » (عدد ١٤ : ٣١ - ٣٣)

عندما خرج بنو اسرائيل من أرض مصر كانوا يعتقدون انهم سيصلون إلى كنعان بعد أيام معدودة لا تزيد عن اربعين يوماً . ولكنهم ظلوا يسيرون اربعين سنة كاملة قبل ان يصلوا الى حدود أرض الميعاد !

ولقد رأينا قبلاً كيف ان الله لما رأى الطريق الى كنعان قريبة، انه سار ببنى أسرائيل في طريق آخر لأن الله قال لئلا يندم الشعب اذا رأوا حرباً ويرجعوا الى مصر !

وقد سرنا مع الشعب وهو يقف امام البحر وينتصر عليه بقوة الله — ورافقناه الى أن وصل الى مارة ... ثم ايليم ... وامتد به السير الى برية فاران !

وفي برية فاران صدر الأمر الالهى بارسال رجال ليتجسسوا أرض كنعان — ونحس ان الأمر جاء أصلاً من الله . ولكننا نعرف فيما بعد ان الرغبة بدت أولا من الشعب — وأرسل موسى رجلا من كل سبط. وليس يهمنا من اسماء الجواسيس

الا اسمين يشوع بن نون عن سبط افرايم وكالب بن يفنة من سبط يهوذا !

وسيكون لنا حديث فيما بعد عن الرجلين .

وأرسل موسى الجواسيس وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ماهى. والشعب الساكن فيها ، أقوى هو أم ضعيف ، قليل أو كثير ، وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها ، أجيدة أم ردية ، وماهى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون، وكيف هى الارض أسمينة أم هزيلة، أفيها شجر أم لا. وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض !



عنقود عنب من وادى اشكول حمله اثنان من بنى اسرائيل

وذهب الاثنا عشر وقد تفكروا في زي تجار ، وكان الوقت وقت باكورات العنب. فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب إلى مدخل حماة

وأتوا إلى حبرون وهى من أقدم مدن العالم . ثم وصلوا إلى وادى اشكول ، وقطفوا من هناك زرجونه بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين — وامتدوا فى رحلتهم بعد أربعين يوماً إلى برية فاران إلى قادش ، وردوا خبراً إلى موسى وإلى كل الجماعة ، وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض وحقاً انها تفيض لبناً وعسلا وهذا ثمرها ! وإلى هذا الحد اتفقت شهادة الاثنى عشر، ولكنهم بدأوا يختلفون بعد ذلك. فعشرة منهم قالوا ان الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً . وأيضاً قد رأينا بنى عناق هناك . العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل. والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الاردن !

وهنا تدخل كالب في الكلام ووقف يشوع إلى جانبه — وقال كالب . اننا نصعد ونمتلك الارض لاننا قادرون عليها . غير أن العشرة قاوموا كلامه وقالوا كلا لا نقدر عليها انها أرض تأكل سكانها وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم !

وحاول كالب بن يفنة ويشوع بن نون أن يتكلما ولكن صوتهما غرق في صراخ الشعب الباكي . نعم فقد رفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بنى اسرائيل وقال لهما كل الجماعة:

ليتنا متنا في أرض مصر !

أو ليتنا متنا في هذا القفر !

ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف ؟

تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة !

أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر ؟

فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر !

يا للتعساء !

لقد نسوا حالا ما لقوا في مصر من عبودية ومن مذلة !

لقد نسوا الضيق والاضطهاد ومرارة النفس !

لقد نسوا انهم صرخوا إلى الرب صراخاً هزّ قلبه حتى انه قام وخلصهم !

نسوا كل هذا وقالوا نعود إلى مصر !

ولو كانت نفوسهم أبيـة لفضلوا أن يموتوا بالسيف ألف مرة من أن يعودوا إلى العبودية !

ان موتاً كريماً لأفضل من حياة في هوان ! ولكنهم كانوا أذلاء !

سمع موسى صوت بكاء الشعب وسمع كلامه ، فسقط هو وهرون على وجهيهما امام كل معشر جماعة بنى اسرائيل. ويشوع بن نون وكالب بن يفنة مزقا ثيابهما وكلما كل جماعة بنى اسرائيل قائلين ، الأرض التى مررنا بها ليتجسسها جيدة جداً جداً .

ان سرّ بنا الرب يدخلنا إلى هذه الأرض !

ويعطينا إياها !

أرضا تفيض لبناً وعسلاً !

انما لا تتمردوا على الرب !

ولا تخافوا من شعب الارض !.

لانهم خبزنا !

قد زال عنهم ظلهم !

والرب معنا !

لا تخافوهم !

ولـكن الشعب لم يسمع لهما ، بل ثار عليهما وصاح صائحهم !

ليرجما ! ليرجما بالحجارة !

* * *

وهنا حدث في خيمة الاجتماع حدث !
ظهر نور بهى فوق الخيمة !
وكان لمعانه شديداً أبصره كل الشعب !
وقال الرب لموسى
حتى متى يهيننى هذا الشعب
وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم ؟
انى اضربهم بالوباء !
وأبيدهم !
واصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم !
أما موسى فيعلم ان الشعب متمرد
ويستحق غضب الله !
وهو لن يخسر شيئاً اذا ضرب الله الشعب وأفناه !
لانه هو نفسه سيكون أمة عظيمة !
ولكنه لا يستريح إلى ذلك !
انه يحب الشعب !
ولن يحتمل أن يراه يتلاشى !
ولكنه يهتم اكثر من كل شىء بمجد الرب . فهو يقول لله :
فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم !
ويتكلم جميع الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين لان الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الارض التى حلف لهم قتلهم في القفر !
فالآن !
لتعظم قدرة سيدى كما تكلمت قائلا
الرب طويل الروح !

كثير الاحسان !
يغفر الذنب والسيئة !
لكنه لا يبرىء !
بل يجعل ذنب الآباء على الابناء إلى الجيل الثالث والرابع !
اصفح عن ذنب هذا الشعب !
كعظمة نعمتك !
وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا !
فقال الرب
قد صفحت حسب قولك!
ولكن !
حيّ أنا فتملأ كل الارض من مجد الرب !
ان جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها في مصر وفى البرية
وجربونى الآن عشر مرات
ولم يسمعوا لقولى
لن يروا الارض التى حلفت لآبائهم !
وجميع الذين أهانونى
لا يرونها !
واما عبدي كالب
فمن أجل انه كانت معه روح اخرى
وقد اتبعنى تماماً !
ادخله إلى الأرض التى ذهب اليها !
وزرعه يرثها !

أما أولئك المتذمرون فقل لهم !
حى أنا يقول الرب !
لافعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى !
في هذا القفر تسقط جثثكم !
لن تدخلوا الارض التى رفعت يدى لاسكننكم فيها !
ما عدا كالب بن يفنة !
ويشوع بن نون !
واما أطفالكم !
الذين قلتم يكونون غنيمة !
فانى سأدخلهم !
فيعرفون الارض التى احتقرتموها !
فجثثكم أنتم تسقط في القفر !
وبنوكم يكونون رعاة في القفر !
أربعين سنة !
كعدد الايام التي تجسستم فيها الأرض !
أربعين يوماً !
للسنة يوم !
تحملون ذنوبكم أربعين سنة !
أنا الرب !
قد تكلمت !

٣٨

تمـرد

« وقال موسى لقورح اسمعوا يا بنى لاوى
أقليل عليكم ان إله اسرائيل أفرزكم من
جماعة اسرائيل ليقربكم اليه . . . اذن أنت
وكل جماعتك متفقون على الرب . وأما
هرون فما هو حتى تتفقوا عليه »
عدد ١٦ : ٨ و ٩ و ١١

رسم الله للشعب المختار فرائض العبادة ونظمها !

فأمر باقامة خيمة يجتمع فيها القوم !

وفي الجزء الخارجى وُضع مذبح النحاس !

وفي داخل ذلك الجزء، القدس وقد وضع فيه مذبح البخور !

وفي داخل الداخل، قدس الأقداس وقد وضع فيه التابوت !

والتابوت صندوق من خشب السنط مغشى من الداخل ومن الخارج بالذهب النقى ، وغطاؤه من الذهب الخالص ، وقد وضع في داخل التابوت قسط من المن ، ولوحا الشهادة — وكان الله يحل ببهائه على غطاء التابوت الذى اطلق عليه كرسى الرحمة!

وكان اليهود يكرمون التابوت و يعتبرونه علامة الحضور الالهي !

ومع أن الله أمرهم ألا يصنعوا تمثالاً أو صورة لله ، إلا أن العقل الحسّى كان يتطلب شيئاً محسوساً يرى فيه الله . ولذلك نظروا إلى التابوت أولا كعلامة حضور إلههم ثم . . . بلغ بهم الأمر أنهم عبدوا التابوت ! ! !

على أن هذا ليس في قصتنا الآن وسنعود اليه مرة أخرى !

كانت خدمة الخيمة قد أوكلت الى هرون وأولاده ، ووضع موسى على بقية سبط لاوى أن يعاونوا في هذه ، غير أن الرآسة كانت لهرون وأولاده !

وقد سبب هذا شيئا من الغيرة عند بعض أبناء لاوى وعند غيرهم . وكثر الهمس والدس . وقد أوجدت حادثة الجواسيس جواً ملائماً لانتشار روح المقاومة . وقد تزعم المقاومين أربعة أولهم قورح وهو من بنى عمومة موسى وهرون ، والثلاثة الباقون من سبط راوبين . وقد بلغ رؤساء الجماعة مئتين وخمسين . فاجتمعوا على موسى وهرون وقالوا لهما .

كفاكما !

ان كل الجماعة بأسرها مقدسة !

وفي وسطها الرب !

فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟

وحاول موسى أن يحل هذه الازمة بالطرق الدبلوماسية . ولكن الثورة كانت شديدة . وقد حاول أولاً أن يعيد قورح وقومه الى الطاعة ، وذكر لهم ما يتمتعون به من مقام في خدمة الكهنوت ولكنهم لم يسمعوا له . وحاول أن يتفاهم مع داثان وابيرام ابنى الياب فارسلا اليه يرفضان التفاهم ويقولان « لا نصعد اليك . أقليل أنك اصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤساً ! كذلك لم تأتِ بنا إلى أرض تفيض لبنا وعسلا . ولا اعطيتنا نصيب حقول وكروم ، هل تقلع أعين هؤلاء القوم ؟ »

« لا نصعد ! »

وتألم موسى كثيراً !

انه يقود الشعب بكل عدالة وبكل نزاهة !

انه لم يظلم واحداً منهم !

انه يحاول أن يجعل حياة البرية سهلة عليهم !

انه يتوجع لهم !
ويرثى لضعفاتهم !
إنه يتشفع لهم !
ويصلى إلى الله !
ليرحمهم !
ولكنهم !
يضعون في طريقه المعاثر ! !
والعراقيل !
ويحزنون قلبه كثيراً !
ووقف الثائرون وبيدهم مجامرهم !
إنهم يعتقدون أن لهم الحق أن يقربوا بخوراً لله نظير بنى هرون !
وأرسل موسى نداء لكل الشعب ليبتعدوا عن خيام اولئك المتمردين ! !
وقال موسى
بهذا تعلمون ان الرب قد ارسلنى لأعمل كل هذه الأعمال !
وانها ليست من نفسى !
إن مات هؤلاء كموت كل إنسان !
واصابتهم مصيبة كل إنسان !
فليس الرب قد أرسلنى !!
ولكن !
ان ابتدع الرب بدعة !
وفتحت الارض فاها !
وابتلعتهم !
وكل مالهم !

فهبطوا أحياء إلى الهاوية ! !

تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب !

فلما انتهى موسى من كلامه انشقت الارض التى تحتهم ، وفتحت الارض فاها وابتلعتهم و بيوتهم . . . ثم انطبقت عليهم الارض فبادوا من بين الجماعة . وخرجت نار وأكلت المئتين وخمسين رجلاً الذين قربوا البخور !

فهل خضع الشعب الثائر ؟

بل إن كل شعب إسرائيل تذمروا على موسى وعلى هرون ، قائلين انتما قد قتلتما شعب الرب !

ونحن نعجب ولا شك من الشكوى !

ان آية إلهية قد تمت !

وقد أعلن الله إرادته في المعجزة !

فما بال القوم يتذمرون على موسى ؟

أتعلهم ظنوا أن الأمر كان بتدبير من موسى وانه استعدى عليهم ربه ؟

أم ظنوا انه هو الذي سبب الزلزلة بكيفية من الكيفيات . كاستعمال الديناميت مثلا ؟

أم ان شكواهم كانت مجرد تذمر ، إن غضب الله كان بسبب موسى وهرون ؟

مسكين موسى ! !

لقد سقط وجه موسى أمام الله !

غضب الله على الشعب المتمرد !

وأرسل اليه الوبا !

وقال لموسى وهرون !

اطلعا من وسط هذه الجماعة فانى أفنيهم بلحظة ! !

وقال موسى لهرون !

خذ المجمرة واجعل فيها ناراً من على المذبح . وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً

إلى الجماعة ، وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب . قد ابتدأ الوبأ !

وارتضى الله أن يصفح بعد ان مات بالوبأ اربعة عشر الفا وسبع مئة !

فهل كف إسرائيل عن التذمر ؟

كلا . بل ظل التذمر في قلوبهم وان كفوا عن إعلانه بأفواههم !

وكلم الرب موسى قائلاً كلم بنى إسرائيل ، وخذ منهم عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم حسب بيوت آبائهم اثنتى عشرة عصا واسم كل واحد تكتبه على عصاه !

واسم هرون تكتبه على عصا لاوي !

لأن لرأس بيت آبائهم عصا واحدة !

وضعها في خيمة الاجتماع أمام الشهادة حيث اجتمع بكم ! !

فالرجل الذي أختاره تفرخ عصاه !

فأسكن عنى تذمرات بنى إسرائيل التى يتذمرونها عليكما ! !

فكلم موسى بنى إسرائيل !

فأعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا لكل رئيس حسب بيوت آبائهم ، اثنتى عشرة عصا ، وعصا هرون بين عصيهم !

ووضع موسى العصى أمام الرب في خيمة الشهادة !

وفي الغد دخل موسى الى خيمة الشهادة !

واذا عصا هرون لبيت لاوى قد أفرخت !

أخرجت فروخاً !

وازهرت زهراً !

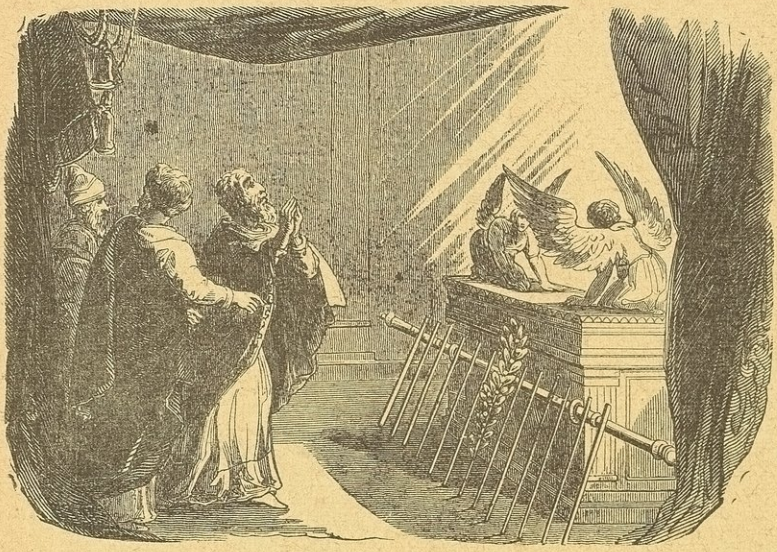
وانضجت لوزاً ! ! !

فأخرج موسى جميع العصى من أمام الرب إلى جميع بنى إسرائيل . فنظروا وأخذ كل واحد منهم عصاه !

وقال الرب لموسى

ردّ عصا هرون إلى أمام الشهادة لاجل الحفظ ! علامة لبنى التمرد !

فتكف تذمراتهم عنى ! لكى لا يموتوا ! !



عصا هرون التى أزهرت وأفرخت لوزا

٣٩

الحية النحاسية

« فصلى موسى لاجل الشعب . فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر اليها يحيا » (عدد ٢١ : ٧ و ٨)

لم تكن سياحة اسرائيل من مصر إلى كنعان سهلة. فقد ظلوا يشتكون طول الطريق . ولقد نميل إلى ان نلتمس لهم المعاذير احياناً لخشونة الطريق ولاستحالة وجود حاجات الجسد. لولا ان الله سبق ان اراهم في عظم عنايته انه يهتم بهم ويرعى

شئونهم ، وانه ليس لهم أن يهتموا او يضطربوا . لـكن الانسان انسان فهو كثير النسيان ، و بالتالى كثير الشك وعديم الايمان !

جاء الشعب إلى برية صين وأقام الشعب في قادش !

وماتت هناك مريم !

ودفنت هناك !

ولم يكن ماء للجماعة !

لقد سبق لهم ان عطشوا !

وسبق أن ضرب موسى الصخرة

فأخرجت ماء !

وقد سبق لهم قبل ذلك ان عطشوا

وسبق ان حول الله الماء المر عذباً !

ولكنهم نسوا كل ذلك !

واجتمعوا في مظاهرة صاخبة حول موسى وهرون !

وخاصموا موسى بشدة !

ليتنا فنينا فناء أخوتنا امام الرب !

لماذا اتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لكي نموت فيها نحن ومواشينا ؟

ولماذا اصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان الردىء ؟

ليس هو مكان زرع !

وتين !

وكرم !

ورمان !

ولا فيه ماء للشرب !

أما موسى وهرون فانسحق منهما القلب ، وهما يبصران الشعب الجاحد !

إلى أين يذهبان إلا إلى الله !

والله يقول لموسى ، خذ العصا ، واجمع الجماعة أنت وهرون وكلما الصخرة امام اعينهم أن تعطى ماءها فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقى الجماعة ومواشيهم !

فأخذ موسى العصا من امام الرب !

وجمع هو وهرون الجمهور أمام الصخرة وقال للشعب !

اسمعوا أيها المردة !

أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟

ورفع يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين !

فخرج ماء غزير !

فشربت الجماعة ومواشيها !

* * *

لقد اخطأ موسى !

في كبرياء صاح للشعب ، انه هو سيخرج لهم ماء !

وسيخرجه من الصخرة !

وبدلا من ان يكلم الصخرة !

يضرب الصخرة !

وقال الرب لموسى وهرون!

من اجل انكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى امام أعين بنى اسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الارض التى اعطيتهم اياها !

* * *

وعلى جبل هور يضم هرون إلى قومه ، ويلبس رداء الكهنوت ابنه العازار.

يلبسه اياه موسى . و ينحدر موسى والعازار من الجبل بغير هرون . ويبكى الشعب على هرون ثلاثين يوماً !

ومن جبل هور ارتحل اسرائيل فى طريق بحر سوف ليدوروا بأرض ادوم !

ونحن نرافقهم ونحس ان الشعب فى ضيق . ان حياة البرية حياة كرب . ان مصر كانت جنـة ونعيما بالنسبة للبرية . وهم يتكلمون على الربّ وعلى موسى قائلين :

لماذا اصعدتمانا من مصر لنموت في البرية !

لانه لا خبز !

ولا ماء !

وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف !

ياللجحود !

ينقلهم من أرض العبودية !

من كور الحديد !

ينقذ ظهورهم من سياط المسخرين !

وينشقهم ريح الحرية !

ومع ذلك يتذمرون !

وفى البرية ؟

يطعمهم المن !

ويسقيهم من الصخرة !

ويقيهم من مخاوف القفر العظيم !

ولـكنهم لا يشكرون !

إذن ليـكشف ستره عنهم !

ويطلق عليهم الحيات المحرقة !

فلدغت الحيات المحرقة الشعب فمات منهم خلق كثير !

وهنا أدرك الشعب عناية الله به !

فأتوا إلى موسى وقالوا قد أخطأنا اذ تكلمنا على الرب وعليك !

اطلب من ربك ليرفع عنا الحيات !

وصلى موسى لأجل الشعب !

وسمع الله !

على انه لم يرفع الحيات بل أبقاها !

ولكنه أمر موسى ان يصنع حية من نحاس في شكل الحيّة المحرقة ويضعها على راية . فكل من لدغ ونظر اليها يحيا !

وصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية ونظر الملدوغون اليها وحيوا

وحفظ اسرائيل حية النحاس !

وأبقوها الى أيام حزقيا الملك !

ولكن حزقيا سحق الحية وذراها لان الشعب ألهّها وعبدها !

غير أن ذكراها بقيت آية لرحمة الله وبره !

وبعد سنين طويلة جاء يسوع ابن الله وأعلن للبشر تلك الحقيقة الأزلية !

وكما رفع موسى الحية فى البرية

هكذا ينبغي ان يرفع ابن الانسان

لكى لا يهلك كل من يؤمن به !

بل تكون له الحياة الأبدية !

٤٠

الشخصية المزدوجة

« قد تركوا الطريق المستقيم فضلّوا تابعين طريق بلعام بن بصور الذي أحب أجرة الاثم . ولكنه حصل على توبيخ تعديه اذ منع حماقة النبي حمار أعجم ناطقاً بصوت انسان » (بطرس الثانية ٢ : ١٤ — ١٦)

هذه مأساة . . وقد وقد امتدت آثارها إلى أجيال !

لعلها النسخة الأولى التي نقل عنها مؤلف قصة « الدكتور جيكل ومستر هايد » !

وقد وقف الناس أمام تلك الشخصية حيارى !

هل الرجل مؤمن بالله حقاً أم هل هو ملحد ؟

هل هو نبي أم هل هو دعيّ ؟

هل كان الله يسمع له الصلاة ، أم هل كانت مجرد روايات واشاعات ؟

اما اسم الرجل فهو بلعام !

وكان مؤمناً بالله يعلن عن علاقته به

وكان نبياً ينطق بوحى الله ولا ينطق بغيره !

وكانت طلباته مقبولة . تحل البركة على من يباركه واللعنة على من يلعنه !

ولكن تصرفه يكشف انه كان رجلاً شريراً ، آثماً بل كان شيطاناً رجيماً !

ونحن نحار أين نضعه !؟

لكن لماذا الحيرة ؟ ألم يعلن المسيح ان بعض الناس سيقفون على باب السماء يطلبون أن يفتح لهم ، وهم يقولون ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فيجيبهم من الداخل ، اذهبوا عني .. لا أعرفكم !

بلعام إذن واحد من أولئك الذين يقولون أليس باسمك تنبأنا .. والذين سيسمعون القول اذهبوا عني .... لا اعرفكم !

ونحن نسمع عن بلعام من بالاق بن صفور ملك موآب . فقد أبصر اسرائيل، وهو في طريقه إلى كنعان ، يملأ السهل والجبل . وخشى انهم لكثرتهم سيأكلون الأخضر واليابس . لم يكن يعلم ان الله يطعمهم خبز الملائكة . ولعله خشى أن يمتد بهم الأمر فيحاربونه ، مع انهم لم يظهروا أية علامة للحرب !

وازدادت وساوسه واضطرب أمره . ونحن نسمعه يقول لشيوخ مديان ، الآن يلحس الجمهور كل ماحولنا، كما يلحس الثور خضرة الحقل

وهداه فكره المضطرب أن يرسل إلى النبي المقيم في فتور التي على نهر الفرات ليدعوه قائلاً ، هوذا شعب قد خرج من مصر . هوذا قد غشى وجه الأرض وهو مقيم مقابلي . فالآن تعال والعن لي هذا الشعب لانه أعظم مني . لعله يمكننا أن نكسره فاطرده من الأرض . لاني عرفت ان الذي تباركه مبارك والذي تلعنه ملعون !

وانطلق شيوخ موآب وشيوخ مديان يحملون رسالة بالاق ، وفي أيديهم هدية ملكية ذات قيمة عظيمة !

ووصلوا إلى فتور إلى بلعام والقوا رسالتهم !

لم يكن كلام القوم عن اسرائيل غريباً عليه !

فقد بلغت أخبار اسرائيل إلى كل الارض !

وكان بلعام يعرف ان الله قد أمر بالبركة للشعب . وكان يجب عليه أن يعيد

القوم و يعيد معهم هديتهم . ولكن بريق المال فتنه ، فطلب منهم أن يبيتوا ليلتهم فيرد عليهم جواباً كما يكلمه الله !

وفي الليل قال الله لبلعام ، لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لانه مبارك !

و بلعام الذي يفتنه بريق المال يقوم صباحاً حزيناً آسفاً . انه يود أن يذهب مع القوم ، و يرغب ان يجيب طلبة بالاق ، وان يتمتع بهبات بالاق . ولكنه لا يستطيع أن يذهب . لقد أبى الله أن يسمح له بالذهاب . وهو لهذا السبب أو لذاك يخشى ان يعصى أمر الله . انه يرغب من كل قلبه أن يذهب ولكن كيف السبيل إلى الذهاب والله يقول له لا تذهب ؟ !!

و يحمل شيوخ موآب وشيوخ مديان جواب بلعام إلى بالاق . و يرى بالاق خلف كلمات النبي نفساً تعبد المال وهى مستعدة أن تبيع ذاتها ور بها اذا وجدت المال الكافى :

لقد قال له رسله انه رفض أن يأتى وقالوا انهم حاولوا أن يعالجوا الموضوع معه فلم يفلحوا . أما بالاق فيعرف أين هو العلاج الناجع . يرسل له شيوخاً اكثر يحملون ذهباً اكثر ومواعيد اكبر . خذ يابلعام هذا القدر الكبير من المال ، واذا نجحت مهمتك أعطيتك مقداراً أكبر جداً مما تحلم .. هلم يا رجل !

و بلعام يسمع رسالة شيوخ موآب و يخفض رأسه حزيناً . كنا ننتظر انه يثور على القوم و يطردهم . لقد سبق الله فأعلن له انه لا يجوز أن يذهب . لقد قال له بعبارة صريحة لا تلعن الشعب لانه مبارك ، فإباله يقول للشيوخ انتظروا الليلة لاسمع أمر الله فى ذلك . انه يأمل أن الله يجيز له الذهاب بكيفية من الكيفيات !

والله يرى بلعام في حقيقته !

لقد أرسل له بالأمس رسالة التحذير !

ولكنه لا يصغي اليها !

ان المال يستهويه !

وهو يحس أن قوة المال المغناطيسية تجتذبه من أحضان البر !
ولا يكاد يقوى على مغالبة التجربة !
والله يتركه ليذهب !
يتركه وهو غير راض !

هذا ما يفعله المولى مع كل معاند . انه ينذره ويحاول أن يرده الى الصواب فاذا تقسى يتركه فى قساوته !

وما ان يسمع بلعام كلمة السماح له بالذهاب حتى ينطلق على آتانه بكل سرعة فيسبق شيوخ مواب . ينطلق مسرعاً ، ومع ان الأتان كانت كأنها تطير طيراناً إلا انه كان يحس انها كانت تزحف كالسلحفاة فهو يستحثها عسى أن تسرع اكثر !


ملاك الله يقف في طريق بلعام

ولم يشأ الله ان يتركه نهائياً !

فهو يرسل له ملاكاً يقطع عليه الطريق. ولكن بلعام لا يرى الملاك . ان عينه لاتبصر إلا ذلك الذهب الموعود به عند بالاق. وهو يشغل ليس عينيه فقط ، ولكن فكره أيضاً وقلبه. ولاشك ان الملاك أسف كثيراً ان يوجد شخص يبلغ به العمى انه لا يراه !

ووقف الملاك في طريقه وملأ عليه الطريق . وبلعام لم يبصره بالطبع . من عجب أن

أتانه أبصرت الملاك في الوقت الذي عميت عيناه فيه عن الرؤية. يالله العجب هل يبلغ الأمر أن يكون للاتان من الرؤية الروحية ما لا يوجد لرجل قيل فيه انه الرجل المفتوح العينين ؟ انه عجيب ولو انه أمر واقع ، ونحن نقرأ ما قاله الله على فم اشعياء في ما بعد « ... الحمار يعرف معلف صاحبه أما شعبي فلا يعرف »

مالت الأتان من طريق الملاك ونزلت الى الحقول لتتقي سيفه المسلول . وغاظ ذلك بلعام أولا لانها تركت الطريق السلطاني اللين ، وثانياً لانها بذلك أطالت مسافته عدة خطوات ، فمد عصاه وضربها بشدة ، وردها الى الطريق !

« وطارت » الأتان... وظلت تطير حتى جاءت الى طريق هو خندق للكروم له حائط من هنا وحائط من هناك . وهنا أيضاً لم يبصر الملاك الرجل المفتوح العينين ، وأبصرته الأتان فزحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط . وكان يمكن أن يعيده ذلك الى وعيه فينتبه لنفسه ويفتح عينيه ويرى الملاك . ولكنه لم يسمع لذلك الصوت ولم يفهمه واذ ذاك مد يده وضرب الأتان مرة ثانية !

وسارت الأتان حتى أتت الى مكان ضيق حيث ليس مكان للنكوب يميناً أو شمالا. وفي ذلك المكان وقف ملاك الرب. ومرة أخرى أبصرته الأتان ، ولم يبصره بلعام . وحارت الأتان ماذا تفعل . انها لا تستطيع إلا أن تربض تحت بلعام . وبلعام بدلا من ان يسأل نفسه ما بال أتانه تسلك مسلكاً عجيباً معه في ذلك اليوم ، ينهال على أتانه بالضرب ، ويود لو انه يفترسها افتراساً . انها تعطله عن الذهاب إلى بالاق وولائم بالاق وذهب بالاق . اذن لتضرب بالعصا ولو كان في يده سيف لفتك بها !

وتكلمت الأتان !

نعم تكلمت . فتح الرب فمها فتكلمت !

ماذا صنعت بك حتى ضربتني الآن ثلاث دفعات ؟؟

ولا هذا أعاد لبلعام ذهنه !

انه لا يفغر فاه مندهشاً كيف تتكلم الاتان !

انه لا يفتح عينيه امام آية لم يسمع التاريخ بمثلها . ولو انه فتح عينيه لأبصر الملاك !

انه يجيب الاتان قائلا : لقد ضربتك لانك ازدريت بى . لو كان في يدى سيف لكنت الآن قتلتك!

وكأنى بالاتان تنظر اليه آسفة . انه لا ينظر ولا يفكر . انه لا يسأل لماذا مالت عن الطريق ، ولماذا ضغطت رجله في الحائط ولماذا ربضت تحته . إنه لا يسأل شيئاً من ذلك ، نظرت الأتان اليه آسفة وكأنها تقول كان يجب قبل أن تضربنى ان تسأل نفسك .. ثم قالت الست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم . هل تعودت أن أفعل بك هكذا وقال بلعام : لا ! !

وهنا فتحت عيناه . كشف الرب عن عينيه ، فابصر ملاك الرب واقفا في الطريق وسيفه مسلول في يده !

خاف بلعام فخر ساجداً على وجهه !

ووبخ الملاك بلعام على عماه قال لماذا ضربت أتانك الآن ثلاث دفعات . هأنذا قد خرجت للمقاومة عسى ان أردك عن طريقك فانى أراها ورطة أمامى وستقودك حتما الى الهلاك . وقد ابصرتنى الأتان ومالت من قدامي الآن ثلاث دفعات . ولو لم تمل من قدامي لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها !

فهل سمع بلعام الرسالة كما يجب ؟

بل سمعها كما يسمع الانسان أمراً يسوءه وهو يقول متردداً : اخطأت . انى لم أعلم أنك واقف تلقائى في الطريق . والآن ان قبح في عينيك فانى أرجع !

يا لها من توبة ضعيفة مرتخية ! !

والله يتركه ليذهب ليكشف له ولغيره عقم محاولاتهم و بطل متكلهم !

وهكذا سار بلعام حتى وصل الى مدينة مواب التى على تخم ارنون الذي في أقصى التخوم . وهناك وجد بالاق بانتظاره !

وعاتب بالاق بلعام عتابا رقيقاً قال ألم ارسل اليك لأدعوك . لماذا لم تأتِ إليّ أحقا لا أقدر أن اكرمك ؟



ثم كشف الرب عن عيني بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في يده فخر ساجداً على وجهه

وبلعام يرد على هذا الكلام ، ان عدم مجيئه لم يكن شكا في وعد بالاق وانما اطاعة لأمر الله . ويقول ها أنذا قد جئت اليك . العلى الآن أستطيع أن أتكلم بشيء . الكلام الذى يضعه الله في فمى به أتكلم .

وبالاق يقوم بواجب اكرام الضيف فيقيم الولائم الكبيرة ويذبح غنما وبقراً !

وفى الصباح بدأ بلعام يسعى لاتمام مهمته. ان بالاق يطلب منه أن يلعن شعب اسرائيل وهو يأخذه الى مرتفعات بعل حيث يرى الشعب من أقصاه الى أقصاه ..

وطلب بلعام أن يبنى له بالاق سبعة مذابح وعند إصعاد التقدمة ترك بلعام بالاق وانطلق إلى رابية حيث وقف فى تأمل وهناك وافاه الله ، ووضع كلاماً فى فمه هو اعلان لبركة اسرائيل واتساع رقعته وكثرة عدده !

واندهش بالاق وقال لبلعام ، ماذا فعلت بى ، لتشتم أعدائي أخذتك وهوذا أنت قد باركتهم . واعتذر بلعام بانه انما يتكلم بما يضعه الله فى فمه !

وظن بالاق وظن معه بلعام . انهما يستطيعان أن يخدعا الله . لقد تكلم الله بالبركة على شعب اسرائيل عندما رآه بلعام من أقصاه إلى أقصاه فليقف بلعام فى في مكان يرى الجانب الأكبر منه !

لقد أمر الله بالبركة للشعب كله وهو يطلب من بلعام أن يلعن جلّه . ولكن الله بالطبع يعود فيتكلم بالبركة « قم يابالاق واسمع . اصغ الىّ يا ابن صفور . ليس الله انساناً فيكذب . ولا ابن انسان فيندم . هل يقول ولا يفعل . أو يتكلم ولا يفي . انى قد أمرت ان اباركه، فانه قد بارك فلا أرده . لم يبصر اثماً فى يعقوب . ولا رأى تعباً فى اسرائيل . الرب الهه معه وهتاف ملك فيه .. »

يضطرب بالاق ويضطرب معه بلعام فيصعدان الى ربوة يبصران منها جزءاً من الشعب وعلى تلك الربوة تكلم بلعام على اسرائيل بالبركة وختمها بالقول مباركك مبارك ولاعنك ملعون !

وغضب بالاق على بلعام غضباً شديداً وأمره بالانطلاق لفوره . لقد قصد أن

يكرمه ولـكن الله منعه من الـكرامة — وقد حوى كلامه تهديداً بقتله . واجاب بلعام انه لم يخدعه . لقد سبق أن قال لرسله انه لن يتكلم إلا ما يضعه الله في فمه . انه لا يستطيع أن يجاوز قول الرب . وهو يقول انه سينطلق الى شعبه ولـكنه قبل ان ينطلق سينبئه بما يفعله اسرائيل بمواب فى آخر الايام . والقى تلك النبوات التى امتزج فيها المستقبل القريب بالمستقبل البعيد والملك داود بالملك ابن داود ونصرة مملـكة اسرائيل ونصرة مملكة المسيا. وقد تألقت بعض نبواته أنواراً لماعة في تاريخ العالم « أراه ولكن ليس الآن . أبصره ولكن ليس قريباً . يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من اسرائيل ... »

إلى هنا وتنتهى قصة بلعام

أو هكذا يبدو !

على أن القصة لا تنتهى حقاً !

لقد تكلم بلعام بالبركة على اسرائيل ، ولـكنه كان فى قرارة قلبه يتمنى أن ينطق باللعنة حتى لا تفوته أجرة بالاق !

ولو أوتى الحرية لنطق باللعنة !

ولـكن الله أجبره على الـكلام بالبركة !

وقد أجبره الله ليريه ان اللعنة والبركة من عند الله ، وان الناس لا يملـكون منها شيئاً .

وفـكر بلعام أن يعود إلى فتور ... !

ولـكنه كان يحس بألم وضيق . هل يذهب من دون أن يأخذ شيئـاً . هل تضيع الثروة التي ظل مدة طويلة يحلم بها ؟ وهل تضيع كل المتاعب التي لاقاها ؟

وتلك الانذارات التي مرت به دون ان يكترث بها ، هل تتطلع اليه ساخرة شامتة . كلا . لابد أن يأخذ عطية بالاق ولابد أن يلعن اسرائيل . ولقد رنت فى أذنه تلك النبوة « ولاعنك ملعون » ولـكنه لم يضطرب للعنـة . لتأت اللعنة بل

اللعنات . ماذا يهمه ذلك اذا كانت تأتى معها عطايا بالاق ؟

لكن كيف يمكنه أن يلعن الشعب ؟

لقد حاول أن يفعل ذلك ولم يستطع !

لن يحاول إذن ان يبنى المذابح و ينتظر الوحى من الله !

ليس الله انساناً فيكذب !

ولـكنه يستطيع أن يلعن الشعب !

بل انه يستطيع أن يجعل الشعب نفسه يأتى باللعنة لنفسه .. نعم يستطيع . وجاءت فى نفسه فكرة شيطانية . وما أن دارت فى رأسه حتى فرك يديه سروراً ، وركض الى بالاق يفضى اليه بمؤامرته ضد اسرائيل !

لانعرف بالضبط الـكلام الذى قيل . ولا يحدثنا موسى عن ذلك . انه يطوى الصفحة ويمر بها مرور من لا يرغب أن يروى تفصيلاتها . ولـكننا نسمع شيئاً مما حدث بعد آلاف السنين من بطرس واذنضم هذا مع ما رواه موسى نعرف الدور الذي قام به بلعام !

لقد قال لبالاق !

ان الله قد أمر بالبركة لاسرائيل !

وان الله ليس انساناً فيكذب ولا ابن انسان فيندم !

ولـكن الله بار وقدوس وطاهر !

يبغض الاثم ويكره النجاسة !

فاذا ما استطعت يابالاق أن تدخل الاثم والنجاسة بين الشعب استطعت أن تجلب عليه اللعنة !

ولم يكن أسهل من ذلك على بالاق !

انه يأمر بنات مواب فى شطيم أن يدعون شباب اسرائيل الى ذبائح آلهتهن .. ولبى اسرائيل الدعوة فأكلوا وسجدوا لآلهتهن . وتعلق اسرائيل ببعل فغور اله

مواب وارتكبوا قبـــائح الوثنية وفظائعها وتمادوا فى ذلك الى درجة الاستهانة والاستهتار !

فحمى غضب الرب على اسرائيل !

وضربهم بالوبأ وكان عدد الذين ماتوا أربعة وعشرين ألفاً !

ولولا غيرة روحية من فينحاس الكاهن لهلك كل الشعب !

وهكذا أفلحت دسيسة بلعام

وتناول أجرة الاثم من بالاق !

وظن انه غنم غنما كبيراً !

وآن له أن يفرح ويبتهج !

ولكن جيش اسرائيل دهم مديان وضرب ملوكهم . .. وقتل بلعام بحد السيف !

وهكذا انتهى بلعام !

٤١

خليفة موسى

« الرب الهك هو عابر قدامك .... يشوع عابر قدامك كما قال الرب ـ فدعا موسى يشوع وقال له امام أعين جميـع اسرائيـل تشدد وتشجع لانك أنت تدخل مع هذا الشعب الارض » (تثنيه ٣١ : ٣ و٧)

قضى المولى ولا رادّ لقضائه أن ينطلق موسى الى ربه دون أن يدخل بالشعب الى أرض كنعان

وقد اضطرب موسى لذلك

واضطرب معه الشعب

لقد اختفى موسى يوماً وطالت مدة غيابه فضلّ الشعب الطريق وعبدوا العجل

وقد قالوا ، عنه موسى هذا الذي أخرجنا من مصر !

فاذا ما اختفى عن عيونهم الى الأبد فماذا يفعلون ؟

من يقودهم في مسالك البرية ؟

ومن يعبر بهم الاردن ؟

ومن يسمع لشكاياتهم اذا اشتكوا ؟

ومن يدبر لهم الطعام اذا جاعوا ؟

والماء اذا عطشوا ؟

والحماية اذا تعرضوا للخطر ؟

والنصرة اذا حاربوا ؟ ؟

ان موت موسى كارثة لا تعدلها كارثة — لكن .. جاء اليوم الذى مات فيه موسى !

وعين الله خليفته خادم موسى

يشوع

وقال الله ليشوع

موسى عبدى قد مات

فالآن قم أعبر هذا الاردن

أنت وكل هذا الشعب

الى الارض التى أنا معطيها لهم

كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته

لايقف انسان في وجهك كل أيام حياتك
كما كنت مع موسى اكون معك
لا أهملك ولا أتركك
تشدد وتشجع
لانك أنت تقسم لهذا الشعب الارض التى حلفت لآبائهم أن أعطيهم
انما كن متشدداً وتشجع جداً لكى تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التى امرك بها موسى عبدى
لا تمل عنها يميناً ولا شمالاً لكى تفلح حيثما تذهب
لايبرح سفر هذه الشريعة من فمك
بل تلهج فيه نهاراً وليلا
لكى تتحفظ للعمل حسب كل ماهو مكتوب فيه
لانك حينئذ تصلح طريقك
وحينئذ تفلح
اما أمرتك
تشددوتشجع
لا ترهب ولا ترتعب
لان الرب الهك معك حيثما تذهب

* * *

كانت كلمات المولى ليشوع قوة ويقيناً واصبح يشوع بعدها غير ما كان فقاد الشعب فى حروبه ضد سكان كنعان

وعلم يشوع من جواسيسه أن القوة المعنوية لسكان كنعان قد ضعفت الى حدّ بعيد فأعد الشعب لعبور الاردن ولمحاربة أريحا وعاى وبقية البلاد

ونحن نرغب هنا أن نقف قليلا لنسأل كيف يسمح الله لشعبه أن يقوم على شعب آخر و يفنيه بالسيف . بل كيف يأمر الله بذلك كما يظهر من سياق القصة . كيف يعد الله أن يعطى بلاد شعوب استقرت واطمأنت في مكانها لشعب آخر . ألم يكن فى الامكان أن يضع ذلك الشعب فى أرض خالية وكانت الارض الخالية كثيرة . وكيف يبيح الله حرب الهجوم والافناء ؟ ؟

وفى الحق انه سؤال صعب

اننا بحسب النور المسيحى نرى في هجوم اليهود على كنعان عملاً وحشياً لا يتفق لا مع دين ولا مع انسانية . ولكننا لا يجوز أن نحكم في الأمر ، ونحن نجهل الجانب الاكبر مما يحيط بالقصة ، وان كان من المفيد أن نسمع لأراء كثير من الدارسين فى هذا الأمر

قال بعضهم ان الله لم يأمر بنى اسرائيل أن يهجموا على كنعان . كانت الرغبة منهم وهو وافق عليها لانهم ارادوها . وهذا الرأى لا يخالف الروح الكتابى بل يتفق معه . ونحن نضرب مثلاً لذلك . جاء فى سفر العدد « ثم كلم الرب موسى قائلا أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبنى اسرائيل » . هنا يبدو ان الله هو الذي اقترح فكرة ارسال الجواسيس. غير اننا نقرأ فى سفر التثنية فى كلام موسى للشعب « فتقدمتم إلىّ جميعكم وقلتم دعنا نرسل رجالا قدامنا ليتجسسوا لنا الأرض و يردوا الينا خبراً عن الطريق .... فحسن الكلام لدى فأخذت منكم اثنى عشر رجلاً » — وهو كلام يدل على ان الله لم يكن له أى شأن فى أمر الجواسيس بالطبع الا شأن اجازته والسماح به . وسماح الله بأمر لا يكون حتما موافقة له

و يقول اصحاب هذا الرأى. ان محاولة استيلاء شعب اسرائيل على أرض كنعان وافناء سكان البلاد بالسيف هو عمل بشرى لم يكن الله صاحب الامر فيه . وهو عمل يتبع النظم البشرية . ومعونة الله للشعب أو عدم معونتهم هو أمر يتبع تفاصيل

أخرى لا علاقة لها بقتل الناس أو افنائهم — ويؤيد المتمسكون بهذا الكلام رأيهم بادعاء المحار بين المنتصرين ان الله وقف بجانبهم ونصرهم على أعدائهم. وهو ادعاء له أساسه لا لعلاقة الله بالحرب بل لعلاقته بالناس. فان الامة التي تتمسك بالله، وتحفظ شريعة الله وتسلك بالاستقامة، تحافظ على قوتها المعنوية، فتنتصر. بخلاف الامة التي تترك الله، وتسلك في الاثم، فان الانحلال يتمكن منها فتضيع

وهذه شهادة بيتان القائد الفرنسي المشهور، فانه أعلن ان سبب سقطة فرنسا لم يكن، فى نقص المال، أو السلاح، بل فى عدم وجود الرجال المستقيمين الذين لم يضعف الفساد حياتهم

وملخص هذا الرأى ان موضوع الحرب في كنعان موضوع بشرى وان نسبته الى الله اعتساف فى الحكم

وفى هذا الرأى كثير من الحق لكن فيه أيضاً كثيراً من الباطل

وثم رأى آخر هو أن سكان كنعان بلغوا من الاثم حداً جعل من المستحيل اصلاحهم. وقد صدق عليهم القول «علام تضربون بعد كل الجسم مريض وكل القلب سقيم من هامة الرأس الى باطن القدم جرح وأحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت» — ولذلك لم يكن هناك علاج للعالم من هذا الدمل الخبيث إلا أن يزال ولذلك أمر الله بنى اسرائيل أن يزيلوه — وهذا رأى لا بأس به، لولا بعض مواضع الضعف فيه التي تتناول استحالة اصلاح النفوس البشرية، والتي تتناول الشعب الافضل. ولاشك اننا لانستطيع ان نقبل ان الله لايستطيع اصلاح قوم مهما بلغوا فى الاثم. كما ان بنى اسرائيل لم يكونوا أفضل من غيرهم. وقد أعلن الله لهم ذلك وحذرهم من الظن ان الله اختارهم لانهم أفضل من جميع الشعوب

نظن ان الموضوع أصعب من أن نصل الى حله في هذه القصة

ولذلك نؤثر أن نتركه الآن ، ونسير مع الشعب لمرافقه في غزواته. ونكتفي بتفصيل الغزوة الأولى ونعنى بها الاستيلاء على أريحا .

١ — عبور الاردن

رتب يشوع رجاله وأعطى اشارة السير ، فارتحلوا من شطيم وأتوا الى الأردن. وهناك حلّوا . وأمر يشوع عرفاء الشعب أن يجتازوا في وسط المحلة ويطلبوا من الشعب انهم عندما يرون تابوت عهد الرب والكهنة اللاويين حاملين إياه يرتحلون من أماكنهم ، يسيرون وراءه ، فقط يكون بينهم وبينه مسافة نحو ألفى ذراع بالقياس لكى يعرفوا الطريق الذى يسيرون فيه لانهم لم يعبروا ذلك الطريق من قبل !

ثم طلب يشوع من الشعب أن ينتخبوا اثنى عشر رجلا من أسباط اسرائيل لكى يحمل كل واحد منهم حجراً من وسط الأردن عند انفلاقه .

لم يكن شق النهر حدثاً مستحيلا على الشعب الذى سمع عن شق البحر الأحمر ورأى الخبز يجمع في البرية والماء يخرج من الحجر ، ولكنه كان غير منتظر كثيراً، من يشوع الذى لم يعمل آية واحدة. ولكن الله مجّد يشوع، فانه حالما داست بطون أقدام الكهنة مياه الأردن، وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نداً واحداً من هذا الجانب ، والمياه المنحدرة الى بحر العربة بحر الملح انقطعت تماماً ، وعبر الشعب مقابل أريحا ـ ولما فرغ الشعب من العبور أخذ الرجال الاثنا عشر كل واحد منهم حجراً من وسط النهر ووضعوا الاحجار في المكان الذى حلّوا فيه تذكاراً لبنى اسرائيل الى الدهر !

وعبر الكهنة حاملو التابوت الى الضفة الثانية ، فكان لما عبروا واجتذبت بطون أقدامهم الى اليابسة ، ان مياه الأردن رجعت الى مكانها وجرت كما من قبل الى كل شطوطه ! !

والاثنا عشر حجراً التي أخذوها من الأردن نصبها يشوع في الجلجال . وكلم

بنى اسرائيل قائلا : إذا سأل بنوكم غداً أباءهم قائلين ما هذه الحجارة تعلمون بنيكم قائلين ، على اليابسة عبر اسرائيل هـذا الأردن ، لأن الرب إلهكم قد يبّس مياه الأردن من أمامكم حتى عبرتم كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذي يبّسه من أمامنا حتى عبرنا لكى تعلم جميع شعوب الارض يد الرب انها قوية لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام !

وعند ما سمع جميع ملوك غرب الأردن أن الرب قد يبّس مياه الأردن من أمام بني اسرائيل ذابت قلوبهم ولم تبق فيهم روح بعد !

هـذا فضلا عن أن يشوع قد تعظم في أعين جميع اسرائيل . فهابوه كما هابوا موسى !

وهنا أيضاً نسأل عن هذه المعجزة ونسمع الهمس الكثير حولها . إن كثرة تكذّبها وتنكر حدوثها . على أن أولئك المنكرين غير منصفين . ألم تحدث معجزات نظير هذه قام بها الناس . ألم يقبض الناس على أعنة الماء بل أعنة الهواء . ألم يتسلطوا على الطبيعة وقواتها . ألم يحولوا الماء الى طريق والهواء أصبح مركباً . فان كان الناس وهم بشر ضعفاء استطاعوا أن يأتوا بآيات ، فهل يمكن أن نشك في آيات يأتيها رب السماء والارض ؟ ؟

٢ — سقوط اريحا

وختن يشوع الشعب !

وأقام فريضة الفصح !

واستعد لغزو مدينة أريحا !

وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده . فسار يشوع اليه وقال له : هل لنا أنت أو لأعدائنا . فقال : كلا . بل أنا رئيس جند الرب . الآن أتيت . فسقط يشوع على وجهه الى

الارض وسجد وقال : بماذا يكلّم سيدي عبده . فقال رئيس جند الرب ليشوع : اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس !!

اطمأن يشوع تمام الاطمئنان . أنه لا يخاف، ولو اتّحدت عليه جميع الامم المقيمة في فلسطين فان رئيس جند الرب معه ! !

وها هم يتقدمون ليستولوا على أولى مدائن أرض الميعاد ونعنى بها مدينة أريحا !

كانت مدينة أريحا مغلقة بسبب بني اسرائيل وكان ملكها وسكانها يظنون أن بنى اسرائيل سيهجمون عليها بأسلحة حديثة أو يحاصرونها لكي يجيعوها . ولكنهم رأوا عجباً !

دار اسرائيل حول المدينة في اليوم الاول مرة واحدة . كان التابوت يتقدمهم وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة وينفخون فيها ، ثم عادوا إلى خيمتهم .

وفي اليوم الثاني داروا أيضاً دورة واحدة كما فعلوا في اليوم الاول وهكذا إلى اليوم السادس .

أما في اليوم السابع فداروا سبع مرات وفي نهاية الدورة السابعة عند امتداد صوت قرن الهتاف هتف جميع الشعب هتافاً عظيما فسقط سور المدينة في مكانه . وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف ماعدا راحاب وأبيها وأمها واخوتها وكل مالها وكل عشائرها .

ومرة أخرى نقف متسائلين :

لماذا قتلوا الجميع ؟

لئن كان من اللازم أن يقتل الكبار فلماذا قتلوا الأطفال ، ما ذنبهم ؟

وهنا أيضاً نقف أمام سؤال لا يسهل الجواب عليه . ويستحسن أن نتركه بدون جواب ! ! !

٤٢

ايمان زانية

« بالايمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة
اذ قبلت الجاسوسين بسلام » .
(عبرانيين ١١ : ٣١)

لعل المرأة الزانية أبعد البشر عن انتظار العطف والرحمة . كان هذا منذ أول التاريخ . ولا يزال هذا صحيحاً إلى الآن وربما الى الابد !

ان المرأة التي تبيع جسدها الى الشيطان تسقط الى أدنى دركات الوحل .

عائلتها تتبرأ منها . وفي بلادنا الشرقية يقتلها أقرب الناس اليها اذا استطاعوا !

جيرانها يسخطون عليها ويتبرمون من سكناها في منطقتهم !

الكنيسة تسجل نعيها فتشطب اسمها من سجل عضويتها !

الراعي ينوح عليها ولكنه لا يجسر أن يذهب لزيارتها . ربما يصلي لاجلها ولكنها صلاة بدون رجاء !

غير أن قصتنا هنا قصة عجيبة عن امرأة زانية آمنت اعجب ايمان !

اسم المرأة راحاب ومعناها اتساع أو فرج أو نجاة . وهي من مدينة أريحا في أرض كنعان !

ومع أن الكنعانيين كانوا أشراراً لدى الرب جداً ، إلا انهم نظروا الى راحاب نظرة احتقار وازدراء وطردوها من السكنى في وسط المدينة فاضطرت أن تسكن في بيت على سور المدينة حيث لا تقيم عائلات !

يوم ان اختارت حرفتها البغيضة ، ولا نعلم ما الذي دفعها الى ذلك ، لعنها والدها وانكرتها أمها وطردها اخوتها !

يغلب انها كانت تتمتع بقسط من الحرية في بيتها، ويغلب أن والديها لم يحسنا مراقبتها ، ويرجح أنها كانت جميلة ، وكانت تعرف انها جميلة . . . ويغلب انها زلّت مع شاب اغواها ثم تركها بعد أن سلبها اثمن جوهرة عندها !! يغلب أن هذا ما حدث وانها لم تستطع أن تعود الى أهلها حاملة عارها فاختارت حرفتها الكريهة البغيضة !

على أننا نحس انها بالرغم من البؤرة التي كانت تعيش فيها، كان في قلبها مكان لاحاسيس طيبة ، وكانت تشتاق الى ان تنجو من الاقذار التي تتردى فيها ! !

وفى احد الايام طرق بابها رجلان غريبان تركا في نفسها أثراً عميقاً !

لم يكن غريباً أن يطرق بابها الرجال، فلقد كان بيتها مفتوحاً لجميع الرجال !!!

وكان الرجال يأتونها من أريحا ومن عاي ومن جبعون ومن سائر ممالك كنعان وكانت تستقبل عينات متنوعة من الرجال الاغنياء والمتوسطين والفقراء ، والمتعلمين والجهلاء ، والجنود والتجار ، وكانوا يختلفون في طباعهم واخلاقهم. كان منهم اللين والخشن، السخي والشحيح ، المهذب والعنيف . . ولـكنها لم تكن ترى فيهم إلا مخلوقات دنيئة جاءت تشتري جسدها ، وكانت تبيعهم ذلك الجسد لقاء المال الذي يدفعونه ! !

آه لو علمت بأي ثمن بخس كانت تبيع جسدها . الجسد الذي هو في الاصل هيكل الله، باعته بدريهمات قليلة !!

لـكن ذينك الرجلين اللذين طرقا بابها أخيراً اختلفا عن كل الرجال الذين طرقوا بابها . كانا مختلفين في صورتهما وفي كلامهما ... وفي سلوكهما . كانا أول رجلين دخلا بيتها ولم يطلبا منها ما يطلبه الآخرون !

كان احد الرجلين سلمون وهو من سبط يهوذا وقد أرسله يشوع مع زميله ليتجسسا أرض كنعان وليحملا اليه خبراً عن استعداد الارض للحرب، عن سلاحها وحصونها وأسوارها وعن الحالة المعنوية للشعب ! !

وعبر الرجلان نهر الارض سابحين على الاغلب في ناحية مهجورة وتنكرا في زي تجار بلاد كنعان ، ووصلا الى مدينة اريحا ، ودخلا من بابها كتاجرين ، وسألا كما يسأل التجار الاغراب غالباً عن بيت الزانية،اذ كان هو الفندق الوحيد المعروف الذي يقبل الاغراب !!

ودخل الرجلان الى بيت راحاب !

ورأت راحاب رجلين يختلفان كل الاختلاف عمن اعتادت أن تراهم كل يوم. لقد صارت بحكم مقابلتها المستمرة لمختلف الرجال « عالمة نفسانية » وكانت تدرك حقيقة الرجل من مجرد النظر اليه . وحالما نظرت سلمون ورفيقه ادركت انهما من نوع جديد لم يدخل بابها نظيره قبل ذلك ! !

لقد كان الرجال الذين يقصدونها يحملون وجوهاً رسمت عليها الخطية أياتها، وأفواهاً اقرب الى القبور منها الى الافواه ، وألسنة يقطر منها السم رالافسنتين ، وعيوناً ترسل شواظاً من نار الجحيم فيها سعير وفيها دود وثعابين،أما ذانك الرجلان فقد كان يشع من وجهها نور ، وقد رسمت القداسة سطورها النورانية على ذينك الوجهين . وكان لساناهما وهما يطلان من فمين منفرجين ، يقطران شهداً وعسلاً ، وعيونهما ترسل نوراً بهياً يحمل أشعة من بر السماء !!

كلا . ليس هذان بشراً إن هما إلا ملاكين نزلا في زي البشر ليحكما على الزانية الشريرة بالهلاك ! !

هكذا تحدثت راحاب إلى نفسها وهي تبصر الغريبين يدخلان إلى بيتها، وقد غاص قلبها فيها وشحب وجهها وارتعشت يداها واضطربت ركبتاها . ترى هل جاء يوم الحساب؟؟ ولكنها حاولت اخفاء انفعالاتها ، وتقدمت اليهما كما كانت تتقدم إلى كل طالب للمتعة، فابتسمت ابتسامتها الخليعة وهزت أعطافها وتكلمت كلامها الناعم، الا أن الرجلين أوقفاها باشارة وتحدثا اليها حديثاً عجيباً عن إله فى السماء قدوس وبار وطاهر ، وعن شرائع أدبية ونواميس روحية ، وعن بر وكمال . وكان حديثهما على

ليونته قوياً . ومع انه أشاع الابتهاج في نفسها الا انه ملأها بالخوف ، ومع انه كشف لها نقاوة الحياة الروحية الا انه كشف لها ايضاً الى أي درك من الهوان نزلت فكان ارتياعها عظيماً !

وقد سألتهما

من أنتما ومن أين أتيتما وما الذي تبغيانه مني ؟

ونظن أنهما ترددا في أول الأمر ، ولكنهما اجاباها انهما من بني اسرائيل ، وانهما أتيا من عبر النهر حيث يقيم الجيش الكبير الذي يقوده يشوع ، وانهما يبغيان أن يعرفا كل شيء عن اريحا ، عن ملكها وجيشها وسلاحها وقوتها المعنوية !

وقالت لهما اني اعلم الكثير عن شعب اسرائيل وعن إله اسرائيل — ولكني اسمع حسّ أقدام جنود الملك تبحث عنكما فهلما معي الى السطح . وهناك في مخبأ مستور وارتهما ... وقد عملت ذلك في الوقت المناسب ، لان جواسيس ملك اريحا اخبروه عن مجيء الغريبين ، وارسل الملك الى راحاب يطلب منها أن تسلم الرجلين اللذين اتيا اليها ودخلا بيتها « لانهما قد أتيا لكي يتجسسا الارض كلها »

ولم تنكر راحاب ان الرجلين قد جاءا اليها ولكنها قالت انهما لم يمكثا طويلا فقد حدث نحو انغلاق الباب في الظلام انه خرج الرجلان . لست اعلم في أي اتجاه ولكنهما لن يكونا بعيدين الآن . تستطيعون ان تدركوهما اذا سعيتم خلفهما — وخرج رجال الملك يبحثون عن الرجلين ولم يعثروا عليهما بالطبع !

ترى هل نوافق على ما عملته راحاب ؟ هل نعتبر كذبها شيئاً صالحاً ؟ اننا بالطبع ننكر الكذب ونعلن أن الكذب كذب مهما لبس بيض الثياب ، على انه لا يجوز ان نلوم راحاب ، وهي لم تخرج من دائرة الظلمة إلا من لحظات . وهي تظن ان اخفاء الجاسوسين فضل سيكافئها عليه اله اسرائيل . ثم ان الجواب عن السؤال يوقعنا في مشاكل لا تنتهي ولذلك نؤثر ألا نجيب عليه ! ! !

وبعد انطلاق رسل الملك وصعدت المرأة إلى الرجلين وسهرت معهما

كانت سهرة تاريخية لراحاب ! !

كانت سهراتها خمراً ومجوناً وعبثاً وعربدة، وكانت أحاديثها وأحاديث ضيوفها تصعد في الجو شتائم وسخائم وفضائح وقبائح !

ولكن سهرة تلك الليلة كانت سهرة تأملات ! !

وقالت راحاب

« علمت ان الرب قد اعطاكم الارض »

« وان رعبكم قد وقع علينا »

« وان جميع سكان الارض ذابوا من اجلكم »

« لقد سمعنا كيف يبس الرب بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر »

« وسمعنا عما عملتموه بملكي الأموريين اللذين في عبر الاردن سيحون وعوج »

« سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبق بعد روح في انسان بسببكم . لأن الرب الهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت . . »

يالها من كلمات ! !

هاهي المرأة الزانية تنعش روح سلمون ورفيقه . وتبعث فيهما قوة الايمان

لقد كانا مضطربين

وكانت قلوب الشعب منزعجة ! !

ترى هل تفلح هذه الغزوة ؟

هل ينجحون في الاستيلاء على الارض؟

ام هل يسحقهم العدو فيدفنون بجوار نهر الاردن ؟

هل تنتهي رحلة كنعان بكنعان ؟

أم تنتهي بالموت ؟ ؟

كانت هذه هي الأسئلة التي تمر في ذهن كل اسرائيلي . وهوذا الله يرسل الاجابة على فم المرأة الزانية في أريحا !

بل ماهذه الكلمات القوية ؟

ماهذه الشهادة العظيمة ؟

« الرب الهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الارض من تحت »

قام سلمون وزميله بكل خشوع وسجدا لله على الارض وطال سجودهما والمرأة صامتة في تأمل

فلما قاما من السجود تقدمت منهما وقالت لقد اصبحت واحدة من جيش يهوه . لست بعد وثنية ولكنني مؤمنة فالآن احلفا لي بالرب وأعطياني علامة أمانة لاني قد عملت معكما معروفاً بان تعملا انتما أيضاً مع بيت أبي معروفاً وتستحييا أبي وأمي واخوتي واخواتي وكل ما لهم وتخلصا أنفسنا من الموت !

وتأثر الرجلان كثيراً وأعلنا انهما يعملان معها معروفاً وأمانة !

وقبل الفجر انزلتهما بحبل من الكوة لان بيتها بحائط السور . ربطت الواحد ودلته ثم رفعت الحبل وربطت الآخر ودلته. وبعد أن وصلا الى الأرض قالت لهما لا تنطلقا مباشرة الى الاردن لئلا يقابلكما جنود الملك الذين خرجوا ليبحثوا عنكما بل اذهبا الى الجبل . واختبئا ثلاثة أيام حتى يرجع السعاة ثم اذهبا في طريقكما .

وشكرها الرجلان كثيراً ثم طلبا منها أن تربط الحبل الذى دلتهما به، الحبل القرمزى فى الكوة التي انزلتهما منها . وان تجمع اليها في البيت اباها وأمها واخوتها وسائر بيت أبيها. وقد شددا كثيراً في وجوب وجود الحبل القرمزي علامة وفى وجوب وجود الجميع داخل أبواب بيتها. قالا انك اذا لم تربطي الحبل القرمزي في الكوة فنحن بريئان من دمك. وان كل من يخرج من أبواب بيتك الى خارج فدمه على رأسه ونحن نكون بريئين . وأما كل من يكون معك في البيت فدمه على رأسنا اذا وقعت عليه يد . وان افشيت أمرنا هذا نكون بريئين من حلفك الذي حلفتنا . فقالت ، هو هكذا حسب كلامكما ، وصرفتهما فذهبا !!

ذهبا وهما يتحدثان عن المؤمنة الأولى في كنعان . . ويتعجبان لنعمة الله التي

تختار جواهرها من أقذر احجار سدوم !

أما راحاب فاسرعت ور بطت حبل القرمز في الكوة !

ثم أخذت طريقها في طرقات اريحا الى بيت أبيها . كانت المرة الأولى التي تذهب الى ذلك البيت بعد ان تركته .

لا نعلم كيف استقبلها ذووها .

يغلب أن اباها وقف وهو يشير بيده أن تعود الى عارها ويردد لعناته التي سبق أن ارسلها خلفها يوم طردها من البيت !

ولكن شيئاً في وجهها جعله يصمت .

ها هي تتكلم:

لقد تركت عاري يا ابي

جاءتني نعمة من فوق وانتشلتني من أوحالي

لقد بعت جسدي للشيطان سنين هذا عددها ولكن سيدي وإلهي قد فدى جسدي وروحي .

الله إله اسرائيل ربي ! !

ووقعت رهبة على المكان

وتكلمت راحاب :

ان إله اسرائيل هو الاله الحقيقي

وهو سيعطي هذه الأرض لشعبه

وسيهلك جميع مقاوميه

فالآن تعالوا الى بيتي واخلصوا

جميع الذين يظلهم الحبل القرمزي سينجون ! !

وقامت قافلة صغيرة تسير في طرقات أريحا، راحاب وخلفها أبوها وأمها واخوتها واخواتها وذوو قرباتها .. وكل ما لهم. كل هؤلاء دخلوا بيت راحاب للمرة الأولى

وكان الحبل القرمزي يتموج أمام النسيم فى الكوة !!

وجاء بنو اسرائيل

جف نهر الاردن تحت اقدامهم .

وها هم يطوفون بالابواق حول المدينة ستة أيام . وفي اليوم السابع طافوا سبع مرات . هوذا سور المدينة يسقط وهوذا الجنود يهجمون على المدينة بالسيف .

ولكن يشوع لا ينسى راحاب

فهو يرسل الجاسوسين ليخرجاها ومن معها وما معها من اريحا الى محلة اسرائيل!

وعاشت راحاب وسط الشعب !!!

* * *

وقد سكت التاريخ الاسرائيلي عن راحاب فلم يكشف لنا عنها . ولكننا بعد سنين كثيرة نقرأ في سجل الشعب المختار أن سلمون أحد الجاسوسين تزوج من الحسناء الكنعانية وولد منها بوعز. وان بوعز تزوج بدوره من راعوث الموآبية وولد منها عوبيد . وان عوبيد هذا هو جدّ داود الملك ، وداود الملك هو رأس سلسال ابن داود الملك الآتي باسم الرب ! !

هل كان أحد يظن أن راحاب!

الكنعانية !!

الزانية !!

تتنقى وتتنظف من أوحالها

وتؤمن بالاله الحقيقي

وتمتزج بالشعب المختار

وتتزوج من أحد الرؤساء

وتلد ابناً يأتي منه المسيح !!

تلك الجوهرة البراقة اللامعة التي يضعها كاتب سفر العبرانيين بجانب هابيل

واخنوخ ونوح وابراهيم وساره واسحق ويعقوب وموسى ويشوع هي راحاب الزانية ! ! !

« بالايمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة إذ قبلت الجاسوسين بسلام » .

نعم هذه الجوهرة التي ترسل نورها لمعاناً بارقاً يخترق ظلمات التاريخ ويضيء للعالم الجاثم في ظلال الاثم ، الجوهرة التي تجلت في ذلك العقد الثمين من اسماء خالدة انتهى موكبها الى سيد الزمن ومخلص الكون، هذه الجوهرة التي يعتز بها التاريخ ويفخر بها الأزل هي راحاب الزانية !

وسلمون ولد بوعز من راحاب !

عظيمة هي نعمة المسيح ! !

مجيدة هي نعمة المسيح ! !

٤٣

الرجل الذي قاتل البعل

« فقال له جدعون اسألك يا سيدي اذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه واين كل عجائبه التي أخبرنا بها اباؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر . والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مديان . فالتفت اليه الرب وقال اذهب بقوتك هذه وخلص اسرائيل من كف مديان اما ارسلتك ! ! »

قضاة ٦ : ١٣ ، ١٤ .

اسم الرجل جدعون !

وهو ابن يواش الابيعزرى من سبط منسى بن يوسف ! !

وقد اختاره الله ليخلص الشعب من المديانيين والعمالقة !

رأينا ان اسرائيل لم يبق أمينا لله باستمرار ، بل كان يحيد عن عبادته عند

موت مخلصه الذي كان يرسله الله لأنقاذه . يبدو ان عبادة الله ليست في سهولة عبادة الاوثان او على الأقل انها لا تتفق مع الطبيعة البشرية . لان اسرائيل كان يحتاج الى من يحضه و يحثه على عبادة الله ولكنه لم يحتج الى أحد ليحضه على عبادة الاوثان ، بل كان يندفع اليها من تلقاء نفسه و بحماس . و بالرغم مما كان يحصده من شر ر من جراء ابتعاده عن الله فانه لم يكفّ عن الابتعاد !

وكانت حياة اسرائيل تتلخص في ابتعاد عن الله ، فقصاص وتأديب ، فتوبة وندامة وصراخ الى الله ، فرحمة منه وانقاذ على يد مخلص . . . فابتعاد عن الله فقصاص وهكذا ! !

حدث هذا بعد موت يشوع والشيوخ وقناز وشمجر وأهود ... و باراق

ونحن نرى الشعب يعبد الله الى ان مات باراق ، واذ ذاك عاد الى اصناميته ، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين !

وكان المديانيون قوما قساة عتاة . و بسببهم عمل الاسرائيليون لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون يلجأون اليها هربا منهم ، ويجمعون فيها بعض الغلال خوفاً من ان ينهبوها . بل كان المديانيون يقصدون زروع بني اسرائيل في السهول المجاورة للجبال ويتلفون غلة الارض ولا يتركون لهم قوت الحياة ولا غنما ولا بقراً ولا حميراً لانهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد في الكثرة . فذل اسرائيل جداً من قبل المديانيين ، وصرخوا الى الرب !

وكان لما صرخ بنو اسرائيل ان الرب ارسل لهم نبياً وانبأهم ان ما اصابهم من شر ، هو نتيجة حتمية لتركهم اياه . وكان في قوله لهم تنبيه لهم الى انه يمكنهم ان يخلصوا من ضيقهم اذا رجعوا الى الله بالتوبة والايمان . غير انه يبدو انهم لم يهتموا باطاعة رسالة النبي ، إمّا لانهم لم يصدقوها ، أو لان خطيتهم كانت تمسك بتلابيبهم !

ولكن رحمة الله لا تتخلى عن شعبه ولو تخلى الشعب عن إلهه ! ! !

فهوذا ملاك الله يأتي الى مدينة عفرة !

وفي عفرة كان شاب اسمه جدعون يخبط حنطة بعجلة ليهرّبها من المديانيين وجلس الملاك تحت البطمة وراقب الشاب وهو يعمل . وقال الملاك ، الرب معك يا جبار البأس ! ! هل قصد بها مجرد تحية ام قصد رسالة خبرية ام على الارجح قصد الاثنين ؟ ؟ كان جدعون يستحق رسالة الملاك لانه كان رجلا تقيا وفاضلا في جيل معوج !!

لم يعلم جدعون ان الذي يكلمه ملاك بل ظن انه انسان او على اكثر تقدير ظن انه نبي ، فابدى له شكوكه في ان الرب معهم . وهل يتفق ان الرب معهم وهم يرزحون تحت نير مديان ؟ ؟

وتكلم الملاك ، ولماذا يبقى اسرائيل في كف مديان ، اذهب أيها الرجل بقوتك هذه وخلص اسرائل من مديان . اما ارسلتك ؟ وينحني جدعون خجلا وتواضعاً ويقول ، انا . . انا اخلص اسرائيل . . وبقوتي هـذه ؟ ؟ من انا حتى اخلص اسرائيل ، ها عشيرتي هي الذّلى في منسى وأنا الأصغر في بيت أبي ؟ ؟ ! ! ولـكن الملاك لا يعبأ باعتراضه ، بل يرسله قائلا اني اكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد !

وهنا بدأت تساور جدعون افـكار . من هو هذا الذي يتحدث بهذا السلطان. انه يظهر لى انسانا عاديا ولـكنه يتكلم معى كاله، يقول لي اذهب . . اما ارسلتك . . اني اكون معك وستضرب المديانيين . ترى من هو ؟ ؟ واراد جدعون ان يتحقق من شخصية الرجل فالتمس منه أن ينتظر حتى يعد له طعاماً ، وأعدّ الطعام بعجلة وجاء به اليه، وأمره الملاك أن يضع الخبز واللحم على الصخرة ، ويصبّ عليه المرق ، ثم مد الملاك طرف العكاز ومس اللحم والفطير فصعدت نار من الصخرة ، واكلت اللحم والفطير . . واختفى ملاك الرب عن عينيه . واذ ذاك عرف جدعون ان محدثه هو ملاك العهد . . الرب نفسه ، فصرخ قائلا ، آه يا سيدي الرب لاني قد

رأيت ملاك الرب وجها لوجه . قال هذا وهو يظن انه هالك ولا بد ، ولكن الله اوحى اليه ، ان لا تخف يا جدعون بل اطمئن ! !

واذ ذاك بنى جدعون هناك مذبحا للرب ودعاه يهوه شلوم ! !

* * *

وفي الليل ظهر له الله وامره أن يهدم مذبح بعل الذي لأبيه ، وأن يبني مذبحاً للرب يقدم عليه الثور الذي كان مكرساً لبعل . وفعل جدعون كما أمره الله . فعل ذلك ليلا اذ كان لا يجسر ان يفعله نهاراً . كان يواش يذبح للوثن ولكنه لم يؤمن به كثيراً ، ولعله كان منساقاً الى الوثنية بحكم زعامته للعشيرة . أما جدعون فكان من رجال الله لا يؤمن ببعل ولا يذبح له . وهو اذ يسمع أمر الملاك أن يهدم مذبح البعل، يهدمه ويكسر السارية ويوقدها ويقدم ثور الوثن محرقة !

وفي الصباح استيقظ القوم ليروا مذبح إلههم مهدوماً ، فارتاعوا وخشوا أن تنقلب السماء على الأرض. من الذي ارتكب هذا الجرم الفظيع ؟ من الذي تجاسر أن يمد يده على مذبح الشمس ؟ ومن الذي كسر السارية ومن الذي احرق الثور ؟ وجعل القوم يبحثون ويتقصّون ، الى أن وصلوا الى الحقيقة . جدعون عمل ذلك! اين جدعون لنقتله ؟ هو مختبىء في بيت أبيه . اذن يايواش أخرج ابنك لنقتله ! !

لم يكن يواش مؤمناً حقاً بالبعل ولعله بعد ما أبصر جدعون يهدم المذبح بدون خوف تزعزعت ثقته فيه . ان إلهاً يهدم مذبحه باحتقار أمام عينيه وتكسر ساريته ويحرق الثور المكرس له هو أضعف من أن يُتكل عليه . ولئن عجز ذلك الاله عن المحافظة على نفسه فهل يستطيع أن يحافظ على الغير ؟ كلا . ليس البعل إلهاً ! !

ولذلك عند ما جاء القوم اليه يطلبون منه أن يسلم ابنه ليقتل ، ثار فيهم قائلاً انتم تقاتلون للبعل أم أنتم تخلصونه ؟ من يقاتل له يقتل في هذا الصباح . ان كان إلهاً فليقاتل لنفسه لان مذبحه هدم ! ؟ ! !

وكانت كلمات يواش منطقية تقبّلها القوم بقبول وتأملوها فاذا هي حق . اذن

لا بعل بعد اليوم ، وهلمّ خلف جدعون الذى دعى من ذلك اليوم «ير بعل» أي مقاتل البعل ! !

وجاءت جدعون الدعوة للقتال !

جاءت لا بكلام وانما بظروف الاحوال فقد اجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبنى المشرق ونزلوا في وادي يزرعيل . اجتمعوا ليقتلوا وينهبوا ويتلفوا . وهل يليق أن يتركوا ليعملوا ذلك وفى الارض جدعون ؟

ثم ان الله لم يترك جدعون !

لبس روح الرب جدعون !

فضرب بالبوق !

واجتمعت عشيرة بيت أبيه حوله !

وأرسل رسلاً الى عشائر بيت منسى واشير وزبولون ونفتالى وهي العشائر القريبة منه ، فاجتمع خلفه عدد منهم بلغت عدتهم اثنين وثلاثين الفاً !

على أن جدعون لم يكن بعد مطمئناً الى مغامرته فتقدم الى الله. ولا نعلم كيف تقدم اليه . هل تقدم بالصلاة ، أم امام المذبح ، ام ان الله ظهر له ؟ ولكنه على أى حال تقدم وطلب من الله أن يؤكد خلاصه بعلامة ذكرها. ذلك انه وضع جزة الصوف في البيدر في المساء وقال، ان كان طل على الجزة وحدها وجفاف على الارض كلها ، علمت انك تخلص اسرائيل كما تكلمت، وكان كذلك إذ عصر طلاً من الجزة ملء قصعة ماء أي ملء صحفة وهى ما تسع من الطعام ما يشبع خمسة رجال أو ما يزيد عن عشرة أرطال !

لم يكتف جدعون بهذه العلامة . فطلب آية أصعب أن يكون جفاف في الجزة وحدها أمّا على الأرض فليكن طل . وفعل الله كذلك في تلك الليلة فكان جفاف في الجزة وحدها وعلى الارض كلها كان طل !

ولعلنا نتساءل هل اصاب جدعون في طلبه من الله أم اخطأ . ولكن جواب

ذلك ظاهر في رد الله عليه . ان الله لا يترك الايمان الضعيف دون أن يشدده ويقويه. ومهما كانت طلباتنا منه ظاهرة السخافة فانه في سبيل تشديدنا يجيب الكثير من التماسنا .

وتشدد جدعون !

بل لقد تمسك باسمه الجديد يربعل !

وسار أمام جيشه الصغير . انه لا يزيد عن اثنين وثلاثين الفاً بينما جيش مديان يزيد عن مئتي الف . ماذا عساه أن يفعل بجيشه الصغير هذا مع جحافل مديان ؟ ولكن في حيرته هذه يسمع صوت الله يقول، ان الشعب الذي معك كثير عليّ لأدفع المديانيين بيدهم ، لئلا يفتخر عليّ اسرائيل !

وكان اندهاش جدعون عظيما ولا بد . ان الله يقول ان الجيش كبير في الوقت الذي يشكو هو من قلّته . ولكن الله صادق وما على جدعون إلا أن يحني رأسه ويقول ، نعم يا رب ! !

وجاء الصوت « والآن ناد في آذان الشعب قائلاً ، من كان خائفاً ومرتعداً فليرجع وينصرف من جبل جلعاد » — وما رنّت تلك الكلمات في الجو حتى هرع القوم في عجلة عائدين الى بيوتهم ، مئات وألوفاً . نعم رجع من الشعب اثنان وعشرون الفاً . كان من الخير أن يعود الخائفون ، أن وجودهم أسوأ بكثير من ذهابهم . نعم ان العدد الباقي قليل ولكنه عدد مؤمن برسالته . كل فرد منهم جبار . أما الخائفون فانهم يضعفون أنفسهم ويضعفون الاخرين .

ولكن جدعون اضطرب ولا شك من قلة العدد . لقد هاله أن يتركه العدد الكبير الذي عاد ، ونظر الى الآلاف القليلة الباقية بحسرة. ماذا عسى أن تفعل عشرة آلاف امام مئتي الف ؟

على ان الله زاده عجباً فوق عجب ، فقال له، لم يزل الشعب كثيراً ، انزل بهم الى الماء فانقّيهم لك هناك — وعلى الماء راقب جدعون بأمر الله كيف يشرب القوم .

فأكثرية جثت الى الماء ومدت فمها وشربت بنهم ، وأقلية اخذت الماء في أيديها وشربت من أيديها ـ واختار الله الاقلية ونحن نرى اذا تأملنا حكمة ذلك الاختيار. لقد اختار الذين ضبطوا أنفسهم ولم يندفعوا بنهم الى الماء . اختار الشجعان الذين يستطيعون أن يصبروا على العطش فهم صابرون ولا شك على المكاره !

ومن أسف أن تلك الاقلية لم تكن إلا ثلاث مئة !

وقال الله لجدعون بالثلاث مئة اخلصكم ! !

* * *

ولعل الله لاحظ بقية خوف في نفس جدعون

أو لعله أراد أن يزيل كل أثر من خوف سابق فطلب من جدعون ان يتسلل ليلاً الى محلة المديانيين . فنزل مع غلامه ، وجال بين الخيام . وفيما هو يسير سمع رجلا يخبر صاحبه بحلم ويقول، هوذا قد حلمت حلماً واذا رغيف خبز شعير يتدحرج فى معسكر المديانيين ، وجاء الى خيمة الملك ، وضربها فسقطت وقلبها الى فوق ! ! وسمع جدعون صاحب الرجل يقول ، ليس ذلك الرغيف الاّ سيف جدعون بن يواش رجل اسرائيل . قد دفع الله الى يده المديانيين وكل الجيش ! !

فلما سمع جدعون خبر الحلم وتفسيره سجد لله احتراماً وعبادة له، وشكراً على تشجيعه إياه . . ورجع الى رجاله الثلاث مئة وقال قوموا لأن الرب قد دفع إلى يدكم جيش المديانيين !

* * *

ومع أن الحرب التي قام بها ذلك الجيش الصغير لم تكن في الحق حرباً ولكن الخطة التي وضعها جدعون دلت على طول باعه فى القيادة . فقد قسم الثلاث مئة الى ثلاث فرق وجعل أبواقاً فى أيديهم كلهم وجراراً فارغة ومصابيح فى وسط الجرار . ورأس هو إحدى الفرق وطلب من الباقين أن يعملوا كما يعمل هو . وفى طرف محلة المديانيين في نحو منتصف الليل كان جدعون ورجاله يتسللون تحت

جنح الظلام حتى اذا ما اقتربوا من الحراس نفخوا في الابواق ثم ضربوا الجرار وصاحوا صيحة واحدة « سيف للرب ولجدعون » وإذ ذاك نفخ الباقون فى الابواق وكسروا الجرار وصاحوا « سيف للرب ولجدعون » ! !

وهبّ المديانيون من رقادهم وظنوا أن الاعداء قد باغتوهم وبدأوا يضربون بعضهم بعضاً فركض كل الجيش وصرخوا وهربوا وتبعهم لا جدعون ورجاله فقط بل الكثيرون من رجال اسرائيل الذين تقوّت عزائمهم فنفضوا عنهم جبنهم وخرجوا يطاردون الهاربين ! !

وقتل فى هذه الحرب الجانب الاكبر من جيوش مديان ، وعدد من امرائهم وملوكهم وهكذا استراحت الأرض .

وكان جدعون فوق مهارته الحربية سياسياً حكيماً فقد كاد يحدث انقسام بين صفوف اسرائيل ولكنه عالج الأمر من أوّله بالكياسة . ومع أنهم طلبوا منه أن يملك عليهم إلا أنه رفض التاج وظل بينهم قاضياً فقط واستراحت الأرض في أيامه أربعين سنة ! !

٤٤

عذراء جلعاد

فقالت له يا أبي هل فتحت فاك الى الرب فافعل بي كما خرج من فيك بما ان الرب قد انتقم لك من اعدائك

هذه حقبة أخرى من حقبات ضيق اسرائيل !

تركوا الرب فضعفت قوتهم !

واستهان بهم أعداؤهم !

وجمع بنو عمون جموعهم وخرجوا ليحاربوا اسرائيل ! !

وتلفت شيوخ الشعب حولهم يبحثون عن قائد لهم فلم يجدوا . وترامت اليهم

اخبار البطل العظيم يفتاح الجلعادي فذهبوا اليه ، وقالوا له تعال وكن لنا قائداً فنحارب بني عمون !

غير أن يفتاح لم يسرع في قبول الدعوة لأن أهله سبق أن طردوه ولم يجد معاونة من أحد . ولكن شيوخ اسرائيل ألحّوا عليه وعاهدوه أن ينصبوه عليهم رأساً ! !

وحاول يفتاح ان ينهي المنازعة مع بني عمون بالطرق الدبلوماسية ، فكتب لملكهم كتابا يبسط له حق اسرائيل وباطل بني عمون ، ويؤيد ذلك بالحجج التاريخية ويذكر له أن تعدّيه سيكون وبالا عليه وعلى شعبه . ولكن ملك بني عمون لم يسمع له .

وأعدّ يفتاح نفسه ورجاله للخروج للقتال . على أنه قبل أن يتحرك نذر لله نذراً قائلا « ان دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب وأصعده محرقة » ولا شك ان نذره كان بعيداً كل البعد عن الصواب ، بل كان خطية ، اذ انه لا يجوز له أن يقدم ذبيحة بشرية — مهما كانت قيمة ذلك الانسان تافهة . كان الوثنيون يفعلون ذلك جهلا وقد ظن يفتاح أن الله يسر بذلك فنذر نذره ! !

وانتصر يفتاح بالعدد القليل الذي معه على جيوش الاعداء وعاد ظافراً . وعند باب المدينة خرجت ابنته الوحيدة في جماعة من صويحباتها تستقبل أباها بدفوف ورقص حسب عادة تلك الايام . فلما رآها مزق ثيابه وصرخ بمرارة آه يا بنتي قد أحزنتني حزنا وصرت بين مكدريّ لأني قد فتحت فمي الى الرب ولا يمكنني الرجوع . أما هي فأظهرت ولاء منقطع النظير اذ قالت يا أبي . هل فتحت فاك الى الرب فافعل بي كما خرج من فيك بما أن الرب قد انتقم لك من أعدائك بني عمون .

على انها طلبت من أبيها أن يمهلها شهرين لتذهب وتنزل على الجبال وتبكي عذراويتها ، او لتبكي خروجها من الدنيا بدون عقب ، وكان عدم النسل عاراً عند

الاسرائيليات ! ! وأرسلها أبوها فذهبت هي وصاحباتها وبكت عذراويتها على الجبال وفي نهاية الشهرين رجعت الى أبيها ففعل بها نذره الذي نذر ! !

وخلدت بنات اسرائيل ذكرى عذراء جلعاد، فهنّ يذهبن من سنة الى سنة ليندحن على بنت يفتاح الجلعادي أربعة أيام في السنة ! !

٤٥

١ - شمشون ودليلة

« وانامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت باذلاله وفارقته قوته . وقالت الفلسطينيون عليك يا شمشون . فانتبه من نومه وقال أخرج حسب كل مرة وانتفض . ولم يعلم ان الرب قد فارقه . قضاة ١٦ : ١٩ و ٢٠

هذا بطل من أبطال أمة اسرائيل كان يمكن أن يكون غير ما كان لولا أن الشهوات جرّته الى مزالق فهوى وانحدر !

أبوه منوح من عشيرة الدانيين وكانت أمه عاقراً . والعاقر لا يمكن ان تستسلم منذ أن ظهرت الأسرة على مسرح الحياة لم تقبل امرأة ان تستسلم الى العقم بدون كفاح !

ولا شك أن امرأة منوح، ككل امرأة، كافحت كفاح المستميت لتحصل على الولد . لا بد أن كل طبيب معروف وكل « حكيمة » مجربة وكل فقيه وكل عالم، لا بد أن كل هؤلاء قدموا مشوراتهم لها !

ما اكثر زجاجات العقاقير التي تناولتها !

وما اكثر الأضرحة المقدسة التي زارتها !

ما اكثر المزامير التي تلتها والبخور الذي قدمته !

ما اكثر الأحجبة التي خبأتها في صدرها !

والنذور التي رفعتها لله وللاولياء وللقديسين ! !

لكنها ظلت عاقرا ! !

وأخيراً لجأت الى إلهها بالصلاة . كانت تصلي في الحقل منفردة . وسمع الله صلاتها فجاءها ملاك الرب وقال لها « ها أنت عاقر لم تلدي . ولكنك تحبلين وتلدين ابناً . والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً . فها انك تحبلين وتلدين ابناً . ولا يعل موسى رأسه لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن . وهو يبدأ يخلص اسرائيل من يد الفلسطينيين » .

ولاشك اننا نرى الحكمة في التعليمات المقدمة للأم من قبل ان يتكون الجنين في بطنها ، ونود لو أن كل أم تذكر التزامات الأمومة !

وأسرعت الزوجة تخبر زوجها بزيارة الملاك و برسالته . قالت ، جاء الىّ رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جداً . ولم أسأله من اين هو ولاهو أخبرني عن اسمه. ثم حدّثت زوجها عن رسالة الملاك والأنباء بميلاد الابن المرتقب!

وطلب منوح من إلهه أن يرسل اليهما رسوله الصالح لكي يعلمهما ماذا يعملان للصبي الذي يولد. وسمع الله لصوت منوح فجاء ملاك الله ايضاً الى المرأة وهي جالسة في الحقل ومنوح رجلها ليس معها. فأسرعت إلى زوجها واخبرته بمجيئه وعاد كلاهما الى الحقل والقى لهما الملاك تفصيلاً للواجبات !

وقد سأله منوح من هو ، فلم يشأ أن يجيب قائلاً لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب . ألعله ذاك الذي قيل عنه « و يدعى اسمه عجيباً ؟ »

وقد اختفى عنهما في لهيب نار الذبيحة. حينئذ ادركا ان « رجل الله » لم يكن بشراً وانما إلهاً تجسد . وقد امتزج في قلبيهما الخوف بالبهجة ، والتعبد بالسرور . وفي تلك الفترة تكوّن « شمشون » في بطن أمه وفي تلك الفترة ولد !

ترى كيف نشأ ؟

ان كل ما سجلته الأسفار المقدسة عنه انه كبر ، و باركه الرب ، وابتدأ روح الرب يحركه في محله دان !

ولقد روى اليهود أقاصيص كثيرة عن الصبي شمشون نظير تلك التي رواها الاغريق . عن هرقل وثيشوس أو اردينوس وغيرهم ولكننا نمرّ بتلك الفترة حتى نصل الى الشاب شمشون !

وسنقص لك قصته ، قصة شبابه بدون تعليق ، وهي قصة امتزج فيها الحب بالحيلة و بالانتقام ، قصة برز فيها شمشون الذي سما في روحه حتى اكرم الله بخلاص عظيم ، و برز فيها ايضاً شمشون الذي انحدر في شهواته حتى اصبح أقل من البهائم التي تباد !

انطلق الشاب شمشون الى ارض الفلسطينيين وكانوا قبائل سامية ذات حضارة وذات مدنية . وقد قويت شوكتهم فطغوا على أرض اسرائيل ، وضربوا عليهم جزية وساموهم الخسف ، وأذلوهم كما يذل الأقوياء الضعفاء !

انطلق شمشون الى مدينة من مدنهم وسار في طرقات المدينة ، وقد لفت اليه الانظار بجسمه الكبير الذي يشبه أجسام الجبابرة الأقدمين ، وشعره المضفور والملقى ضفيرة واحدة خلف ظهره. ولابدّ انه كشاب دفعته نزوات الشباب لان يبرز عن قوة عضلاته . هل كان حفل للمصارعة أو للمنازلة بالسلاح أو باللعب بالسيف ، أو بمصارعة الثيران؟ هل قام شيء من ذلك برزت فيه قوة شمشون امام الفلسطينيين حتى لفت اليه أبصار عذرائها ؟ من يعلم يغلب ان شيئاً ما حدث وان ذلك الفلاح اليهودي قد استطاع أن يجد له مكاناً فى قلوب بنات الحضر . وها نحن نراه يحب فتاة هناك لا نعلم عنها شيئاً بالمرة . كل ما نعرفه عنها انها « امرأة فى تمنة من بنات الفلسطينيين »

وعاد الشاب الى والديه وقد قيّده الحب . ذاك الذي جاء نذيراً ليحارب الفلسطينين هاهو يخطو خطوة نحو المحالفة معهم . الرجل الذي جاء ليحرر قومه من قيود الفلسطينيين، هوذا يتقدم مختاراً ليقيدوه بقيود الزواج من إحدى فتياتهم !

— أبي.. أمي... لقد رأيت امرأة من بنات الفلسطينيين؟ فالآن خذاها لى امرأة

— امرأة من بنات الفلسطينيين؟ ياللهول! تقول امرأة من بنات الفلسطينيين؟ أليس فى بنات أخوتك وفى كل شعبي امرأة حتى انك ذاهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين ... الغلف !

— اسمع يا أبي . لن أتزوج بغير هذه المرأة . لقد رأيتها وأحببتها وتحدثت معها ومع أهلها ... اياها خذ لي لانها حسنت في عيني !

وقامت مناحة في بيت شمشون . لقد خرج النذير عن طريق الخدمة التي رسمتها العناية له. ان الخلاص الذي طالما ترقبه والداه قد اصبح حلماً من أحلام المنام . وتلك الآمال الكبار التي علقاها على الصبي الذي بشر بمولده الملاك قد انهارت دفعة واحدة . لقد طغى الحزن على قلبي الوالدين واظلم الجو حولهما ، وهما لم يعلما ان الرب سيتمم غايته بالرغم من خروج شمشون عن الطريق المرسوم ، أو كما يقول اليهود فى تعبيرهم « ان ذلك كان من الرب لانه كان يطلب علة على الفلسطينيين!

٤٦

٢ – شمشون ودليلة

شمشون يتزوج

لم يجد والدا شمشون بداً من الخضوع لارادة ابنهما الوحيد فأعدا العدة للذهاب الى « تمنه » وطال بهما السير فاستراحا في الطريق عند كروم تمنه . اضطجع العجوزان وقد داعب النعاس أجفانهما . أما شمشون فلم يجد الى النوم سبيلا ، فقام يستكشف المكان وجعل يتنقل من بقعة الى بقعة ، وهو يتأمل تلك المناظر الساحرة . وبينما هو غارق في تأملاته دوى في جوانب المكان صوت مرعب ، هو صوت زئير أسد . وقبل أن يتنبه لنفسه تماماً أبصر أسداً كبيراً يهجم عليه، وبحركة رشيقة

مال عن طريق الأسد ثم هجم هو على الأسد وتمكن منه بقوة عضلاته فشقه كشق الجدي وليس في يده شيء .

وعاد بعد وقت الى والديه وكانا لا يزالان يغطان في النوم فايقظهما وقام ثلاثتهم يجدّون السير الى المدينة . وذهبوا الى بيت الفتاة وعقدوا الخطبة بشروطها كما كان القوم يفعلون وقت ذاك ، وتواعدوا على يوم الزواج . وكانت لشمشون فرصة تحدث فيها مع خطيبته فازدادت حلاوتها في عينيه وازداد حبها في قلبه ورجع مع والديه وقلبه مشغول بذلك الحبّ « البكر » !

كان شمشون ابن الطبيعة يغلب عليه الاخلاص والبساطة شأن سكان القرية الذين لم يتعلموا المداورة واللف والكلام المصقول . وكانت فتاة تمنه حضرية، اكثر جمالها صناعي . فهي متكلفة في لبسها ، متكلفة في زينتها ، متكلفة في كلامها ، متكلفة في عواطفها . وقد ظهر فيما بعد انها كانت تختلف عن شمشون كل الاختلاف .

على أن شمشون البسيط أعماه الحب فسلم قلبه الكبير بين يدي تلك المرأة الصغيرة ذات العيون النجل والوجه الصبوح والفم الباسم واللسان الناعم !

ولم تطل غيبته فعاد بعد أيام لكي يأخذ فتاته . وفيما هو وأهله يسيرون مال عن الطريق لكي يرى رمة الأسد ، واذا خلية من النحل في جوف الأسد مع عسل ، فاغترف بيده شيئاً من اقراص الشهد ، وجعل يأكل . ولما عاد الى والديه أعطاهما دون أن يخبرهما أنه من جوف الأسد اشتار العسل ! !

وأقاموا وليمة الزواج !

لم يكن لشمشون « عزوة » من أهله ، فاحضروا له ثلاثين من الاصحاب فكانوا معه . ولا شك أن الشبان تمتعوا بوقت طيب فى اكل وشرب وحديث ومجون . تمكننا أن نتخيل تلك الحفلة التي ظلت سبعة أيام ظاهرها حب واخلاص

وولاء، وباطنها وقيعة ودسّ. فقد تحالف الاصحاب مع العروس ضد العريس. كانوا يبسمون له وقلوبهم تقطر سماً . . و يتلطفون معه وهم يضعون له الأشراك ، و يقبلونه وهم يطعنونه . . وقد ظل هذا مخفياً حتى انكشف في ختام الأيام السبعة !

جاء شمشون في اليوم الأول وقد ملأت البهجة نفسه ويبدو انه رأى من « الاصحاب » ثقافة تعوزه ولا عجب فهم ابناء المدينة. كانوا على اطلاع كثير. وقد كثرت احاجيهم والغازهم . وهو لم يقرأ نظيرهم ولم يطلع على كتب الغاز واحاجى. ولكنه رجل تفتح ذهنه للطبيعة فنهل من علمها الشيء الكثير . ولئن اعوزه الصقل فقد عوض ذلك بالعمق ، ولئن لم يكن لثقافته بريق ثقافة أهل الحضر ، فان له نقاوة ثقافة الطبيعة واخلاصها . وهو يتقدم الى اصحابه باسماً ، لأحاجينكم احجية . وتداولت أفواههم ابتسامة مكتومة وهم يسألون بعضهم بعضاً ترى ما هي احجية ذلك الفلاح؟ وقد استغرقهم التأمل لم يوقظهم منه إلا صوت شمشون المجلجل «فاذا حللتموها لي في سبعة أيام الوليمة واصبتموها أعطيكم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب . وان لم تقدروا أن تحلوها لي تعطوني أنتم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب ! »

وسخروا ولا شك من حديثه ، إذ ماذا عسى أن تكون احجية جاهل ؟ انهم سيصلون الى حلها في لحظة من الزمان ، وسيربحون من ذلك الاحمق ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب . ولذلك بادر جمعهم ، هات احجيتك فنسمعها . فقال لهم « من الآكل خرج اكل ومن الجافي خرجت حلاوة» وقد ذهلوا وهم يسمعون تلك الاحجية الغريبة، من الآكل خرج اكل . . ! ! تقول من الآكل خرج اكل ؟ — نعم، ومن الجافي خرجت حلاوة !

وانتقلت الكلمات على كل فم: «من الآكل خرج اكل ومن الجافي خرجت حلاوة » انها احجية عجيبة . قال أحدهم ما هذه الاحجية المعقدة ؟ وقال الثاني انني لم اسمع مثلها كل أيام حياتي . وقال الثالث أن عندي كتاباً فيه ألف احجية ولكن هذه الاحجية لا توجد فيه . وقال كبيرهم انها احجية الاحاجي ! و بعد ما كانوا

يبسمون ساخرين انقلبوا ساخطين . هل يقهرنا ذلك المتشرد اليهودي ؟ وذهبوا الى الزوجة يسألونها. وهي تجيبهم أنها لا تعرف شيئاً عن الاحجية ، وانه لم يتحدث اليها بها . وهم لا يصدقونها، كيف يعقل أن عريساً يخفي شيئاً عن عروسه . انهم رجال و يعرفون ان جميع اسرارهم عند نسائهم . ولكنها تقسم لهم بآلهة فلسطين و بداجون العظيم انها لا تعرف عن الموضوع شيئاً — وترددوا قليلا ثم قالوا اذن عليك أن تحصلي على ذلك السر بأي ثمن . ابتسمي له ، اضحكي في وجهه ، كليه بلسانك المعسول، تملقيه بكل وسيلة من وسائل الاغراء عند المرأة ، تملقيه لكي يظهر الاحجية . وقامت في داخل المرأة حرب، هل تنضم مع قومها . هل هذه يمين الولاء التي اقسمتها يوم أن دخلت معه في عهد الزوجية ؟ ورجلها نموذج الرجل الكامل وهو لم يدخر شيئاً من الحب لم يسكبه في قلبها ، وقد تمثلت الطهارة في كل خلجة من خلجاته . هل تخونه ؟ كلا . انها لا تريد ، ثم انها تخشاه. انه اذا غضب، ولقد غضب أمامها أزيد من مرة ، فلم يبق ولم يذر . ومن يدريها أنه عند ما يكتشف خيانتها لا يهصر عنقها و يسحق رأسها و يرضض عظامها و يقذف بها الى اعماق الهاوية ؟ ؟

و بانت آثار التردد على وجهها وحاولت أن تلتمس لنفسها المعاذير فكشروا لها عن أنياب الغضب ، وصاح كبيرهم بصوت يدوي كالرعد : أيتها المرأة تملقيه لكي يظهر لنا الاحجية لئلا ... نعم افتحي عينيك أيتها المرأة . الاحجية أو ... نحرقك و بيت أبيك بالنار . ألتسلبوننا دعوتمونا . وكان غضب القوم عظيما حتى أن المرأة رجعت مذعورة الى الخلف وغلبها الجبن، وقتل الخوف البقية الباقية من الاحاسيس الطيبة فيها ، وقالت ، سأفعل ثقوا اني سأفعل ! !

و يلذ لنا أن نراقب وسائل المرأة عندما تريد شيئاً، وكيف تشغل كل شيء فيها . فتشغل عينيها ودموعها ووجهها وفمها ولسانها وذراعيها وصدرها وحبها و بغضها ورقتها وخشونتها. جاءته تتلوى كالحية وابتسمت تسأله عن تلك الاحجية التي سخر

فيها بالفلسطينيين . ولكنه صمد لابتساماتها وقبلاتها ولم يجب . واذ ذاك سلطت عينيها عليه بما فيهما من سحر ولسانها وما فيه من نعومة،ولكن ذلك لم يستطع أن يهز ذلك القلب الصخري . أنه يحبها ولكن الحب له حدوده وله التزاماته . و بعد أن استنفدت كل وسائل الحديث والاغراء والحب استعملت أقوى اسلحة المرأة ، استعملت دموعها . جاءته باكية، انما كرهتني ولا تحبني . كيف تقول أحبك وا نت تخفي عني احجيتك ؟ واضطرب شمشون وقال، وهل أنت في شك من حبي ؟ ألم ترى الف دليل ودليل؟ لقد احببتك من كل جوارحي وأنت تحسين بذلك الحب! وأنا لا أعلم أن هناك علاقة بين الحب والاحجية ! بل أن عندك لدليلا على انقطاع الصلة بينهما أنني بالرغم من حبي المشهور لأبي ولأمي لم اخبرهما بالاحجية . أنهما لا يعلمان شيئاً عنها . ولكنها لم تشأ أن تصغي ، وظلت تلاحقه كلما عنت لها فرصة خلوة خلال أيام الوليمة السبعة ، وتبكي أمامه وتلح عليه أن يخبرها فيؤكد بذلك حبه لها . وما الذي يخشاه منها، هل يظن انها ستخونه وتخبر قومها بحل الاحجية ؟ وهل بلغت خستها هذا المبلغ ؟ وهل بلغ حبها هذه الدرجة من الهوان ؟ يا لدموع المرأة ! أن شمشون الجبار لم يستطع أن يهزمها . لقد ضاقت نفسه جداً وسقط صريعاً. وروى لأمرأته قصة الاسد والعسل. وهي أسرعت فاخبرت شعبها . وقبل أن تنتهي المهلة المضروبة بلحظات اقبلوا اليه وقال احدهم، يا شمشون أي شيء أحلى من العسل وقال الثاني وما أجفى من الاسد ! !

فهل غضب شمشون؟ نعم .. ولكنه لم يغضب لهزيمته بقدر ما غضب لخيبته ولفشله في قوة الحب ولزعزعة يقينه في الاخلاص. لقد خاب انتظاره في اصحابه أما خيبته بالنسبة لزوجته فكانت طاغية . ومع ذلك فانه لم يتوجه اليها بكلمة لوم بل انهال باللوم عليهم وقال: انكم ما كنتم لتصلوا الى حل احجيتي لولا غدركم ولؤمكم « فلو لم تحرثوا على عجلتي لما وجدتم احجيتي ».

واعتملت في نفسه عوامل الغضب ممتزجة بالغيرة والكرامة فخرج الى طريق

احدى مدائنهم وقتل ثلاثين من رجالهم وسلبهم أقمصتهم وحلل ثيابهم وأعطى الحلل لمظهري الاحجية ! !

أما زوجه، فكان ألمه من مسلكها عظيماً ولذلك لم يتجه الى مقصورتها، بل اتجه بغضب إلى بيت أبيه حتى تبرد ناره و يهدأ سعيره ! !

٤٧

٣ – شمشون ودليلة

انتقام شمشون

مرّت عدة شهور وهدأ غضب شمشون وعاوده الحنين الى زوجته . ففكر أن يعود اليها وهو يحمل هدية الصفح وهي جدى من المعزى . فلما طرق بيت حميه استقبله الرجل بمزيج من الخوف والتحية الحارة. ولم يلاحظ شمشون علامات الذعر في عيني حميه التي حاول الرجل ان يخفيها تحت ستار الاغراق في الترحيب . على انه عند ما حاول شمشون أن يذهب الى مقصورة زوجته فزع الرجل ووقف فى طريقه وهو لا يعرف كيف يتصرف في المشكلة الجديدة !

عندما سخط شمشون على زوجه وتركها غاضباً الى بيت أبيه، هزأ «الاصحاب» بغضب ذلك الفلاح . وتندروا بما أخذوه عليه من مخالفات للعرف واللياقة. وتحدثوا عن وجوب تأديبه بل بلغ من سخريتهم به واحتقارهم لشأنه ان سخروا من العروس، واقترحوا أن يأخذوها منه و يتزوجها كبير «الاصحاب» . كان مثل هذا العمل إساءة لا تعدلها إساءة ضد الزوج ، وكان الزوج إذا تجرأ احدهم ورفع عينيه الى زوجه يقيم الدنيا و يقعدها. وربما قامت حرب تأكل الاخضر واليابس حرب فناء . لكن ماذا يستطيع ان يعمل شمشون ولا «عزوة» له ولا قومية ولا مناصرون؟؟ وتمّ الأمر في لحظة!

لا نعلم ماذا قالت الزوجة ولكنها قبلت الوضع وربما سرّت له . وربما برّرت نفسها بالقول : لقد أبغضني ولن يعود إليّ . وكان ابوها العامل الاساسي في ذلك . لكن ها هو شمشون يعود ، وها هو يتهيأ للدخول الى مقصورة زوجه . وها هو أبوها يقف في حيرة ما بعدها حيرة ، لا يعلم ما يقول أو ما يعمل. وفي كلمات مترددة يقول: لقد قلت انك أبغضتها وتركتها، وأنا مستعد أن أزوجك من أختها الصغيرة. أليست هي جميلة جداً بل أجمل من أختها كثيراً ؟ ؟

وكان غضب شمشون عظيماً .هل بلغ من المهانة الحد الذي يسمح لهذه الكائنات الحقيرة ان تهينه في صميم كرامته ؟ شمشون النذير الذي بشّر الملاك بمولده يرفعون عيونهم الى زوجته ، بل يمدّون أيديهم اليها ، ويأخذونها منه ويقدمونها لرجل آخر ؟ ؟ يا للعار ! وهل يمكن أن يبقى في الحياة حاملاً لذلك العار ؟ هل يستطيع ان يسير مرفوع الرأس بين قومه وقد أساء الغلف اليه؟ فهل ينتقم من زوجه أم ينتقم من الرجل الذي أخذها ، أم ينتقم من أبيها ؟؟ كلا انه لن يتدنى الى تلك المخلوقات التافهة بل سيصب جام غضبه على جميع الفلسطينيين . وبهدوء عميق قال والشرر يتطاير عن عينيه : اني بريء الآن من الفلسطينيين اذا عملت بهم شراً !!

يخيل إليّ ان القوم ابتسموا وهم يسمعون ذلك التهديد الكبير، إذ ماذا يستطيع ان يعمل فرد بلا سلاح بإزاء أمة مسلحة ؟ ! ولكن ابتسامة القوم لم تطل لانهم أبصروا النار تنطلق في اكداسهم وزروعهم وكروم زيتونهم بصورة لم يألفوها من قبل . لقد كانت بالأمس تنطلق في بقعة فيحصرونها . أما اليوم فانها تنطلق في عشرات الأمكنة بسرعة عجيبة. ثم ما هذه النار التي تركض كما على أقدام؟ وحققوا فاذا بنات آوى تحمل مشاعل. ياللعجب لقد ربطت أذناب تلك الحيوانات المسكينة كل ذنبين معاً وبينهما مشعل وانطلقت الحيوانات المسكينة هاربة من النار منطلقة الى النار فأحرقت وأتلفت ما لا يستطيع حصر أن يحده ـ من الذي فعل هذا ؟ ـ انه شمشون صهر التمني لانه اخذ امرأته واعطاها لصاحبه ! ! ـ هل فعل التمني هذا

الفعل القبيح. اذن ليحلّن عليه العقاب الصارم . وصعد الفلسطينيون وأحرقوا الزوجة واباها بالنار . يا للمساكين ! لقد خافت الزوجة بالأمس لأن الاصحاب هدّدوها بالاحراق بالنار هي واباها إذا لم تأت لهم بحل الأحجية فباعت زوجها وخانت عهده، ولكنها بعد ذلك لم تنجُ من الاحراق بالنار !!!

على أن شمشون لم يكفه ذلك بل قال : ولو فعلتم هذا فاني سأستمر في الانتقام الى ان اكتفي. وجعل يقتل منهم كل من برز في طريق حتى بلغ عدد قتلاه المئات والألوف إذ ضربهم ساقاً على فخذ ضرباً عظيماً ! !

لم يقبل الفلسطينيون بالطبع ذلك التحدّي فجمعوا جموعهم ونزلوا بقضّهم وقضيضهم في أرض يهوذا . واضطرب اليهود وسألوا بجبن وخنوع : لماذا صعدتم علينا ، ألسنا ندفع الجزية صاغرين ؟ ـ نعم ولكنكم تأوون شمشون في بلادكم وقد صعدنا لنوثقه لنفعل به كما فعل بنا ـ إذن عودوا انتم ونحن نتعهد لكم بتسليمه . ونزل ثلاثة آلاف رجل من يهوذا الى حيث كان شمشون وقالوا : أما علمت ان الفلسطينيين متسلطون علينا فماذا فعلت بنا. لقد اسأت ياشمشون لا الى الفلسطينيين بل الينا . فأجابهم . اني لم ابدأ بالاساءة بل هم قد بدأوها فكما فعلوا بي هكذا فعلت بهم !

قالوا: ولكننا لا نستطيع ان نقف موقف العداء منهم. انهم اقوياء ونحن ضعفاء. هم مسلّحون ونحن بلا سلاح . واجاب شمشون : ولكنهم بلا إله اما نحن فمعنا الله ومعنا المواعيد . واذا وقفتم الى جانبي فاننا سنهزمهم . ألم يقف موسى وحده امام فرعون ؟ ألم ينتصر على عوج وسيحون ؟ ألم يهزم يشوع كل قبائل كنعان ؟ بل ألم يشاهد بعضكم أو على الاقل سمع عما عمل باراق ويفتاح وجدعون ؟ فقالوا له : دعك من كل هذا الكلام . إن هذه إلا قصص تروى ، فالقوة يا شمشون هي كل شيء ، والله نفسه مع الأقوياء ، وها نحن قد نزلنا لكي نوثقك ونسلمك الى يد الفلسطينيين ! ! واضطرب شمشون وقال : اخوتي يوثقونني ويسلمونني ليد

الفلسطينيين؟؟ انها خيانه ايها الاخوة. عار عليكم ان تفعلوا ذلك!! ولكن بني يهوذا هزّوا اكتافهم وقالوا: نعم نعلم أن الأمر كما تقول، لكن أن يموت واحد عن الأمة خير من ان تموت الأمة بأسرها. فقال لهم شمشون: حسناً، اني اقبل ان توثقوني لكن احلفوا لي انكم انتم لا تقعون عليّ. فحلفوا له. فاستسلم لهم فأوثقوه بحبلين جديدين واصعدوه من الصخرة وساروا به حتى اصبح على مرأى الفلسطينيين، وتركه بنو يهوذا وصاح الفلسطينيون للقائه. لقد مكنتهم الآلهة من عدوهم وعدو آلهتهم وهجموا عليه يريدون أن يفتكوا به.

فحل روح الرب عليه ونفض يديه فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككتان أحرق بالنار وانحلّ الوثاق عن يديه. وتلفت حوله يبحث عن قطعة من الخشب أو الحديد فلم يجد إلا فك حمار فمد يده وأخذه وجعل يضرب به يميناً ويساراً. كانت كل ضربة تلقي قتيلا على الارض وذعر القوم واختلت صفوفهم وهو يفتك به دون أن يستطيع واحد أن يقف في طريقه وهربوا وهو يركض خلفهم حتى لم يبق في المكان حيّ واحد. وأحصى القتلى فاذا هم ألف. فملأ الغرور نفسه وتسلطت الكبرياء عليه وقال بنغمة الفخار، ألف رجل ؟! بلحي حمار قتلت ألف رجل. كومة جثث بل كومتان كبيرتان. كل هذا فعلته أنا بلحي حمار!!

على انه حالا بعد ذلك أحسّ بكثير من التعب. استبد به العطش. انه يبحث عن نقطة من الماء فلا يجد. وهنا انحنى شمشون. شكراً لله من اجل الضيق. ودعا شمشون الرب وقال: انك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم. متى علمت ذلك يا شمشون، لقد كنت منذ قليل تقول: انا فعلت، انا قتلت!! كلا انه الله. يارب انك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم والآن أموت من العطش واسقط بيد الغلف. وسمع الله فشق له نبع ماء فشرب ورجعت روحه وانتعش.

وتقوّت الروح المعنوية في شعبه فانضم غالبيتهم اليه وقضى لهم في ايام الفلسطينيين عشرين سنة!

٤ - شمشون ودليلة

نهاية شمشون

ولم يعلم ان الرب قد فارقه - قضاة ١٦: ٢٠

بدأ البطل ينحدر

لم يتغير شيء من خارجه

فلا يزال هو هو ذلك الرجل الفارع الطول القوي العضل !

ولا يزال هو هو الذي يرفع يده فتفزع من طريقه الجحافل !

ولو أن أسداً جاء في طريقه لشقّه بيديه كما يشق الجدى .

ولو أن جموع الفلسطينيين صاحوا للقائه لقتل منهم بلحي حمار ألفاً وألفين

ولكنه برغم كل شيء لم يكن هو هو !

لقد بدأ ينحدر !

حدث تغيير في داخله !

قلبه الذي كان نقياً دخلته جرثومة الشهوة . وها نحن نراه يذهب الى غزة . ولا نعلم لماذا يذهب الى غزة. وفي غزة يدخل عند امرأة زانية و يبيت عندها . اننا هنا نرى نهاية شمشون . لقد هوى البطل . ولئن صمد مدة فانها « حلاوة الروح » كما يقولون !

وسمع الفلسطينيون ان عدوهم في غزة وانه يبيت عند امرأة زانية فجمعوا جموعهم وأحاطوا بالمدينة قائلين عند ضوء الصباح نقتله . واستيقظ شمشون في نصف الليل!! هل أحس بالخطر الذي يتهدده أم ان ضميره ثار عليه وهو النذير كيف

يبيت عند امرأة زانية . ام ان الله، رحمة به ، أرسل له رسالة روحية في الليل . قد يكون السبب واحداً من هذه أو كل هذه ، ونحن نرى شمشون يستيقظ ويخرج إلى باب المدينة و يبصر القوم النيام عند الباب والحراس يحتفظون بالمفاتيح مطمئنين إلى انه لن يستطيع أن يفتح الباب . فيتخطى الجميع ويمد يديه الجبارتين ويخلع المصراعين والقائمتين والعارضة ويضع الكل على كتفه ويصعد بها الى رأس الجبل يا للقوة الجبارة . آه لو انه لم يبذرها عند المرأة الاجنبية . حمل لا يقوم به أقل من خمسين عملاقاً بل مئة ، يقوم به وحده ويترك خلفه أعداءه مطمئنين الى انهم تمكّنوا منه . وفي الصباح يكتشف القوم ما عمل شمشون فيثورون ويسخطون ويغضبون ... ولكنهم بالرغم من كل ذلك يعجبون بتلك القوة الخارقة !

فهل تاب شمشون عن وضع قلبه عند أقدام النساء ؟ كلا ، ونحن نراه في وادي سورق ! ماذا تفعل في ذلك الوادي ياشمشون ، وادي الكروم ووادي الخمور. ولكن النذير الذي كان واجبه الأول أن يبتعد كل البعد عن الخمر وما يصنع منه الخمر ذهب إلى وادي الخمور المشهور . وماذا عساه أن يفعل هناك إلا أن تجتذبه الشهوات الى دليلة !

ودليلة هذه امرأة زانية . لم يكن اسمها دليلة انما هو اسم اطلقوه عليها عنواناً على حرفتها الدنيئة . اذ أن معنى دليلة معشوقة . في وادي سورق ذهب النذير لا الى امرأة طاهرة بل الى امرأة زانية . امرأة كل رجل يستطيع أن يدفع . واستطاعت تلك المرأة المحبوبة ان توقع البطل في شراكها !

« يا ابني احفظ كلامي واذخر وصاياي عندك . احفظ وصاياي فتحيا وشريعتي كحدقة عينك . اربطها على اصابعك . اكتبها على لوح قلبك . قل للحكمة أنت أختي وادع الفهم ذا قرابة . لتحفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة الملقة بكلامها

لاني من كوة بيتي من وراء شباكي تطلعت. فرأيت بين الجهال غلاماً عديم الفهم عابراً في الشارع عند زاويتها وصاعداً في طريق بيتها . في العشاء في مساء اليوم

في حدقة الليل والظلام . واذا بامرأة استقبلته في زي زانية وخبيثة القلب . صخابة هى وجامحة . في بيتها لا تستقر قدماها . تارة في الخارج واخرى في الشوارع وعند كل زاوية تكمن. فأمسكته وقبّلته . أوقحت وجهها وقالت له . علىّ ذبائح السلامة اليوم أوفيت نذوري . فلذلك خرجت للقائك . لأطلب وجهك حتى أجدك . بالديباج فرشت سريري. بموّشى كتان من مصر. عطرت فراشي بمرّ وعود وقرفة. هلم نرتو وداً الى الصباح . نتلذذ بالحب . لان الرجل ليس في البيت . ذهب فى طريق بعيدة . أخذ صرة الفضة بيده . يوم الهلال يأتي الى بيته . أغوته بكثرة فنونها . بملث شفتيها طوحته. ذهب وراءها لوقته كثور يذهب الى الذبح أو كالغبي الى قيد القصاص . حتى يشق سهم كبده . كطير يسرع الى الفخ ولا يدري انه لنفسه .

والآن أيها الابناء اسمعوا لي وأصغوا لكلمات فمي. لا يمل قلبك الى طرقها ولا تشرد في مسالكها. لانها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء . طرق الهاوية بيتها هابطة الى خدور الموت » .

لم يصغ شمشون الى ذلك الصوت الالهي الذي كان يجلجل في أعماق نفسه لان الحب الدنيء أعمى عينيه فلم ير ،وأصمّ أذنيه فلم يسمع وقيّده بقيود أقوى من الحديد فلم يستطع أن يتحرر . وها نحن نرى ذلك الجبار الكبير الذي تهتز امام قبضته الجحافل الجرارة تلعب به امرأة صغيرة ، وتحركه على هوى قلبها . وياليتها بادلته حباً بحب واخلاصاً باخلاص . كلا بل كانت له العدو في ثياب الصديق والذئب في صورة الحمل والشيطان في شبه ملاك نور !

سمع الفلسطينيون ان عدوهم وقع في شراك دليلة . فذهبوا اليها وطلبوا منها أن تكتشف بافانينها وملقها سر قوته العظيمة . وتعاهدوا معها على ألف ومئة قطعة من الفضة عن كل قطب من أقطابهم وكانوا خمسة .

كان ثمن شمشون اذن خمسة آلاف وخمس مئة قطعة من الفضة وهو مبلغ كبير

يغري المرأة التي بلا قلب أن تبيع حبيبها !

ودبرت المرأة تدبيرها باحكام

هاهي تغرقه في فيض حبها وتحيطه بكل ابتسامات وضاءة وكل كلام ناعم وتتجمل له كما لم تتجمل لأمير وتحدثه عن الحب . الحب الذي يملأ قلبها والذي ترجو ان تجد في قلبه صدى له . انها تسأله هل تحبني كما أحبك . ويقسم لها شمشون انه أحبها كما لم يحب امرأة من قبل اكثر من زوجته ابنة التمني واكثر من المرأة التي أحبها في غزة ... بل يخيل الي انه أقسم لها انه أحبها اكثر مما أحب أمه التي ولدته !

ولعل دليلة اكتفت منه في أول الأمر بذلك القسم . ولكن حديث الحب لم ينته بل جعل يتكرر . لئن كنت تحبني فلماذا لا تكشف لي سرك ؟ اخبرني بماذا قوتك العظيمة و بماذا توثق لأذلالك ؟!

وكان الأجدر بشمشون أن يطلب منها بحزم أن تبتعد عن هذا الموضوع . ولو انه فعل ذلك لنجا ولكنه آثر أن يلعب بالتجربة مستهيناً بها . فقال لدليلة اذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف أضعف وأصير كواحد من الناس .

وأرسل لها الفلسطينيون الحبال الجديدة فأوثقته بها وهو نائم وكمين الأعداء لابث عندها في الحجرة ثم صاحت الفلسطينيون عليك يا شمشون، فاستيقظ وانتفض واذا بالحبال تتلاشى كما لو كانت فتيل مشاقة شم النار !

ونظرت اليه دليلة عاتبة وقالت : ها قد ختلتني وكلمتني بالكذب . ولا شك انها تدللت عليه وتظاهرت بأنها تبعده عنها وانها ما عادت تثق به، هي التي منحته كل نفسها وهو يخدعها ولا يثق بها . وبعد نقاش سألته : اخبرني بماذا توثق . ومرة ثانية لم يكن حازماً ولم ينتهرها . . يا ليته تركها بل يا ليته هرب منها . ولكنه كان مقيداً بأغلالها وكان يظن انه يسخر منها فقال لها : اذا أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل أضعف وأصير كواحد من الناس . وأجرت المرأة التجربة الجديدة وفشلت

فكان مظهر غضبها عليه عظيماً . خاصمته وكان عتابها شديداً . ألم يخطر بباله يا ترى أن يسألها لماذا تهتم بسرّ قوته وما الذي تربحه من اكتشاف ذلك السر ولماذا تنشغل بهذا الموضوع انشغالاً ألهاها عن كل شيء آخر ؟ لو انه كان مفتوح العينين لرأى في فمها المبتسم تلك الأسنان السامة التي ستعضّ الى الموت . ولكنه لم يرَ ـ فلما سألته للمرة الثالثة قال لها : إذا ضفرت سبع خصل رأسي مع السدى فانه يصبح والنسيج قطعة واحدة ولا يمكنه الخلاص . هنا اقترب شمشون من منطقة الخطر . وضفرت دليلة شعر شمشون مع السدى وهو نائم ومكنتها بأحد أوتار النول . ولما قالت:الفلسطينيون عليك ياشمشون قام من نومه وقلع وتد النسج والنسيج وكل شيء!

لم تفشل دليلة !

كان يلزم أن تكف . ولكنها لا تكف !

انها تأتيه قائلة : كيف تقول اني أحبك وقلبك ليس معي. هوذا ثلاث مرات قد ختلتني ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة .

وحاول أن يصرفها المرة بعد المرة ولكنها جعلت تلحّ عليه وتكرر طلبها في الصباح وفي المساء حتى ضاقت نفسه الى ما لا يحتمل مزيداً. الى هنا كان يمكنه ان ينجو لو أنه هرب ، ولكنه بقى فهلك !

كشف لدليلة كل شيء . روى لها قصة حياته وان قوته من الله وانه نذير من بطن أمه ، وأن مظهر علاقته مع الله قائم في شعره ، وانه إذا حلق شعر رأسه فقد قطع آخر رباط بينه و بين إلهه ، و إذ ذاك ينقطع عن مصدر قوته ، فيضعف ويصير كواحد من الناس !

وأيقنت دليلة من صدقه !

لا بد أنها أظهرت له أن سرّه « في بئر » وان حياته أغلى عندها من حياة جميع الناس مجتمعين وانها تفديه بحياتها . ولا بد أنها زادت في إكرامه تلك الليلة وسقته خمراً كثيراً ولا يبعد انها مزجت شرابه بمخدر . فنام المسكين على ركبتيها

مطمئناً لانه ينام على ركبتي حبيبة مخلصة ! وجاءت بمن حلق سبع خصل رأسه ! ولما قالت له : الفلسطينيون عليك يا شمشون، انتبه من نومه وقال : أخرج حسب كل مرة وانتفض ، ولم يعلم ان الرب قد فارقه !!!

قبض الفلسطينيون عليه . وقلعوا عينيه وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن . ما أقسى ما عومل شمشون ! لقد أذلّوه بشماتة . قلعوا عينيه وكان هذا قصاصاً في مكانه. العينان اللتان ساقتاه الى الفجور نالتا العقاب الاول. قيّدوه بسلاسل . ليته قيّد نفسه بقيود العفة من قبل . لقد سلك كحيوان وها هو يعامل كحيوان ــ كان يطحن في بيت السجن كما لو كان عبداً . لقد كان يظن انه حرّ ولكنه كان عبداً لشهواته . كلا ، لا يجوز لشمشون أن يشكو . لقد وصل الى المكان الذي اختاره هو لنفسه ! !

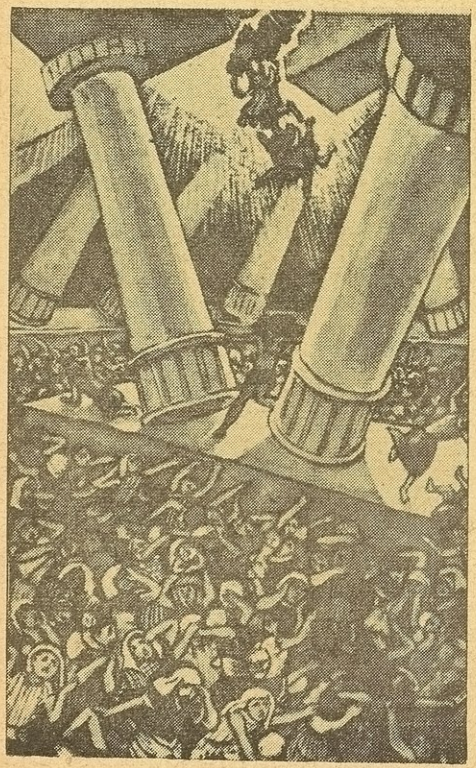
على أننا نحن الذين نراقب تلك الحياة لا يسعنا إلا ان نتأسى لسقوط تلك الحياة العظيمة ونحزن لمصيرها السيّيء . ونتساءل أحياناً : لماذا يا رب تسمح ان يقع شمشون في يد الفلسطينيين . لقد كان شريراً ولكن الذين أذلّوه كانوا اكثر شراً منه. لماذا يشمت أعداء الله، لماذا يشمخ داجون الوثن ويتعالى على إله اسرائيل؟؟

واحتمل شمشون قصاصه مستسلماً . . بل عرفت التوبة والندامة قلبه . ابتدأ شعر رأسه ينبت بعد أن حلق . وكان شمشون يراقب في شعره النابت غفران الله . انه أمر مؤسف ان شمشون لم يرَ الله إلا لما قلعت عيناه ولم يتحرر إلا لما ربط بالسلاسل. وعندما رأى شمشون الله كان قد أتلف جسمه بحيث كان تقريباً بلا نفع. على انه قبل القصاص صامتاً مسلّماً. انه يطحن في بيت السجن كبهيم، ويتلقى ضرب السياط كالبهيم كلما توانى أو كلما عنّ « للسائق » ان يسخر منه ، يتلقاه ساكتاً مسلّماً . انه يقول لنفسه : هذا قضاء عدل. لقد أذلّوه ولكننا نحسّ انه هو نفسه تذلّل امام الله لا أمامهم . كانوا يرغبون أن يشاهدوا ثورته وتمرّده ولكنه لم يثر ولم يتمرّد ! !

وأقام القوم عيداً لالههم . ألم ينتصر « داجون » على إله اسرائيل ، ألم يخذله ؟

و بطل إله اسرائيل أين هو اليوم ؟ حقاً ان المجد لداجون . اذن لماذا لا يقيمون عيداً له ولماذا لا يذبحون و يقدمون التقدمات والبخور؟ واجتمعوا خلقاً كثيراً جداً. جاءوا برؤسائهم وحكامهم وأغنيائهم وسوقتهم وكبارهم وصغارهم ولما طابت قلوبهم طلبوا ان يؤتى بشمشون ليرقص لهم . ذاك الذي طالما « رقّصهم » يطلبون أن يرقص لهم . وجاءوا به وجعلوا يلاعبونه كما يلاعبون الوحش السجين وهو يتحمل عبثهم وسخريتهم . وكانت نار الغيرة المقدسة تضطرم في أحشائه . هل تقبل يارب ان يعامل نذيرك هذه المعاملة . هل تقبل ؟ نعم أنا قد أخطأت ولكنك أنت الله وهم يكرمون داجون ؟

واشتد به التعب فطلب من الغلام الذي كان يلاعبه ان يقوده الى العمودين اللذين يرتكز عليهما البناء ليستريح قليلاً . وعندما لمست يده احدهما ملأ قلبه فكر . هل هو خيال حالم أم أمل بعيد التحقيق . ها هو يرفع عينيه الخاويتين الى فوق وينطق صدره بصلاة غير مسموعة « يا سيدي الرب اذكرني وشددني يا الله هذه المرة فقط فانتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين » .



نهاية شمشون

وهنا مال على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره وقال : لتمت نفسي مع الفلسطينيين . ولا بد ان القوم لاحظوه وابتسموا سخرية . ولكن ابتسامهم لم يطل لانه انحنى بقوة فتزحزح العمودان وسقط البناء القائم عليهما وسقطت الأبنية المتصلة بالبناء وسقطت المباني الاخرى المرتبطة بعضها ببعض . سقطت كل هذه على الاقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه فكان الموتى الذين أماتهم في موته اكثر من الذين أماتهم في حياته .

ولعل في تلك الحياة عبرة للمعتبر أي عبرة ! !

٤٩

الموآبية الحسناء

« فقالت النساء لنعمى مبارك الرب الذي لم يعدمك وليآ اليوم لكي يدعى اسمه في اسرائيل . ويكون لك لارجاع نفس واعالة شيبتك . لان كنتك التي أحبتك قد ولدته وهي خير لك من سبعة بنين »

(راعوث ٤ : ١٤، ١٥)

اسم الرجل اليمالك ومعناه الله يملك

واسم امرأته نعمى ومعناه حلوة أو حلوى

والاسرة تقيم في مدينة بيت لحم يهوذا وكانت متيسرة الى حد ما على أن الأمطار كفت عن النزول أو على الأقل كان نزولها شحيحاً وشحت غلة الأرض تبعاً لذلك . وضاق اليمالك بذلك ذرعاً وبدت بوادر ضيقه في أسمى ولديه فقد دعا الأول محلون أي محل أو حدب ودعا الثاني كليون أي خراب ! !

ولما اشتد الجدب ذهب الرجل وأسرته الى أرض موآب ليتغرب هناك . ولم تكن المهاجرة في تلك الاوقات بدعاً فقد كان كثيرون يهجرون أوطانهم ويطلبون العيش في بلاد اخرى أوفر خيراً . وكانت البلاد الاخرى ترحب بالوافدين لما تناله منهم من خير !

ولم يطل المقام باليمالك في أرض موآب فمات وترك ولديه يحملان عبء الحياة وحدهما . ورأيا من باب الحكمة أن يتزوجا من بنات موآب فتزوج كليون من شابة اسمها عرفة وتزوج محلون من راعوث . وعاشت أسرة اليمالك في موآب عشر سنوات . ولسنا نعلم كيف عاش اليهود مع الأمم في ذلك البيت . قيل أن المرأتين كانتا امرأتين فاضلتين وان الحماة كانت تقية وقد استطاعت بحياتها الطيبة أن تضمن سلام البيت .

كذلك يمكننا أن نستنتج ان الشابين أحبا زوجتيهما و إلا ما مكثا مع الزوجتين عشر سنوات مع عدم وجود نسل

ومات الشابان

هل ماتا في حرب ؟

هل ماتا في وبأ ؟

هل ماتا أثر حادث أليم ؟

من يعلم ؟!!

كل ما نعلمه انهما ماتا في وقت واحد !

ولا بد أن النساء الثلاث بكين حرّ بكاء على الشباب الذي دفن. وكان موت الشابين كارثة على الزوجتين ولكنه كان اكثر من كارثة على الأرملة التي جاءت إلى مواب ممتلئة وهاهي تتهيأ للرجوع إلى بلادها فارغة !

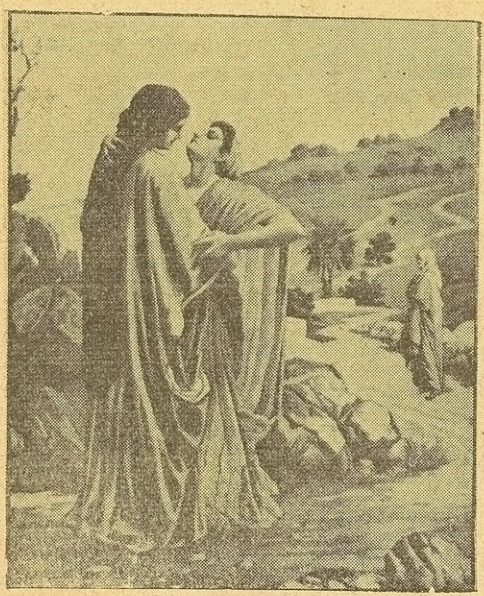
وكانت نعمى كريمة مع كنتيها فلم تعبس لهما ولم تتهمهما بانهما السبب في الموت أو أن قدومهما « ناشف » .. بل لقد اظهرت نحوهما عطفاً كبيراً . لقد نسيت

مصابها وهي تذكر مصابهما . وطلبت من الله أن يحسن اليهما من أجل الاحسان الذى صنعتاه مع الموتى ومعها . وتمنت لكل منها أن تسعد في بيت أبيها وان يرزقهما الزوج الصالح وقبلتهما و بكت معهما !

وتأثرت المرأتان كثيراً وقالتا اننا نذهب معك . أما عرفة فلم تشدد كثيراً بل عادت إلى بيتها بعد قليل . وأما راعوث فلصقت بها . ولما طلبت منها ان تعود اجابتها باصرار لا تلحي عليّ ان اتركك وارجع عنك لانه حيثما ذهبت أذهب وحيثما بت أبيت . شعبك شعبي و إلهك إلهي . حيثما مت أموت وهناك أندفن . هكذا يفعل الرب بي وهكذا يزيد . انما الموت يفصل بيني و بينك .

ولما رأت نعمي أنها مشددة على الذهاب معها كفت عن الكلام اليها !

وهكذا اتجهت عرفة نحو موآب ، واتجهت راعوث نحو أرض اسرائيل ! ولو اننا كنا معهما في ذلك الوقت لقلنا اننا بالرغم من أعجابنا بولاء راعوث نحبذ مسلك عرفة فقد عادت إلى وطنها و بيت أبيها وغالباً لقيت الزوج وكونت الأسرة . أما راعوث فقد دفعتها العاطفة الوقتية إلى إنكار ذاتها وكان ينتظر أن تعيش أرملة مع حماتها إلى أن تموت !



راعوث ترفض أن تترك نعمى
أما عرفة فتعود الى أهلها

على أن التاريخ يبين لنا خطأ تقديرنا فأما عرفة فقد أسبل عليها « التاريخ » ستار النسيان ونحن لانسمع عنها شيئاً

وقد اخترع لها أحد الكتاب قصة لسنا نظن انها بعيدة عن الصواب . فقد ذكر انها تزوجت وولدت ابنة وان الابنة قدمت للاله بعل فاحترقت على يديه الملتهبتين!

وأما راعوث فقد كان لها نصيب آخر ويحسن اننا نتبعها لنراه !

دخلت نعمى وراعوث إلى بيت لحم وتناقل القوم أن زوجة اليمالك قد عادت من المهجر فجاءوا وأبصروا المرأة التي ذهبت حلوة تعود عجوزاً مهدمة وقالوا أهذه نعمي ؟ فاجابتهم لا تدعوني نعمي بل ادعوني مرة ، لان القدير قد أمرّني جداً . اني ذهبت ممتلئة والرب قد أرجعني فارغة . لماذا تدعوني نعمي والرب قد أذلني والقدير قد كسرني !!؟

وكذلك تناقل القوم حديث الأرملة الشابة التي تركت وطنها وأهلها وآلهتها وتبعت حماتها إلى شعب غريب وإله غريب !

ولم تشأ راعوث أن تعيش عالة على غيرها فرتبت أن تعمل. كان الوقت وقت حصاد الشعير فقالت لحماتها دعيني اذهب إلى الحقل والتقط سنابل وراء من أجد نعمة في عينيه . فقالت لها اذهبي يابنتي . كانت الشريعة اليهودية تأمر بترك لقاط الحقل للفقراء يجمعونه ، وكان اصحاب الحقول يبيحون للفتيات والفتيان أن يجمعوا خلف الحصادين على أن الفتيات كن يلاقين في بعض الأماكن عنتاً من اصحاب الحقول أو من العمال . ولذلك كان خروج راعوث للعمل مجازفة غير



راعوث تجمع في الحقل

مأمونة العواقب . ولكن الله رتب أن يكون نصيبها في حقل رجل اسمه بوعز وهو قريب لأسرة زوجها . في الحق هو أقرب الأقرباء لا يسبقه إلا واحد . وفى ذلك الحقل عملت راعوث !

وقرب المساء جاء بوعز إلى الحقل وحيا الحصادين تحية ذلك العصر قائلا ، الرب معكم واجابوا يباركك الرب ، وهي تحية كان القوم يتبادلونها بتفكير أقرب إلى الصلاة !

وأبصر بوعز وجهاً صبوحاً بين وجوه فتياته لم يره قبل اليوم . فسأل غلامه الموكل على الحصادين ، لمن الفتاة ، واجاب الغلام، انها الفتاة الموآبية التي عادت مع نعمي وقد طلبت أن تلتقط وتجمع بين الحزم وراء الحصادين وانها مذ جاءت فى الصباح لم تكف عن العمل !

وتقدم بوعز من راعوث وقال لها بنغمة الحنو الأبوي ألا تسمعين يابنتي . لا تذهبي لتلتقطي في حقل آخر وأيضاً لا تبرحي من ههنا بل هنا لازمى فتياتي . عيناك على الحقل الذي يحصدون واذهبي وراءهم . وسأوصي الغلمان أن لايمسوك. واذا عطشت فاذهبي إلى الآنية واشربي مما استقاه الغلمان وكان تأثر راعوث عظيماً . ان رجلا غنياً يتحدث اليها كما لو كانت شيئاً مذكوراً . نعم انها من عائلة ملوك كما تقول بعض التقاليد ولكنها أرملة غريبة بين قوم يحتقرون الأجنبي ، وهي لا تنتظر أن تعامل



وسقطت راعوث على وجهها وسجدت الى الارض وقالت لبوعز كيف وجدت نعمة في عينيك

إلا كما يعامل العبيد ولكنها تجد معاملة تختلف عن ذلك كثيراً. وهاهو صاحب الحقل يوسع لها قلبه ويوصي رجاله وغلمانه أن يحيطوها برعاية خاصة. تأثرت راعوث وسقطت على وجهها وسجدت إلى الأرض وقالت لبوعز، كيف وجدت نعمة في عينيك حتى تنظر إليّ وأنا غريبة. وأجاب بوعز انني قد اخبرت بكل ما فعلت بحماتك بعد موت رجلك حتى تركت أباك وأمك وأرض مولدك وسرت إلى شعب لم تعرفيه من قبل. ليكافيء الرب عملك وليكن أجرك كاملاً من عند الرب إله اسرائيل الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه. وفاضت دموع راعوث تأثراً وقالت، ليتني أجد نعمة في عينيك ياسيدي لانك قد عزيتني وطيبت قلب جاريتك وأنا لست كواحدة من جواريك.

وشدد بوعز على عماله أن يوسعوا مكاناً لها ويعاملوها كأكرم ما يعامل الناس، نعم، ليعاملوها كما لو كانت صاحبة الحقل، وامر أن يتركوها تلتقط بين الحزم دون أن يؤذوها بل طلب ان يتسلوا لها من الشمائل ويتركوها تلتقط ولا ينتهروها.

وفي راحة الظهيرة جلست تأكل لقمتها فناولها فريكا فأكلت وشبعت وفضل عنها!

ونحن نسأل هل كانت معاملة بوعز لراعوث معاملة الرجل الكريم الذي اكرم في راعوث نبلها في معاملة حماتها ام كان هناك مع هذا باعث آخر هو حب بوعز لراعوث. قيل انه أخذ بنبل روحها وكرم نفسها وتضحيتها وتركها لآلهتها من أجل إله آخر. وقيل ان قلبه عطف عليها كفتاة مسكينة غريبة. لكن قيل أيضا ان قلبه أحسّ بالحب. وقيل انه منذ ماتت زوجته المحبوبة لم يفكر في امرأة الى أن رأى راعوث. قيل هذا وأكثر منه ولكن الكتاب لا يحدثنا عن هذا وانما يكتفي بذكر المعاملة الحسنة دون أن يذكر باعثها!

وظلت راعوث تلتقط في الحقل إلى المساء وخبطت ما التقطته فكان كمية لا بأس بها حملتها الى حماتها ثم اخرجت لها ما فضل عن طعامها. وسألتها حماتها

أبن التقطت اليوم واين اشتغلت ثم اردفت ليكن الناظر اليك مباركاً . وحدثت راعوث حماتها عن بوعز وكيف تلطف في معاملتها وأكرمها وهى الغريبة فقالت نعمى لكنتها مبارك هو من الرب لأنه لم يترك المعروف مع الاحياء والموتى . وقالت لها ان الرجل ذو قرابة لهم ولكن الفقر يباعد بين الاهل . وقالت راعوث لقد طلب منى أن ألازم فتيانه حتى يكملوا جميع حصاده . وأجابت نعمى انه حسن يا بنتى أن تخرجى مع فتيانه حتى لا يقعوا بك في حقل آخر !

وظلت راعوث تعمل في حقول بوعز حتى انتهى حصاد الشعير وحصاد الحنطة .. ومكثت إذ ذاك في البيت مع حماتها !

وكانت نعمى طول الوقت مشغولة براعوث . هل ينبغى أن تمكث أرملة طول حياتها فتدفن شبابها في الثياب السوداء وتقضى عمرها معها وهى العجوز الفانية . ثم أنها تحسّ أن أيامها تقترب من النهاية فماذا يكون مصير راعوث من بعدها . ومرّت ببال نعمى شريعة الزواج اليهودي التى تقضى على الأخ أن يتزوج من أرملة أخيه إذا لم يعقب نسلاً لكى يقيم نسلا لأخيه . ولكن الأمور قد تغيرت الآن وليس من يفكر في أخيه أو فى نسل أخيه . ثم أن محلون لا أخ له ...

وذكرت نعمى في تفكيرها أن الشريعة جعلت الاخ وليا وفي حالة عدم وجود الولى فان أقرب قريب يأخذ مكان الأخ . وقالت في نفسها انه إذا جازت الولاية فى المال والمقتنيات فلماذا لا تجوز في موضوع الزواج ؟

وذكرت نعمى أيضا أن بوعز ولىّ . نعم هو ثانى ولىّ ولكن الولى الأول متباعد لم يبد أى عطف نحو العائلة المنكوبة ولم يسع إلى فكاكِ أرض زوجها . فهى لا تفكر فيه وانما تفكر فى الرجل العطوف بوعز .

ولقد قيل ان نعمى لاحظت ما يعتلج في قلب بوعز من حب لكنتها ولم يسؤها ذلك بل بالحرى سرّها وذهب بها الفكر إلى أنها ربما تستطيع أن تجمع بين بوعز وراعوث عن طريق الشريعة القديمة التى نسيها القوم !

وحدثت راعوث بذلك . حدثتها عن شريعة الولى فى وجوب زواجه من أرملة قريبه، وحدثتها أن بوعز ذو قرابة لهم . وذكرت لها ما في زواجها من بوعز من خير . صحيح أنه ليس شابا وأنها هى صبية ولكن الزواج الموفق لا يتحتم أن يكون فيه السن متوافقا ، ثم ان زواج راعوث لا تقصد منه نعمى إلا استقرار راعوث فى حمى رجل كريم أمين لتعقب نسلا . ولا بد أن راعوث نفرت أولا من فكرة الزواج ، لقد فرغت من فكرة الزواج . لقد « جربت بختها » . ان محلون زوجها الوحيد وسيكون زوجها الوحيد . ولكنها رضخت أخيراً لكى تعقب ابناً لمحلون من الرجل العجوز بوعز الذي هو فى مقام والدها ! !

ورتبت نعمى الامر ترتيباً قد لا نسيغه ، ولكنه كان يتفق مع تقاليد العصر . فطلبت منها أن تغتسل وتتدهن وتلبس ثيابها الزاهية وتنزل الى البيدر حيث كان بوعز يذري بيدر الشعير . وتنتظر إلى أن ينام فتدخل الى خيمته وتنام ناحية رجليه وقالت انه سيخبرها بما تعمل .

وأطاعت راعوث حماتها

فاغتسلت

وتدهنت

ولبست ثيابها

وجاءت الى البيدر

وانتظرت حتى أكل بوعز وشرب

وعلمت المكان الذي يضطجع فيه

فدخلت

وكشفت ناحية رجليه

واضطجعت

وكان عند انتصاف الليل ان الرجل اضطرب والتفت واذا بامرأة مضطجعة

عند رجليه فقال من أنت ، فقالت أنا راعوث أمتك فابسط ذيل ثوبك على أمتك لأنك ولي. لم تكن راعوث تعرف قبلاً معنى هذه الكلمات ولكن نعمى لقنتها إياها!

وفاض إعجاب بوعز براعوث !

مباركة أنت من الرب يا بنتي !

لقد أحسنت معروفك في الأخير اكثر من الأول إذ لم تسعى وراء الشبان . . بل سعيت الى الزوج الذي تعينه الشريعة . .

مباركة أنت من الرب لأنك قبلت ان يكون زوجك شيخاً فانياً نظيري لكي تقيمي حق زوجك محلون !

والآن يا بنتي لا تخافي !

كل ما تقولين أفعل لك !

لأن جميع أبواب شعبي تعلم انك امرأة فاضلة !!

والآن صحيح اني ولي !

ولكن يوجد ولي أقرب مني !

بيتي الليلة !

ويكون في الصباح انه ان قضى لك حق الولي فحسناً . ليقضِ !!

وان لم يشأ ان يقضي لك حق الولي فأنا أقضي لك !!

حي هو الرب ! !

* * *

واضطجعت راعوث عند رجليه الى الصباح . ثم قامت والظلام باق . وقام بوعز وشيعها الى بيت حماتها . وكان كريماً فكتم سرها ولم يشأ ان أحداً يعرف بمجيئها . ولم يرسلها فارغة بل اكتال لها ستة من الشعير !

وجاءت راعوث الى حماتها وقصّت لها قصة بوعز معها فطمأنتها ان الرجل صادق الوعد وانه لن يهدأ حتى يتمم الأمر اليوم !

وكذلك كان !

فقد صعد الى باب المدينة الذي يجلس عنده شيوخ الشعب . ودعا الولي الأول ولم تذكر القصة اسمه ، وطلب منه ان يفكّ حقل اليمالك بصفته الولي . وقال : وان كنت لا تفك فأخبرني لأعلم لانه ليس غيرك يفك وأنا بعدك . فقال اني أفك . ولكن بوعز قال : يوم تشتري الحقل من يد نعمى تشتري ايضاً من يد راعوث الموآبية امرأة محلون لتقيم اسم الميت على ميراثه! فقال الولي: لا اقدر أن أفك لنفسي لئلا أفسد ميراثي بادخال العنصر الأممي فيه ففكّ أنت لنفسك فكاكي لأني لا أقدر أن أفك !

وقال بوعز للشيوخ ولجميع الشعب .

أنتم شهود اليوم اني قد اشتريت كل ما لأليمالك وكل ما لكليون ومحلون من يد نعمى وكذا راعوث الموآبية امرأة محلون قد اشتريتها لى امرأة لأقيم اسم الميت على ميراثه ولا ينقرض اسم الميت من بين اخوته ومن باب مكانه .

أنتم شهود اليوم !

فقال جميع الشعب الذين في الباب والشيوخ :

نحن شهود !

فليجعل المرأة الداخلة الى بيتك كراحيل وكليئة اللتين بنتا بيت اسرائيل !

فاصنع ببأس في أفراتة !

وكن ذا اسم في بيت لحم !

وليكن بيتك كبيت فارص الذي ولدته ثامار ليهوذا من النسل الذي يعطيك الرب من هذه الفتاة !

كانت كلمات الشعب أمنية يرجون أن تتحقق أو يتحقق بعضها . ولكن بوعز نال اكثر جدا مما كان يظن أو يظن أي انسان آخر !

تزوج بوعز من راعوث !

وأعطاها الرب حبلاً فولدت ابناً !

وقالت النساء لنعمى : مبارك الرب الذي لم يعدمك ولياً اليوم لكي يدعى اسمه في اسرائيل ويكون لك لإرجاع نفس وإعالة شيبتك. لأن كنتك التي أحبتك قد ولدته لك وهي خير لك من سبعة بنين .

فأخذت نعمى الولد !

ووضعته في حضنها !

وصارت له مربية !

وسمته الجارات اسماً قائلات : قد وُلد ابن لنعمى !

ودعون اسمه عوبيد !

* * *

كانت تعزية نعمى عظيمة !

وبوعز عرف ما هو النعيم !

وكان سرور راعوث فائقاً حد الوصف . انها ليست الأممية الغريبة . لقد صارت أماً في اسرائيل . أمّاً لأحد رجال اسرائيل بل لأحد رؤسائها !

على أن راعوث لم تعلم أن أمومتها كانت أعظم وأجلّ مما فكرت . ربما رأت عوبيد يلد يسى . ومن يعلم فربما أبصرت داود وهو يرعى الغنم !

ولكنها لم ترَ على الأغلب الملك داود !

ولم ترَ بالطبع ابن داود !

نعم فقد جاء ابن داود !

جاء المسيا !

جاء رجاء اسرائيل !

بل رجاء العالم !

جاء من نسل الأممية التي أحبت إله اسرائيل وجاءت لكي تحتمي تحت جناحيه.

ولقد تألقت الجواهر الكريمة في عقد نسب المسيح !
وكانت راعوث اكثرهن جمالاً وبهاء !
ولا عجب فقد كانت راعوث قلباً !
وكان قلبها مليئاً بأطهر حب !
وأنقى حب !
والمحبة خالدة لا تموت !

٥٠

الطفل الذي خدم

« وكان الصبي صموئيل يخدم الرب امام عالي » (صموئيل الاول ٣:١)

في الكتاب المقدس سجل مجيد لعدد من الأطفال الذين صاروا أبطال التاريخ. والطفل الذي نتحدث عنه، أحد هؤلاء الأبطال . ويجدر بنا أن نعود الى قصته من أولها فنتبع خط التاريخ الى والديه وأسرته !

أما أبوه فاسمه القانة ويعود نسبه الى أفرايم وكان متزوجاً من امرأتين اسم الواحدة حنة واسم الاخرى فننة . وكان لفننة أولاد وأما حنة فلم يكن لها أولاد !

وكان القانة يحب حنة ويميزها في المعاملة عن فننة . إذ كان يعطيها نصيب اثنين . أما فننة فكانت تغيظها . والمرأة ماهرة في اختراع أسباب الكيد ، وكانت حنة تلاقي من ذلك كثيراً من الحرج . بل ان أسباب الكيد كانت تتكاثر وتشتد عند ما تكون العائلة في بيت الله ، حتى كادت حنة تبغض الصعود الى بيت الرب !!!
وفي احدى السنين زاد كيد فننة لها فبكت حنّة ولم تأكل. أما زوجها فحاول ان

يطيب قلبها وقال لها : لماذا تبكين ولماذا لا تأكلين ولماذا يكتئب قلبك . أما أنا خير لك من عشرة بنين ؟

كلا . ان الزوج مهما بلغت محبته ورعايته لامرأته لا يمكن أن يملأ الفراغ المتخلف من قلة الولد . ولذلك لم تستطع كلمات القانة ان تعزيها وتجبر كسر قلبها !

واتجهت حنة نحو المكان الوحيد الذي تضمن فيه التعزية والرجاء . فذهبت الى الهيكل وهي مرّة النفس ، وصلّت الى الرب ، و بكت بكاء ، ونذرت نذراً ، وقالت : يا رب الجنود ان نظرت نظراً الى مذلة أمتك وذكرتني ولم تنس أمتك بل أعطيت أمتك زرع بشر ، فاني أعطيه للرب كل أيام حياته ولا يعلو موسى رأسه !!

كانت حنة تصلي من عمق قلبها . تحولت كل نفسها الى صلاة . كان جسمها يهتز وكانت شفتاها تتحركان لكن صوتها لم يسمع وقد طال جثوها !

وكان عالي رئيس الكهنة يراقبها ! وقد ظن انها سكرى !

ولا عجب ان ظنها كذلك لان عالي لم يكن يعرف الصلاة المرّة ، ولم يكن يرى في بيته عمق الصلاة . كان أولاده يسكرون ويفجرون في بيت الله . وأبصر حنة تطيل الصلاة فظنها سكرى ، ولم ينتظر ليتحقق من الأمر . فقال لها : حتى متى تسكرين انزعي خمرك منك ؟!!

وتألمت حنة كثيراً !

حتى أمام الله لا تجد إلا هواناً !

ولكنها في انكسار قلبها أجابته بنغمة حزينة عاتبة : لا يا سيدي . اني امرأة حزينة الروح ولم أشرب خمراً ولا مسكراً ، بل اسكب نفسي أمام الرب . لا تحسب أمتك شريرة . لاني من كثرة كربتي وغيظي قد تكلمت الى الآن !

وخجل عالي . وقال : اذهبي بسلام وإله اسرائيل يعطيك سؤلك الذي سألته من لدنه !

وعادت حنة بوجه مشرق وقلب مطمئن واثق . لقد سكبت قلبها أمام الله وهو يحمل الآن أثقالها . انها لا تحمل هماً في ما بعد !

وأعطى الله حنة زرع بشر ، ودعت اسمه صموئيل ، قائلة : لاني من الرب سألته . ونفذت نذرها . وحين فطمته أصعدته معها بهدية لائقة وأتت به الى الرب في شيلوه والصبي صغير !

وقدمت حنة ابنها الى الله على يد عالي الكاهن . قالت : اسألك يا سيدي حية هي نفسك يا سيدي . أنا المرأة التي وقفت لديك هنا تصلي الى الرب . لاجل هذا الصبي صلّيت فأعطاني الرب سؤلي الذي سألته من لدنه. وأنا ايضاً قد أعرته للرب جميع ايام حياته . هو عارية للرب !



صموئيل يصلي

وسجد صموئيل هناك للرب !

وكان صموئيل يخدم امام الرب وهو صبي متمنطق بأفود من كتان . وعملت له أمه جبة صغيرة وأصعدتها له من سنة إلى سنة عند صعودها مع رجلها لذبح الذبيحة السنوية .

وبارك عالي القانة وامرأته. قال: يجعل لك الرب نسلا من هذه المرأة بدل العارية التي أعارت للرب . وأعطاها الله ثلاثة بنين و بنتين .

وكبر الصبي صموئيل عند الرب !

٥١
كلمة الرب الى صموئيل

« وعرف جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع انه قد اوتمن صموئيل نبياً للرب . وعاد الرب يتراءى في شيلوه لان الرب استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب »
صموئيل الاول ٣ : ٢٠ و ٢١

كان صموئيل يخدم في بيت الرب

وكانت الخدمات التى يقوم بها لا تزيد عن كنس الرواق أو إضاءة القنديل أو اطفاء السراج ثم الوقوف أمام عالى رئيس الكهنة لقضاء أية مهمة صغيرة يطلبها منه عالى . وهى خدمات تتفق مع صغر سن « الخادم » الجديد في بيت الله !

ولا شك أن الكثيرين منا لا يعتبرون خدمات صموئيل خدمات ذات شأن ديني . كل ما يمكن وصفها به انها خدمات « فرّاش » في بيت الله . ولا مقام للقائم بها إلا مقام « الفراش » الحقير !

لكن الله نظر إلى خدمة صموئيل بعين أخرى ، واعتبر هذه الخدمة نظير خدمة الكاهن أو النبي . ذلك لان صموئيل كان يقدم خدمته لا ابتغاء أجر ارضي، لكن خدمته كانت لله . وكل خدمة تقـــدم لله هي خدمة روحية مهما كانت مادية المظهر !

وقد بين الله رضاءه على خدمة صموئيل

ففي احدى الليالي وقد تهيأ صموئيل للرقاد سمع صوت الله ينادي، صموئيل صموئيل

كانت كلمة الله عزيزة في تلك الأيام . لا رؤى، ولا أحلام ، ولا أفود ولا ترافيم. وكيف تأتي كلمة الله إلى كاهن اهمل شئون بيته وخدمة بيت إلهه ؟ وكان اولاده

يعيثون فساداً في هيكل الله . كيف تأتي كلمة الله إلى عالي وابناه حفني وفينحاس وهما من هما ؟

ولكن عندما جاء صموئيل وحدم خدمته التي ظنها الكثيرون خدمة « فراش » جاءت كلمة الله وسمع صموئيل في هدأة الليل

صموئيل صموئيل !

وظن صموئيل ان عالي يدعوه . لم يسبق لله أن دعاه. فركض إلى عالي يقول هأنذا لانك دعوتني . وقال عالي انه لم يدعه . فعاد الى فراشه وسمع النداء لثلاث مرات ، وفي كل مرة كان يذهب الى عالي !

كان عالي يظن ان الأمر لا يعدو أن يكون عيباً في أذن صموئيل . لكن لما تكرر الأمر ثلاث مرات أدرك ان الله يدعو صموئيل ، فقال له اذهب ياابني ومتى سمعت النداء فقل ، تكلم يارب لأن عبدك سامع ! ولابد انه أفهمه ان الله نفسه هو الذي يتكلم !

وسمع صموئيل للمرة الرابعة !

صموئيل صموئيل !

فقال تكلم يارب لأن عبدك سامع !

وتكلم الله !

ومن الغريب أن يكون أول كلامه اعلاناً عمّا سيصيب بيت عالي من خراب !!

وتحدث صموئيل عن الاعلان لعالي . وليس يعنينا الآن الحديث عن عالي وبيته . وانما يهمنا أن نرى صموئيل وقد بدأ يصغي لرسالة الله لان قلبه كان متجهاً نحو الله ، وأذنه كانت مفتوحة لسماع صوت الله !

وكبر صموئيل وكان الرب معه ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الارض !

وعرف جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع انه أؤتمن صموئيل نبياً للرب !

وعاد الرب يتراءى في شيلوه لأن الرب استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب !

٥٢

تابوت الرب وداجون

« وأعطوا إله اسرائيل مجداً لعله يخفف عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم . ولماذا تغلظون قلوبكم كما أغلظ المصريون وفرعون قلوبهم » (صموئيل الاول ٦ : ٥و٦)

أمّا تابوت الرب فهو صندوق من خشب السنط مغشى من الداخل ومن الخارج بالذهب وكان غطاؤه من الذهب الخالص !!

على أن قيمة التابوت لم تكن في نفاسة مادته ، وانما كانت فى المعنى الذي يقدمه فقد كان التابوت رمز حضور الله . وكان مكانه في قدس الأقداس . وقد أحيط بجو من القدسية ، بحيث لا يقترب منه إلا رئيس الكهنة مرة في السنة ، وليس بلا دم !

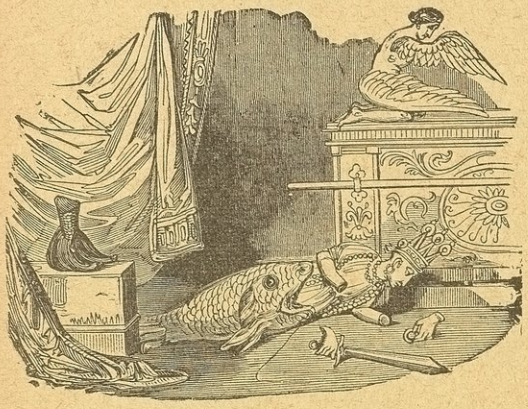
وتقصّ لنا الأسفار المقدسة ان ابناء عالي حملوا التابوت في حرب مع فلسطين ، ولكن الأعداء كسروا اسرائيل وأسروا التابوت !

وحمل الفلسطينيون التابوت إلى هيكل إلههم داجون !

وكان هتافهم لإلههم يشق عنان الجو . ألم يهزم إله اسرائيل الممثل في التابوت؟! حقاً ان إلههم أعظم من إله اسرائيل . لقد سبق أن سمعوا عن العظائم التي أتاها إله اسرائيل وكانوا يهابونه بدليل انهم لما علموا بوجوده مع جيش اسرائيل خافوا لانهم قالوا قد جاء الله الى المحلة . وقالوا ، ويل لنا لانه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله ، ويل لنا ! من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين ؟ هؤلاء هم الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات في البرية !

فلما انتصروا وأسروا التابوت ظنوا ان إلههم أعظم جداً من الله . وها نحن نراهم يضعون التابوت عند أسفل قاعدة داجون . ان التابوت لا يجوز أن يحتل مكاناً مساوياً لداجون !

ترك الفلسطينيون إلههم منتصباً يطل من عليائه بكبرياء على التابوت . ولكنهم عند ما جاءوا في الصباح وجدوا داجون ساقطاً على وجهه إلى الارض امام التابوت ! فاخذوا داجون وأقاموه في مكانه . وبكروا صباحاً في الغد واذا بداجون ساقط على وجهه على الارض امام تابوت الرب ورأس داجون ويداه مقطوعة على العتبة !



داجون اله الفلسطينيين ساقط على وجهه أمام التابوت

و بدأ الفلسطينيون يرتعبون !

ان تابوت الله رهيب !

وفي هدأة الليل والتابوت وحده استطاع التابوت أن يضرب إلههم ضربة ساحقة !

وثقلت يد الرب على سكان أشدود ، حيث كان التابوت. فأخربهم وضربهم بالبواسير . وخاف أهل أشدود وطلبوا ان ينقل التابوت من عندهم لأن يد الرب ثقلت عليهم وعلى داجون! فنقلوه إلى جت. وحدث في جت ما حدث في أشدود، فأصيب جميع السكان من الكبير إلى الصغير بالبواسير. فارسلوا التابوت إلى عقرون

ولكن سكان عقرون رفضوا أن يقبلوه . وحدث اضطراب كبير بين الفلسطينيين ومات منهم خلق كثير وأصيب عدد أكبر بالبواسير !

وكان تابوت الله في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر . فدعا الفلسطينيون الكهنة والعرافين قائلين ، ماذا نعمل بتابوت الرب اخبرونا بماذا نرسله إلى مكانه ؟ وكانت مشورة الكهنة والعرافين ألاّ يرسلوه فارغاً بل يرسلوا بعدد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من الذهب وخمسة فيران من الذهب ، ويعطوا إله اسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنهم وعن آلهتهم وعن أرضهم . قالوا « ولماذا تغلظون قلوبكم كما أغلظ المصريون وفرعون قلوبهم . أليس على ما فعل بهم اطلقوهم ؟ ؟ »

وأشار الكهنة ان يوضع التابوت وأمتعة الذهب على عجلة واحدة جديدة تربط اليها بقرتان مرضعتان لم يعلهما نير ويطلقون العربة وينظرون ، فان صعد التابوت في طريق تخمه إلى بيتشمس فيكون هو الذي فعل بهم هذا الشر العظيم ، وإلا فيعلمون ان يده لم تضربهم . كان ذلك عليهم عرضاً !

وفعل الرجال كذلك ، واخذوا بقرتين مرضعتين وربطوهما إلى العجلة وحبسوا ولديهما في البيت ، ووضعوا تابوت الرب على العجلة مع الصندوق وفيران الذهب وتماثيل بواسيرهم فاستقامت البقرتان في الطريق الى طريق بيتشمس وكانتا تسيران في سكه واحدة وتجأران ولم تميلا يميناً ولا شمالاً وأقطاب الفلسطينيون يسيرون وراءهما الى تخم بيتشمس !

ولما رأى الفلسطينيون ذلك رجعوا الى بلادهم !

وهكذا تمجد الله في بلاد فلسطين !

٥٣

الملك الاول

« فقال صموئيل لجميع الشعب ارايتم الذي
اختاره الرب انه ليس مثله في جميع الشعب
فهتف كل الشعب وقالوا ليحي الملك »
(صموئيل الاول ١٠ : ٢٤)

كان الله ملك اسرائيل

وكان القاضي أو النبي أو الكاهن يبلغ الشعب ارادة الله

فكان موسى في أول الأمر هو نائب الله في الأحكام . . وتبعه يشوع . ثم القضاة و بعد ذلك كان عالى الكاهن ثم صموئيل الرائى .

وكان الشعب يتمتعون تحت هذا الحكم بالأمن والعدالة كما كانت الأداة الحكومية لا تكلفهم شيئا تقريباً بالمرة .

على أن الشعب راقب الامم المحيطة به ورأى مواكب الملوك وما فيها من مظاهر خلابة. ففرق الحرس والعربات الملكية والثياب الزاهية والقصور وما حوت من عظائم . . كل هذا لفت أنظارهم واستهوى لبهم وتاقت نفوسهم لأن يكون لهم ما للامم الاخرى

وكان من دوافع هذه الرغبة غير حب المظهر سوء الادارة في أخريات أيام صموئيل . فانه لما شاخ جعل بنيه قضاة . ونحن نعرف اسم البكر والثانى ، يوئيل وأبيا ، وكانا قاضيين في بئر سبع . ولكنهما لم يسلكا في طريق أبيهما بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوّجا القضاء !!

وكان ان اجتمع شيوخ اسرائيل وجاءوا إلى صموئيل الى الرامة وقالوا له هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك . فالآن اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب !

واستاء صموئيل من الشعب

وكان حقاً عليه أن يستاء من أولاده ولكنه شأن كل والد لا يسمع مذمة أولاده ، وإذا بلغته لا يصدقها واذا صدقها فانه يهوّن من شأنها ولا يراها إلا بعين الأب الذى يحب أولاده !

ونحن نحس بميل شديد نحو تلويم صموئيل ولكننا في نفس الوقت نحس أن الجو الكتابى كله لا يضع عليه شيئاً من المؤاخذة

شخص يسمع من الله نفسه عن قصاص خطية عالى في اهمال تربية أولاده ، ويبصر بعينيه ذلك القصاص المروع . ومع ذلك يترك أولاده يسيرون سيرة معوجة وعند ما يواجهه شيوخ الشعب بان أولاده لا يسلكون كما سلك هو يثور لا على أولاده بل على الشعب الجاحد للفضل!!! شخص كهذا ألا يستحق أن نقسو في الحكم عليه ؟؟

على أن الجو الكتابى كله يتجه نحو العطف عليه ونحن لا نعلم سر ذلك . إلا أن يكون أنه بذل أقصى جهد في إصلاحهم وفشل !!

ذهب صموئيل متألماً إلى الله وشكا له جحود ذلك الشعب الذي أفنى فى سبيله كل حياته !

ألم يخدم في بيت الله وهو طفل ؟

ألم يحمل إلى عالى رسالة الله عن بيته في ذلك الوقت ؟

ألم يحمل صموئيل رسالة الله إلى كل الشعب ؟

وعندما ناح كل بيت اسرائيل وراء الرب ألم يكن صموئيل هو القائد الذي سار بهم رجوعاً الى الله ؟ ألم يصلِّ من أجلهم، وحجر المعونة يذكّر بفضله ؟

ألم يقض كل حياته جائلا بين بيت ايل والجلجال والمصفاة يقضى لأسرائيل هل استراح يوماً واحداً ؟

وهل كان له غُنْم من خدمته ؟

ألم يقف ويتحداهم في ما بعد « ثور من أخذت وحمار من أخذت ومن ظلمت ومن سحقت ومن يد من أخذت فدية لأُغضى عينيَّ عنه فأردّ » ؟؟

ولم يجسر واحد أن يتهمه بشيء ، بل كان جوابهم لم تظلمنا ولا سحقتنا ولا أخذت من يد أحد شيئا ! !

فهل تكون هذه مكافأته فى شيخوخته ؟

ولكن الله هدأ روعه وقال له اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك . لانهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم . انها ليست سيئتهم الأولى ، ولن تكون الأخيرة . منذ يوم أصعدتهم من مصر الى هذا اليوم وهم يأتون الإساءة تلو الاساءة وقد تركوني كثيراً وعبدوا آلهة أخرى . لا تستأ ياصموئيل انهم لم يسيئوا اليك . والآن أنا اطلب انك تسمع لصوتهم ولكن اشهدن عليهم واخبرن بقضاء الملك الذي يملك عليهم !

وجمع صموئيل الشعب وانذرهم انهم يسيرون في طريق خطر بطلبهم ملكاً واشهد عليهم انه اخبرهم بقضاء الملك . قال

هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم

يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ، لمراكبه وفرسانه فيركضون امام مراكبه !

ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه !

ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات !

ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده !

ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده !

ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله !
ويعشر غنمكم !
وأنتم تكونون له عبيداً !
فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم !

وربما ظن صموئيل ان مثل ذلك القضاء يخيف الشعب فيعدلون عن طلبهم ولكنهم أبوا أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا

لا بل يكون علينا ملك
فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب
ويقضي لنا ملكنا
ويخرج أمامنا
ويحارب حروبنا

ولم يكن امام صموئيل الا أن يستجيب لرغبة الشعب ويختار لهم ملكاً !

* * *

لكن أين يجد ذلك الملك ؟
ان الملك الذي يطلبونه ينبغي أن يكون ذا منظر وذا مظهر لأنهم طلبوا أن يكون لهم ملك يخرج أمامهم !
وها نحن نرى كيف رتب لهم الله الملك الذي طلبوه !
هو شاب اسمه شاول
وأبوه قيس بن ابيئيل بن صرور بن بكورة بن افيح . وهو رجل بنياميني جبار بأس !
وكان شاول شاباً وحسناً ولم يكن رجل في بني اسرائيل احسن منه . من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب !

ولم يخطر لبال شاول ولا لبال ذويه ان سيكون لشاول شأن يوماً ما . نعم ان العائلة كانت ميسورة الحال الى حد ما ولكنها لم تكن العائلة التى يظن انها تملك فقد كانت عائلة صغيرة من سبط بنيامين

ولكن طرق الله ليست طرقنا

وافكاره ليست افكارنا

وهوذا الله يرتب أن يضع ذلك الشاب الطويل الجميل رأساً للشعب

لكن كيف يتلاقى شاول بصموئيل

وأين يجتمع المنتخَب والمنتخِب

وشاول يسكن في جبعة

وصموئيل يسكن في الرامة والمسافة كبيرة بين الجهتين

أن تُنا تضيع لقيس .

فيطلب من ابنه ومن احد غلمانه أن يبحثا عنها فيخرجان من مكانهما و يعبران في جبل أفرايم ثم في أرض شليشة ثم فى ارض شعليم ووصل بهما المطاف إلى أرض صوف.

وقال شاول لغلامه هلم بنا نرجع لئلا يترك أبى أمر الاتن ويهتم بنا . ولكن الغلام أجاب أنهما بما أنهما وصلا الى ذلك المكان حيث يقيم رجل الله والرجل مكرم فمن الحكمة أن يذهبا اليه لعله يخبرهما عن طريقهما التي يسلكان فيها . أما شاول فيميل إلى عدم الذهاب لانه ليس لهما ما يقدمانه له لا خبز ولا هدية . وبحث الغلام في جيبه ووجد ربع شاقل فضة ورأى أن يقدمه للرجل . وبعد فليس الرائى طالب مال وهما لا يدفعان له اجراً انما هى تقدمة رمزية يعبران بها عن ولائهما وتكريمهما له !

وسار شاول وغلامه وسألا عن صموئيل وعلما انه جاء للتو وان اليوم ذبيحة للشعب وسارا في الطريق الذي دلهما عليه القوم واذا بصموئيل يلاقيهما وكأنه على ميعاد

وتكلم الله مع صموئيل قبل مجيء شاول بيوم قائلاً غداً في مثل الآن أرسل اليك رجلا من ارض بنيامين فامسحه رئيساً لشعبي . فلما رأى صموئيل شاول أعلنه الله ان هذا هو الرجل !

وتقدم شاول الى صموئيل وهو لا يعرف انه هو ، وسأله أن يدله على بيت الرائي واجاب صموئيل ، انا الرائي . اصعدا الى المرتفعة فتأكلا معي اليوم . ثم اطلقك صباحا واخبرك بكل ما في قلبك . واما الاتن الضائعة فلا تضع قلبك عليها لانها قد وجدت ولمن كل شهيّ اسرائيل أليس لك ولكل بيت ابيك ؟؟

كان شاول يسمع كلمات صموئيل مدهوشاً . ان الرجل يقرأ قلبه كسفر مفتوح ان لشاول آمالا كباراً خبأها حتى عن نفسه وهوذا صموئيل يحدثه عن تلك الآمال فيقول أخبرك بكل ما بقلبك . ولكنه يحاول أن يلقى ستاراً يحاول ان يخفي به ما يجيش بصدره فيقول لصموئيل ، أما أنا بنياميني من أصغر أسباط اسرائيل وعشيرتي أصغر كل عشائر سبط بنيامين . فلماذا تكلمني بمثل هذا الكلام ؟!

لم يتكلم صموئيل ولكنه نظر بسرور إلى ذلك الشاب الطويل الجميل المتواضع واستراح قلبه فقد اختار الله للشعب ملكا حاز جمال المظهر وجمال المخبر .

وقاد صموئيل ضيفيه الى المنسك وأجلسهما في رأس المائدة وكان الجالسون نحو ثلاثين رجلا . وطلب صموئيل من الطباخ ان يحضر النصيب الذى طلب منه أن يحفظه عنده من الامس فرفع الطباخ الساق مع ما عليها وجعلها أمام شاول !

و بعد الطعام اختلا صموئيل بشاول ، ولكننا لا نعلم شيئا عما تكلما به . ربما تكلما عن اسرائيل وطلبهم ان يكون لهم ملك . أو ربما تكلما عن بدء روح التمرد في الشعب والحاجة الى قائد حازم . أو ربما أخبر صموئيل شاول ان الله اختاره ملكا على الشعب .

على ان صموئيل لم يمسح شاول إلا في صباح اليوم التالي . فقد طلب منه أن يرسل غلامه قدامه ثم أخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وأعلن له

بوضوح ان الله قد مسحه على ميراثه رئيساً وأرسله إلى بيته ريثما يعلن للشعب ذلك في حفلة رسمية !

واستدعى صموئيل الشعب الى الرب الى المصفاة وقال لبني اسرائيل هكذا يقول الرب اني أصعدت اسرائيل من مصر وانقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع الممالك التي ضايقتكم . وأنتم قد رفضتم اليوم إلهكم الذي هو مخلصكم وقلتم له نجعل علينا ملكاً فالآن امثلوا امام الرب حسب اسباطكم وألوفكم !

ويبدو ان صموئيل القى قرعة . وقعت القرعة على سبط بنيامين . ثم قدم سبط بنيامين حسب عشائره فاخذت عشيرة مطري. وأخذ شاول بن قيس. ففتشوا عنه فلم يوجد . وبعد بحث وجدوه مختبئاً بين الأمتعة . كان يحس ان المهمة التي سينتخب لها أعظم منه فاختبأ . فلما أوقفوه امام الشعب كان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق .

وقال صموئيل لجميع الشعب ارأيتم الذي اختاره الرب انه ليس مثله في جميع الشعب. فهتف كل الشعب وقالوا ليحيى الملك . على أن بعض الأشرار احتقروه ولم يقدموا له هدية، وقالوا كيف يخلصنا هذا . ولكنه تجاهلهم وتجاهل كلامهم . وسار مع من رافقوه الى بيته الى جبعة !

وهكذا بدأت الحكومة الملكية في إسرائيل ! .

وشاول بن قيس كان الملك الأول ! !

٥٤

الملك الجميل

« وقال صموئيل لشاول . إياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعب اسرائيل . والآن فاسمع صوت كلام الرب .
وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا . ندمت على اني جعلت شاول ملكا لانه رجع من ورائي ولم يقم كلامي » - ١صم ١٥: ١، ١٠

عندما اعلن صموئيل أن الاختيار وقع على شاول ليكون ملكا على إسرائيل لم يذهب شاول الى القصر الملكي ولم يجلس على العرش ولم يوضع التاج على رأسه لانه لم يكن هناك قصر او عرش او تاج . فقد كان شاول الملك الأول ولذلك ذهب الى بيته ورافقته جماعة قليلة . وظل يعمل في فلاحته !

وقد ظهر كما لو كان الامر يتطلب أن شاول يأخذ ملكه أخذ عزيز مقتدر . لقد اختير ملكا ولكن كان عليه أن يبرهن انه ملك !

ولم يطل الوقت حتى اعترف الشعب ان شاول ملك . فقد هجم ناحاش العموني على إحدى مدن إسرائيل، يابيش جلعاد . ورأى شيوخ جلعاد ان العدو أقوى منهم فارسلوا يعرضون التسليم . وبلغ من عتو ناحاش انه لم يقبل منهم التسليم إلا على شرط أن يقوّر كل عين يمنى وجعل ذلك عاراً على جميع إسرائيل . وطلب أهل يابيش مهلة سبعة أيام ليستنجدوا باسرائيل !

وقد ذكروا أن لهم ملكاً في جبعة اختاروه لكي يخرج امامهم ويحارب حروبهم ، فارسلوا رسلهم الى جبعة، ولم يكن شاول في المدينة . وحدّثوا بالكارثة التي توشك ان تنقض عليهم ، فرفع كل الشعب أصواتهم وبكوا . واذا بشاول

آت وراء البقر من الحقل . وقد سأل عن سبب البكاء فأخبروه . فحلّ عليه روح الرب وحمي غضبه جداً ، فأخذ فدان بقر وقطعه وأرسله إلى كل تخوم إسرائيل بيد الرسل قائلاً ، من لا يخرج وراء شاول ووراء صموئيل فهكذا يفعل ببقره . ولقد دل بوضع اسم صموئيل بجانب اسمه انه لا يزال يعتبر صموئيل زعيما وقائداً ، وانه لا ينوي أن ينفرد بالحكم ، وان كنا نأخذ عليه تقديمه نفسه على صموئيل !

ولما بلغت الرسالة الى الشعب وقع على الجميع رعب فخرجوا كرجل واحد . وقد بلغوا ثلاث مئة الف خلاف رجال يهوذا ، الذين كانوا ثلاثين الفاً . وهجم ذلك الجيش الغاضب على بني عمون وسحقوهم حتى لم يبق واحد !

وعاد شاول منصوراً رافع الرأس !

وهنا ظهر « الغيورون » على كرامة شاول ، فصاح صائحهم ، من هم الذين يقولون هل شاول يملك علينا ، ايتوا بالرجال فنقتلهم ! ترى لماذا لم يقولوا ذلك القول بالامس عندما كان شاول ضعيفاً ؟ هل كانوا يظنون انهم لا يستطيعون ان يقتلوهم أم أن قوة شاول كان لها دخل في الامر ؟ ان الناس يحترمون القوي و يغارون على كرامته . حتى اذا ما كان ضعيفاً لفظوه !

على ان شاول بيّن انه عظيم حقاً . لقد تجاهل بالأمس اساءة المسيئين وكان حكيما لانه كان ضعيفاً . أما اليوم وهو قوي فانه يعفو . انه يقول كلا . لا يقتل احد في هذا اليوم لأنه في هذا اليوم صنع الرب خلاصاً في إسرائيل !

وكانت الفرصة مواتية لتمليك شاول ملكا حقيقياً ! فطلب صموئيل من الشعب ان يذهبوا الى الجلجال ليجددوا هناك المملكة فذهب كل الشعب الى الجلجال ، وملّكوا هناك شاول أمام الرب في الجلجال ، وذبحوا هناك ذبائح سلامة امام الرب ، وفرح هناك شاول وجميع رجال اسرائيل جداً !

وهكذا بدأ الملك أحسن بداية !

وقاد شاول الشعب في حروبهم وانتصر على جميع أعدائهم المحيطين به، موآب

وبني عمون وادوم وملوك صوبة والفلسطينيين وحيثما توجه غلب . وفعل ببأس وضرب عماليق وأنقذ إسرائيل من يد ناهبيه . وكان لابنه يوناثان نصيب كبير في تلك النصرات !

على أن شاول بدأ يميل عن الطريق المستقيم ، فقد ذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح رديء . فقد دخله روح كبرياء وروح عصيان وروح حسد وروح غدر وانتهى به الامر إلى أن سلم نفسه للشيطان ومات بعيداً عن الله .

كان صموئيل قد واعده على سبعة أيام وانتظره شاول ولكن صموئيل تأخر . وكان على شاول أن ينتظر فلا يتقدم الى مذبح الله بالذبيحة . لكن روح الكبرياء دخله . لماذا ينتظر صموئيل ؟ أليس شاول هو الملك ؟ ألم ينته أمر صموئيل ؟ ألم ينتصر شاول على العمونيين ؟ ألم يجدد عهد المملكة في الجلجال ؟ لا مكان بعد لصموئيل ! ان شاول هو كل شيء . وهو يتقدم الى المذبح ويقدم الذبيحة . . وما أن يفرغ من تقديم الذبيحة حتى يبصر صموئيل آتياً فتنبخر قوته ، ويحس انه قزم امام عملاق ، وهو يحاول ان يبرر اقتحامه مذبح الله بمختلف العلل . وقال صموئيل لشاول قد انحمقت . لم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على اسرائيل إلى الابد . وأما الآن فمملكتك لا تقوم . قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه ، وأمره الرب ان يترأس على شعبه . لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب .

كانت كلمات صموئيل نبوة عما سيصير . وقد قالها متألماً ومضى حزيناً . فقد خاب رجاؤه في الشاب الطويل الجميل !

على ان الله رتب أن يعطي فرصة أخرى لشاول . فجاء اليه صموئيل يطلب منه ان يخرج لمحاربة عماليق الذي سبق أن وقف في طريق اسرائيل عند صعوده من مصر ، والذي اقام له معثرة عند شطيم ، وطلب منه أن يحرمه وكل ماله !

ولقد يساورنا قلق ونحن نسمع أمر التحريم ، ونسأل كيف يسمح الله المحب

لانسان أن يفني انساناً آخر وكيف يسمح لشعب أن يفني شعباً بأسره . ونحن لا يمكن أن نعرف كل الجواب ولكننا نلاحظ أن تلك الشعوب بلغت حداً من الشر صارت بسببه جرائم خبيثة . ومن الواجب ملاشاتها رحمة بباقي الناس !

ولقد أبقى الاسرائيليون بعض هذه الشعوب فكانوا لهم عثرة وارجعوهم الى الوثنية وما هو شر من الوثنية ! !

أمر الله شاول أن يحرم عماليق

ويحرم كل ما لعماليق

وذهب شاول وحارب وانتصر ولكنه ابقى ملك عماليق وابقى خيار الغنم والبقر — عصى شاول أمر الله !

وقال الله لصموئيل ندمت على اني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي. ولاشك أن قول الله لا يجوز أن نأخذه بحروفه لان الله لا يندم ولانه يعلم كل شيء . انما كان تصويراً للحالة كما يفهمها البشر !

وذهب صموئيل للقاء شاول وعلم ان النصرة اسكرته وانه قد نصب لنفسه نصباً — وتقدم شاول من صمويل يقول، مبارك أنت للرب، قد أقمت كلام الرب. فقال صمويل وما هو صوت الغنم هذا في اذني وصوت البقر الذي أنا سامع ؟ فقال شاول من العمالقة قد أتوا بها لأن « الشعب » قد عفا عن خيار الغنم والبقر لاجل الذبح للرب الهك . وأما الباقي فقد حرمناه ! أما صمويل فاظهر له أن الله اختاره وهو صغير في عيني نفسه وصيره رأس اسباط اسرائيل ومسحه الرب ملكاً . . . وأرسله في طريق وقال «اذهب وحرم الخطاة عماليق وحاربهم حتى يفنوا» وتساءل صموئيل لماذا لم تسمع لصوت الرب بل ثرت على الغنيمة وعملت الشر في عيني الرب ؟ ؟ — واجاب شاول ، انه قد سمع لصوت الرب واطاعه في ما أمر به ، ولكن كان الشعب قد عفا عن خيار الغنم والبقر ، فقد فعل ذلك للذبح للرب . ولكن صموئيل صاح في وجه شاول، هل مسرة الرب بالذبائح والمحرقات كما باستماع صوت

الرب ؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والاصغاء افضل من شحم الكباش لان التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم . لانك رفضت كلام الرب رفضك الرب من الملك ! !

ولم يجد شاول كلاماً يجيب به ، وأحس أن كلمات صموئيل قد أثرت على مركزه بالنسبة لشيوخ شعبه . فاعترف انه قد اخطأ. ولقد كان لصموئيل ان يبتهج إذ يستمع اعترافه لولا انه علم انه لم يكن اعترافاً من القلب.فهو يطلب من صموئيل أن يرجع فيسجد معه ، و اذ يرفض صموئيل و يتشدد في الرفض والتوبيخ يقول له « قد اخطأت والآن فاكرمني امام شيوخ شعبي وامام اسرائيل وارجع معي فاسجد للرب الهك » . وقد اجابه صموئيل الى طلبه ولكنه لم يعد يراه بعد ذلك ! !

وناح صمويل على شاول ، ولكن الله طلب منه أن يكف ، لانه قد اختار ملكاً آخر للشعب اتضح فيما بعد انه داود بن يسى ! !

وكذلك كاد روح الحسد يذهب به . منذ اليوم الذي سمع فيه النساء يغنين ، «ضرب شاول ألوفه وداود ربواته» ، امتلأ قلبه بالغل. عميت عيناه واظلم قلبه وماعاد يرى في الدنيا أو يفكر إلا في قتل داود.وظل يطارده حتى اصبح المسكين شريداً لا يستريح لحظة !

وظل الروح الردي يتملك على شاول و يملأ عليه حياته حتى صار هو نفسه شيطاناً وانتهى الأمر الى أن ذهب يسأل الجان بعد ان احس أن الله رفضه. ومات في القتال منتحراً هو وجميع أولاده في يوم واحد ! !

و بموته انتهت حياة بدأت عظيمة وانتهت صغيرة وحقيرة ! !

٥٥

الراعي الصبى

يناذل جباراً

« قتل عبدك الاسد والدب جميعاً . وهذا الفلسطيني الاغلف يكون كواحد منهما لانه قد عير صفوف الله الحي » ١صم١٧: ٣٦ .

جمع الفلسطينيون جموعهم .
وحشدوا كتائبهم .
ووقفوا قبالة جيش اسرائيل
وطال أمد وقوف الجيشين متقابلين
كل منهما يتربص الفرصة للآخر
وملأ الجو روح من خوف غامض
وأحس كل فرد أن ثمت ثقلاً كبيراً يجثم على كل صدر
وتمنى الجميع أن تنتهي هذه الحالة بأية صورة ولو بقتال يحصد الارواح حصداً ، فان وقوع البلاء ، كما يقولون ، اهون من انتظاره !

وجاء يوم انتهت فيه حالة القلق هذه !

فقد وقف في صفوف الفلسطينيين رجل. هل قلنا رجلاً ؟ كلا . لم يكن رجلا بل كان مخلوقاً في صورة رجل .ولكنه كان اكبر من كل رجل. كان عظيم الهامة طويل القامة بلغ طوله نحو أربعة امتار ولا بد أن عرضه كان يتفق مع طوله. خطا ذلك العملاق خارج صفوف الفلسطينيين فاهتزت الأرض تحت قدميه. وقد لمعت

خوذته النحاسية فوق رأسه . وكان لابساً درعاً حرشفياً وزنه خمسة آلاف شاقل نحاس وجرموقا نحاس على رجليه ومزراق نحاس بين كتفيه . وقناة رمحه كنول النساجين . وسنان رمحه ست مئة شاقل حديد . وكان حامل رمحه يسير امامه .

وقف ذلك العملاق ونادى بصوت يجلجل كالرعد !

لماذا تخرجون لتصطفوا للحرب

أما أنا الفلسطيني

وانتم عبيد لشاول ؟

اختاروا لأنفسكم رجلاً

ولينزل إليّ

فان قدر أن يحاربني ويقتلني نصير لكم عبيداً !

وان قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم عبيداً لنا وتخدموننا !!

وقال العملاق ها أنا اتحداكم . . نعم أنا جليات اتحداكم

اعطوني رجلاً فنتحارب !!

ولما سمع شاول وجميع اسرائيل كلام الفلسطيني هذا ارتاعوا وخافوا جداً — وجعل الفلسطيني يتقدم ويقف صباحاً ومساءً اربعين يوماً . ولم يوجد شخص واحد يتقدم لمنازلة ذلك العملاق بل هرب الجميع مرتاعين حالما رأوه . ولعل بعضنا يسأل ، اين شاول الملك واين يوناثان ابنه ، وعبدنا بالرجلين لا يخشيان نفس الموت فكيف يتركان فلسطينياً يعير صفوف اسرائيل ؟

أما شاول فنظن انه كان مصاباً طول الوقت باحدى نوباته التي كانت تتركه اقرب الى الموت منه الى الحياة. وأما يوناثان فنعتقد انه كان يحارب العدو في جبهة أخرى وإلا ما سكت عن منازلة العملاق بالرغم مما يخشى من النتائج ! أو لعل رهبة الموقف أشاعت الخوف في قلبه هو أيضا !!

وكان بين جنود الملك شاول ثلاثة ابناء ليسى البيتلحمي وهم اليآب البكر

وابيناداب ثانيه وشمة ثالثهما . أما داود الصغير فكان يقسم وقته بين العزف على العود في قصر الملك و بين رعاية غنم أبيه في بيت لحم !

وقال يسى لداود ابنه خذ لاخوتك ايفة من هذا الفريك وهذه العشر خبزات واركض الى المحلة الى اخوتك . وخذ هذه العشر القطعات من الجبن قدمها لرئيس الالف وافتقد سلامة اخوتك وخذ منهم عربوناً .

و بكر داود وترك الغنم مع حارس وحمّل وذهب كما أمره يسى وأتى الى المتراس والجيش خارج الى الاصطفاف وهتفوا للحرب . واصطف اسرائيل والفلسطينيون صفاً مقابل صف .

فترك داود الامتعة التي بيده مع حافظ الامتعة وركض الى الصف. واتى وسأل عن سلامة اخوته. وفيما هو يكلمهم دوى صوت العملاق الفلسطيني متحدياً صفوف اسرائيل فاهتزوا رعباً واصطكت ركبهم وهربوا هنا وهناك مذعورين . وسمع داود القوم يتحدثون عما اعلن الملك أن يعطيه لمن يقتل العملاق . قالوا ان الرجل الذي يقتله يغنيه الملك غنى جزيلا و بزوجه من ابنته ويجعل بيت أبيه حراً في اسرائيل. على أن ذلك الكلام لم يستطع أن يقف في سبيل هروب الجميع فقد كان فزعهم عظيماً ! !

أما داود فاحتدت روحه فيه
انه لا يركض مع الراكضين
ولا يهرب هنا وهناك
انه لا يخاف
كان صدره يغلي
وقد ملأت الحماسة قلبه

وسأل الرجال الواقفين معه ماذا يعطى للرجل الذي يقتل الفلسطيني ويزيل العار عن اسرائيل، لانه من هو هذا الفلسطيني الاغلف حتى يعير صفوف الله الحي؟

ولم يخطر ببال القوم أن داود يقصد أن ينازل العملاق . فقد كان أهون في أعينهم من أن يفكر في ذلك . على انهم ذكروا له عما وعد الملك أن يعطيه .

وسمع اخوه الاكبر اليآب كلامه مع الرجال فحمى غضبه عليه وقال، لماذا نزلت وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة في البرية . أنا علمت كبرياءك وشر قلبك لانك انما نزلت لكي ترى الحرب ! ولا بد ان داود أحس بكرامته تجرح ، وقد تجرب ولا شك أن يثور في وجه أخيه « الجبان » الذي هرب مع الهاربين من الفلسطيني الاغلف . أما هو ، داود ، فانه لم يهرب ، بل هو يفكر فعلاً في منازلة العملاق. وهو في ذلك يمحو العار عن شعبه سواء قتل الفلسطيني أم قتله الفلسطيني. غير انه ضبط نفسه وكان في هذا جباراً بل أقوى من الجبار ! وتحدث مع اخيه بهدوء، ماذا عملت الآن . أما هو كلام ؟

ولكن داود لم يكف عن ذلك «الكلام» بل جعل يسأل هذا وذاك عما يفعل للرجل الذي يقتل الفلسطيني الاغلف ويزيل العار عن اسرائيل. وجعل كلام داود ينتقل من فم الى اذن حتى وصل الى الملك . فطلب أن يحضروه اليه وهو يظن أن المتكلم عملاق نظير عملاق فلسطين . وبنى على ذلك الظن آمالاً عظاماً. ولكن آماله انهارت حينما ابصر داود . والأمر المدهش الذي ابتسم له الملك ان ذلك الغلام الصغير يتحدث كما لو كان عملاقاً فقد وجه كلامه الى الملك ، « لا يسقط قلب احد بسبب الفلسطيني . عبدك يذهب ويحارب به » — أما شاول فقال : كلا ، لا تستطيع أن تذهب الى هذا الفلسطيني لانك غلام وهو رجل حرب منذ صباه .

فقال داود بل يذهب عبدك .

كان عبدك يرعى غنم أبيه فجاء أسد مع دب ، أخذ الدب شاة من القطيع

فخرجت وراءه وقتلته وانقذتها من فيه . ولما قام الاسد عليّ امسكته من ذقنه وضربته فقتلته . قتل عبدك الاسد والدب جميعاً . وهذا الفلسطيني الاغلف يكون كواحد منهما لانه عيّر صفوف الله الحي !



داود يصرع الاسد

وصمت داود قليلاً ثم قال الرب الذي انقذني من يد الاسد ومن يد الدب هو ينقذني من يد الفلسطيني !

أما شاول فاضطرب الأمر معه كثيراً . كان منظر داود لا يطمئن نفسه كثيراً لم يستطع ان يتصور كيف يقدر الغلام الرقيق الجميل أن يتغلب على العملاق المخيف ولكن كلمات داود كانت كلمات عظيمة لا تصدر إلا عن نفس جبارة . و بعد، فان قوة النفس هي القوة التي تسود . وهذا الشخص ملأ اليقين نفسه . وهو يعلن أن الله مكّنه من دب ومن أسد . لقد سبق أن سمع عن صبي راعٍ قتل دباً واسداً واشتاق أن يرى ذلك الصبي وهوذا هو يراه امامه . وقال شاول بنغمة اختلط فيها القلق باليقين وامتزج فيها الخوف بالاطمئنان، اذهب وليكن الرب معك !

وأمر الملك فألبسوه ثيابه الحربية، ثياب شاول نفسه، وجعلوا على رأسه خوذة من نحاس وألبسوه درعاً . وتقلد داود بالسيف فوق ثيابه . وفيما هم يضعون عليه تلك الثياب كان داود يتململ فقد ضاق صدره منها . تانك الجرموقان اللذان قيداه وذلك الدرع المنسوج من اسلاك الصلب الذي كان كحجر ثقيل على صدره وتلك المنطقة التي كادت تقصم ظهره . ولكنه احتملها الى أن فرغ القوم من إلباسه وتقدم

ليخطو الى الامام فأحس انه مربوط الى الأرض . فقال لشاول لا أقدر أن امشي بهذه لاني لم اجرب بها ثم نزعها عنه وعاد الى ثيابه وانطلق .

وغاصت نفس شاول فيه . لقد انتهى الرجاء في داود . لقد كان ايمانه مشوباً بشك ، أما الآن فها هو يؤمن أن داود لن يستطيع أن يحارب العملاق !

أما داود فاخذ عصاه الكبيرة التي طالما أدّت له عظائم الخدمات فقد كانت تهديه في مسالك الظلمة خصوصاً في وادي ابن هنوم الذي كانوا يطلقون عليه وادي ظل الموت أو جهنم. وقد طارد بها الوحوش وقتل بها الاسد والدب .وكانت لمساتها على ظهر الغنم تشيع في الغنم الاطمئنان، ان الراعي قريب منها — يا لها من عصا . وفي أغنية الراعي لم ينسها ففي مزمور الراعي الذى يبدأ بالقول « الرب راعى فلا يعوزني شيء » قال « عصاك وعكازك هما يعزيانني »

اخذ داود تلك العصا ، ثم انتخب له خمسة حجارة ملس من الوادي وجعلها في كنف الرعاة الذي له أي في الجراب، وأخذ مقلاعه في يده وتقدم الى الفلسطيني!

وابصر جليات شخصاً يترك صفوف اسرائيل و يتقدم منه فذهب الفلسيطني ذاهباً واقترب الى داود والرجل حامل ترسه امامه . ولما نظر الفاسطيني و رأى داود استحقره لانه كان غلاماً اشقر وجميل المنظر

ولما ابصر سلاحه غضب . ربما ظن أن القوم يستهزئون به . انهم لا يرسلون له جندياً متقلداً بالسلاح ، ولكنهم يرسلون راعياً يمسك في يده عصا . فقال له ، ألعلي أنا كلب حتى انك تأتي إليّ بعصيّ .وقذف من فمه شتائم ولعنات بل ارسل شتائمه ولعناته على شعب داود وملك داود «وآلهة» داود.وازدادت ثورة جليات فصاح بصوت يجلجل كالرعد تعال فأعطي لحمك لطيور السماء ووحوش البرية !! ولم يضطرب داود ولم تهتزله عضلة بل قال له بنغمة هادئة عميقة « أنت تأتي إليّ بسيف و برمح و بترس . وأنا آتي اليك باسم رب الجنود إله صفوف اسرائيل الذين عيرتهم . هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فاقتلك واقطع رأسك . وأعطي



فقال داود للفلسطيني : انت تاتي اليّ بسيف وبرمح وبترس وانا آتي اليك باسم رب الجنود

جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض فتعلم كل الارض انه يوجد إله لاسرائيل . وتعلم هذه الجماعة كلها انه ليس بسيف ولا برمح خلص الرب» . . وصمت داود قليلاً ثم قال :

لان الحرب للرب

وهو يدفعكم ليدنا .

كان جليات يسمع تلك الكلمات الكبيرة التي نطق بها ذلك الغلام الصغير فاحمر وجهه ومالت رأسه الى الخلف استهزاء ، وتقدم ليفرغ من ذلك الغلام « الوقح » في لحظة ! عند ما صوب داود الى جبهته حجراً من مقلاعه واذا بالجبار تأخذه المفاجأة فتدور رأسه ويسقط الى الأرض ، وقبل ان يستفيق لنفسه اذا بداود يركض نحوه ويستل سيف الجبار نفسه ويقطع به رأسه ! ! !

ودوى في الجو صوت اسرائيل هاتفاً ، وسقطت نفوس الفلسطينيين فهربوا وتبعهم جيش اسرائيل يقتلون منهم ويسلبون غنائمهم

أما داود فاخذ رأس الفلسطيني وعاد بها شاكراً ربه الى خيمته ! !

٥٦

روح صموئيل

« فقال صموئيل لشاول لماذا اقلقتني باصعادك إياي . فقال شاول قد ضاق بي الامر جداً . الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقني ولم يعد يجيبني لا بالانبياء ولا بالاحلام فدعوتك لكي تعلمني ماذا اصنع » (١ صم ٢٨ : ١٥)

ضاقت الدنيا في وجه الملك شاول فقد هجمت جموع الفلسطينيين على حدوده بسلاح وعتاد وهددت بمحو بلاده . ولم يعرف الملك له ملاذاً فقد هجره نصحاء الخير . وداود قائده المفضل يقيم بين أعدائه . وجنوده ذابت قلوبهم من الخوف ،

والله قد تركه من زمن أو على الأصح هو قد ترك الله . وصموئيل مات وندبه جميع اسرائيل . وطلب شاول الله لكن ليس من كل قلبه فلم يجبه الله لا بالأحلام ولا بالرؤى ولا على فم الكاهن . والتفت حوله فاذا الظلمة تتكاثف حوله وأبواب الرجاء لا يظهر لها أثر !

ولما اشتد الامر عليه فكّر في ان يطرق باب الشيطان ، فطلب العرّافين وأصحاب الجان والتوابع .

لقد سبق له ان قطع هؤلاء بعنف وقتل جميع من عثر بهم وشرّد الباقين ، ونصب الشراك لاقتناص من يحاولون أن يعملوا مع الشيطان . ومع أننا لا نوافق على إصلاح يأتي بسفك الدماء إلا ان منطق هاتيك الايام كان يقتضي تلك الخطة. وقد مدح شاول على ذلك كثيراً !

على انه عند ما ضاق به الأمر حوّل وجهه نحو عدوه القديم . في الحق ان الشيطان لم يكن عدواً لشاول بل قد كان شاول حليفاً له . ومنذ اليوم الذي عصى فيه شاول ربه ودخلت الكبرياء قلبه أصبح الشيطان صديقه . ولكنه لم يعلن تلك الصداقة إلا عند ما وجد نفسه وحيداً !

وأمر عبيده ان يبحثوا عن صاحب جان فأخبروه عن امرأة في عين دور ، فتنكر وذهب اليها هو ورجلان معه، وكان مجيئه في أول الليل وقال لها : اعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك . ويغلب ان المرأة عرفته ويقال انها كانت على علم بمجيئه ولكنها أرادت أن تمكر به وتقتص منه بسبب ما أوقعه من البلاء على أصحاب الجان . وظهر منها التردد وقالت : هوذا أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع (شاول) أصحاب الجان والتوابع من الارض . فلماذا تضع شركاً لنفسي لتميتها . على انها ما كانت تجيب تلك الاجابة لو أنها كانت تعتقد أن الطالب جاسوس . وقد زال تمنعها حالاً بعد أن حلف لها شاول ان لن يصيبها ضرر . وسألت المرأة من أصعد لك . فقال ، أصعدي لي صموئيل !

وحتى نعرف حقيقة ما حدث نعود الى ما كان يعمله أصحاب الجان. كان بعضهم يأتي بوسيط من الصغار، فتى صغير أو فتاة.، و يطلب منه او منها ان ينظر او تنظر في قدح من الزيت . وكان آخرون يقومون هم بالوساطة فيلقون تعاويذ وكلمات ملغزة ثم يدّعون انهم أبصروا الشخص المطلوب فيتكلمون هم اليه و يسمعون هم وحدهم اجابته و يلقونها الى الطالب . وكان جميع هؤلاء من الدجالين الكاذبين وكانوا يستغلون جهالة الناس بدجلهم !

ونعتقد أن هذا ما حدث مع شاول و يؤيد اعتقادنا ما قالته المرأة فانها بعد أن تمتمت وتكلمت وأشارت بيدها صرخت صرخة عظيمة وقالت لشاول : لماذا خدعتني وأنت شاول. قالت هذا من قبل ان تتكلم مع روح صموئيل التي أدعت انها أصعدت. كان كل ما رأته، حسب قولها، آلهة يصعدون من الارض . وطما أن شاول «خوف» المرأة وسألها ماهي صورته فقالت، رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة.

يا للعجب !

« رجل شيخ وهو مغطى بجبة » . . لا بد أن يكون ذلك صموئيل . فأين الشيخ في كل العالم الذي يتغطى بجبة ؟؟ !!

بل الأعجب من ذلك انه صاعد من الارض . فقد كان في الهاوية حسب عقيدة اليهود .

والقصة تظهر كما لو كان الحديث قام فعلاً بين صموئيل وشاول ونحن نسجل ما قيل :

صموئيل (لشاول) : لماذا أقلقتني باصعادك إياي ؟ ؟

شاول : قد ضاق بي الأمر جداً . الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقني ولم يعد يجيبني لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع .

صموئيل : ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك. وقد فعل الرب لنفسه

كما تكلم عن يدي وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاها لقريبك داود لانك لم تسمع لصوت الرب !

ولم تفعل حمو غضبه في عماليق !

لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم !

و يدفع الرب اسرائيل ايضاً معك ليد الفلسطينيين !

وغداً أنت و بنوك تكونون معي ! !

و يدفع الرب جيش اسرائيل أيضاً ليد الفلسطينيين !

* * *

سمع شاول هذا الكلام فسقط بطوله الى الارض وخاف جداً من كلام صموئيل وأيضاً لم تكن فيه قوة لانه لم يأكل طعاماً النهار كله والليل .

* * *

وقد اختلفت الروايات في موضوع ظهور صموئيل وكلامه !!

فمن قائل ان القصة كلها من صنع العرّافة ، وانها قصدت ان تنتقم لزملائها كما قلنا سابقاً. وليس في الكلام المنسوب الى صموئيل شيء جديد ولا أنباء بأمر مجهول!

ومن قائل ان المرأة كانت تقصد التدجيل ولكنها فوجئت برؤية شبح صموئيل على غير انتظار . أما ذلك الشبح فهو الشيطان في رأي البعض وهو صموئيل نفسه، في رأي آخرين، أرسله الله قصداً ليعلن لشاول آخرته السيئة عظة لمن يتعظ !

وسواء كان الرأى الأول صحيحا أو كان الرأى الآخر ، فان الأمر الذي يهمنا أن شاول الذي سمح للشيطان أن يدخل قلبه مرة انتهى أمره مع الشيطان إلى الابد!!

٥٧

الملك النبيل

« فعرف جميع الشعب وحسن في اعينهم كما
ان كل ما صنع الملك كان حسناً في اعين
جميع الشعب » ٢صم ٣ : ٣٦

انتظر داود أزيد من عشرين سنة بعد أن مسحه صموئيل ملكا قبل ان يستلم الملك ، وانتظر راضياً . بل اتيحت له الفرصة ان يتخلص من الملك ولم يكن أحد يلومه لو فعل، ولـكنه عفا مرة ومرتين !

فقد قام الملك يطارده وغدر به بدل المرة مرتين . وحبس الله شاول فى يد داود وأشار عليه رجاله أن يقتل عدوه بل ان ابيشاى ابن أخته واحد قواده طلب ان يقتل هو شاول و يريح داود منه ولـكن داود رفض وسلك سلوكا نبيلا، منتظراً الوقت الذى يعينه الله ! غيره استعجل !



داود يمنع ابيشاى من قتل شاول وهو نائم

فيعقوب آثر طريق العنف في سبيل الحصول على البركة الموعود بها !

و يربعام بن نباط رفع يده على الملك سليمان لما انبأه النبي انه سيملك !

وحزائيل قتل الملك بنهدد لما علم ان الملك سيئول اليه !
أما داود فانتظر هادئا مطمئنا ! !

ومات شاول منتحراً في ميدان القتال . وكان داود في مدينة صقلغ عندما جاءه رجل من المحلة من عند شاول ، وثيابه ممزقة ، وعلى رأسه تراب . فلما جاء الى داود خرّ الى الأرض وسجد . فقال له داود من أين اتيت ؟ فقال له من محلة اسرائيل نجوت . فقال له داود ، كيف كان الامر أخبرني . فقال أن الشعب قد هرب من القتال وسقط أيضاً كثيرون من الشعب ومات شاول و يوناثان ابنه ايضاً . فقال داود للغلام ، لكن كيف عرفت بموت الملك وابنه ، فقال الغلام ، اتفق اني كنت في جبل جلبوع ، واذا شاول يتوكأ على رمحه ، واذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه . فالتفت الى ورائه ودعاني ، فقلت هانذا فقال لي من انت ، فقلت له عماليقي انا . فقال لي قف عليّ واقتلني ، لانه قد اعتراني الدوار لان كل نفسي بعد فيّ . فوقفت عليه وقتلته ، لاني علمت انه لا يعيش بعد سقوطه . وأخذت الاكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه وأتيت بها الى سيدى ههنا !

كان الغلام يظن انه يحمل بشرى لداود . ولكن داود لم ير الخبر كذلك . فقد انكسر الشعب ومات الملك ميتة شنيعة . و يوناثان أيضاً ، كيف يحتمل داود انه يموت . ولذلك أمسك داود ثيابه ومزقها وكذلك جميع الرجال الذين معه وندبوا و بكوا وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوناثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت اسرائيل لانهم سقطوا بالسيف . لقد كان سقوطهم في نظر البعض لمصلحته ، ولكنه كان كبير القلب متسع الفكر وكان يعلم ان مجده من مجد شعبه وان علاقته بشاول لم تكن علاقة الخصومة فقط ، فقد كانت فيها ارتباطات اخرى . ألم يكن شاول قريبه ونسيبه ، وقد رأى منه تقديراً . لقد نسي داود كل اساءات شاول وذكر انه ملكه ورافع لواء شعبه ، وان كسرته هي كسرة للشعب ولداود ، ولذلك بكى كثيراً !
وذلك الغلام الذي يحمل تلك الرسالة ، اننا نعتقد انه كاذب ، فقد رأينا شاول

يسقط على سيفه و يموت . وداود يحسّ انه كاذب فيسأله من أين هو ،وهو و يجيب، أنا ابن رجل غريب عماليقي . و يلمس داود ، في قوله انه عماليقي، روح الشماتة ، إذ أن شاول حارب عماليق وحرمهم . فقال له داود كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب . ثم دعا واحداً من الغلمان وقال تقدم أوقع به . فضربه فمات . فقال له داود، دمك على رأسك لان فمك شهد عليك قائلا انا قتلت مسيح الرب !

و بعد موت شاول انقسم الشعب فريقين ، فريق يتزعمه ابنير بن نير عم شاول وقد نادى بايشبوشت بن شاول ملكا. والفريق الآخر نادى بداود . وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول و بيت داود . وكان داود يذهب يتقوى و بيت شاول يذهب يضعف !!

ودخلت عوامل ضعف في بيت شاول . ونحن نقرأ قصصاً مخزية بين الملك وابنير . ونقرأ ان ابنير انقلب على بيت شاول و بدأ يتآمر ضده مع داود . . . وقد مات في اثناء مفاوضاته !

ولما سمع ابن شاول أن ابنير قد مات ارتخت يداه . ونفس رجاله بدأوا ينقلبون عليه . وكان له رجلان من رؤساء الجند اسم الواحد بعنة واسم الآخر ركاب وهما شقيقان ابنا رجل بنياميني اسمه رمون البئيروني . ودخل عليه هذان وهو نائم نومة الظهيرة في مخدع نومه فضرباه وقتلاه وقطعا رأسه وسارا في طريق العربة الليل كله . وأتيا برأس ايشبوشت الى داود وقالا « هوذا رأس ايشبوشت بن شاول عدوك الذي كان يطلب نفسك . وقد أعطى الرب لسيدي الملك انتقاماً في هـذا اليوم من شاول ومن نسله »

فأجاب داود ركاب و بعنة ابني رمون البئيروني وقال لهما حي هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيق . ان الذي أخبرني قائلاً هوذا قد مات شاول وكان في عيني نفسه كمبشر قبضت عليه وقتلته في صقلغ . ذلك أعطيته بشارة . فكم بالحري إذا كان رجلان باغيان يقتلان رجلاً صدّيقاً في بيته على سريره . فالآن اما اطلب دمه من أيديكما وانزعكما من الارض ؟

وأمر داود غلمانه فقتلوهما وقطعوا أيديهما وأرجلهما وعلقوهما على البركة في حبرون.
وأما رأس ايشبوشت فاخذوه ودفنوه في قبر ابنير في حبرون !
وجاء جميع أسباط إسرائيل إلى دواد وتكلموا قائلين، هوذا عظمك ولحمك نحن.
ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكا علينا قد كنت أنت تُخرج و تُدخل إسرائيل. وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل!
فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ! !
ومسحوا داود ملكا على إسرائيل !

و بعد ان استقر داود على عرشه سأل، هل يوجد بعد احد قد بقى من بيت شاول فأصنع معه معروفاً من أجل يوناثان . وقيل له ان رجلاً اسمه صيبا كان عبداً في بيت شاول فاستدعاه وسأله عن بيت سيده وقال ألا يوجد بعد احد لبيت شاول فأصنع معه احسان الله ؟ فأخبره عن صبي أعرج اسمه مفيبوشت ابن ليوناثان . كان طفلا واخذته الجارية وهربت به عندما سمعت بمصرع ابيه فسقط منها واصابه العرج في كلتا رجليه . وامر داود فأحضروه، وهو لما وصل خرّ على وجهه الى الارض أمام داود . كان يظن أن داود سيقتله . ولكن داود هدأ روعه وقال لا تخف يا مفيبوشت فاني لاعملن معك معروفاً من أجل يوناثان أبيك وارد لك كل حقول شاول ابيك وانت تأكل خبزاً على مائدتي . فسجد مفيبوشت وقال من هو عبدك حتى تلتفت إلى كلب ميت مثلي ؟

وأمر الملك صيبا ان يعود ليعمل عبداً أي وكيلا في بيت شاول، فيشتغل في الارض هو و بنوه وعبيده . وكان لصيبا خمسة عشر ابناً وعشرون عبداً وكانوا جميعهم في خدمة مفيبوشت !

وتحدث الناس عن الملك الذي له قلب ملك !!!

الملك الذي جازى حامل البشارة بمقتل شاول! الملك الذي قتل قاتلي ايشبوشت!
وفوق الكل الملك الذي احسن الى بيت شاول فأمر ان يجلس مفيبوشت على مائدته!
نعم تحدث الناس عن الملك النبيل ! !

٥٨

خطية داود

« ارحمني يا الله حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك امح معاصي. اغسلني كثيراً من اثمي ومن خطيتي طهرني . لاني عارف بمعاصي وخطيتي امامي دائماً . اليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت. لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك . هانذا بالاثم صورت وبالخطية حبلت بي امي » . مز ٥١: ١ — ٥

يحز في قلوبنا ان نذكر لداود خطية . داود الملك النبيل الذي أحب الله وأحب بيت الله . وقال عنه الله وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبي . داود هذا ليس من السهل علينا ان نذكر انه اخطأ !

ولكنه اخطأ !!

والكتاب المقدس يذكر خطيئته بتفصيل !!!

ان كتاب الله يذكر كل الحقيقة !

انه لا يرسل انواراً تغمر أبطاله ويخفي سقطاتهم ولكنه يعلنهم كما هم !!

ونحن لا نؤمن بعصمة الانبياء !

الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله !

ولقد كانت خطية داود شنيعة بل عظيمة الشناعة، ليس فقط لبشاعتها ولا للظروف والملابسات التي أحاطت بها، لكن شناعتها برزت بالنسبة للشخص الذي أتاها .

كان الوقت وقت خروج الملوك !

ولكن داود لم يخرج . لا تذكر القصة انه كان مريضاً . كان على الغالب

متعباً او كما يقول البعض « كسلاناً » . وظل على سريره طول النهار . وقبل المساء ترك فراشه وصعد على السطح يتمشّى ولم تكن العادة في تلك الايام ان تكون النزهة على سطوح البيوت . ولم يكن من اللائق أن يصعد الملك على السطح !!!

ورأى الملك امرأة تستحم !

وكان ينبغي ان يحول وجهه او يغض بصره لكن يبدو انه استمر يحدق النظر فيها . والمرأة لا تدرى أن هناك عيناً تقتحمها ! !

وكان ان هوى داود وارتكب فعلة فاضحة ضد الله وضد بطل من أبطاله ، اوريا الحثي ، وضد امرأة ضعيفة ، كان زوجها بعيداً عنها فكانت بلا حماية ! !

ارتكب داود خطيته سراً وظن ان الظلام قد غطاها وأن احداً لن يكشف عنها . ولكن الخطية لا يمكن أن تخفى !!

ارسلت المرأة تخبر الملك انها حبلى !

واضطرب الامر مع الملك فان اكتشاف الامر سيعرض المرأة للفضيحة ور بما للقتل ، وسيصيب الملك من ذلك رشاش على الاقل !

وجعل الملك يفكر كيف يغطي خطيته

يا ليته جاء الى الله وسأل هناك العون

بل جلس الى شياطينه

وهل تهدي الشياطين ؟

أرسل الى يوآب ليرسل اليه أوريا ليتحدث معه في شئون الحرب . وجاء اوريا وحاول الملك أن يرسله الى بيته ولكن الرجل كان نبيلا . لم يشأ ان يذهب الى بيته ويوآب وجنود الملك في خيام . أم هل وصلته أنباء خيانة زوجته فابى ان يذهب اليها ؟

لم يذهب أوريا الى بيته وكان في هذا عظيم النبل . ولكن داود رأى في ذلك « حماقة » من أوريا . ان مسلكه هدم كل بناء بناه وقوّض أركان كل تدبير دبره . وليس هناك حل للمشكلة إلا ذهاب أوريا من الطريق ، ولذلك ارسل الى يوآب

يطلب منه ان يقتل اوريا، فقط بطريق ملتوية . فقال ، اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت !

اما يوآب فكان قائداً عظيما ولكنه كان من الناحية الخلقية غير دقيق . ولذلك نفذ أمر الملك . هل علم بالقصة ؟ ! نعتقد انه علم ، لان رجال يوآب كانوا منبثين في كل نواحي المملكة ، وكان داود نفسه يخشاه ويخشى اخوته ! !

وعلمت زوجة اوريا بمقتل زوجها فناحت عليه . ونعتقد انها بكت بدموع حرّى لانها علمت انها اشتركت في مقتله وانها ليست بريئة من دمه !

على انها نسيت اوريا ومقتل اوريا عندما ضمها الملك الى نسائه . وفي الوقت وضعت مولودها ابن الاثم . وضعته كما تضع أية امرأة شريفة ابنها ! ! !

ولا بد ان الهمس تكاثر في أول الامر وتحدث الناس عن المرأة الجميلة التي كانت تستحم على السطح ، وعن الزوج الذي حاول الملك الزاني ان يخدعه ، وعن البطل الذي قتلته فضيلته . واشتد الهمس ولا شك عندما انضمت بثشبع الى نساء الملك . ولكن الهمس انقطع مدة الى ان ولد ابن الجريمة ، فتحدث البعض في خلواتهم عن الابن الذي ولد بعد ستة شهور من الزواج . ولكن فضول الناس لا يتركز عادة في مكان واحد ، فهو ينتقل الى موضوعات أخرى . على أن داود في كل ذلك لم يسمع همس الفضوليين ولا أحاديث خلواتهم بل لم يسمع صوت ضميره ولم يحركه الندم فنام على أثمه سنة او نحو ذلك ! ! !

كان في أول الأمر غالباً يحسّ شيء من القلق ، وكان ضميره يثور عليه ، ولكنه سكتّ ذلك الضمير والتمس لنفسه المعاذير !

لقد أتى اثماً . لكنه معذور . فقد استهواه جمال المرأة وقد رآها في وضع فاتن مثير وهو لحم ودم . نعم ان هذا إثم ولكنه معذور . هل كان يمكنه أن يقاوم الفتنة ؟ ولو أن أقدس ملاك رأى ما رآه لسقط نظيره ! ! !

وبعد أن سقط ، كان لا بد أن يخفي أثر السقوط . أم تراه يعترف به . ان

كشف الأمر فضيحة كبيرة تلحق باوريا وزوجة أوريا والملك والمملكة . . . بل تلحق بالله نفسه !!!

فماذا كان يمكنه ان يعمل. لقد حاول ان يجعل الامور تسير كما لو كانت طبيعية ولكن «عناد» الزوج أفسد عليه تدبيره. انه اضطر الى قتله وهو آسف. نعم ان اوريا مظلوم لكنه كان خيراً له ان يموت. وان يموت واحد خير من ان يموت كثيرون!!!

وهاهو داود قد عوّض المرأة عما أساء به اليها فتزوج منها واعترف بابن الجريمة ابناً ، بل انه وعد أن يكون ابنها خليفته وولي عهده !!

وهكذا بدا كما لو كانت الامور تسير طبيعية مع داود !

على أننا نحس انها لم تكن طبيعية

ونعتقد أن شيئاً ما كان ناقصاً في حياته

نعتقد انه كفّ عن الصلاة لله مدة . انه لا يجسر أن يتقدم اليه . لا بد أن صدره كان يردد تلك الكلمات « من يصعد الى جبل الرب ومن يقوم في موضع قدسه الطاهر اليدين والنقي القلب » .

ونعتقد أن نظراته كان يشيع فيها شيء من القلق، وان نومه لم يكن ذلك النوم الذي قال هو فيه « لكنه يعطي حبيبه نوماً »

على انه ظل في مظهر حياته الطبيعية مدة سنة أو نحو ذلك

وفي أحد الايام أقبل عليه ناثان النبي ! !

آه . لقد نسينا ناثان . هل كان في المدينة وهل علم بخطية الملك ؟ لا بد انه علم. ولا بد انه حزن ولكنه لم يجسر أن يتكلم مع الملك. على انه ظل يصارع مع الله. انه غير مستريح الى سكوته . ربما انقطع عن زيارة الملك ولكن الملك لم يسأل عنه خشية منه . واخيراً لم يستطع النبي ان ينتظر اكثر . والله نفسه أرسله برسالة !

وقدم ناثان لرسالته بقصة ، قصة خيالية ولكن داود ظنها حقيقية . هي قصة رجلين في اسرائيل كان أحدهما غنياً له غنم و بقر كثيرة جداً. وكان الثاني فقيراً ليس

له إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها وربّاها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة ! !

فجاء ضيف الى الرجل الغني فلم يشأ ان يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيىء للضيف الذي جاء اليه . بل هجم على الفقير وسلبه نعجته وهيأ للرجل الذي جاء اليه ! !



فحمى غضب داود على الرجل جداً وقال حي هو الرب انه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لانه فعل هذا الأمر ولانه لم يشفق . . قل من الرحل يا ناثان :

فقال ناثان لداود أنت هو الرجل !!! هكذا قال الرب إله اسرائيل أنا مسحتك ملكاً على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك

انت هو الرجل

ونساء سيدك في حضنك

وأعطيتك بيت اسرائيل ويهوذا

وان كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك

فلماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشرّ في عينيه

قد قتلت اوريا الحثي بالسيف

واخذت امرأته لك امرأة

والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد

وهانذا أقيم عليك الشرّ من بيتك

وآخذ نساءك امام عينيك واعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس

لانك أنت فعلت بالسر

وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس

كان داود يسمع لكلمات النبي وهو يتلوى ويتوجع وكأن سهماً مسموماً يخترق جسمه تدريجياً واشتد ألمه فصاح وهو جاث : قد أخطأت الى الرب . وقال ناثان لداود : الرب ايضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت. غير انه من أجل انك جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك يموت !

لم يكن القصاص الوحيد لخطية داود ان يموت ابن الجريمة،ولكنه كان الحلقة الاولى لسلسلة كبيرة من الآلام مرّت بداود فاكتوى بنارها حتى كاد يتلاشى !

وهي سلسلة يليق ان ندرسها بالتفصيل لان نفس داود تطهرت في نارها

مات ابن الاثم بعد مرض سريع

وارتكب امنون اثم الزنى مع اخته ثامار

وقتل ابشالوم اخاه امنون من اجل اخته ثامار

وثار ابشالوم على ابيه وقامت حرب اهلية كادت تذهب بكل بيت داود
بل بينما كان داود على فراش موته ثار ادونيا على اخيه سليمان
لقد دفع داود ثمناً غالياً لتلك اللحظة الطائشة وسكب دموعاً محرقة سنين طويلة وناح اياماً وليالي ولكنه نال من الله الصفح
طوبى لمن غفر اثمه وسترت خطيته !

٥٩

أيام سود

« لما سكتّ بليت عظامي من زفيري اليوم
كله . لان يدك ثقلت عليّ نهاراً وليلا .
تحولت رطوبتي الى يبوسة القيظ . سلاه .
أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي »
(مزمو ٣٢ : ٣ ، ٤)

نحن الآن في اورشليم وقد مرت ثلاث سنوات مذ قتل امنون وهرب ابشالوم وبدأ جرح داود يندمل وقلبه يحنّ على ابنه المتغرب . ولكنه بالطبع لم يخط خطوة ايجابية في الموضوع . كان الامر يتطلب وسيطاً حكيماً .

وقد علم يوآب بحنين داود على ابنه . وهل تختفي علامات ذلك؟ على انه كان يعلم ان الامر أدق من ان يصلح له هو . ولذلك التجأ يوآب الى امرأة مشهورة بالحكمة في تقوع وتفاهم معها عما يجب ان تعمله وتقوله !

وبناء على الترتيب الموضوع تظاهرت المرأة بالحزن كأرملة ، ولبست ثياب الترمل ولم تدّهن بزيت ولم تتجمّل كعادة النساء وذهبت لتبسط للملك قضيتها . وكان باب الملك في تلك الاوقات مفتوحاً لكل متظلم أو مستغيث !

وخرّت المرأة على وجهها الى الارض وسجدت وقالت أعن أيها الملك . وسألها الملك عما بها فقالت « اني امرأة أرملة قد مات رجلي. ولجاريتك ابنان فتخاصما في الحقل وليس من يفصل بينهما فضرب احدهما الآخر وقتله. وهوذا العشيرة كلها قد قامت على جاريتك وقالوا ، سلّمي ضارب أخيه لنقتله بنفس أخيه الذي قتله فنهلك الوارث ايضاً. فيطفئون جمرتي التي بقيت ولا يتركون لرجلي اسماً ولا بقية على وجه الارض » وتأثر الملك لحالة المرأة وقال لها اذهبي الى بيتك وأنا أوصي فيك . لكن ظهر كما لو أن المرأة لم تكتف بالوعد مرة واحدة فألحت في كلامها حتى كرر لها الوعد ثلاث مرات . وهنا طلبت الاذن لتتكلم كلمة فذكرت المرأة ان الملك الذي رحمها وعفا عن القاتل حتى لا يطفي جمرة الارملة لا يفعل هذا الامر على منفيه . وان الله لا يحب ان يموت الناس بل ان يحيوا . ثم مزجت قصتها بقصة الملك فقط بشيء من الابهام !

وأدرك الملك انه ترتيب يوآب ولكنه أراد ان يتأكد من ذلك فسأل المرأة ان كانت يد يوآب معها واجابت انه هو صاحب الفكرة سداها ولحمتها وقد وضع الكلام في فمها لاجل تحويل وجه الكلام !!

وأحس الملك بارتياح ، وشكر في قلبه ليوآب تدخله في الامر ، فدعاه اليه وقال هانذا قد فعلت هذا الامر فاذهب رد الفتى ابشالوم . فسقط يوآب على وجهه الى الارض وسجد وبارك الملك. وقال، اليوم علم عبدك اني قد وجدت نعمة في عينيك يا سيدي الملك إذ فعل الملك قول عبده !

وذهب يوآب الى جشور وأتى بأبشالوم الى اورشليم ولكن الملك رفض ان يراه واكتفى بأن يأذن له بالعودة الى بيته ! !

وأقام ابشالوم في اورشليم سنتين ولم يرَ وجه الملك وقد ضايقه ذلك كثيراً . فأرسل الى يوآب ليوسطه لدى الملك ولكن يوآب اعتذر ولم يشأ ان يذهب لمقابلة ابشالوم وأرسل ابشالوم رسولاً ثانياً ورفض يوآب ان يجيب . من ثم اتى ابشالوم

عملا اجبر به يوآب على الذهاب اليه . قال لعبيده انظروا حقلة يوآب بجانبي وله هناك شعير . اذهبوا واحرقوه بالنار . وفعل عبيد ابشالوم كذلك وسمع يوآب لصوت « النار ». نعم فان آذان الكثيرين لا تصغي إلا اذا كان الصوت ناريا . وذهب يوآب الى ابشالوم يسأله ، لماذا أحرق عبيده حقلته . واجابه ، انه هو الذي امرهم بذلك لانه أرسل اليه مرة ومرتين ولكنه لم يصغ . ثم طلب منه ان يتوسط لدى الملك . ان العفو الذي ناله لا فرق بينه و بين العقاب . انه يعيش في اورشليم ولكنه يعيش كما لو كان منفياً . وهو يعتقد انه لا يستحق العقاب . بل ان الملك يجدر به ان يشكره لانه غسل عاره بقتل الابن المذنب . وعلى كل حال فانه يضع نفسه بين يدي الملك وان وجد فيه اثم فليقتله. وذهب يوآب الى الملك و بسط الامر له ورق قلب الملك لابنه فدعاه اليه فأتى وسجد على وجهه الى الارض قدام الملك .

وقبّل الملك أبشالوم .

* * *

وجاءت حوادث جسام بعد ذلك . وهي تدفعنا إلى التساؤل هل كان ابشالوم مخلصاً في طلب التو بة أم ان تو بته كانت جزءاً من خطة موضوعة لقلب عرش أبيه وجلوسه هو عليه ! ؟

ذلك ان ابشالوم بعد صلحه مع أبيه اتخذ مركبة وخيلا وخمسين رجلا يجرون أمامه . كان له موكب له مظهر وجاهة واعجب الناس به . ولسنا نعلم لماذا يرغب الناس في مثل هذا المظهر مع أنهم لا يكسبون شيئاً منه . بل ان فخامة موكب الملوك والحكام تكلف الشعب كثيراً . رمع ذلك فان عامة الشعب يكرمون المظهر و يركضون خلفه . ذلك ان عامة الشعب بل غالبية الناس لا تقيس الاشياء بحقيقتها وجوهرها بل بسطحها وظاهرها . والحكم لا يختلف عن غيره من الاشياء فان الملك العظيم عندهم ليس هو الملك الصالح العادل الذي يبذل في سبيل شعبه واصلاح اموره

ولكنه الملك الذي يسكن القصور العالية ويركب المركبات المذهبة ويحيط به الجند وترافقه الحاشية !!!

كان ابشالوم يدرك هذه الحقيقة فاتخذ مركبة وخيلا ورجالا يركضون خلفه وعظم إذذاك مقامه أمام الشعب !

ولم تقف خطته عند هذا الحد فانه يعلم أن الشعب يكرم الملك صاحب العظمة إذا ما تلطف إلى شعبه . وهكذا فعل ابشالوم فانه كان يتنازل من سمو مكانه أحياناً ويتحدث إلى أصحاب الدعاوي . كان يبكر ويقف بجانب طريق باب الملك وهو الباب الذي يجلس عليه للقضاء . وكان كل صاحب دعوى آت الى الملك لاجل الحكم يمر به فكان ابشالوم يدعوه ويسأله عن اسمه ومدينته وشكواه . وبعد أن يسمع كلامه يبدي التأسف أن باب العدالة مغلق في وجهه لأن ليس من يسمع له من قبل الملك . ثم يقول ابشالوم، من يجعلني قاضيا في الارض فيأتي إليّ كل انسان له خصومة ودعوى فانصفه . وكان إذا تقدم أحد ليسجد له يمد يده ويمسكه ويقبله .

وتحدث الناس عن الامير العظيم الجميل المتواضع . وتناولوا قصصه ونوادره وزادوا وبالغوا حتى صوروه بطلا بل اكثر من ذلك إلهاً او ابن الالهة . وتمنوا لو كان هو الملك عليهم !

ونظن أن سبب ميل الناس إلى ابشالوم لم يكن في ابشالوم فقط . بل كان عند داود جزء من السبب . لقد هوى داود من مكانه النبيل . فان قصة زوجة اوريا بالرغم من محاولة خنقها وتغطيتها لا بد وأن رائحتها فاحت . فلم ير الشعب داود الملك الذي عرفوه في أيام شاول . الملك العفّ النزيه الكريم الذي يقدر ويعفو . ما أشنع الخطية ! !

ولما أحسّ ابشالوم أن خطته أفلحت استأذن أباه في أن يذهب ليقدم لله نذراً في حبرون شكراً لانه رأى وجه الملك . وكان هذا هو السبب الذى أبداه . ولكنه قصد في الحقيقة أن يذهب الى حبرون لتكون قاعدة هجومه على أبيه !

ومن حبرون أرسل ابشالوم جواسيسه الى جميع بلاد اسرائيل يقولون إذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك ابشالوم في حبرون . وأرسل ابشالوم فدعا اخيتوفل الجيلوني مشير داود من مدينة جيلوه . وكان يعلم انه ساخط على الملك منذ أساء الملك الى حفيدته بثشبع . وبالرغم من ان الملك تزوج منها فان اخيتوفل لم يصفح عن اساءته . وها هو ينتهز الفرصة وينضم الى رجل الثورة !

واتسعت الفتنة وتقاطر الشعب خلف ابشالوم . ووصلت الاخبار الى داود « ان قلوب رجال إسرائيل صارت وراء ابشالوم » وكان لا بد أن يهرب من أورشليم وإلا لحقه الشر فيها. فقال لعبيده ، قوموا بنا نهرب لانه ليس لنا نجاة من وجه ابشالوم . اسرعوا الذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة بحد السيف . فقاموا معه وتركوا كل شيء . على أنه ترك من سراريه عشر نساء لحفظ البيت .

ويلذ لنا أن نسير مع الملك في هروبه فقد لاقى كثيراً من المشقة ولاقى أيضاً كثيراً من العزاء !

لقد غدر اسرائيل بمنقذه من أعدائه وتبع ابشالوم . وسارت الالوف خلف الابن الثائر على أبيه . وحزّ ذلك في نفسه كثيراً . فأي شيء آلم للنفس من رؤية انكار الجميل يتخذ لنفسه صورة شنيعة من خيانة ومن غدر . ولكن هل خان الجميع . ألم يوجد أمناء ؟

نعم وجد كثيرون . فان جميع رجاله في أورشليم وقفوا الى صفه مع جميع رجال الحرس والجند وكانوا عدداً يذكر . هؤلاء فضلوا أن يتشردوا مع داود مع أن باب أبشالوم كان مفتوحاً لهم . وهناك جماعة الجتيين وكانوا قد وفدوا إلى داود بعد سكناه في جت وعدتهم ست مئة رجل . هؤلاء بالرغم من أنهم من جنس غريب ، ظلوا أمناء للرجل الذي خدموا تحت لوائه . وقال الملك لزعيمهم أتاي الجتّي لماذا

تذهب أنت أيضاً معنا . ارجع وأقم مع الملك ابشالوم لأنك غريب ومنفي أيضاً من وطنك . أمساً جئت واليوم اتيهك بالذهاب معنا.. وأنا انطلق الى حيث انطلق. ارجع ورجّع اخوتك. الرحمة والحق معك ! أما أتاي فقال حي هو الرب وحي هو سيدى الملك أنه حيثما كان سيدي الملك ان كان للموت أو للحيـاة فهناك يكون عبدك أيضاً !

وسار داود ومن معه إلى طريق البرية ، وكان كلما تقدم يحسّ بأن قلوب الـكثيرين لا تزال معه . كان يمـكن أن ينقلب القوم عليه فيقتلونه ومن معه و يسلمون رأسه للملك الجديد ولكنهم لم يفعلوا ذلك. بل أنهم عندما عجزوا عن تأدية خدمة له، اظهروا مشاركتهم له بدموعهم إذ كانت جميع الأرض تبكي بصوت عظيم !

كذلك بقي الكهنة إلى جانبـــــه . فقد جاء صادوق الكاهن وأبياثار وجميع اللاويين معه يحملون تابوت عهد الله . ولكن داود رفض أن ينقل التابوت بل أمر صادوق أن يرجع تابوت الله إلى المدينة قائلا « ان وجدت نعمة فى عيني الرب فانه يرجعني ويريني إياه ومسكنه . وان قال هكذا اني لم اسرّ بك فهانذا فليفعل بي حسبما يحسن في عينيه » ثم طلب منه أن يراقب الأحوال في المدينة ويرسل اليه كلمـة مع ابنه اخيمعص ويوناثان بن أبياثار في طريق البرية !

وكان جزع داود عظيماً عندما سمع أن أخيتوفل بين الفاتنين مع ابشالوم . وكانت مشورة أخيتوفل حكيمة كمن يسأل بكلام الله . وسيشير أخيتوفل على أبشالوم بما فيه هلاك داود . وها هو يصلي ، حمّـق يا رب مشورة أخيتوفل . قالها وقلبه يضطرب . لـكنه، وقد بلغ جزعه أقصاه، يتنفس الصعداء لانه يرى حوشاي الاركي ، ومشورته لا تقل حكمة عن مشورة اخيتوفل . جاء حوشاي الأركي ممزق الثياب وتراب على رأسه !

وتأمل داود قليلا ثم قال لحوشاي اني لن افيد كثيراً إذا جئتَ معي . ستكون عليّ حملا. ولكن إذا رجعت الى المدينة وقلت لابشالوم أنا اكون عبدك أيها الملك .

أنا عبد أبيك منذ زمان والآن أنا عبدك . إذا عملت ذلك فانك تبطل مشورة أخيتوفل . وكل ما ترى أن تبلغه إليّ أبلغه إلى صادوق وأبياثار الكاهنين وهما سيرسلان أبنهما أخيمعص و يوناثان !!

وظل داود يسير ونحن نرى رجلين يلاقيانه، رجلين بنياميتيين من رجال شاول . أما أحدهما فاسمه شمعي بن جيرا . كان داود ورجاله على هذا الجانب من الجبل . وشمعي على الجانب الآخر و بينهما الوادي الصغير . وكان شمعي يسب و يرشق بالحجارة داود ومن معه وكان يقول في سبّه، اخرج اخرج يا رجل الدماء ورجل الشيطان . قد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول الذي ملكت عوضاً عنه . وقد دفع الرب المملكة ليد أبشالوم ابنك وها أنت واقع بشرّك لأنك رجل دماء !

واغتاظ أبيشاي بن صروبة وهو أحد قواد داود وقال للملك، لماذا يسب هذا الكلب سيدي الملك . دعني أعبر فاقطع رأسه . فقال الملك ، مالى ولكم يا بني صروبة . دعوه يسب لأن الرب قال له سب داود ومن يقول لماذا تفعل هكذا . وقال داود لأبيشاي ولجميع عبيده، هوذا ابني الذي خرج من أحشائي يطلب نفسي فكم بالحري الآن بنياميني . دعوه يسب لأن الرب قال له لعل الرب ينظر إلى مذلتي و يكافئني الرب خيراً عوض مسبته بهذا اليوم !

على أن هناك بنيامينياً آخر هو صيبا عبد مفيبوشت جاء هذا ليلاقي الملك بحمارين مشدودين عليهما مئتا رغيف خبز ومئة عنقود زبيب ومئة قرص تين وزق خمر . ولما سأله داود فى ذلك قال، الحماران لبيت الملك للركوب والخبز والتين للغلمان ليأكلوا والخمر ليشرب من أعيا في البرية !

ومع أننا نلاحظ أنه دسّ ضد سيده عند داود ونقل كلاماً لا نعرف مبلغ صدقه عن مفيبوشت بل قد نميل إلى أنه افترى عليه. إلا أننا نلاحظ أنه، وقد ظهر كأن التيار يتجه بقوة نحو أبشالوم ، آثر أن يسير في ركاب داود ! !

حقاً لقد مرّت بداود أيام سود ! !

ولكن الله لم يحرمه من التعزية ! !

كان داود يسير في البرية متباطئاً لأنه كان ينتظر رسالة حوشاي الاركي من أورشليم فلنرجع إلى أورشليم لنكون بالقرب من الميدان !

جاء أبشالوم ومن معه إلى أورشليم وهناك مسحوه ملكاً . وهتفت الجماهير بحماس ، ليحيى الملك !!

وجاء حوشاي الاركي صاحب داود يقدم ولاءه للملك الجديد وصاح ليحيى الملك . وكان أبشالوم يعلم بالصداقة القوية بين حوشاي وداود أبيه ، فهل شك فى قدومه اليه أم احتقره فى سرّه أم على الأصح انذهل وابتهج . نرجح أنه تعجب ولذلك سأله ، أهذا معروفك مع صاحبك . لماذا لم تذهب مع صاحبك . فقال حوشاي لأبشالوم كلا ولكن الذي اختاره الرب وهذا الشعب وكل رجال إسرائيل فله اكون ومعه اقيم . وثانياً من أخدم . أليس بين يدي ابنه . كما خدمت بين يدي أبيك كذلك اكون بين يديك !

ويبدو أن أبشالوم لم يتحمس في قبول حوشاي وان كان لم يرفضه ولكنه أعطى المشورة الأولى لأخيتوفل !

وقال أبشالوم لأخيتوفل أعطوا مشورة ماذا نفعل . واعطى اخيتوفل مشورته وكانت مشورة حكيمة ولو أنها كانت حكمة شريرة . فقد أشار بأتيان عمل يقطع حبل التردد عند الشعب . فان كثيرين فكروا في أن يقفوا موقف الحيدة في حرب بين أب وابن إذ من يضمن أنهما لا يصطلحان وعندئذ يكون موقف الذين شجعوا الابن على الثورة دقيقا جداً . ما الذي يؤكد للشعب إذن أن أبشالوم لن يصطلح مع أبيه وأن داود لن يعفو عن ابنه . من يضمن لهم أن الحرب لن تنتهي إلا بموت داود ؟ هنا جاءت مشورة اخيتوفل . قال لأبشالوم ادخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت فيسمع كل إسرائيل نك قد صرت مكروها من أبيك فتتشدد

أيدي جميع الذين معك . وهكذا كان . فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل !!

كانت طعنة قاتلة لكرامة داود أحنت رأسه إلى التراب، ولكنها كانت طعنة يستحقها . لقد قال له ناثان النبي يوماً، أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الامر قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس .

وعرض أخيتوفل أن ينتخب من الشعب اثنى عشر ألف رجل ويقوم فى الحال لمطاردة داود فيأتي اليه وهو متعب ومرتخي اليدين فيزعجه فيهرب كل الشعب الذي معه ويضرب الملك وحده ويرد جميع الشعب الى أبشالوم . وذكر أخيتوفل أن الثورة ليست بين حز بين، فان داود هو وحده روح الذين معه فذهابه ينهي المشكلة !

كانت خطة أخيتوفل خطة حكيمة وكانك قمينة بالوصول إلى الهدف المنشود بدون تعرض الشعب لقتال لا لزوم له . لن تكون هناك جروح في قلب الشعب لأنه لن تكون هناك حرب . يذهب داود فيعود الشعب الى ابن داود !

وسرّ أبشالوم وسرّ من معه بخطة أخيتوفل وكانوا على وشك البدء في تنفيذها لولا أن أبشالوم طلب أن يدعوا حوشاي الأركي ليسمعوا ما يقول هو أيضاً !

فلما أتى أخبروه بكلام أخيتوفل وسألوه عن سلامة خطته . ولا بد أن حوشاي رأى أنها خطة بارعة وانها اذا نفذت فقد انتهى داود . لان داود كان فعلا مرهقاً متعباً مرتخي اليدين . ولم يكن الامر معه يحتاج الى اثنى عشر الفاً رجل بل الى نصف هذا العدد بل ربعه ! !

عرف حوشاي في لحظة كل هذا، وفي لحظة قدم مشورته وقد بدأها بمقدمة لم ينكر فيها على أخيتوفل حكمة مشوراته وان كان التوفيق على قوله لم يحالفه هذه المرة. فقد قال ليست حسنة المشورة التي أشار بها أخيتوفل هذه المرة . ثم قال ان داود ورجاله ليسوا جنوداً عاديين يزعجهم جيش صغير كالجيش الذي يقترحه اخيتوفل. هم جبابرة وانفسهم مرة كدبة مشكل في الحقل . لن يستسلموا إلا بعد قتال مرير .

وأبوك رجل قتال ولا يبيت مع الشعب فضربه ليس بميسور . وان بدء القتال فى في طرف الجيش سيثير رجاله وسينادي المنادي، قد صارت كسرة فى الشعب الذي وراء ابشالوم. وليس يخفى ما فى هذا من اشاعة الذعر والاضطراب بين رجالنا بل ان أقوى رجالنا قلباً الذي قلبه كقلب أسد يذوب ذوباناً لان جميع اسرائيل يعلمون ان أباك جبار والذين معه ذوو بأس . كلا . ان الأمر يتطلب اكثر من «اثنى عشر الف» ان الأمر يتطلب جيشاً كبيراً جداً. لذلك أشير بان يجتمع اليك كل اسرائيل من دان إلى بئر سبع كالرمل الذي على البحر في الكثرة ويكون الملك (أبشالوم) في وسط الجيش . وينحدر هذا الجيش انحدار السيل على داود ومن معه فلا يبقى منه ولا يذر. واذا انحاز داود إلى مدينة يجرها ذلك الجيش العرمرم بحبال ويدفعونها الى الوادي ! !

والمتأمل في خطة حوشاي يرى نقط الضعف الكثيرة التي فيها فانها ستبقي حالة الانقسام مدة طويلة . وطالما كان داود حياً فان أبشالوم بالرغم من انه مسح ملكاً سينظر اليه كمغتصب. وتيار الرأي العام ليس مضمون العاقبة فقد ينقلب عليه الذين رافقوه في أول الأمر لانهم بالطبع لا يجدون منه ما أملوه. بل سينكشف لهم وسيعلمون ان حكم داود أفضل من حكمه . وستقوم حروب الدس بين اصحاب الغايات والوصوليين من رجاله . ان الزمن يقف مع داود لا مع ابشالوم !

ثم ان اعلان التعبئة العامة ليس أمراً مرغوباً من الشعب. لا توجد أمة يسرها اعلان التعبئة العامة. ستشيع التعبئة العامة روح التذمر والاستياء بين الشعب . نعم انهم لا يستطيعون أن يقوموا بحركة مقاومة ايجابية ولكن الشعب الذي يحارب مرغماً لن يصمد في قتال !

وتموين ذلك الجيش سيضطر ابشالوم إلى أن يسلب الأقوات ويسمح لرجاله بسلبها فتعم الفوضى وتكثر حوادث الاغتيال والسرقة !

وسيدفع هذا كثيرين من العقلاء الذين تبعوا أبشالوم في أول الأمر طلباً لحكم

صالح إلى أن يراجعوا أنفسهم فيكتشفوا ان أخطاء داود أو ماحسبوه أخطاء انما هى أمور منتظرة من كل حكم، فيتجه قلبهم نحو داود !

وستتاح الفرصة لداود ليجمع صفوفه وينظم رجاله . لقد فوجىء فهرب ولو فوجىء مرة اخرى لانتهى ، ولكن هاهو حوشاي ينصح بوجوب التريث فى مهاجمته !

على ان أبشالوم ورجاله سرّوا بمشورة حوشاي وقالوا انها أحسن من مشورة أخيتوفل . ولابد ان أخيتوفل حاول ان يبين ضعف تلك المشورة ولكنه لم يفلح ويظهر انهم قابلوه بالسخرية والهزء مما دفعه إلى أن يعود إلى بيته ويخنق نفسه !

وارسل حوشاي بخلاصة الأمر إلى الكهنة وأرسلت الرسالة بيد أخيمعص ويوناثان . وبلغ أبشالوم نبأ قيامهما إلى البرية وحام الشك حولهما فارسل الجند للقبض عليهما ولكنهما وجدا في بيت رجل في بحوريم . وانزلتهما زوجة الرجل في بئر مستورة وفرشت سجفاً على فم البئر وسطحت عليه سميذاً . وبحث رجال ابشالوم فلم يجدوا أحداً في البيت . وبعد ذهاب رجال أبشالوم خرج الغلامان ونفضا النبأ إلى داود فقام هو وجميع الذين معه وعبروا الأردن . واستقر بهم السير في محنايم !!

وفي محنايم لاقى داود معاملة ودية فان كبار رجال المكان قدموا فرشاً وطشوتاً وآنية خزف وحنطة وشعيراً ودقيقاً وفريكا وفولا وعدساً وحمصا مشويا وعسلا وزبدة وضأنا وجبن بقر لداود والشعب الذي معه ليأكلوا لانهم قالوا ، الشعب جوعان ومتعب وعطشان في البرية !!

* * *

وبدأت الاستعدادات لقتال منظم !

أحصى داود الشعب الذي معه وجعل عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات . وجعل الثلث تحت قيادة يواب والثلث الثاني بيد أبيشاي أخيه والثلث الأخير بيد

اتاي الجتى . على انه كان ليوآب القيادة العامة أيضا . خصوصا وانهم منعوا داود من الذهاب معهم !

ووقف الملك بجانب الباب وخرج جميع الشعب بين يديه ، مئات وألوفا . وأوصى الملك يوآب وأبيشاي وأتاي قائلا ، ترفقوا لى بالفتى أبشالوم !!

يالقلب الوالد !

انه لايقسو على الابن ولو ثار على أبيه ولو طلب قتله . ولو هتك عرضه!!

ترفقوا لي بالفتى أبشالوم ! ! !

وتقابل الجيشان

وانكسر رجال ابشالوم

وأبشالوم نفسه ضاع ، وكان شعره الجميل سبب ضياعه . كان راكبا على بغل وهو يركض تحت أغصان البطمة العظيمة الملتفة فتعلق رأسه بالبطمة وعلق بين السماء والارض والبغل الذي تحته مرّ وعلم يوآب من أحد الجند بذلك وحاول أن يغري الجندي بقتله ولكن الرجل رفض لانه سمع الملك يأمره بالترفق بابن الملك ، وحاوره في ذلك أما يواب فلم يستطع أن يقبل منطقا مثل ذلك بل ذهب و بعض رجاله وقتلوا أبشالوم بالسهام ثم انزلوا جثمانه ودفنوه تحت رجمة ، كما لو كان أحد المجرمين ! !

وضرب يواب بالبوق فرجع الشعب عن القتال وانتهت الحرب. وهرب رجال أبشالوم وعادوا كل واحد إلى مكانه ! !

* * *

كان داود في شدة القلق ينتظر نتيجة القتال !

لم تكن هناك وسيلة لابلاغ الأخبار إلا ارسال الرسل يركضون . وكان من هؤلاء من يركضون أسرع من الخيل . وقد طلب أخيمعص بن صادوق أن يذهب و يبشر الملك ولكن يواب لم يشأ أن يرسله قائلا، ليس اليوم يوم بشارة بما ان ابن الملك قد مات. وارسل يواب رسولا آخر اسمه كوشى . ولكن اخيمعص أصرّ أن

يذهب فسمح له يوآب أخيراً وكان أسرع ركضاً فسبق كوشي ووصل إلى الملك وأنبأه بانتصار جيوشه . فلما سأله عن آبشالوم لم يشأ أن يقول شيئاً وادّعى انه لا يعلم شيئاً عن هذا الأمر. فلما جاء كوشي وسأله الملك عن أبشالوم قال، ليكن كالفتى أعداء سيدي الملك وجميع الذين قاموا عليك للشر !

سمع الملك ذلك فترك مكانه وصعد إلى عليته وكان يبكي بصوت عال و بحرقة يا ابني ابشالوم يا ابني يا ابني ابشالوم يا ليتني متّ عوضا عنك يا ابشالوم ابني يا ابني ! !

ونحن نحسّ أن داود لم يكن يبكي ابناً فحسب ولكنه كان يبكي ابناً يحس انه هو الذي قتله . ان ذهنه يعود بسرعة إلى الماضى

فهو يرى نفسه يأتي فعلته القبيحة مع أوريا ومع زوجته بتشبع ويرى مقدار الهوان الذي لحقه خصوصاً بين أهله وذويه !!

وهو يرى ابنه امنون يترسم خطاه ويسلك سبيله ويأتي فعلة أقبح مع أخته ثامار . ويرى نفسه عاجزاً حتى عن توبيخه . انه يرى ان الذنب ليس على أمنون وانما الذنب ذنبه هو . انه هو الذي دفع ـ بقدوته الشريرة ـ أمنون إلى اتيان ما أتى !

وهو يرى أبشالوم يقتل اخاه . وقد أحس داود ان الطعنة كان يجب ان توجه اليه هو !

وهو يرى أبشالوم يهرب وكان يمكن أن يدعو داود ابنه اليه ويمزج دموعه بدموعه ويجثو الاثنان امام الله . ولكن داود كان يحس طول الوقت ان خطيته تجذبه إلى أسفل ! !

والآن هاهو يرى ابنه يقتل ويقتله أبوه !!

* * *

وعلم يواب أن داود يبكي فلم يعطف عليه. ليس الوقت وقت عطف . لا يجوز أن يكون داود اباً . انه ملك ورئيس جيش . وأبشالوم في هذه القضية ليس ابناً

ولكنه ثائر . ودخل يواب على الملك ووبخه وأنذره بتركه ان هو ظل يبكي على أبشالوم وسيعلن للجيش الذي حارب من أجله انه أساء اليه !

وتمت مفاوضات الصلح

وعاد الملك إلى أورشليم

وجلس على عرشه مرة أخرى ، ذلك العرش الذي هزّته العواصف وغرقت قاعدته في الدماء وفاحت رائحة العار منه

جلس داود على العرش ولكن تلك الأيام السود تركت آثارها العميقة على وجهه وفي قلبه وهو يعترف بمرارة انه هو سبب النقمات التي حلت به ولكنه يشكر الله الذي غفر له ونجاه ! !

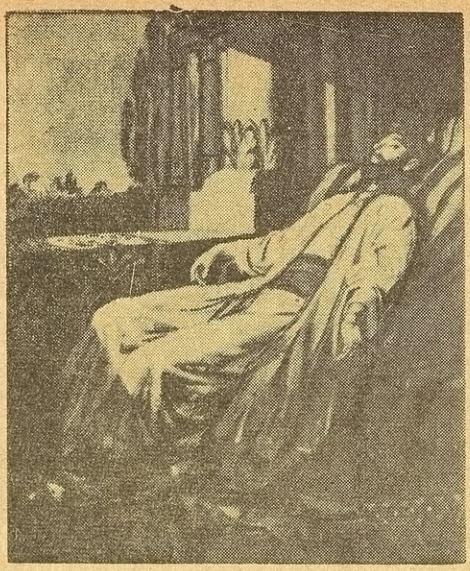
٦٠

الملك الحكيم

« هوذا اعطيتك قلبا حكيما » ١ مل ٣ : ١٢

اشتهر الملك سليمان باسم سليمان الحكيم . ولقد ظهرت عليه مخايل الحكمة منذ أن جلس على العرش فقد صرّف الامور كما لو كان شيخاً حنكته الايام لا شاباً لا يزيد عن العشرين . على أن حكمته الحقيقية بدأت يوم أن ذهب الى جبعون ليذبح هناك للرب حيث أصعد ألف محرقة على المذبح . وفي جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلا . وقال الله اسأل ماذا أعطيك . فقال سليمان ، انك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبرّ واستقامة قلب

معك فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم . والآن أيها الرب إلهي أنت ملّكت عبدك مكان داود أبي وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول. وعبدك في وسط شعبك الذي اخترته شعب كثير لا يُحصى ولا يُعد من الكثرة . فأعط عبدك قلباً فهيما لأحكم على شعبك وأميّز بين الخير والشر لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا ؟



الملك سليمان وهو نائم يظهر له الله في الحلم ويسأله ماذا يطلب

كانت الطلبة غريبة من شاب حتى أن الله نفسه سُرَّ بها وقال له « من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ، ولا سألت لنفسك غنى ، ولا سألت أنفس أعدائك بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم . هوذا قد فعلت حسب كلامك . هوذا أعطيتك قلباً حكيما ومميّزاً حتى انه لم يكن مثلك قبلك . ولا يقوم بعدك نظيرك !

وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله، غنى وكرامة حتى انه لا يكون رجل مثلك فى الملوك كل أيامك !

فان سلكت في طريقي وحفظت فرائضي ووصاياي كما سلك داود أبوك فاني أطيل أيامك ! »

فاستيقظ سليمان واذا هو حلم !

لكن هل كان مجرد حلم أم أن الله ظهر له حقاً ؟ نعتقد أن الله ظهر له فعلا . وان كان قد ظهر له في رؤيا الليل !!

وهل أعطاه الله الحكمة دفعة واحدة حالا بعد طلبه ؟ ان الله يستطيع ذلك لانه يستطيع كل شيء ولكنه لا يفعل ذلك عادة . نعتقد بان سليمان كان مشغولا بالحكمة وكان عنده استعداد لقبولها ولتعلّم طريقها . ونعتقد أن الله فتح عينيه لرؤية سبيلها وفتح ذهنه للفهم . ونعتقد أنه نال الحكمة تدريجياً !

وان أعظم حكمة حصل عليها كانت سلوكه في طريق الله وحفظه لفرائضه فان رأس الحكمة مخافة الرب !

وقد ظهرت حكمته في قضائه للمرأتين اللتين جاءتا تحتكمان له . فقد اضطجعت احداهما على طفلها الرضيع في الليل فمات من ثم استبدلت ابن الثانية بابنها . وكانت كل من المرأتين تقول ان الابن الحي ابنها هي والابن الميت ابن الأخرى !

وتحيّر سليمان ! !

ولكن حكمته ساقته لأن يفحص الامر من ناحية أعمق من الظاهر. أراد أن يجسّ الرباط بين الأم وابنها ، فطلب سيفاً وامر أن يشطروا الابن الحي ويعطوا النصف الواحد لهذه المرأة والنصف الآخر للمرأة الاخرى !!

أما الأم فذاب قلبها . انها لا تحتمل أن يقتل ابنها ، فهي تقول ، كلا لا تشطروه ، ابقوه حياً ، واعطوه لها . انه يعيش وان حرمت منه . أما الاخرى فتقول كلا . بل تشطرونه فلا يكون لي ولا لها !!!

ويعرف سليمان من هي أم الطفل !

ويعطيه لها !!

ولما سمع جميع اسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك خافوا الملك لانهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم !

* * *

وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل . لا يحدثنا الكتاب كثيراً عن هذه الملكة . فنحن لا نعرف ما هو اسمها ولا أين هي بلادها

ولكن التقليد اليهودي يذكر لنا أن اسمها بلقيس وانها كانت ملكة على أقليم عربي يجاور بلاد الحبشة أو يقابلها من الناحية الاخرى للبحر. وتذكر تقاليد أخرى انها كانت آية في جمال الخلقة وان سليمان تزوجها فكانت واحدة من نسائه !

على أن القصة الكتابية لا تهتم إلا بناحية واحدة من نواحي تلك الزيارة هي ناحية رؤية حكمة الملك !

وقد جاءت الملكة الى أورشليم بموكب عظيم جداً بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة . وأتت الى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها . فأخبرها سليمان بكل كلامها . لم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به . فلما رأت ملكة سبا كل حكمة سليمان والبيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب لم يبق فيها روح بعد فقالت للملك صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناي فهوذا النصف لم اخبر به . زدت حكمة وصلاحاً على الخبر الذي سمعته. طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك. ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سُرّ بك وجعلك على كرسي اسرائيل. لان الرب أحب اسرائيل الى الابد جعلك ملكاً لتجري حكماً و براً!

وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطىء البحر وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر . وكان أحكم من جميع الناس من ايثان الازراحي وهيمان وكلكول ودردع بنى ماحول . وكان صيته في جميع الأمم حواليه وتكلم بثلاثة آلاف مثل . وكانت نشائده الفاً وخمساً . وتكلم عن الاشجار من الارز الذي فى لبنان الى الزوفا النابت في الحائط وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك !

وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع الارض الذين سمعوا بحكمته !!

٦١

سليمان البنـــاء

« وكان في قلب داود أبي أن يبني بيتـاً لاسم الرب اله اسرائيل فقال الرب لداود أبي من أجل انه كان في قلبك ان تبني بيتـاً لاسمي قد احسنت بكونه في قلبك ، إلا إنك أنت لا تبني البيت بل ابنك الخـارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي » (١ مل ٨ : ١٧و١٨)

ان شهرة سليمان الأولى هى فى بناء هيكل الله فقد انتقل تابوت الله من خيمة الى خيمة ومن مكان الى مكان . وقد أراد داود أن يبني بيتاً لله لـكن الله منعه من ذلك لأنه رجل حروب وأخبره ان ابنه سليمان سيقوم بذلك العمل العظيم !

وكان داود هو واضـع التصميم حسب ما أرشده الله . وقدم من عنده ألوف الوزنات من الذهب ومن الفضـة . وطلب من اسرائيل أن ينتدبوا للرب فانتدبوا أيضاً بمبالغ لاتكاد تصدق لعظمتها !

واستعان سليمان بكثيرين من الصناع والعمال الاجانب . و بنى البيت وكان آية في الروعة . كان قائماً على جبـــل المريا في المكان الذي تراءى الرب فيه لداود . وكانت عند الشروق ترسل أشعتها عليه فيبدو شعلة ملتهبة من النار !!

ولما فرغ من بنائه أدخل سليمان أقداس داود أبيه والفضـة والذهب وجميع آلاته فى خزائن . حينئذ جمع سليمان شيوخ بني اسرائيل وكل رؤوس الاسباط لأصعاد تابوت العهد من خيمة الاجتماع مع جميع الآنية التي في الخيمة الى الهيكل . وقدمت في ذلك اليوم ذبائح لا عدد لها !

وادخل الـكهنة تابوت عهـد الرب الى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس الى تحت جناحي الـكروبين . ولم يكن في التابوت إلا لوحا الشهادة .

ولما خرج الكهنة هتفوا بالابواق فامتلأ المكان من مجد الرب وحينئذ قال سليمان : « قال الرب أنه يسكن في الضباب . وأنا بنيت لك بيت سكنى لسكناك الى الأبد »

وحوّل سليمان وجهه وبارك كل جمهور اسرائيل وقال « مبارك الرب اله اسرائيل الذي كلم بفمه داود أبي وأكمل بيديه قائلا . منذ يوم أخرجت شعبي من أرض مصر لم أختر مدينة من جميع أسباط اسرائيل لبناء بيت ليكون اسمي هناك . ولا اخترت رجلا يكون رئيساً لشعبي اسرائيل . بل اخترت أورشليم ليكون اسمي فيها واخترت داود ليكون على شعبي اسرائيل . وكان في قلب داود ابي أن يبني بيتاً لاسم الرب اله اسرائيل. فقال الرب لداود، من أجل انه كان في قلبك أن تبني بيتاً لاسمي قد أحسنت بكون ذلك في قلبك إلا انك انت لا تبني البيت بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي . وأقام الرب كلامه الذي تكلم به وقد قمت أنا مكان داود أبي وجلست على كرسي اسرائيل كما تكلم الرب وبنيت البيت لاسم الرب اله اسرائيل ووضعت هناك التابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعه مع اسرائيل »

ثم وقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة اسرائيل . وقف على منبر النحاس الذي جعله في وسط الدار . وقف عليه ثم جثا على ركبتيه تجاه كل جماعة اسرائيل و بسط يديه نحو السماء وصلى . وصلاة سليمان صلاة مثالية، كانت ممتلئة من الايمان واليقين و يليق أن نسمعها كلها بالرغم من طولها قال :

أيها الرب اله اسرائيل

لا اله مثلك في السماء والأرض

حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين امامك بكل بقلوبهم

الذي قد حفظت لعبدك داود أبي ما كلمته به فتكلمت بفمك وأكملت بيدك كهذا اليوم

والآن أيها الرب اله اسرائيل احفظ لعبدك داود أبي ما كلمته به قائلا لا يعدم لك أمامي رجل يجلس على كرسي اسرائيل ، ان يكن بنوك طرقهم يحفظون، حتى يسيروا في شريعتي كما سرت أنت أمامي

والآن أيها الرب اله اسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود

لانه هل يسكن الله حقاً مع الانسان على الارض

هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت

فالتفت الى صلاة عبدك والى تضرعه أيها الرب الهي

واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك امامك

لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت نهاراً وليلاً على الموضع الذي قلته انك تضع اسمك فيه لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع

واسمع تضرعات عبدك وشعبك اسرائيل الذين يصلون فى هذا الموضع واسمع انت من موضع سكناك من السماء

واذا سمعت فاغفر

إن أخطأ أحد الى صاحبه ووضع عليه حلفا ليحلِّفه. وجاء الحلف امام مذبحك في هذا البيت . فاسمع انت من السماء واعمل واقض بين عبيدك إذ تعاقب المذنب فتجعل طريقه على رأسه وتبرر البار إذ تعطيه حسب برّه

وإن أنكسر شعبك اسرائيل أمام العدو لكونهم أخطأوا اليك ثم رجعوا واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعوا أمامك نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء واغفر خطية شعبك اسرائيل وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيتها لهم ولآبائهم

إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر لكونهم أخطأوا اليك ثم صلوا في هذا الموضع واعترفوا باسمك و رجعوا عن خطيتهم لأنك ضايقتهم فاسمع أنت من السماء واغفر خطية عبيدك وشعبك اسرائيل فتعلمهم الطريق الصالح الذي يسلكون فيه وأعط مطراً على أرضك التي أعطيتها لشعبك ميراثاً

إذا صار في الأرض جوع

إذا صار وباء أو لفح أو يرقان أو جراد أو جردم

أو إذا حاصرهم أعداؤهم في أرض مدنهم في كل ضربة وكل مرض . فكل صلاة وكل تضرع تكون من أي انسان كان أو من كل شعبك اسرائيل الذين يعرفون كل واحد ضربته ووجعه فيبسط يديه نحو هذا البيت . فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر وأعط كل انسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه . لأنك أنت وحدك تعرف قلوب بنى البشر لكي يخافوك ويسيروا في طرقك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيت لآبائنا

وكذلك الاجنبي الذي ليس هو من شعبك اسرائيل وقد جاء من أرض بعيدة من أجل اسمك العظيم ويدك القوية وذراعك الممدودة فمتى جاءوا وصلوا فى هذا البيت فاسمع أنت من السماء مكان سكناك وافعل حسب كل ما يدعوك به الاجنبي لكي يعلم كل شعوب الارض اسمك . فيخافون كشعبك اسرائيل ولكي يعلموا أن اسمك قد دعي على هذا البيت الذي بنيت

اذا خرج شعبك لمحاربة أعدائه في الطريق الذي ترسلهم فيه وصلّوا اليك نحو هذه المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيت لاسمك فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم

إذا أخطأوا اليك لانه ليس انسان لا يخطى وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو وسباهم سابوهم الى أرض بعيدة او قريبة

فاذ ردوا الى قلوبهم في الارض التي يسبون اليها ورجعوا

وتضرعوا اليك في أرض سبيهم قائلين قد أخطأنا وعوجنا وأذنبنا

ورجعوا اليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم في أرض سبيهم التي سبوهم اليها

وصلوا نحو أرضهم التي أعطيتها لآبائهم والمدينة التي أخترت والبيت الذي

بنيتُ لاسمك ، فاسمع من السماء من مكان سكناك صلاتهم وتضرعاتهم واقض قضاءهم واغفر لشعبك ما أخطأوا به اليك

الآن يا إلهي لتكن عيناك مفتوحتين

وأذناك مصغيتين لصلاة هذا المكان

والآن قم أيها الرب الاله الى راحتك

أنت وتابوت عزك

كهنتك أيها الرب الاله يلبسون الخلاص

واتقياؤك يبتهجون بالخير

أيها الرب الاله

لا ترد وجه مسيحك

اذكر مراحم داود عبدك

* * *

ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت نار من السماء واكلت المحرقة والذبائح وملا مجد الرب البيت ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب لان مجد الرب ملأ بيت الرب . وجميع الشعب خروا على وجوههم الى الارض وسجدوا وحمدوا الرب لأنه صالح و إلى الأبد رحمته !

وتراءى الرب لسليمان ليلاً وقال له

قد سمعت صلاتك واخترت هذا المكان لي بيت ذبيحة

ان أغلقت السماء ولم يكن مطر

وان أمرت الجراد أن يأكل الأرض

وان أرسلت وبأ على شعبي

فاذا تواضع شعبي الذي دعي اسمي عليهم

وصلوا

وطلبوا وجهي
ورجعوا عن طرقهم الردية
فانني أسمع من السماء
وأغفر خطيتهم
وابرىء أرضهم

الآن عيناي تكونان مفتوحتين ، واذناي مصغيتين الى صلاة هذا المكان والآن قد اخترت وقدست هذا البيت ليكون اسمي فيه الى الأبد . وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام !

وأنت ان سلكت أمامي كما سلك داود أبوك وعملت حسب كل ما أمرتك به وحفظت فرائضي وأحكامي فاني اثبت كرسيّ ملكك كما عاهدت داود أباك قائلا لا يعدم لك رجل يتسلط على إسرائيل. ولكن ان انقلبتم وتركتم فرائضي ووصاياي التي جعلتها أمامكم وذهبتم وعبدتم إلهة أخرى وسجدتم لها ، فاني أقلعهم من أرضي التي أعطيتهم إياها وهذا البيت الذي قدسته لاسمي أطرحه من أمامي وأجعله مثلا وهزأة في جميع الشعوب . وهذا البيت الذي كان مرتفعاً كل من يمر به يتعجب و يقول لماذا عمل الرب هكذا لهذه الارض ولهذا البيت ، فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إله ابائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وتمسكوا بالهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب عليهم كل هذا الشر !

* * *

عاش سليمان عمراً طويلاً
وأتى أعمالاً كثيرة
وامتد صيته الى كل بلاد

ولكن شهرته الاولى كانت أنه بنى بيت سكنى لله . والتاريخ لا يمكن ان ينسى هيكل سليمان ! !

٦٢
أحكم الملوك
يأتي حماقات

« وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع
الرب تماماً كداود ابيه » ١ مل ١١ : ٦

كان سليمان احكم الملوك الذين سجل التاريخ اسماءهم خالدة . وقد رأينا في الصفحات الماضية صوراً براقة من تلك الحكمة ، صوراً بهرتنا حتى لم تبق فينا نسمة! على أن ذلك الحكيم اتى حماقات. حقاً قد صدق القول « فمن هو قائم فلينظر لئلا يسقط » .

ولعل من النافع أن نجول في حياته حتى نرى تلك الحماقات ، بدون ترتيب، أي كيفما اتفق . ولن نتعب في البحث لأننا حيثما سرنا نجدها !

أما أولى حماقاته فكانت في نفس « حكمته » فقد ارتكن على تلك الحكمة في تسيير شئون مملكته ولم يهتم في وجود الانسجام بين حكمته ورضا الله . كانت مملكته محاطة بأمم كثيرة وقوية وأراد ان يؤمن حدود مملكته الصغيرة فارتبط بمعاهدات مع تلك الامم ، ووطد تلك المعاهدات بالمصاهرة ، فتزوج من بنات الملوك المحيطين به عدداً عديداً، من مصر وموآب وعمون وأدوم وصيدون وحث !

وقد ظن انه بذلك الزواج يدخل عناصر قوة الى مملكته ، ولم يعلم انه ادخل عناصر ضعف . فقد تزوج من اميرات وثنيات لا يعرفن الله . وقد استطعن ان يجتذبن اليهن والى الهتهن قلبه. بل بلغ الأمر أنه في زمان شيخوخته مال قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود ابيه . فذهب وراء عشتورث الهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وبنى مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بني عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن !

وغضب الله على سليمان لان قلبه مال عن الرب إله اسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر ان لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب . فقال الرب لسليمان من أجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فاني امزق المملكة تمزيقا واعطيها لعبدك . وقد تم ذلك في أيام ابنه !

وكذلك اختلطت «حكمة» سليمان بحماقة أخرى هي حماقة الانغماس في الشهوات. لقد فكر سليمان في أول الامر في أن يربط بينه وبين الامم الأخرى بالمصاهرة . ولكن تلك المصاهرة غيّرت وجهة نظره . فقد أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري . هل يمكن أن تبقى حكمة رجل له الف زوجة ؟

الف زوجة ! ؟ !

لا عجب أن هوى سليمان من قمة جبل الحكمة الى قرارة هاوية الحماقة !

وما معنى الف امرأة؟

اليس معناه انغماساً في الشهوات وسقوطاً اخلاقياً . لا يمكن أن يكون من له الف امرأة زوجاً . ان الله خلقهما من البدء رجلاً وامرأة فقط . ولئن تسامحنا مع القوم فقبلنا أن يكون ليعقوب زوجتان أو أربعة ولعيسو ثلاث زوجات ولالقانة زوجتان ولداود خمس أو ست زوجات . فاننا لا يمكن إلا أن نرتاع أمام الف ! !

وليس من الغريب أن يكون ابن سليمان الذي ملك بعده . . . احمق . ذلك الآب الذي تحدث عن الابن الحكيم الذي يسر أباه.. لم يكن له ابن حكيم وكيف يمكن أن يكون ؟ .

وثمت حماقة ثالثة هي حماقة الترف. كانت ثروة سليمان عظيمة فأنفق الكثير في حياة التنعم والتبذير . كان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كر سميذ وستين كر دقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المراعي ومئة خروف ما عدا الايائل والظباء واليحامير والاوز المسمن — وكان لسليمان اربعون الف مذود لخيل مركباته

واثنا عشر الف فارس. و بنى لنفسه بيتاً في ثلاث عشرة سنة و بنى بيت وعر لبنان طوله مئة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً على اربعة صفوف من اعمدة ارز وجوائز ارز على الاعمدة — وعمل رواق الاعمدة طوله خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ذراعاً — وعمل رواق الكرسي حيث يقضي أي رواق القضاء وغشي بأرز من أرض الى سقف !

و بيته الذي كان يسكنه في دار أخرى داخل الرواق كان كهذا العمل !

وعمل بيتاً لابنة فرعون التي اخذها سليمان كهذا الرواق !

كل هذه من حجارة كريمة كقياس الحجارة المنحوتة منشورة بمنشار من داخل ومن خارج من الاساس الى الافريز ومن خارج الى الدار الكبيرة !

وعمل الملك كرسياً عظيماً من عاج وغشاه بذهب خالص . وللكرسي ست درجات وللكرسي موطىء من ذهب وكلها متصلة . و يدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس وأسدان واقفان هناك على الدرجات بجانب اليدين واثنا عشر اسداً واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك لم يعمل مثله في جميع الممالك . وجميع آنية شرب الملك سليمان من ذهب . وجميع آنية بيت وعر لبنان من ذهب خالص !

وجعل الملك الفضة مثل الحجارة وجعل الارز مثل الجميز الذي في السهل في الكثرة !

واضعف التنعم القيم السامية فيه فهوى وضعفت رجولته وتسلطت عليه غرائزه الحيوانية . . ودفعته هذه الحياة الى طلب المال عن طريق الظلم والتسخير فاشتدت يده وتقست ففقد محبة شعبه وان ظلوا يخشونه !

ولقد ظل سليمان يحمل اسمه سليمان الحكيم ولكنه كان في كثير من الاوقات سليمان الاحمق ! !

٦٣
انقسام المملكة

« فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك
ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها
فاني أمزق المملكة عنك تمزيقا واعطيها لعبدك
إلا اني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود
أبيك بل من يد ابنك أمزقها »
(١ مل ١١ : ١١ ، ١٢)

كانت المملكة تبدو في الظاهر مملكة واحدة عظيمة . وكان ملكها سليمان مرموقاً من الجميع كملك لا يوجد نظيره . ولكن الحقيقة كانت غير ذلك فقد دب الضعف وعوامل الانقسام داخل المملكة وان كانت قد بقيت لها المظاهر الخارجية للقوة والوحدة !

ونحن نقرأ أن سليمان في شيخوخته مال قلبه وراء الأصنام . أمسكت أيدي نسائه، الأيدي الرقيقة « الضعيفة » بذلك الرجل الجبار وأملن قلبه فذبح لآلهتهن . ولذلك قال الله له انه بسبب تركه له سيمزق عنه المملكة تمزيقاً وسيعطيها لعبده . وان كان ـ رحمة منه ـ لا يفعل ذلك في أيامه بل في أيام ابنه !

بل انه هو لم ينج من المتاعب فقد قام ضده خصوم أقوياء ، هدد الأدومي وكان قد هرب الى مصر أيام داود فلما سمع بموت داود عاد الى بلاده ليناصب سليمان العداء !

وثم خصم ثان رزون بن اليداع وقد قاومه داود فهرب الى دمشق ومن هناك رسم خططه ضد الملك سليمان !

أما الخصم الثالث فكان اسرائيلياً، هو يربعام بن نباط افرايمي من صردة وقد رفع يده على الملك سليمان فطلب سليمان قتله فهرب الى مصر . وبقى فيها الى أن مات سليمان ومن ثم عاد ورأس حزب الثورة ضد ابن سليمان !

كان الضعف موجوداً وكذلك كان الانقسام ، ولكنه لم يبرز إلا بعد موت سليمان . إذن لا يجوز أن نضع اللوم كله على الملك الذي انقسمت المملكة في أيامه . بل ينبغي أن يشترك في اللوم المسئولون السابقون !

مات سليمان !!

فتنفس الناس الصعداء !

كان سليمان شديد الوطأة على الشعب. سخّر منهم الألوف في بناء بيوته و بيت الرب وثقّل الضرائب عليهم و كانوا يئنون ولكنهم لم يجسروا أن يثوروا لان سليمان فضلا عن قوته كان حكيماً . وأعداؤه لم يستطيعوا أن يقفوا في وجهه !

بل ان الشعب بعد موت سليمان لم يستطع ان يقوم بالثورة ، فأرسل الى مصر ودعا يربعام بن نباط !

كان يربعام ابن امرأة أرملة ، وكان أحد عمال البناء ، أو لعله كان أحد رؤساء العمال . ولاحظ سليمان قدرته ونشاطه في العمل فأقامه رئيساً على كل أعمال بيت يوسف . وحدث في أحد الايام ان يربعام كان يسير خارج المدينة في ثوب جديد فلاقاه النبي اخيا الشيلوني فأمسك بيربعام ومزّق رداءه الجديد الى اثنتي عشرة قطعة . وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع ، ونظر يربعام الى اخيا منتظراً ما يقول بعد ذلك لانه كان يعلم انه نبي . واذا بأخيا يقول كلاماً غريباً « هكذا قال الرب إله اسرائيل هانذا أمزّق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود ومن أجل اورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط اسرائيل . لانهم تركوني وسجدوا لعشورت الاهة الصيدونيين ولكموش إله الموآبيين وللكوم إله بني عمون ولم يسلكوا في طرقي ليعملوا المستقيم في عيني وفرائضي وأحكامي كداود أبيه . و آخذ كل المملكة من يده بل أصيره رئيساً كل أيام حياته لاجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي وفرائضي. وآخذ المملكة من يد ابنه وأعطيك إياها أي الاسباط العشرة . وأعطي ابنه سبطاً واحداً ليكون

سراج لداود عبدي كل الايام أمامي في اورشليم المدينة التي اخترتها لنفسي لأضع اسمي فيها. وآخذك فتملك حسب كل ما تشتهي نفسك وتكون ملكا على اسرائيل. فاذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت في طرقي وفعلت ما هو مستقيم في عيني وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي اكون معك وأبني لك بيتاً آمناً كما بنيت لداود وأعطيك اسرائيل . وأذل نسل داود من أجل هذا ولكن لا كل الأيام » !

كان يربعام يسمع كلمات أخيا مبهور الانفاس وقد استقبل النبوة بشغف وسرور وقد اضطرب ذهنه وهو يسمع عن مملكة سيعطاها فلم يستوعب كل كلمات النبي أو لعله استوعبها ولكنه ظن انه يستطيع ان يجري فيها بعض التعديل. لقد أخبره النبي ان سليمان سيظل رئيسا على اسرائيل كل أيامه وان الانقسام سيتم في أيام ابنه ولكنه استعجل الامور فرفع يده على الملك سليمان وطلب سليمان أن يقتله فهرب الى مصر وبقي هناك الى موت الملك عندما دعاه الشعب الثائر !

يغلب أن الشعب دعاه ليملك عليهم . غالبا كانوا قد سمعوا عن نبوة أخيا الشيلوني. أما يربعام فكان قد تعلم الحكمة في أرض منفاه. كان يعلم أن عدداً غفيراً من الشعب متعلق ببيت داود وأنه لو اعتسف الطريق الى العرش فسيثير عليه جانبا كبيراً من هؤلاء ولذلك أراد أن « يكشف » بيت داود للشعب !

ذهب رحبعام بن سليمان إلى شكيم لان الشعب اجتمع هناك ليملكوه، او هكذا قيل له ! وجاء يربعام وكل جماعة اسرائيل وكلموا رحبعام قائلين « إن أباك قسّى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك !

هذه صرخة كل شعب مغلوب على أمره من حاكم طاغية. وينظر الحكام بحذر إلى الشعب عندما يستيقظ . ونحن نرى تلك الحرب الخفية بين القديم والجديد في هذه الحرب الباردة بين الشعب ورحبعام. لو أن رحبعام كان حكيما لأرسل الشعب

مجبوري الخاطر ووعد أن يخفف نيرهم . ولكنه ارسلهم الى ثلاثة ايام. كانت الايام الثلاثة شراً له فقد حزم يربعام امره ورتب مع الشعب سبيله ودبر تدبيره ونفث فيهم سمه . بينما كان يمكن لرحبعام ان يؤكد لهم محبته ورعايته فكان على الاقل يفصل عن يربعام الجانب الاكبر من الشعب الذي معه ولو ان يربعام ثار بعدذلك لأمكن القبض عليه وامكن اعدامه كخائن ! !

ولكن رحبعام لم يفعل ذلك

واستشار رحبعام

فهل نمدحه من أجل ذلك ؟ ان طلب المشورة شيء صالح ولكننا سنكتشف انه لم يكن جاداً في طلب المشورة الصالحة !

استشار رحبعام الشيوخ الذين كانوا يقفون امام سليمان أبيه وهو حي قائلا كيف تشيرون ان أرد جواباً الى هذا الشعب . فكلموه قائلين ان صرت اليوم عبداً لهذا الشعب وخدمتهم وأجبتهم وكلمتهم كلاماً حسنا فانهم يكونون لك عبيداً كل الايام !

يالها من مشورة !

الملك يكون عبداً للشعب

ويخدم الشعب

ويجيب مطالب الشعب

ويكلم الشعب كلاما حسنا

هذا هو الملك الذي يضعه الشعب في قلوبهم

وفي الحق أن وظيفة الملك ليست التسلط بل هي الخدمة

ان الملك وضع لاجل الشعب لا الشعب لاجل الملك

ولقد أحسن المشورة أولئك الشيوخ وهي مشورة تصلح لكل رئيس . تصلح للملك الكبير وللحاكم الصغير وللمعلم في المدرسة وللاب في البيت وللقسيس في الكنيسة!

ان وظيفة الرأس في الجسم ليست للتسلط والسيادة بل للخدمة . وعلى قدر ما تخدم تنال مجد السيادة

لم تعجب هذه المشورة الملك الشاب

هل يكون عبداً للشعب

هل يخدمهم

هل يجيب مطالبهم

هل يكلمهم كلاما حسنا

يالمهانة الملك

اذن تسقط هيبة الملك

وتضيع كرامته

ويطمعون فيه

ويسلبونه حقونه شيئا فشيئا إلى أن يأتي الوقت الذي لا يبقى له من الملك إلا مظهره . كلا . ان الملك وديعة عنده. انه أمانة وسيحتفظ بالأمانة كاملة وسيحارب في سبيلها وسيضحي الحياة نفسها اذا لزم !!!

وذلك الشعب !

منذ متى كان للشعب أن يرفع صوته

ويطلب مطالب

أولئك العبيد

أولئك الأغنام !

كلا . كلا . ان مشورة الشيوخ مشورة قوم مخرفين لا يحسنون التفكير . ان أجسامهم الضعيفة أشاعت الضعف في تفكيرهم وفي قلبهم . هم يخافون أن يضيع التاج اذا قامت حرب في سبيله لكن أي تاج هذا الذي تضيع كل جواهره ؟

وذهب رحبعام إلى الأحداث الذين نشأوا معه ووقفوا قدامه وقال لهم بماذا

تشيرون أنتم فنرد جوابا على هذا الشعب الذين كلموني قائلين خفّف من النير الذي جعله علينا أبوك ، فكلّمه الأحداث الذين نشأوا معه قائلين هكذا تقول لهذا الشعب الذين كلموك قائلين ان أباك ثقل نيرنا واما أنت فخفف من نيرنا . تقول لهم « ان خنصري أغلظ من متني أبي . والآن ابي حمّلكم نيراً ثقيلا وأنا أزيد على نيركم أبي ادبكم بالسياط وانا اؤدبكم بالعقارب ؟

وهتف رحبعام في قلبه

نعم . نعم . هذه هي المشورة الصائبة. ينبغي أن يرى الشعب قوتي وان يعلم بها . ليس للشعب إلا أن يُداس و يسحق . ليس له ان يرفع رأسه أو يرفع صوته . ولم يعلم المسكين ان القوة الحقيقية في الروح وان القوي لا يتباهى بقوته . لم يعلم ان سلطان القلب أقوى من سلطان السيف وان الضغط الكثير يولد الانفجار !!

وجاءه الشعب بعد ثلاثة أيام

وتكلم الملك معهم بقساوة

أبي ثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم

أبي أدبكم بالسياط وأنا اؤدبكم بالعقارب

وحاول الشعب أن يلينوا قناة الملك فلم يسمع لهم . فلما رأوا انه لم يسمع لهم ردوا جواباً في وجهه ، أي قسم لنا في داود ولا نصيب لنا في ابن يسى . إلى خيامك ياإسرائيل . الآن انظر إلى بيتك ياداود !!

واجتمع الشعب يرسمون خطتهم لتمليك يربعام . وسمع رحبعام ، ولا نعلم هل فكر في أن يصالحهم ، أم فكر في أن يهددهم ، عندما أرسل لهم أدونيرام . ولكننا نعلم انه كان أحمق في ارساله. فان أدونيرام هذا هو رئيس التسخير . ولما رآه الشعب رجموه وكان معنى ذلك ان الشعب لن يعود إلى رحبعام بل انه مستعد أن يعمل معه ما عملوه مع رسوله !

فبادر الملك رحبعام وصعد إلى المركبة ليهرب إلى أورشليم - وفي أورشليم اجتمع حوله سبط يهوذا و بنيامين . وجمع رحبعام جيشاً من مئة وثمانين الف محارب ليحاربوا بيت اسرائيل و يردوا المملكة لرحبعام بن سليمان . وهي حماقة أخرى كان يمكن أن تودي به لولا أن كلام الله كان إلى شمعيا النبي قائلا كلم رحبعام بن سليمان ملك يهوذا و بنيامين و بقية الشعب قائلا هكذا قال الرب لا تصعدوا ولا تحاربوا أخوتكم بني اسرائيل، ارجعوا كل واحد إلى بيته لانه من عندي هذا الأمر!

فسمعوا لكلام الرب

وهكذا انقسمت المملكة

عشرة أسباط ملك عليها يربعام ودعيت مملكة اسرائيل أو المملكة الشمالية !

وسبطان ملك عليهما رحبعام ودعيت مملكة يهوذا !

وظلت المملكتان ، كل مملكة تسير مستقلة إلى أن سبيت كلتاهما !!

٦٤

ملوك يهوذا واسرائيل

« وقد كان ملوك مقتدرون على أورشليم وتسلطوا على جميع عبر النهر وقد أعطوا جزية وخراجا » (عزرا ٤:٢٠)

ملك عدد من الملوك في كلتا المملكتين يهوذا واسرائيل وقد امتدت مملكة إسرائيل الى قيام مملكة أشور عندما سبيت في أيام آخر ملوكها هوشع بن ايلة . أما مملكة يهوذا فاستمرت نحو مئتي سنة بعد ذلك . وبالرغم من ذلك فان عدد الملوك في كلتا المملكتين واحد . فقد كانوا تسعة عشر ملكا أو عشرين اذا حسبنا عثليا أخت الملك أخزيا التي حكمت ست سنوات الى ان كبر يوآش .

ويحسن ان نبدأ بملوك اسرائيل وقد كانوا كلهم أشراراً وقد جاءوا من عدد من الاسر .

أما الأسرة الاولى فهي اسرة يربعام بن نباط اول ملوك الاسرة النباطية . وكان يربعام شريراً جداً وتبعه ابنه ناداب ولم يكن أقل من أبيه شراً .

وانتهت الاسرة النباطية بقيام اسرة جديدة أسرة بعشابن اخيا وهو من بيت يساكر وقد فتن على ناداب وقتله وملك عوضاً عنه . ولما ملك ضرب كل بيت يربعام ولم يبق نسمة ليربعام حتى أفناهم . على أنه هو أيضاً سلك في خطايا يربعام ولذلك أرسل الله نبياً هو ياهو بن حناني أخبره أن مصيره سيكون مصير يربعام ولكنه لم يتعظ — وملك بعده ابنه ايلة ولكن ملكه لم يطل إذ فتن عليه زمري رئيس نصف المركبات . كان ايلة في ترصة يشرب ويسكر فدخل زمري وضربه فقتله وعند تملكه وجلوسه على كرسيه ضرب كل بيت بعشا حتى أفناهم !

أما زمري فملك سبعة أيام . وعندذاك قامت الثورة ضده وملّك الشعب عمري رئيس الجيش ولما رأى زمري حرج مركزه انتحر محترقاً !!

فلما مات زمري انقسم الشعب نصفين النصف وراء تبني بن جينة لتمليكه والنصف وراء عمري وقوى الشعب الذي وراء عمري على الشعب الذي وراء تبني بن جينة . فمات تبني وملك عمري .

وبملك عمري بدأت الأسرة الرابعة وعمل الشر اكثر من سابقيه — ولما مات ملك ابنه اخاب وكان اشر ملوك إسرائيل خصوصاً بعد ان تزوج من ايزابل الشريرة.

وبعد موت أخاب ملك ابنه أخزيا وهذا ملك سنتين وعمل الشر نظير أبيه . وسقط من الكوة ومات وملك أخوه يهورام بعده .

وفي ذلك الوقت جاءت الدعوة لاليشع ليمسح ياهو بن يهوشافاط بن نمشى ملكا على إسرائيل فمسحه ملكا وأوصاه أن يلاشي بيت أخاب وهو اظهر في اول الأمر غيرة لله وقتل جميع نفوس بيت أخاب وقتل جميع كهنة البعل ولكنه عاد

يعمل الشر ،وملك بعده ابنه يهواحاز ،و بعد موت ابنه ملك حفيده يهواش .. وبعد يهواش ملك ابنه يربعام المعروف بيربعام الثاني — في أيام يهواش مات اليشع وتنبأ عاموس في أيام يربعام !

وكان جميع بيت ياهو أشراراً لدى الرب جداً ولذلك عندما ملك زكريا بن يربعام فتن عليه شلوم بن يابيش وضربه أمام الشعب فقتله وملك عوضاً عنه وكان رأس الاسرة السادسة !

غير أن شلوم لم يطل ملكه فقد قام ضده منحيم بن جادي . صعد من ترصة وجاء الى السامرة وضرب شلوم وقتله وملك عوضاً عنه وسلك في طريق الشر كجميع ملوك إسرائيل . ولما مات ملك ابنه فقحيا عوضاً عنه !

وملك فقحيا سنتين وعمل الشر في عيني الرب ، لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطىء ففتن عليه فقح بن رمليا ثالثة وضربه في السامرة وقتله وملك عوضاً عنه !

وملك فقح بن رمليا عشرين سنة وعمل الشر في عيني الرب . وفي أيامه جاء تغلث فلاسر ملك أشور وسبى جانباً كبيراً من الشعب !

وفتن هوشع بن أيلة على فقح فقتله وملك عوضاً عنه . وملك تسع سنوات وكان نظير ملوك إسرائيل وان كان أقل منهم شراً . وصعد عليه شلمنأسر ملك أشور فخضع له هوشع ودفع جزية . لكن ملك أشور وجد فيه خيانة لانه أرسل رسلا الى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية الى ملك أشور حسب كل سنة فقبض عليه وأوثقه في السجن ثم سبى شعب إسرائيل إلى أشور وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي !

وظن بنو إسرائيل أنهم سبوا لانه لم يكن لهم سلاح او لم يكن عندهم جند ولكن الله يعلن أن سبب السبي أنهم سلكوا في جميع خطايا يربعام التي عمل .

لم يحيدوا عنها حتى نحى الرب إسرئيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء فسبى إسرائيل من أرض أشور .

* * *

أما ملوك يهوذا فقد كانوا من أسرة واحدة هي بيت داود وكان منهم الصالح ومنهم الشرير !

أولهم رحبعام بن سليمان وكان ابن إحدى وأربعين سنة حين ملك واسم امه نعمة العمونية وكان ملكا ضعيفاً وشريراً !

وملك بعد رحبعام ابنه ابيام واسم امه معكة ابنة ابشالوم وسار في جميع خطايا أبيه !

ومات أبيام وملك ابنه آسا وملك ملكا طويلا وعمل ماهو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه !

وملك بعد آسا ابنه يهوشافاط وسار في كل طريق آسا ابيه لم يحد عنها إذ عمل المستقيم في عيني الرب !

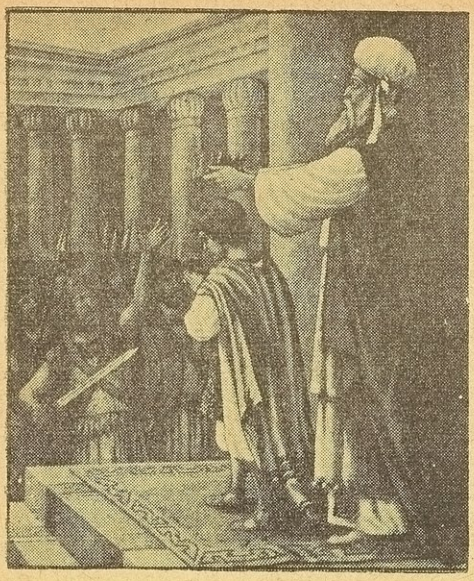
فلما مات يهوشافاط ملك ابنه يهورام الذي سار في طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت أخاب لأن بنت أخاب كانت له إمرأة . وعمل الشر في عيني الرب !

وكذلك اخزيا بن يهورام لما ملك بعد أبيه سار في طريق بيت أخاب وعمل الشر في عيني الرب لأنه كان صهر بيت اخاب . وقد قتل اخزيا بيد رجال ياهو بن نمشى حين كان في زيارته لملك إسرائيل .

فلما رأت عثليا أم اخزيا ان ابنها قد مات قامت فابادت جميع النسل الملكي ولكن يهوشبع أخت الملك وكانت زوجة يهوداع الكاهن خبأت يوآش بن اخزيا فلم يقتل وكان معها في بيت الرب مختبئاً ست سنين وفي السنة السابعة أجلسه يهوياداع على العرش . وكان ملكا صالحاً عمل ما هو مستقيم في عيني الرب كل ايامه التي فيها علمه يهوداع الكاهن !!

فلمـــا مات يوآش ملك ابنه امصيا وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب — وكذلك ابنه عزريا او عزيا سار في طريق أبيه مع الله .

فلما مات عزيا ملك ابنه يوثام وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب . واضطجع يوثام مع ابائه وملك احاز ابنه ولم يعمل المستقيم في عين الرب بل سار في طريق مـــلوك اسرائيـــل حتى انه عبّر ابنه في النار وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التـلال وتحت كل شجرة خضراء !!



يهوياداع الـكاهن المعظيم يمسح يوشيا ملـكا

وملك بعد احاز ابنه حزقيا الذي عمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود ابوه . ثم اضطجع حزقيا مع أبائه وملك منسى ابنه عوضاً عنه . وعمل منسى الشر في عيني الرب وأساء اكثر من ملوك اسرائيل . ولكنه تاب في اخريات حياته !

وملك امون بن منسى بعد موت أبيه وعمل الشر في عيني الرب كما عمل منسى ابوه . وفتن عليه عبيده فقتلوه . وملك يوشيا ابنه عوضاً عنه !

وكان يوشيا ابن ثمان سنين حين ملك . وعمل المستقيم في عيني الرب وسار في جميع طريق داود أبيه . ولم يحد يمينا ولا شمالا . ومات يوشيا في الحرب في موقعة مجدو ، وملك يهواحاز ابنه عوضاً عنه . وكان ملـكا شريراً وقد حمله نخو ملك مصر أسيراً وقد مات في مصر . وملّك الياقيم أخاه عوضاً عنه وغيّر اسمه الى يهو ياقيم

ولم يكن يهوياقيم خيراً من أخيه . ومات يهوياقيم وملك بعده ابنه يهويا كين وفى ايامه جاء ملك بابل وسباه هو و بيته ورؤساء يهوذا وملّك عمه صدقيا . وكان هذا شراً من سابقيه . وقد نصحه ارميا ان يسير مع ملك بابل ولكنه رفض . عندئذ جاء نبوخذناصر واجرى في يهوذا قتلا ونهباً وقتل ابني صدقيا بالسيف امام عينه ثم امر فقلعت عيناه وسيق أسيراً الى بابل . وهكذا سبي شعب يهوذا الى بابل .

٦٥
ابن سليمان

« واما رحبعام بن سليمان فملك في يهوذا. وكان رحبعام ابن احدى واربعين سنة حين ملك . . واسم أمه نعمة العمونية . وعمل يهوذا الشر في عيني الرب » ١مل ١٤ : ٢١، ٢٢

مات الملك سليمان

وملك عوضاً عنه ابنه رحبعام

ولسنا نعلم شيئاً عن اخوته واخواته

ترى هل كان لسليمان ابناء و بنات أم كان رحبعام هو الابن الوحيد؟ فان كان رحبعام ابناً بين ابناء فاننا نتعجب لماذا يعطى الملك وهو ليس اسرائيلياً قحّاً لأن أمه ليست من بني اسرائيل ، هي نعمة العمونية ؟ !

ولم تكن بداية ملك رحبعام بداية طيبة . فقد ثار الشعب عليه بقيادة يربعام ولم يتحكم في معالجة الثورة بالرغم من انه لم يكن صغيراً اذ كان عمره واحداً واربعين سنة حين ملك . وقد انقسمت المملكة بسبب رعونته وضاع منه كل اسرائيل ما عدا سبط يهوذا و بنيامين !

على أن الثورة التي أدت إلى الانقسام حفزته للعناية بما بقى له فقد بنى مدناً

حصينة وجهزها بالقواد والخزائن والطعام والسلاح. وكان له يهوذا و بنيامين. والكهنة واللاويون الذين في كل اسرائيل مثلوا بين يديه من جميع تخومهم. تركوا مسارحهم واملاكهم وانطلقوا إلى يهوذا وأورشليم لأن يربعام و بنيه رفضوهم من أن يكهنوا للرب وأقام لنفسه كهنة للمرتفعات والتيوس والعجول التي عمل . و بعدهم جاء إلى أورشليم من جميع اسباط اسرائيل ليذبحوا للرب إله أبائهم وشددوا مملكة يهوذا وقووا رحبعام بن سليمان ثلاث سنين لانهم ساروا في طريق داود وسليمان ثلاث سنين !

و بدأ رحبعام ينزلق

فطلب نساء كثيرة

اتخذ ثماني عشرة امرأة وستين سرية وولد ثمانية وعشرين ابناً وستين ابنة . وكانت محلة بنت يريموث بن داود وابيجايل ومعكة ابنة ابشالوم بين نسائه المحبوبات واحب معكة اكثر من جميع نسائه وسراريه واقام ابنها أبيا رأساً وقائداً بين اخوته مع انه لم يكن البكر !!

على انه ظل مدة بالرغم من كثرة نسائه يعبد الله فلما تثبتت مملكته وتشددت ترك شريعة الرب هو وكل اسرائيل معه . فتركه الرب لمضايقيه فصعد عليه شيشق ملك مصر بجيش عظيم. واجتمع رحبعام ورؤساؤه في أورشليم من وجه شيشق وهناك جاء اليهم شمعيا النبي وقال لهم هكذا قال الرب . انتم تركتموني وأنا ايضاً تركتكم ليد شيشق ـ فتذلل رؤساء اسرائيل والملك وقالوا بارّ هو الرب . ورقّ الله وعطف عليهم وكان كلام الرب إلى شمعيا ، قد تذللوا فلا أهلكهم بل أعطيهم قليلاً من النجاة ولا ينصب غضبي على أورشليم بيد شيشق. لكنهم يكونون له عبيداً و يعلمون خدمتي وخدمة ممالك الاراضي !

فصعد شيشق ملك مصر على أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ، اخذ الجميع واخذ اتراس الذهب التي عملها سليمان .

وكان حزن رحبعام عظيماً لضياع اتراس الذهب فعمل اتراساً من نحاس وسلمها الى أيدي رؤساء السعاة الحافظين باب بيت الملك، وكان اذا دخل الملك بيت الرب يأتي السعاة ويحملونها ثم يرجعونها الى غرفة السعاة !

ولما تذلل رحبعام ارتد عنه غضب الرب فلم يهلكه تماماً !

وكذلك كان في يهوذا أمور حسنة .

* * *

والآن في أي قائمة نضع رحبعام ؟

لا نعلم باليقين ! !

٦٦

الملك آسا

« وعمل آسا ما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه » ١ مل ١٥ : ١٠

الملك آسا ثالث ملوك يهوذا وقد عمل ما هو صالح ومستقيم في عيني الرب إلهه ونزع المذابح الغريبة والمرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وقال ليهوذا أن يطلبوا الرب إله ابائهم وان يعملوا حسب الشريعة والوصية !

واستراحت الارض !

لكن راحتهم لم تطل !

فقد خرج اليهم زارح الكوشي بجيش بلغ الف الف، وبمركبات ثلاث مئة. كانت كل الظروف تدل على أن يهوذا لا يستطيع أن يقف أمام ذلك الجيش الكبير . ولكن آسا عرف أين يجد القوة التي تجعله لا يهاب جيش زارح . فقد

دعا الرب إلهه وقال أيها الرب ليس فرقاً عندك أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة . فساعدنا أيها الرب الهنا لأننا عليك اتكلنا. وباسمك قدمنا على هذا الجيش. أيها الرب أنت الهنا . لا يقوَ عليك انسان !

وتمجد الله ! !

ضرب الرب الكوشيين أمام آسا وأمام يهوذا !

وطردهم آسا والشعب الذي معه !

وعادوا يحملون غنيمة كبيرة !

وخرج عزريا بن عوديد النبي للقاء آسا وقال له ، اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا و بنيامين ، الرب معكم ما كنتم معه وأن طلبتموه يوجد لكم وان تركتموه يتركم. لاسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق و بلا كاهن معلم و بلا شريعة . ولكن لما رجعوا عند ما تضايقوا الى الرب إله اسرائيل وطلبوه وجد لهم . وفي تلك الازمان لم يكن أمان للخارج ولا للداخل لان اضطرابات كثيرة كانت على كل سكان الاراضي . فأفنيت أمة بأمة ومدينة بمدينة لأن الله أزعجهم بكل ضيق . فتشددوا أنتم ولا ترتخ أيديكم لان لعملكم اجراً !

فلما سمع آسا كلمات عوديد تشدد ونزع الرجاسات من كل أرض يهوذا و بنيامين وجدد مذبح الرب . واجتمع هو والشعب في أورشليم ودخلوا في عهد أن يطلبوا الرب إله اباءهم بكل قلوبهم . . وكان فرح عظيم !

وسارت الأمور طيبة مدة طويلة . كان سلام الى السنة الخامسة والثلاثين لملك آسا . وفي السنة السادسة والثلاثين صعد بعشا ملك اسرائيل على يهوذا ، فلم يتجه يهوذا الى الله كما فعل قبلاً بل ارسل إلى بنهدد ملك آرام الساكن في دمشق يستعديه على ملك اسرائيل ، واعطاه فضة وذهباً من خزائن بيت الرب و بيت الملك. فأرسل بنهدد رؤساء الجيوش التي له وضربوا مدن اسرائيل !

وفي ذلك الزمان جاء حناني الرائي الى آسا ملك يهوذا وقال له ، من اجل انك استندت على ملك آرام ولم تستند على الرب الهك لذلك قد نجا جيش ملك آرام من يدك . ألم يكن الكوشيون واللوبيون جيشاً كثيراً بمركبات وفرسان كثيرة جداً. فمن أجل انك استندت على الرب دفعهم ليدك. لان عيني الرب تجولان في كل الارض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه . فقد حمقت في هذا حتى أنه من الآن تكون عليك حروب !

فماذا عمل ذلك الملك الطيب لما سمع هذه الكلمات ؟

انه لم يعترف بخطأه ولم يندم ولكنه تكبر وحمق فغضب على الرائي ووضعه في السجن لانه اغتاظ منه من أجل هذا !

بل تغيرت معاملته للشعب فقد ضايق آسا بعضاً من الشعب في ذلك الوقت .

ولا شك أن الله « حزن » وهو يرى آسا الصالح يجنح الى الكبرياء والشر فأرسل له انذاراً آخر . اصابه مرض في رجليه فلم يتواضع بل تمرد . واشتد مرضه وفي مرضه لم يطلب الرب بل الاطباء !! !

ولقد كنا نود أن يختم حياته ختاماً طيباً كبدء حياته ولكن الرائحة العطرة الوحيدة التي نشتمها في ختام حياته كانت في سرير موته فانه عند ما مات دفنوه في قبوره التي حفرها لنفسه في مدينة داود واضجعوه في سرير كان مملوءاً اطياباً واصنافاً عطرة !!

٦٧

صديق اخاب

«وكان ليهوشافاط غنى وكرامة بكثرة .
وصاهر أخاب» (٢ ايام ١٨ : ١)

كان يهوشافاط بن آسا ملكاً تقياً وكان الرب معه لأنه سار في طريق داود ابيه الاولى ولم يطلب البعليم . ولم يكتف أن يسلك هو في طريق التقوى ، فارسل

مبشرين ووعاظاً في يهوذا ليعلموا الشعب ومعهم سفر شريعة الرب ! !

وقد باركه الرب فأراحه من أعدائه حواليه وكان له غنى وكرامة بكثرة !

كانت صحيفة يهوشافاط نقية فيما عدا شيء واحد، فقد صادق أخاب وصاهره. زوّج ابنه من ابنة أخاب وارتبط الاثنان بعهد . ولقد تساءل الكثيرون كيف أمكن أن تقوم صداقة بين يهوشافاط الصالح واخاب الشرير ؟ ولئن كنا نلومه من أجل تلك الصداقة ، فاننا لا يمكن أن ننسى انه احتفظ بولائه لله طول الوقت !

حدث في زيارة يهوشافاط الاخيرة لأخاب أن الأخير تحدث معه عن ملكية اسرائيل لراموت جلعاد ، ودعاه للنزول معه لمحاربة آرام واستجاب يهوشافاط للدعوة . ولكنه طلب من ملك اسرائيل أن يسأل عن كلام الرب . فجمع ملك اسرائيل الأنبياء ، أربع مئة رجل وقال لهم : « أنذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع ؟» فقالوا : « اصعد فيدفعها الله ليد الملك » . غير أن يهوشافاط لم يسترح إلى أقوال أولئك الأنبياء ، إذ كانوا أنبياء للبعل . فقال : « اليس هنا أيضاً نبي للرب فنسأل منه ؟ » وأجاب أخاب : « بعد رجل واحد لسؤال الرب به ولكنني أبغضه لأنه لا يتنبأ علي خيراً بل شراً كل أيامه وهو ميخا بن يملة !» أما يهوشافاط فعتب على أخاب قوله عن النبي وطلب ان يستدعى !

وذهب الرسول إلى ميخا واخبره ان كلام جميع الأنبياء بفم واحد خير للملك، وطلب أن يكون كلامه كواحد منهم . وأجاب ميخا انه لا يقول إلا ما يأمره به الرب . فلما جاء إلى الملك قال له يا ميخا أنذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع ؟ وقال ميخا ساخراً ، اصعدوا وافلحوا فيدفعوا ليدكم ! ولكن أخاب ، وقد أدرك سخريته ، قال له كم مرة استحلفتك ألا تقول إلا الحق . نعم طلب منه ان ينبئه بالحق ، ولكنه لم يكن يقبل ذلك الحق . كان يطلب ان يتفق الحق مع رغباته . وكان يكرهه لأنه لا يتنبأ عليه خيراً بل شراً !!

وها هو ميخا يتنبأ بالمصير السيء للشعب المحارب. اما كلام الأنبياء الاربعمئة فقد اعلن ميخا انه كلام كذب وان الله سمح به لأغواء أخاب . اما الحقيقة فهي ان الله تكلم عليه بشر !

وغضب أخاب وقال، خذوا ميخا وردّوه إلى آمون رئيس المدينة وإلى يوآش ابن الملك وقولوا ، هكذا يقول الملك ضعوا هذا في السجن وأطعموه خبز الضيق وماء الضيق حتى ارجع بسلام . واجاب ميخا إن رجعت رجوعاً بسلام فلم يتكلم الرب. وقال اسمعوا ايها الشعوب اجمعون !!

ولسنا هنا في معرض الحديث عن أخاب والنبوة الخاصة به ، ولكننا بصدد يهوشافاط . ويدهشنا ان يهوشافاط بعد ان سمع كلام النبي لم يترك أخاب ويرجع إلى بيته . بل ذهب معه إلى حرب علم بنتيجتها السيئة مقدماً !

بل انه ارتضى ان ينزل إلى ميدان القتال في لباس الملك ، بينما تنكر أخاب في لباس قائد من القواد !

وهجم جيش آرام على يهوشافاط اذ ظنوا انه ملك اسرائيل ، فصرخ وساعده الرب وحوّلهم الله عنه ! !

وقتل أخاب في المعركة ولحست الكلاب دمه في حقلة نابوت حسب قول الله. وعاد يهوشافاط الى بيته دون ان يقطع علاقته بذلك البيت البغيض . لم يصغ يهوشافاط الى صوت ميخا وهو يوبخ اخاب ، ولم يصغ الى صوت المعركة وقتل اخاب بالرغم من تنكره ، فأرسل الله اليه صوتاً آخر هو صوت ياهو بن حناني الرائي الذي عرفناه في ايام بعشا وقال ليهوشافاط ، اتساعد الشرير وتحب مبغضي الرب . فلذلك الغضب عليك من قبل الرب . ولكن رحمة الله لا تتركك لأنه وجدت فيك امور صالحة ولأنك هيأت قلبك لطلب الله !

ويبدو ان الملك لم يقطع صلته ببيت اخاب فجاءه صوت آخر أشدّ من الاصوات السابقة . هجم على بلاده جيش غفير من المؤآبيين والعمونيين فخاف

ولكنه لم يتجه الى بيت أخاب . او لعله اتجه ولكنهم لم يجدوه ، فجعل وجهه ليطلب الرب ، ونادى بصوم في كل يهوذا . واجتمع الشعب في أورشليم ووقف يهوشافاط بينهم ، وصلى لله ، يارب اله آبائنا أما أنت هو الله في السماء وأنت المتسلط على جميع ممالك الامم وبيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك . ألست أنت الهنا الذي طردت سكان هذه الارض من أمام شعبك اسرائيل وأعطيتها لنسل ابرهيم الى الابد ؟ فسكنوا فيها وبنوا لك فيها مقدساً لاسمك قائلين اذا جاء علينا شرّ سيف ، قضاء ، أو وباء أو جوع ووقفنا أمام هذا البيت وأمامك لان اسمك في هذا البيت وصرخنا اليك من ضيقنا فانك تسمع وتخلّص والآن هو ذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير الذي لم تدع اسرائيل يدخلون اليهم حين جاءوا من أرض مصر بل مالوا عنهم ولم يهلكوهم فهوذا هم يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذي ملكتنا اياه . يا الهنا اما تقضي عليهم لانه ليس فينا قوة امام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا

وحل روح الرب على يحزئيل بن زكريا بن بنايا بن يعيئيل بن متنيا اللاوي من بني آساف فوقف بين الجماعة وقال اصغوا يا جميع يهوذا وسكان اورشليم وايها الملك يهوشافاط . هكذا قال الرب لكم لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لان الحرب ليست لكم بل لله . غداً انزلوا عليهم . . . . ليس عليكم ان تحاربوا في هذه . قفوا اثبتوا وانظروا خلاص الرب معكم . . لا تخافوا ولا ترتاعوا . . . الرب معكم ـ ولما سمع يهوشافاط وكل يهوذا هذا الكلام سقطوا أمام الرب سجوداً للرب ثم قامت فرق التسبيح وسبحوا لله بصوت عظيم ! !

وبكروا في الصباح وخرجوا لقاء الاعداء وعند خروجهم وقف يهوشافاط وقال اسمعوا يا يهوذا وسكان اورشليم آمنوا بالرب الهكم فتأمنوا . آمنوا بانبيائه فتفلحوا . .

واعطى الله يهوذا نصرة عظيمة.

وكان ينتظر ان يهوشافاط بعد كل هذا يقطع كل صلة له ببيت أخاب . لكنه ابقى ربط المودة فاتحد مع اخزيا ملك اسرائيل الذي أساء في عمله . اتحد معه في عمل سفن تسير الى ترشيش وعملاها في عصيون جابر . لكن السفن تكسرت وارسل له الرب نبياً يقول ، لانك اتحدت مع اخزيا قد اقتحم أعمالك فتكسرت السفن ولم تستطع السير الى ترشيش !

كان يهوشافاط ملكاً صالحاً . وقد احتفظ بعلاقته بالله بالرغم من صداقته لبيت أخاب ور بما ظن أن لا ضرر عليه من هذه الصداقة فقد ظل أميناً لالهه طول الوقت ولكن

ولكن يهوشافاط أساء كل الاساءة بهذه العلاقة

فلئن لم تستطع تلك الصداقة ان تقطع علاقته بالله ، فقد استطاعت ان تفصل ابنه عن الله

واضطجع يهوشافاط مع آبائه

وملك يهورام ابنه عوضا عنه

وسار يهورام في طريق ملوك اسرائيل كما فعل بيت أخاب لان بنت أخاب كانت له امرأة وعمل الشر في عيني الرب !!!

٦٨

زعيم الثورة

« فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب . . .
وكان هذا الامر خطية» ١ مل ١٢ : ٢٨ و ٣٠

أول ملوك المملكة الشمالية رجل من غير بيت الملك . هو رجل عصامى أنشأ نفسه . بدأ عاملا وظل يتدرج في معارج الرقي حتى صار رئيسا لجميع بيت يوسف . ولقد كانت رآسته للعمال المدرسة التي تلقى فيه المبادى الأساسية للحكم

ولا بد انه كان فوق مقدرته الادارية طموحاً يتطلع إلى المراكز العالية كاهداف حقيقية لا أحلام خيالية . والا فهل كان يمكن لعامل أن يرتفع ويرتفع حتى يصير رئيساً عاماً لجميع العمال من سبط افرايم ومنسى ؟

ونحن لا نعلم هل فكر في الملك أم لا ؟ ولكننا نكاد نجزم انه فكر كثيراً في فساد الحكم . فقد نشأ عاملا كما قلنا وذاق مرارة الفقر ، وأبصر حوله الفقراء ، الذين ساقهم سليمان كالانعام ، لا يملكون طعام يوم ولا يأكلون إلى الشبع ، ولا يعرفون ماهي الثياب الناعمة ، وجلهم من الحفاة . هذا في الوقت الذي تحفل فيه مائدة سليمان بالعجول المسمنة والخراف والبط والأوز واليحامير والدقيق والسمن. وكان اذ يتطلع إلى قصور سليمان وإلى نسائه يثور على الفروق الاجتماعية. لماذا يسكن سليمان في بيت من الارز ولماذا ينام على سرر من ذهب ويتمدد على فراش من حرير ويأكل السمين ويشرب الطيب والألوف حوله يموتون من الجوع ومن البرد ولا يجدون إلا الخرائب يقيمون فيها ؟ لا بد أن صدر يربعام كان ميداناً لثورة جامحة ، ولا بد انه كان يهمس لنفسه عن المظالم والفساد والرشوة . وربما فكر في انه اذا اتيحت له الفرصة ان يجلس عن العرش فسيقضي على الفساد وسيزيل الفروق الاجتماعية . لقد استطاع سليمان ان يجعل الفضة في أورشليم مثل الحجارة وجعل الارز مثل الجميز الذي في السهل في الكثرة ، ولكن فقراء الشعب كانوا يرون هذه بعيونهم ولا يستطيعون أن يلمسوها بأيديهم . أما هو فسيجعل كل شيء في متناول الجميع !

وفي أحد الايام كان خارجاً من أورشليم ليتمشى في الحقل ، وكان عليه ثوب جديد ولا نعلم غايته من السير . ربما كان في طريقه لمقابلة بعض المتذمرين الشاكين الذين اضطروا إلى ان يهمسوا بشكاياتهم . أو ربما كان النبي أخيا الشيلوني قد أرسل اليه يطلب مقابلته لأمر هام . لا نعرف لماذا كان يسير نحو الحقل ، ولا يهمنا كثيراً ان نعرف . ولكننا نقف متعجبين أمام الثوب الجديد . هوذا عامل يلبس

ثوباً جديداً. وقد استرعى الثوب الجديد كاتب القصة فذكره . ان الثوب الجديد شيء كبير في حياة العامل. فهو ينظر اليه كحادث تاريخي هام ، تعين به التواريخ الأخرى . فابنهم الثالث مثلاً ولد قبل شراء الثوب الجديد باسبوع . وقد زاد ما يتقاضاه من العمل خمسة مليمات يوميا بعد شراء الثوب الجديد بخمسة أيام. وسيظل اسمه الثوب الجديد حتى يغسل للمرة الأولى وذلك بعد ثلاثة شهور أو ستة أو سنة !!

وحدث حادث للثوب الجديد !!

قبض النبي أخيا الشيلوني على الثوب وقطعه إلى اثنتى عشر قطعة . نعم قبل أن يستفيق يربعام الى نفسه أبصر ثوبه الجديد اثنتى عشرة قطعة ، وكان ارتياعه عظيما . وهنا تكلم النبي كلاما غريبا لفت نظر يربعام فنسى الثوب . تكلم باسم الله طالبا من يربعام ان يختار لنفسه عشر قطع لانه سيكون ملكا على عشرة أسباط وان الله سيمزق المملكة من سليمان بسبب شره ولن يبقى لابن داود إلا سبطين !

اذن ليذهب الثوب غير مأسوف عليه !

ولم يستطع يربعام أن يصبر. انه يتعجل الأمور. ولكن الترتيب الالهي لابد أن يتم. يعلم الملك بمؤامرة يربعام فيطلب أن يقتله فيهرب الى مصر ويبقى هناك الى أن يموت سليمان . ويعود بعد موت سليمان ليتزعم الثورة ضد الابن. يتزعمها حكيما متزنا يتظاهر انه لايبغي الا اصلاح أداة الحكم. انه يلتمس من رحبعام بن سليمان أن يترفق بالشعب ولكن رحبعام يقسو !

كانت الثورة في قلب يربعام !

وكانت في قلب كل فرد من أفراد الشعب المظلوم !

لم يكن ينقصها الا شرارة !

وقد انطلقت الشرارة !

فانفجر مرجل الثورة !

وهتف الجمهور !

أي قسم لنا في بيت داود !؟
وأي نصيب في ابن يسى ؟!
الى خيامك ياسرائيل !

* * *

واحتاط القوم بير بعام
ومسحوه ملكا .

* * *

ها قد تحققت أحلام ير بعام وجلس على العرش. ولكنه لم يكن الا ملكا آخر نظير الملك الذي كان يشكو منه

يغلب انه بدأ ملكه بتخفيف النير عن الشعب ولكن التزامات الدولة اضطرته ان يقسو ويثقل النير ويطلب الضرائب وهكذا خلع ملك من العرش ليجلس على العرش ملك نظيره !

ولم يشغل الشعب قلب ير بعام !

ولا فكره !

لقد انشغل قلبه وفكره بشخصه !

انه يحاول أن يحيط عرشه بسياج من وقاية . لا يهمه ارتاح الشعب أم تعب ، سعد أم شقي. بل انه في سبيل وقاية عرشه أتى اثماً شنيعاً وجرّ وراءه كل اسرائيل إلى هاوية لا قرار لها !

بنى ير بعام شكيم في جبل افرايم وسكن بها
ثم خرج من هناك و بنى فنوئيل !
وقال ير بعام في قلبه :
الآن ترجع المملكة إلى بيت داود !

ان صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلونني ويرجعوا إلى رحبعام ملك يهوذا !

والعجب أن تخطر مثل هذه الافكار في قلبه خصوصاً بعد أن اخبره أخيا النبي عن سبب انقسام المملكة وبعد أن وعده أن يثبت ملكه .

لقد كان مشغولاً !

كيف ينقى هذا الشر الداهم ؟

فكر لنفسه !

واستشار !

وما كان أغناه عن التفكير والمشورة . لقد اخبره النبي بكلمات واضحة عن الاساس الذي يبني عليه ملكا مستقراً ناجحاً دائماً . ألم يخبره أن سليمان قد حكم على ملكه بالانحلال والانقسام لانه هو وشعبه قد تركوا الرب وسجدوا لآلهة الأمم ؟ ألم يقل له « فاذا سمعت بكل ما أوصيك به وسلكت في طرقي وفعلت ماهو مستقيم في عيني وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي اكون معك وأبني لك بيتاً آمناً كما بنيت لداود واعطيك اسرائيل وأذل نسل داود من اجل هذا !؟؟

انك تستطيع يابربعام أن تقيم سياجاً أميناً للملكك اذا سرت مع الله !

ولكن يربعام لا يرى هذا !

ولا يصدق هذا !

ان هذا كلام منابر !

ان الواقع غير ذلك !

ان الأمر يتطلب سياسة وتدبيراً !

هاهو يفكر !

وهاهو يستشير !

ويخرج من استشارته بتدبير شرير !

فيعمل عجلي ذهب ويقول للشعب انه يشفق عليهم من تعب السفر إلى أورشليم والمشقة التي يكابدونها ولماذا يفعلون ذلك « هوذا آلهتك ياإسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر » — ووضع واحداً في بيت إيل والآخر في دان !

وسرّ الشعب من ذلك !

ان عبادة العجل مريحة !

آه لو عرفوا أي ثمن دفعوه في تلك الراحة !

في سبيل عرشه طوح يربعام بنفسه وبشعبه إلى قرارة الهلاك !

* * *

لم يصغ يربعام إلى صوت الرب الذي أرسله على فم أخيا . فارسل له صوتاً ثانياً. جاء رجل الله من يهوذا الى بيت إيل بكلام الرب ويربعام واقف امام المذبح لكي يوقد فنادى نحو المذبح بكلام الرب وقال :

يامذبح يامذبح

هكذا قال الرب

هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا

ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك

واعطى في ذلك اليوم علامة قائلا هذه هي العلامة التي تكلم بها الرب .

هوذا المذبح ينشق ويذرّى الرماد الذي عليه

سمع الملك هـذا الكلام فغضب غضباً عظيما ومد يده يقول أمسكوه وأتوا به إليّ لكي ينال عقاباً صارماً يجعله عبرة لكل أحمق تسول له نفسه ان يتكلم في وجه الملك !! لكن ماهذا ؟ ان يد الملك تتحول في لحظة الى كتلة جامدة . يبست يده

التي مدّها ولم يستطع أن يردها اليه . وفي نفس الوقت انشق المذبح وذرى الرماد من على المذبح حسب العلامة التي اعطاها رجل الله بكلام الرب !

وتواضع الملك

وتضرع إلى رجل الله أن يصلي من اجله حتى يرد الله يده صحيحة كما كانت . وصلى النبي وعادت يد الملك كما كانت . ولكنه لم يرجع عن شره . كل ما عمله انه عرض على النبي أن يأتي إلى بيته ويجلس على مائدته ويقبل أجرة من الملك !

أما النبي فرفض ان يدخل بيت الملك ، ورفض ان يأكل طعامه ، ورفض ان يتناول منه أجرة . انه رسول من قبل الله ، والله قد رسم له طريقه وهو لن يحيد عنها . وينطلق النبي في سبيله . ويستمر يربعام في خطيته !

يالقساوة قلبه

كلمات النبي لم تحركه

يبوسة يده وشفاؤها لم يكن لهما إلا أثر وقتي

انشقاق المذبح لم يحركه

وتذرية الرماد الذي عليه لم يدفعه إلى الايمان

كان هذا صوتاً عالياً

ولكن أذن يربعام كانت صماء

* * *

وجاء صوت ثان

مرض ابن يربعام مرضا خطيراً ووصل إلى حافة الموت . ولابد ان أطباء كثيرين عالجوا الأمير واستخدموا مختلف العقاقير ولكنه لم يتحسّن بل استمرت حالته تتأخر !

وهنا ذكر يربعام الله

وذكر نبي الله أخيا

لكن هل يستطيع ان يواجه الله بعد كل ما أتاه

وهل يستطيع أن يواجه خادمه أخيا

لقد بقي عنده شيء من الحياء

فهو لا يستطيع أن يذهب إلى النبي و يسأله

ولذلك يرسل زوجته

و يطلب منها أن تتنكر فتلبس لباس عامة الشعب وتأخذ هدية العامة وتذهب إلى أخيا . وأخيا لن يعرفها لانه أعمى لا يبصر . كان قد شاخ وكلّت عيناه

مسكين يربعام

انه يظن انه يستطيع أن يخدع الله و يظن انه اذا لم يبصر أخيا امرأة يربعام فان الله لن يراها

ولكن الله يرى كل شيء

وقد رأى امرأة يربعام

وكشف أذني أخيا وأخبره عن مجيء امرأة يربعام . فلما سمع حس خطواتها نادى أدخلي يا امرأة يربعام لماذا تتنكرين وأنا مرسل اليك بقول قاس .

اذهبي قولي ليربعام هكذا قال الرب إله اسرائيل من اجل اني رفعتك من وسط الشعب وجعلتك رئيساً على شعبي اسرائيل وشققت المملكة من بيت داود واعطيتك اياها ولم تكن كعبدي داود الذي حفظ وصاياي والذي سار ورائي بكل قلبه ليفعل ماهو مستقيم فقط في عيني . وقد ساء عملك اكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك الهة اخرى ومسبوكات لتغيظني وقد طرحتني وراء ظهرك . لذلك هأنذا جالب شراً على بيت يربعام ... وأخبر النبي عن مدى ذلك الشر وانه سيفني بيت يربعام و يلاشيه . وان الابن المريض سيموت بمجرد وصولها إلى البيت .

وعادت امرأة يربعام حزينة مكسورة القلب. كانت تعلم ان كل خطوة تخطوها الى البيت تقرّب زمن موت ابنها. وحالما وصلت الى عتبة الباب مات الغلام !

فهل انحنى يربعام وهل عاد نادماً إلى الله وهل طلب وجهه ؟ كلا . بل سار في طريقه وانغمس في شروره . وحارب حروباً ونال انتصارات وجمع أموالا وكدس كنوزاً وظن انه ملك ناجح . وجاء اليوم الذي انحنى فيه يربعام امام سلطان الموت

مات يربعام

وترك المملكة التي باع الله من أجلها !

ترك المال والشهرة والمقام والمواكب !

ترك كل شيء

ودفنوه، فاحتلت عظامه بقعة صغيرة جداً من الارض. كانت جثّته في أول الأمر تملأ القبر، ولكنها جعلت تنكمش وتنكمش الى ان تلاشت . وفى أحد الايام كان قبر لا شيء فيه

كان هذا « اللّاشيء » يربعام

لقد انتهى

لكن هل انتهى حقاً ؟

بل بقى له ذكر . ولكنه كان ذكراً ، الفناء أفضل منه . فقد سجل التاريخ اسمه « يربعام الذي جعل اسرائيل يخطىء » ! وكان التاريخ اذا ما اراد ان يدون سجل ملك شرير يقول «سلك في طريق يربعام بن نباط الذي جعل اسرائيل يخطىء !»

وذلك البيت الذي حاول يربعام أن يقيمه ، وبذل كل شيء في سبيله، وباع الله وولاءه لله من اجله ، ذلك البيت هدمه أحد رجاله، بعشا بن أخيا ، اذ فتن على ابنه الملك ناداب وأماته . وملك عوضا عنه . ولما ملك ضرب كل بيت يربعام ولم

يبق نسمة ليربعام حتى افناهم حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبده أخيا الشيلوني !

قال الله أنا اكرم الذين يكرمونني!
والذين يحتقرونني يصغرون !

٦٩
ايزابل

«وعمل اخاب بن عمري الشر في عيني الرب اكثر من جميع الذين قبله . وكأنه كان أمراً زهيداً سلوكه في خطايا يربعام بن نباط حتى اتخذ ايزابل ابنة اثبعل ملك الصيدونيين امرأة . وسار وعبد البعل وسجد له »
(١مل ١٦: ٣٠ و٣١)

كان في بلاد فلسطين ملك اسمه أخاب ورث الملك عن أبيه عمري وكان الأب شريراً أساء اكثر من جميع الذين سبقوه وسار في طريق يربعام بن نباط .

وورث أخاب من أبيه شروره وزاد عليها . بل لم يكفه أن يأتي آثام يربعام فاستعاد شرور الأمم الاخرى وتزوج من ايزابل ابنة اثبعل ملك الصيدونيين !

وكانت ايزابل فتاة جميلة الصورة وقوية الشخصية ، فقبضت على أخاب بيد من حديد ، وسيّرته في الطريق الذي اختطته لملاشاة عبادة يهوه وتثبيت عبادة بعل ! !

كان أول ما عملته بالطبع اعلان بعل الهاً لأسرائيل ، وأعطاء كهنته مكاناً فى القصر الملكي، واعتبار عبادة يهوه محرّمة ، وتصيّد كهنته وأنبيائه لقتلهم ـ وقامت

البلاد عن بكرة أبيها تهدم مذابح الله وتقتل أنبياءه ، ولم يستطع ان يفلت من يد ايزابل إلا سبعة آلاف كل الركب التي لم تجث لبعل !

بل أن هؤلاء الآلاف السبعة لم يستطيعوا ان يظهروا فاختبأوا فى مختلف الأمكنة وقد خبأ عوبديا أحد مستشاري الملك من هؤلاء مئة من الانبياء ، وكان يعولهم بخبز وماء في سني المجاعة !

على انه في وسط هذه الاصنامية ارتفع صوت نبي عظيم هو ايليا التشبي من مستوطني جلعاد . لم يخش ايليا أخاب ، ولم يخش زوجته ، بل نادى بصوت عال ، حي هو الرب إله اسرائيل الذي وقفت أمامه انه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين الا عند قولي !

وامتنع المطر عن البلاد ثلاث سنين وستة أشهر الى أن طلب ايليا أن ينزل المطر . فهل أصغى أخاب الى صوت الله الذي ينبهه الى لزوم العودة الى العبادة الحقة والسلوك بمقتضى الكمال والبر ؟ هل أرسل يستدعى ايليا و يطلب منه الارشاد الى طريق الله ؟ نعم أرسل يبحث عن ايليا لا ليتعلم منه عن طريق التوبة بل لكي يقتله و ينهي بذلك مجموعة أنبياء الله ! أرسل رسله الى كل أمة وكل مملكة و يستحلفهم ما اذا كانوا قد خبأوه !

و بعد ثلاث سنين ونصف وقف ايليا امام أخاب وقال أخاب لايليا ، أأنت هو مكدر اسرائيل ؟ لقد ظن أخاب ان ايليا هو سبب الجدب ، ولكن ايليا أعلن له انه هو (أخاب) و بيت أبيه هم مكدرو اسرائيل بتركهم وصايا الرب. وعلى جبل الكرمل شهد ايليا لالهه ولقوة الهه شهادة جعلت جميع افراد الشعب ينحنون قائلين الرب هو الله الرب هو الله . فهل ندم أخاب وعاد الى الله. لقد تأثر ولكن الزوجة الشريرة لم تتركه لتأثيراته الطيبة فعاد الى شره !

وظلت ايزابل تسيّر أخاب في الطريق المعوج حتى لقى حتفه في الحرب ولحست الكلاب دمه...

٧٠

غربان الله

« قد أمرت الغربان ان تعولك هناك » ١ مل ١٧: ٤

أجدبت أرض إسرائيل وأحس بوطأة الجوع كل الشعب من الملك إلى ساكن الكوخ — وكان جدبها قصاصاً من الله للشعب الذي تركه !

أما عبد الله إيليا فقد اهتم به سيده وأرسله الى جوار نهر الكريت وأخبره أنه أمر الغربان أن تعوله . ولعل ايليا انذهل في أول الامر وهو يسمع عن غربان تعوله . ان عهده بالغربان أنها تخطف الطعام وتلتهمه. أما انها تحمله لتطعم به آخرين فأمر لم يسمع بمثله من قبل، لكن هذا ما حدث . بينما كان جالساً بجوار النهر اذا به يلمح غراباناً في الجو تطير نحوه حتى إذا ما وصلت الى مكانه ألقت بجواره رغيفاً من الخبز و بعض قطع من اللحم، وتكرر هذا عدة أيام أو عدة أسابيع الى أن جف ماء النهر الذي كان يشرب منه !

ولقد أنكر البعض القصة وقالوا أن أحداً لم يسمع أن غراباناً تطعم بشراً وادّعوا أن القصة من نسج الخيال . وقال غيرهم أن القصة قد تكون صحيحة فقط بتحريف بسيط في حروف الكلمة ، فالكلمة غربان يمكن أن تكون عربان وهم جماعة العرب المتبدين وهم يشبهون الغربان في الخطف .

أما نحن، وقد اختبرنا الله وآيات الله ، فاننا نصدق القصة بحروفها ونؤمن أن الله أرسل غربانه فأطعمت ايليا في زمن الجدب . ألم يسبق له أن أطعم الشعب مناً من البرية وعسلاً من صخرة الصوان ؟ ؟ !

٧١

بستان الدم

« ولما سمع أخاب أن نابوت قد مات قام أخاب لينزل الى كرم نابوت اليزرعيلي ليرثه . . . فكان كلام الرب الى ايليا التشبي قائلا قم انزل للقاء أخاب . . . وكلمه قائلا هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضاً »
١ مل ٢١ : ١٦ — ١٩ .

كان للملك أخاب قصر كبير في يزرعيل تحيط به البساتين ، وكان آية في الجمال والروعة . وقد ضم اليه بساتين كثيرة اشتراها من أصحابها او أخذها منهم . وكان بالقرب من قصره كرم لرجل اسمه نابوت من مستوطني يزرعيل . وطلب أخاب من نابوت أن يعطيه كرمه ليكون له بستان بقول ووعد أن يعطيه عوضه كرما أحسن منه او اذا حسن في عينيه يعطيه ثمنه فضة !

أما نابوت فارتاع لمجرد التفكير في الانفصال عن كرمه . لقد ورثه من أبيه وورثه أبوه من أبيه وهكذا . ولذلك أجاب أخاب قائلا : حاشا لى من قبل الرب أن أعطيك ميراث ابائي . ولعل الرجل كان جلفاً في جوابه وغير مهذب ، وعبارته لم تكن لائقة أمام الملك ، ولكنه معذور بحكم بيئته وعقيدته أن بيع ميرات الآباء إثم وخطية .

و بعد فليس أخاب في حاجة الى الكرم . ان له عشرات الكروم الجميلة ولن يضيره إذا بقى لنابوت كرمه الواحد .

ولكن أخاب لم ينظر الى الامر بهذه النظرة . لقد أحسّ أنه أتعس أهل الارض . وانه مسكين و بائس . ودخل بيته مكتئباً مغموماً . واضطجع على سريره وحوّل وجهه ولم يأكل خبزاً ! !

يا للعجب !

ان من يراه يظن أن أعظم كارثة حلّت به وأن حرمانه بعدم الاستيلاء على كرم نابوت يفوق حرمان الجياع والعرايا . وهكذا يفعل الطمع في النفوس . انه يلد جوعاً في النفس يعتبر جوع الفقراء بالنسبة له شبعاً وريّا .

وعلمت ايزابل بغم زوجها فجاءته تسأل لماذا روحك مكتئبة ولا تأكل خبزاً .

فقال لها لاني كلمت نابوت اليزرعيلي وقلت له أعطني كرمك بفضة واذا شئت أعطيتك كرماً عوضه . فقال لا اعطيك كرمي

وضحكت ايزابل ضحكة ساخرة وقالت اعجب ما اذا كنت أتحدث الى الملك . أأنت الآن تحكم على إسرائيل . قم كل خبزاً وليطب قلبك . أنا اعطيك كرم نابوت اليزرعيلي

وقام اخاب واكل !

كان يعلم أن زوجته تستطيع ما لا يستطيعه هو

أما هي فارسلت الى شيوخ يزرعيل تأمرهم بملاشاة نابوت . كتبت الرسائل باسم الملك وختمتها بخاتمه وقالت فيها

نادوا بصوم !

وأجلسوا نابوت في رأس الشعب !

وأجلسوا رجلين من شرار الناس تجاهه ليشهدوا قائلين قد جدفت على الله وعلى الملك !

ثم أخرجوه !

وارجموه !!

بالسخرية الاقدار !

ايزابل تهتم بالله ؟ !

و بخطية التجديف على الله ؟!!

و بتفاصيل المحاكمات كما رسمها الله !

وهكذا كان الدين وما يتصل بالدين وسيلة الاشرار للبلوغ الى غاياتهم

ولم يوجد في شيوخ المدينة رجل واحد !

كانوا كلهم نعاجا !

فضلوا الحياة على الحق !

فنادوا بصوم !

وحاكموا نابوت طبقاً لشريعة الله !

وسمعوا الشهود يقسمون باسم يهوه العظيم و يشهدون أن نابوت جدف على الله وعلى الملك !

ونطق القضاة بالحكم باسم يهوه العظيم، واذا هو اعدام نابوت واسرة نابوت رجماً بالاحجار ومصادرة ماله وضمه لبيت المال أي للملك

وفعلاً أخرجوه وزوجته وأبناءه خارج المدينة

ورجموه بحجارة

فمات نابوت ومات قومة جميعا

وأرسلوا الى ايزابل يقولون

قد رجم نابوت فمات !!

ولا شك اننا نقف منذهلين امام ذلك الظلم الشنيع

كيف يسمح الله أن يقوم الظلم ؟

ولماذا لا تهبط السماء على قضاة الظلم ؟

وشهود الظلم ؟

وملك الظلم ؟ ؟

ربما ظن نابوت أن الله لا يمكن أن يسمح بقضاء الظلم . وربما رفع عينه الى السماء ينتظر نصرة الحق . ولكن السماء أغلقت أبوابها واقتيد المسكين الى خارج

المدينة وانهالت عليه الاحجار

ومات !

وها نحن نرى أخاب ينزل إلى كرم نابوت ليستولي عليه

على أن الله لم يكن غافلاً عما عمل الظالمون

لقد سكت لحكمة يعلمها هو

ولكنه سينتقم من الاشرار

وها هو ايليا يقف في وجه أخاب ويقول

هل قتلت وورثت أيضا

هكذا قال الرب :

في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت ايضا .

واضطرب أخاب وقال

هل وجدتني يا عدوي

فقال قد وجدتك

لأنك قد بعت نفسك لعمل الشر في عيني الرب

هأنذا أجلب عليك شراً

وابيد نسلك

وأقطع لأخاب كل بائل بحائط

ومحجوز ومطلق في إسرائيل

وأجعل بيتك كبيت يربعام بن نباط

وكبيت بعشا بن اخيا

لاجل الاغاظة التي أغظتني

ولجعلك اسرائيل يخطىء

وتكلم الرب عن ايزابل أيضا قائلا :

ان الكلاب تأكل ايزابل عند قرية يزرعيل

من مات لأخاب في المدينة تأكله الكلاب

ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء

كان أخاب يسمع من ايليا الكلمات التي كانت تدوي في صدره مع صرخات ضميره ولذلك

شق ثيابه

وجعل مسحا على جسده

وصام

واضطجع بالمسح

ومشى بسكوت

وتراءف الله عليه من أجل اتضاعه وكان يمكن أن ينال غفران الله لو كملت توبته ولكن ايزابل الشريرة أضلته عن طريق إلهه وساقته الى حتفه فذهب غير مأسوف عليه !

٧٢

ياهو بن نمشى

« واستأصل ياهو البعل من اسرائيل ولكن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل اسرائيل يخطىء لم يحد ياهو عنها أي عجول الذهب التي في بيت ايل والتي في دان » ٢ مل ١٠ : ٢٠ و ٢١

ياهو بن نمشي رجل جمع عدداً من الصفات المتناقضة تراه يوماً فاذا هو رجل حزم وتدبير ، ولكنك تراه يوماً آخر من ناحية أخرى فاذا هو رجل أهوج متسرع

بعيد عن الاتزان . تراقبه في حربه ضد الوثنية فيخيل لك أنه رجل الله الأوحد ولكنك ترافقه إلى نهاية الطريق فتراه من عبّاد العجل . هل نعده بين الصالحين أو بين الطالحين . هذا ما نترك لك الحكم فيه ، بعد أن نروي قصته

كان ياهو أحد قواد أخاب

وقد طلب الله من ايليا أن يمسحه ملكاً على اسرائيل . وتأخر ايليا فلم يمسحه أو لعل الله كان يقصد أن ياهو سيخلف بيت اخاب

وها نحن نرى أخاب يموت ويخلفه اخزيا ويموت اخزيا فيخلفه يهورام ابنه

وكذلك نعرف عن اختطاف ايليا وعن حلول اليشع محله . وها نحن نرى اليشع يرسل واحداً من بني الأنبياء ومعه قنينة الدهن إلى راموت جلعاد « وينظر هناك ياهو بن يهوشافاط بن نمشي ويمسحه سراً ملكاً على اسرائيل »

ويذهب النبي ويمسح ياهو ويقدم له وصية الله «هكذا قال الرب اله اسرائيل قد مسحتك ملكاً على شعب الرب اسرائيل . فتضرب بيت أخاب سيدك وأنتقم لدماء عبيدي الانبياء ودماء جميع عبيد الرب من يد ايزابل فيبيد كل بيت أخاب وأستأصل لأخاب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق في اسرائيل. واجعل بيت أخاب كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن اخيا . وتأكل الكلاب ايزابل في حقل يزرعيل وليس من يدفنها »

ينتهي النبي من كلامه مع ياهو ثم يفتح الباب ويهرب

ويسمع زملاء ياهو فيحيطون به ويضربون بالبوق ويبايعونه ملكا ويسير ياهو على رأس الجيش نحو راموت جلعاد حيث كان الملك يورام قد اتجه اليها ليعالج من الجروح التي اصابه بها الأراميون وقد صحبه أخزيا ملك يهوذا الذي جاء يعوده . وتقابل موكب الملكين بموكب ياهو عند حقلة نابوت اليزرعيلي وسأل يهورام ياهو عن سبب مجيئه أللسلام أم للحرب . واجاب ياهو « أي سلام ما دام زنا ايزابل أمك

وسحرها الكثير » ورأى يهورام ان الشر قد فاجأه فحاول أن يهرب ولكن ياهو أمسكه وقتله وأمر فطرحوه في حقلة نابوت اليزرعيلي . وبذلك تم قول الرب عن أخاب وعن نسله — وهرب ملك يهوذا ولكنهم لحقوه وقتلوه

وجاء ياهو الى يزرعيل وسمعت ايزابل بمقدمه . ويغلب انها سمعت بقتل ابنها ولكنها حاولت ان تغوى ياهو بسحرها فتكحلت وتجملت وأطلت نحوه من الكوة وقالت له معاتبة أسلام لزمري قاتل سيده . غير أن ياهو لم يتأثر من جمالها بل صاح يطلب رجاله فأطل اثنان أو ثلاثة من الخصيان فطلب منهم ان يطرحوا ايزابل من الكوة فطرحوها فداستها أرجل الخيل ودواليب المركبات . ودخل ياهو وأكل وشرب ثم ذكر جثة ايزابل وقال « افتقدوا هذه الملعونة وادفنوها لانها بنت ملك » ولكنهم لما مضوا ليدفنوها لم يجدوا منها الا الجمجمة والرجلين وكفي اليدين . فرجعوا وأخبروه فقال، انه كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبده ايليا التشبي قائلا « في حقل يزرعيل تأكل الكلاب لحم ايزابل وتكون جثة ايزابل كدمنة على وجه الحقل في قسم يزرعيل حتى لا يقولوا هذه ايزابل »

ان في بقايا ايزابل لعظة أي عظة ! !

أين ذهب ذلك الجمال الفاتن الساحر . الجمال الذي استهوى لب أخاب فباع ربه ودينه وعقله . وذلك الجسد الذي كان كقطعة من النور المشبع بالطيب تنظر اليه فتسكر بغير خمر وتنحني امام روعة التصوير . ذلك الجسد الذي ملأ قلب ايزابل بالكبرياء والغرور، الجسد الذي عبدته وقدمت له الذبائح .. أين ذلك الجسد؟ لقد اصبح كتلة عفنة من قاذورات ! ! !

كنت أتأمل في بقايا ايزابل عندما عاد بي الخيال الى بقايا استفانوس واغناطيوس وبوليكاربوس . لكن شتان بين بقايا وبقايا . أما بقايا ايزابل فقد طرحت مشيعة بالاحتقار والازدراء. أما بقايا أولئك الشهداء فقد شيعت بالتقدير والوقار !

هذا هو الفرق بين حياة وحياة
يموت من يعبد نفسه فينتهي ويهان
ويموت من يبذل نفسه فيحيا ويتمجد

* * *

ولم يكتف ياهو
بل طلب ان يفني كل بيت أخاب .

كان لأخاب سبعون ابناً في السامرة فكتب ياهو رسائل وارسلها الى رؤساء يزرعيل الشيوخ والى مربي أخاب يطلب منهم أن يملّكوا أحد أبناء أخاب ويستعدوا للحرب وخاف الرؤساء، ولهم الحق ان يخافوا، فان ملكين لم يثبتا قدامه ولذلك اجابوه بكل خنوع قائلين، عبيدك نحن وكل ماقلته لنا نفعله، لا نملّك أحداً ما يحسن في عينيك فافعله . وكتب اليهم ياهو يشترط أن يرسلوا اليه رؤوس أبناء أخاب . فلم يتأخروا عن اجابة طلبه .

أولئك الجبناء
لم يرعوا الولاء
وخانوا الأمانة

ولئن تسامحنا مع ياهو في قتل أبناء أخاب ، فهكذا فهم من رسالة النبي ، فاننا لانستطيع ان نغتفر لمربي أخاب ، الذين أكلوا ملحه ، ان يقتلوا أبناءه في سبيل الاحتفاظ برؤوسهم

ورأى ياهو ان يعمل عملا أخيراً يلاشي به آثار بيت أخاب فأعلن انه وان قام ضد بيت أخاب ، الا انه لا يحارب آلهة أخاب . بل ان أخاب عبد البعل قليلاً أما ياهو فيعبده كثيراً!!! وطلب ان يجتمع جميع عبدة البعل وأنبيائه وكهنته ويقيموا ذبيحة تعبدية . وجاء عبدة البعل وظنوا انهم سينالون خيراً من ياهو ولكنه قصد أن يقتل جميع المتصلين ببعل ، فانه حالما انتهوا من الذبيحة أمر رجاله فذبحوهم عن

آخرهم ، ثم ساروا الى مدينة بيت البعل وأخرجوا تماثيل بيت البعل وأحرقوهـا وكسروا تمثال البعل وهدموا بيت البعل وجعلوه مزبلة

وهكذا استأصل ياهو البعل من اسرائيل

ولـكن

ولكن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل اسرائيل يخطىء لم يحد ياهو عنها أي عجول الذهب التي في بيت ايل والتي في دان . ولم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب اله اسرائيل من كل قلبه

ترى أين نضع ياهو ؟

لقد غار غيرة للرب .

ولـكنه لم يكن أميناً له !!

٧٣

ملك عظيم

« على الرب إله إسرائيل اتكل وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ولا في الذين كانوا قبله . والتصق بالرب ولم يحد عنه بل حفظ وصاياه التي أمر بها الرب موسى . وكان الرب معه وحيثما كان يخرج كان ينجح . » ٢مل ١٨ : ٥-٧

حزقيا بن احاز ملك عظيم بل أعظم ملوك يهوذا . بعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ولا في الذين كانوا قبله .

ملك بعد أبيه احاز . من الغريب أن يكون حزقيا الصالح ابناً لآحاز الشرير .

ويظن أن فضلا كبيراً يعود الى أم حزقيا « ابية ابنة زكريا » كما أن « اشعياء » كان صديقاً للملك. على اننا نحن نرى أن الفضل يعود أولا وأخيراً لله، فان أبية ابنة زكريا كانت زوجة لاحاز قبل أن تكون أماً لحزقيا ، وتأثيرها كزوجة صالحة لم يأت بنتيجة في احاز . وأشعياء كان أيضاً نبيا في أيام احاز وقد حمل له رسالة تشجيع . بل أعطاه بفم الرب أن يطلب لنفسة آية . . . آية عظيمة . ولكن احاز رفض بحجة انه لا يجرب الرب . وقال أشعياء « اسمعوا يا بيت داود هل هو قليل عليكم ان تضجروا الناس حتى تضجروا إلهي أيضا . ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » وهي نبوة لم يسمعها ملك آخر . ومع ذلك فقد بقي احاز شريراً !

انها اذن نعمة الله التي جعلت من ابن احاز رجلا صالحاً تقياً ! !

ملك وهو ابن خمس وعشرين سنة . وفي السنة الاولى لملكه فتح أبواب بيت الرب ورممها وأدخل الكهنة واللاويين وجمعهم الى الساحة الشرقية . وقال لهم « اسمعوا أيها اللاويون تقدسوا الآن وقدسوا بيت الرب إله ابائكم ، وأخرجوا النجاسة من القدس لأن اباءنا خانوا وعملوا الشر في عيني الرب إلهنا وتركوه وحولوا وجوههم عن مسكن الرب وأعطوه قفا . وأغلقوا أيضاً أبواب الرواق وأطفأوا السرج ولم يوقدوا بخوراً ولم يصعدوا محرقة في القدس لاله اسرائيل . فكان غضب الرب على يهوذا وأورشليم وأسلمهم للقلق والدهش والصفير كما انتم راؤون باعينكم ، وهوذا قد سقط اباؤنا بالسيف و بنونا و بناتنا ونساؤنا في السبي لاجل هذا . فالآن في قلبي ان اقطع عهداً مع الرب إله اسرائيل فيرد حمو غضبه ! »

وتحمس الكهنة واللاويون لخدمتهم . لم يكن لهم عهد منذ زمن طويل ان يروا من الملك اهتماما ببيت الله و بخدمة الله . لكن حزقيا وهو ملك وهو في نفس الوقت شاب يهتم اهتماما كبيراً ببيت الله و بخدمة الله . وقبل أن يقوم بأي اصلاح حربي او اقتصادي يبدأ باصلاحه الديني !

وقامت الخدمة في بيت الله على قدم وساق ورفعت الصلوات واحرقت الذبائح وقدمت القرابين . ولما لم يمكنهم إقامة الفصح في ميعاده في الشهر الأول رتّبوا ان يعملوه حسب ما اباحت الشريعة في الشهر الثاني . ولم يكتف الملك ان يرسل نداءه إلى ارض يهوذا بل ارسل رسله الى جميع اسرائيل وحسب وصية الملك كانوا يقولون ، يا بني اسرائيل ارجعوا الى الرب إله ابرهيم واسحق و اسرائيل فيرجع الى الناجين الباقين لكم من يد ملوك اشور ولا تكونوا كابائكم وكأخوتكم الذين خانوا الرب إله ابائهم فجعلهم دهشة كما أنتم ترون الآن لا تصلبوا رقابكم كابائكم بل اخضعوا للرب وادخلوا مقدسه الذي قدسه الى الابد واعبدوا الرب إلهكم فيرتد عنكم حمو غضبه لانه برجوعكم الى الرب يجد اخوتكم و بنوكم رحمة امام الذين يسبونهم فيرجعون إلى هذه الأرض لان الرب إلهكم حنان ورحيم ولا يحول وجهه عنكم اذا رجعتم اليه !

وكان السعاة يعبرون من مدينة الى مدينة في أرض افرايم ومنسى حتى زبولون ، فكانوا يضحكون عليهم و يهزأون بهم . على أن البعض تأثروا واتوا الى اورشليم !

وكان عيد الفصح الذي أقاموه اكبر عيد منذ ان انقسمت المملكة . وفرح كل جماعة يهوذا والكهنة واللاويون وكل الجماعة الآتين من إسرائيل والغرباء الآتون من أرض اسرائيل والساكنون في يهوذا . وكان فرح عظيم في أورشليم لأنه من أيام سليمان بن داود ملك إسرائيل لم يكن كهذا في أورشليم !

وسار حزقيا في كل اموره بحسب كلمة الرب وسلك باستقامة قلب وسار يهوذا معه !

و بعد هذه الامور وهذه الامانة هجم سنحاريب ملك اشور على بلاد يهوذا ونزل على المدن الحصينة وطمع باخضاعها لنفسه — ولا شك ان حزقيا تعجب ونحن نتعجب معه كيف تكافأ الامانة هذه المكافأة « المقلوبة » هل جزاء الامانة

إلا السلام والراحة والبركة . ولكن حزقيا ينال مكافأة الامانة حرباً ومخاوف . فهذه مدنه تتعرض لكل بلاء بل هذه أورشليم نفسها يرى حزقيا ان وجه ملك اشور على محاربتها !

وتشاور حزقيا وقام باجراءات التحصين والاستعداد من بناء أسوار وأبراج وتجهيز سلاح وتنظيم الجيش . ولم ينس الله بل لعل الله كان روح كل شيء قام به . ونحن نسمعه يتحدث الى رؤساء القتال قائلا تشددوا وتشجعوا لا تخافوا ولا ترتاعوا من ملك اشور ومن كل الجمهور الذي معه لان معنا اكثر مما معه . معه ذراع بشر ومعنا الرب إلهنا ليساعدنا ويحارب حروبنا !

ولما رأى ملك أشور ان يهوذا لم تخضع له بل تشددت بالله واستندت على كلام حزقيا ارسل عبيده يقول لهم ، على ماذا تتكلون وتقيمون في الحصار في أورشليم . اليس حزقيا يغويكم ليدفعكم للموت بالجوع والعطش قائلا الرب إلهنا ينقذنا . اما تعلمون ما فعلته أنا وآبائي بجميع شعوب الارض . فهل قدرت آلهة امم الاراضي ان تنقذ ارضها من يدي . من من جميع آلهة هؤلاء الامم الذين حرَّمهم آبائي استطاع ان ينقذ شعبه من يدي حتى يستطيع إلهكم ان ينقذكم من يدي . والآن لا يخدعنكم حزقيا ولا يغوينكم هكذا ولا تصدقوه ، لانه لم يقدر إله امة او مملكة ان ينقذ شعبه من يدي ويد أبائي فكم بالحري إلهكم — وهو اقل قيمة وقوة من اولئك الآلهة — لا ينقذكم من يدي .

وتكلم عبيد ملك اشور اكثر ضد الرب الاله وضد حزقيا عبده . وكتب رسائل لتعيير الرب إله إسرائيل وللتكلم ضده قائلا كما أن آلهة امم الاراضي لم تنقذ شعوبها من يدي كذلك لا ينقذ إله حزقيا شعبه من يدي . وصرخوا بصوت عظيم باليهودي إلى شعب اورشليم الذين على السور لتخويفهم وترويعهم لكي يأخذوا المدينة . وتكلموا على إله اورشليم كما على آلهة شعوب الارض صنعة ايدي الناس !

وحمل رجال حزقيا الرسائل اليه — حملوها وهم في أشد حالات الاضطراب والحزن والخوف ومرارة النفس — فقرأها ثم صعد إلى بيت الرب ونشرها حزقيا امام الرب وصلى وقال، أيها الرب اله اسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الاله وحدك لكل ممالك الارض . أنت صنعت السموات والارض أمل يارب أذنك واسمع . افتح يارب عينيك وانظر واسمع كلام سنحاريب الذي ارسله ليعيّر الله الحي. حقاً يارب ان ملوك أشور قد خربوا الامم واراضيهم ودفعوا آلهتهم إلى النار. ولانهم ليسوا آلهة بل صنعة ايدي الناس خشب وحجر فأبادوهم. والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الارض كلها انك أنت الرب الاله وحدك !

وكان اشعياء النبي يصلي فى مكانه ايضاً ، بل يصرخ — وجاءت كلمة الله إلى اشعياء فأرسل الى حزقيا يطيّب قلبه ويذكر ان الله سمع كلام سنحاريب وهو يقول له «من عيّرت وجدفت وعلى من علّيت صوتاً وقد رفعت إلى العلاء عينيك على قدوس اسرائيل. على يد رسلك عيرت السيد وقلت، بكثرة مركباتي قد صعدت إلى علو الجبال إلى عقاب لبنان واقطع ارزه الطويل وافضل سروه.. ولكني عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك عليّ . لان هيجانك عليّ وعجرفتك قد صعدا الى اذني ، أضع خزامتي في أنفك ولجامي في شفتيك وأردّك في الطريق الذي جئت فيه »

«لذلك هكذا قال الرب عن ملك أشور
لا يدخل هذه المدينة
ولا يرمي هناك سهماً
ولا يتقدم عليها بترس ولا يقيم عليها مترسة
في الطريق الذي جاء فيه يرجع
والى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب
وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها لاجل نفسي

ومن اجل داود عبدي »

* * *

وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة الف وخمسة وثمانين الفاً .

ولما بكروا في الصباح اذا هم جثث ميتة

فعاد ملك أشور الى نينوى . وفيما هو ساجد في بيت نسروخ الهه ضربه ابناه بالسيف وهربا

وهكذا تمجد الله

* * *

على ان حرب سنحاريب لم تكن آخر تجارب حزقيا فقد أصيب اثناء هجوم سنحاريب بمرض عضال هو الطاعون الدملي على الأرجح . وجاء اشعياء الى حزقيا يقول له « هكذا قال الرب أوص ببيتك لانك تموت ولا تعيش »

كان حزقيا في ذلك الوقت ابن تسع وثلاثين سنة ولم يكن له ولد . فكان كلام اشعياء له شديد الوقع عليه فوجّه وجهه إلى الحائط وصلى الى الرب قائلا ، آه يارب اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك!!

وارتفع لهيب صلاته فبكى بكاء عظيما

وسمع الله صلاة حزقيا وجاء اشعياء يقول

هكذا قال الرب إله داود أبيك

قد سمعت صلاتك

قد رأيت دموعك

هأنذا أشفيك

في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب

وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة

وأنقذك من يد ملك أشور مع هذه المدينة
واحامي عن هذه المدينة من أجل نفسي
ومن أجل داود عبدي

ومع ان حزقيا كان عظيم الايمان بالله إلا ان شفاءه وصعوده إلى بيت الرب في اليوم الثالث كان أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة. فقال لاشعياء، ماالعلامة ان الرب يشفيني فأصعد في اليوم الثالث إلى بيت الرب؟ فقال اشعياء، هذه لك علامة من قبل الرب على ان الرب يفعل الأمر الذي تكلم به. هل يسير الظل عشر درجات أو يرجع عشر درجات؟ فقال حزقيا ان من السهل أن يمتد الظل عشر درجات. لا بل يرجع الظل إلى الوراء عشر درجات. فدعا اشعياء النبي الرب فأرجع الظل بالدرجات التي نزل بها عشر درجات إلى الوراء في ميزان الدرجات الذي صنعه آحاز

وقال اشعياء خذوا قرص تين وضعوه على الدمل فيبرأ. وفعلوا كذلك وشفي حزقيا.

* * *

كان ينتظر ان حزقيا اذ يذكر ماعمل الله له يحيا حياة الشكر والتواضع امام الله ولكنه لم يفعل ذلك بل مال قلبه إلى الكبرياء والارتفاع. هذه تجربة النجاح!

وكانت بابل في ذلك الوقت بلاداً ناشئة وكانت بعيدة كل البعد عن يهوذا. ولكنها كانت تنظر إلى بعيد فارسل ملك بابل إلى حزقيا رسلا يحملون رسائل وهدية إلى حزقيا بمناسبة شفائه من مرضه ويسألون عن أعجوبة الظل. ففرح بهم حزقيا وأراهم بيت ذخائره من الذهب والفضة والأطياب والزيت الطيب وكل بيت أسلحته وكل ما وجد في خزانته. لم يكن شيء لم يرهم إياه حزقيا في بيته وفي كل ملكه!

وجاء اشعياء النبي الى الملك حزقيا وسأله عن أولئك الرسل. فقال حزقيا، انهم

من ارض بعيدة من بابل وانه أراهم كل شيء في بيته . ولابد ان اشعياء أشار الى مسلك حزقيا المشبع بالتفاخر والكبرياء . كما أشار الى انه ظن ان اورشليم محمية بالأسوار والأبراج والأسلحة وبيّن له ان الجواب الوحيد الذي كان يجب ان يبلغ لرسل الأمم هو « ان الرب أسس صهيون وبها يحتمي بائسو شعبه »

كما أشار اشعياء الى قصر نظر حزقيا ليس فقط في الدين بل في السياسة أيضاً . وابلغه ان بابل ستحمل كل شيء في اورشليم وستسبي بيت حزقيا نفسه !

وتواضع حزقيا امام الله فرحمه ولم تتم نبوة اشعياء في أيامه !

ثم اضطجع حزقيا مع آبائه فبكت عليه يهوذا بكاء عظيما . وعمل له اكراماً عظيما عند موته كل سكان يهوذا وأورشليم !

٧٤

الملك الشاب

« وعمل يوآش ماهو مستقيم في عيني الرب كل أيامه التي فيها علمه يهوياداع الكاهن »
٢ مل ١٢ : ٢

كان ينبغي ان نقول الملك الطفل لأن يوآش جلس على العرش وهو في السابعة من عمره . وكان عضده يهوياداع الكاهن وهو زوج عمته أو هكذا يظن ذلك انه عندما قتل ياهو بن نمشي الملك أخزيا ، قامت عثليا أم اخزيا فابادت جميع النسل الملكي ، وجلست على العرش . ولنا ان نتصور حكماً تبدأه امرأة بقتل ذويها . وكان لعثليا بنون لا نعلم عنهم شيئاً ربما كانت تعد أحدهم للجلوس على العرش بعدها . أما بنو الملك اخزيا فأبادتهم جميعاً ، ربما لانهم كانوا يسيرون مع الله بسبب أمهم التقية ظبية ، وزوج عمتهم يهوياداع رئيس الكهنة !

واستطاعت يهوشبعة زوجة يهوياداع وابنة الملك يهورام ان تسرق يوآش بن اخزيا من وسط بني الملك الذين قتلوا وتخفيه هو ومرضعته في بيت الله ست سنوات

وكان يهوياداع يمهد للملك الصغير خصوصاً وان عثليا اساءت في حكمها حتى امتلأت البلاد تذمراً وشكاية . واستطاع ان يستميل اليه رؤوس الجيش ورؤوس الآباء . واجتمع مع يهوياداع سراً عدد كبير من هؤلاء في أورشليم وقطعوا عهداً للولاء للملك الصغير !

وفي اليوم المعين اخرجوا ابن الملك ووضعوا عليه التاج واعطوه الشهادة وملّكوه ومسحه يهوياداع و بنوه وهتف الجميع بصوت عظيم ، ليحيى الملك ! !

ولما سمعت عثليا صوت الهتاف دخلت الى الشعب في بيت الرب ونظرت واذا الملك واقف على منبره في المدخل والرؤساء والأبواق عند الملك وكل شعب الأرض يفرحون و ينفخون بالأبواق والمغنون بآلات الغناء والمعلمون التسبيح. فشقّت عثليا ثيابها وقالت، خيانة خيانة . على انها لم تجد شخصاً واحداً يقف الى جانبها بل القى الرؤساء عليها الأيادي وأمر يهوياداع ان يخرجوها من بيت الله والذي يتبعها يقتل بالسيف، وأمر ان يقتلوها خارج بيت الله . وهكذا كان فقتلت عند مدخل باب الخيل!

ولما استراحوا من عثليا قطع يهوياداع عهداً بينه و بين كل الشعب و بين الملك ان يكونوا شعباً للرب

ودخل جميع الشعب إلى بيت البعل وهدموه وكسروا مذابحه وتماثيله وقتلوا متان كاهن البعل امام المذبح . وكان فرح عظيم !

بلغ يوآش سن الشباب . لا نعلم بالضبط كم كان عمره حين ابتدأ يفكر في تجديد بيت الرب، ولكنه كان بكل تأكيد أقل من ثلاثين سنة . فقد طلب من يهوياداع ان يرسل الكهنة واللاويين إلى مدن يهوذا ويجمعوا تبرعات لبيت الله . غير أن اللاويين تهاونوا ومضت عدة سنوات و بيت الله مهدم

وكان يوآش في سن الثلاثين عندما دعا اليه يهوياداع وسأله عن عدم قيام اللاويين بمهمة الجمع، وذكر له الحاجة الماسة إلى تجديد الهيكل «لأن بني عثليا الخبيثة قد هدموا بيت الله وصيروا كل أقداس بيت الرب للبعليم !

ويبدو أن يهوياداع بيّن للملك صعوبة قيام اللاويين بمهمة الجمع، فأمر الملك فعملوا صندوقاً وجعلوه في باب بيت الرب خارجاً ونادوا في يهوذا وأورشليم بان يأتوا إلى الرب بجزية موسى عبد الرب المفروضة على اسرائيل في البرية !

واستقبل الرؤساء والشعب هذا الأمر بكثير من الارتياح بل بفرح وتقدموا بكل سخاء وألقوا عطاياهم في الصندوق حتى امتلأ . وعند امتلائه كان يحمل بيد اللاويين إلى وكالة الملك ثم يقوم كاتب الملك ووكيل الكاهن ويفرغان الصندوق ثم يحملانه ويردانه إلى مكانه . هكذا كانوا يفعلون يوماً فيوماً حتى جمعوا فضة بكثرة !

وبدأت عملية تجديد بيت الرب وترميمه . وقد نجح العمل بأيدي العمال ولما أكملوا كل شيء أتوا إلى ما بين يدى الملك ويهوياداع ببقية الفضة وعملوها آنية لبيت الرب ، آنية خدمة وإصعاد ومحوناً وآنية ذهب وفضة . وكانوا يصعدون محرقات في بيت الرب دائماً كل أيام يهوياداع

* * *

وشاخ يهوياداع وشبع من الأيام
ومات
كان ابن مئة وثلاثين سنة عند وفاته
وقد دفنوه في مدينة داود مع الملوك
لانه عمل خيراً في اسرائيل
ومع الله . . . و بيته

* * *

و بعد موت يهوياداع جاء رؤساء يهوذا وسجدوا للملك وطلبوا منه ان يعودوا الى عبادة الأصنام . كان يهوياداع حاجزاً كبيراً ضد الانهيار . فلما مات لم يستطع الملك ان يقف امام التيار . بل ان الملك نفسه مال وراء الأوثان

لماذا ؟

لماذا يحب الناس الأصنامية؟

لماذا يندفعون اليها بشغف ؟

ولماذا يتضررون من عبادة الله ؟

لماذا ؟ ؟

انهم يحصدون ثمار الابتعاد عن الله شروراً ومرارة وضعفاً وموتاً . ومع ذلك يندفعون في طريق الاثم .

و ينالون بركات كثيرة وهم مع الله ومع ذلك يحاولون ان يتخلصوا منه فلماذا هذا ؟

العل السبب ان الأصنامية تتفق مع الطبيعة البشرية وانها لا تتطلب محاولة للصعود والتسامي . كل ما تطلبه ان المرء يترك نفسه على سجيتها فيندفع إلى أسفل. وفي الوثنية متعات جسدية يجدر ألا ننساها . نعم ان في الوجود مع الله متعاً روحية ولكن هذه المتع سامية بدرجة ان تذوّقها يتطلب سموا في أشياء كثيرة . ان الاستمتاع بالطعام أيسر من الاستمتاع بالعلم وأيسر جداً من الاستمتاع بالخدمة الروحية ! أن الناس يتلذذون بالطعام، ولكن قلة لاتكاد تذكر هي التي تستطيع أن تتلذذ بالله !

وفوق ذلك فان الوثنية تتفق مع حكم الحسّ . ان القوم يبصرون فيها صوراً وتماثيل للآلهة، ويلمسون هذه الصور بأيديهم. انها شيء حقيقي لهم حسب حكمهم

أما الله فأين هو؟ انهم لا يبصرونه ولا يسمعونه ولا يلمسونه. انه ليس قريباً منهم بل هو يبعد كل البعد عنهم!

وسمع الملك لرؤساء الشعب

فتركوا بيت الرب إله آبائهم وعبدوا السواري والأصنام

كم هو أمر مؤسف أن تكون هذه نهاية يوآش الملك الذي بدأ في السابعة مع الله والذي عاش كل أيام شبابه مع الله. كم هو مؤسف ان ينتهي به السير إلى الأصنامية. لقد رأى يوآش أمانة الله كل أيام حياته ولكنه أخيراً خان إلهه

وغضب الرب على يهوذا

وارسل اليهم أنبياء لارجاعهم إلى الرب، تحدثوا اليهم وذكروهم بالهم وأمانته ولكن الشعب لم يضع

ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله، لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون لانكم تركتم الرب قد تركك!!

وكان المنتظر ان تؤثر هذه الكلمات في نفس الملك فيعود إلى إلهه ولكنه تقسى. بل زادت قساوته انه أمر فقتلوا على زكريا وقتلوه

ولقد كان عمل يوآش عملا آثماً

لم يذكر فيه الله

ولا شريعته

ولا يهوياداع

ومعروفه

وعند موت ابن يهوياداع قال

الرب ينظر ويطالب

* * *

ومرّت سنة

ونسي يوآش يهوياداع
وابن يهوياداع
وظن ان الله قد نسي
ولكنه لم ينس

ففي مدار السنة صعد عليه جيش آرام وأتوا إلى يهوذا وأهلكوا كل رؤساء الشعب . ومن العجب ان جيش آرام كان شرزمة قليلة . ودفع الرب ليدهم جيشاً كبيراً جداً لانهم تركوا الرب إله آبائهم . وذل الملك امام الغزاة الذين اجروا عليه قضاءً !

واثرت الظروف المحيطة بالملك عليه فوقع فريسة أمراض كثيرة . وكان وجود الغزاة يزيد أمراضه استفحالا . فلما تركه الأراميون فتن عليه عبيده من أجل دماء بني يهوياداع الكاهن وقتلوه على سريره فمات . ودفنوه في مدينة داود ولكنهم لم يدفنوه في قبور الملوك !!

٧٥
ابن الارملة

« فأخذ ايليا الولد ونزل به من العلية الى البيت
ودفعه لأمه . وقال ايليا انظري ابنك حي »
١ مل ١٧ : ٢٣

لما جفّ نهر كريت الذي كان ايليا النبي يشرب منه أرسله الله الى امرأة أرملة في صرفة التي لصيدون . وربما ظن ايليا أن تلك الارملة لا بد وأن تكون غنية غنى فاحشاً وانها تملك الشيء الكثير مما يجعلها قادرة في وقت الجدب أن تطعم نفسها وتطعمه !

وجعل يسير وهو يفكر في الامر الى أن وصل الى حدود القرية وجاءه الصوت الالهي أن رحلته قد انتهت. والتفت حوله فلم يجد قصراً ولا زرعاً. لقد امتد الجدب الى ذلك المكان أيضاً ـ وأبصر امرأة تقش بعض عيدان حطب وسمع الصوت مرة أخرى انها المرأة المقصودة ! ولا شك انه تعجب كثيراً كيف يمكن ان تعوله تلك المرأة الفقيرة. وفكر في أن يمتحن الامر معها فناداها : هل لك يا سيدتي أن تعطيني شربة ماء . لم تبادر المرأة باجابة الطلب . كان الماء شحيحاً جداً ولكن طبيعتها الكريمة جعلتها تجيب الطلب فذهبت في طريقها لتحضر له الماء. وفيما هي ذاهبة قال لها وهل لك أن تحضري لي معك كسرة خبز. وذعرت المرأة. أن الرجل لا يعرف.. كلا يا سيدي ليس عندي خبز ان عندي قليلا من الماء أما الخبز فلا أثر له عندي . حي هو الرب إلهك انه ليست عندي كعكة ولكن ملء كف من الدقيق في الكوّار وقليل من الزيت في الكوز وهانذا أقش عودين لآتي وأعمله لي ولإبني لنأكله ثم نموت .

وحلّ روح الله في ايليا فقال لها : لا تخافي لن تموتي ادخلي واعملي كقولك ولكن اعملي لي منها كعكة صغيرة أولا واخرجي بها إليّ ثم اعملي لك ولابنك أخيراً.

— ولكن الدقيق والزيت يا سيدي لا يكفيان إلا لشيء واحد

— نعم نعم لا تخافي هكذا قال الرب إله اسرائيل ان كوّار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص الى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطراً على الارض .

وآمنت المرأة! لم تقل له دعني أجرب ولكنها ذهبت وعملت كعكة النبي أولا.

يا للعجب ان الدقيق لا يزال باقياً والزيت لم ينقص . و بعد أن عملت لنفسها ولابنها وجدت أن الدقيق والزيت باقيان كما كانا .

مبارك الله

ان احساناته كنور مشرق

لو أن الله أعطاها ملء مئات الاكياس من الدقيق لتلف ، فان لم يتلف فان

القوم في تلك المجاعة ما كانوا يبقون عليها أو على دقيقها . ولكن ماذا يعمل الناس في حفنة من الدقيق وملء فنجان من الزيت ؟

بارك الله في القليل

واكلت هي والنبي وبيتها

كوّار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص

يوم طلب النبي منها كسرة الخبز تألمت وفكرت أن ترده رداً قبيحاً . تتهمه بالعمى والجهل وسوء التقدير ولكنها تشكر الله اليوم انه جاء .

يوم جاء ظنت انه جاء ضريبة عليها لكي يأخذ منها ولكنها اليوم تشكر الله لانه جاء لكي يعطيها .

* * *

بل اكثر من ذلك

مرض ابن الارملة واشتد مرضه جداً .. ومات

وأقبلت المرأة الى ايليا تشكو وتستغيث . بل لعلها كانت تشكو فقط . انها تقول : مالي ولك يا رجل الله هل جئت اليّ لتذكير اثمي وأماتة ابني .

أما ايليا فيأخذ الابن ويصارع مع الله

فيعيد الله الابن الى الحياة فيحمله ايليا الى أمه

والمرأة تخرّ ساجدة أمام الله

لقد كانت تؤمن أن ايليا عبد لله ولكن ايمانها لم يكن الى الحد الذي يعتبره نبياً له كرامة . أما بعد أن أعطاها ابنها حياً فهي تقول :

هذا الوقت علمت انك رجل الله!!

وان كلام الرب في فمك حق !!

٧٦
على جبل الكرمل

« فتقدم ايليا الى جميع الشعب وقال حتى متى
تعرجون بين الفرقتين . ان كان الرب هو الله
فاتبعوه وان كان البعل فاتبعوه» ١ مل ١٨ : ٢١

وقف ايليا أمام كل قوة البعل في اسرائيل. وقف كما لم يقف جبار قبله . اتهمه الملك أخاب بأنه مكدر اسرائيل فأجابه ان مكدر اسرائيل هو أخاب لانه ترك الله . ووقف ايليا يتحدى البعل ويعلن أن الله أقوى منه بمقدار ما للحق من قوة أعظم من الباطل ! !

وكان تحدّيه عملياً

قال لأخاب : ارسل واجمع الى جبل الكرمل كل اسرائيل وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين وأنبياء السواري أربع مئة الذين يأكلون على مائدة ايزابل .

وجاء كل هؤلاء الى جبل الكرمل

ووقف ايليا أمامهم

كان على هذا الجانب الملك أخاب وجميع اسرائيل أو على ما يقول البعض جميع شيوخ وممثلي اسرائيل وجميع أنبياء البعل .

وكان على الجانب الآخر ايليا وحده .

وتقدم ايليا الى الشعب وقال :

حتى متى تعرجون بين الفرقتين

إن كان الرب هو الله فاتبعوه

وإن كان البعل فاتبعوه

كان الشعب لا يزال ينسب نفسه لله ، ولكنه كان في نفس الوقت يتبع « بعل » ارضاء لايزابل . وواجههم ايليا بالحقيقة فصمتوا .

وهنا قال ايليا :

أنا بقيت نبياً للرب وحدي
وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلاً
فليعطونا ثورين
فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً
ويقطعوه
ويضعوه على الحطب
ولكن لا يضعوا ناراً
وأنا أقرب الثور الآخر
وأجعله على الحطب
ولكن لا أضع ناراً
ثم تدعون باسم آلهتكم
وأنا أدعو باسم الرب
والاله الذي يجيب بنار
فهو الله

فأجاب جميع الشعب وقالوا الكلام حسن . فقال ايليا لأنبياء البعل اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً وقربوا أولا لأنكم أنتم الاكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا ناراً. فأخذوا الثور الذي أعطي لهم وقدموه ودعوا باسم البعل من الصباح الى الظهر قائلين يا بعل أجبنا . فلم يكن صوت ولا مجيب . وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل . ترى هل كانوا ينتظرون أن البعل يجيبهم أم أن صراخهم حول المذبح كان بقوة الاندفاع كما يقولون. انهم يعرفون آلهتهم تماماً ولكنهم يحاولون أن يخدعوا الشعب. ولئن لم يجبهم البعل بنار فانهم واثقون أن إله ايليا لن يجيب بنار.

وعند الظهر سخر منهم ايليا وقال :

ادعوا بصوت عال لانه إله

دائرته غير محدودة، لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعله نائم فيتنبه ! !

ولم يرَ أنبياء البعل سخرية ايليا وظنوه جاداً فصرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عاداتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم .

وظلوا يأتون حركاتهم وصلواتهم الى ان كلّوا وسلّموا بالعجز .

وهنا طلب إيليا من الشعب أن يتقدموا فتقدموا منه ، ورمم مذبح الله المتهدم إذ أخذ إيليا اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بني يعقوب الذي كان كلام الرب اليه قائلا اسرائيل يكون اسمك و بنى الحجارة مذبحاً باسم الرب. وعمل قناة حول المذبح تسع كيلين من البذر . ثم رتب الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب وقال املأوا أربع جرات ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب ففعلوا كذلك ثم قال ثنّوا فثنوا وقال ثلّثوا فثلثوا، فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة ماء. فعل ذلك كي لا يكون هناك أي شك في مصدر النار . وكان الشعب ينظرون وقد عقدت المهابة ألسنتهم فصمتوا صمت القبور . وتقدم ايليا الى الله وقال :

أيها الرب إله ابرهيم واسحق واسرائيل

ليعلم اليوم أنك أنت الله في اسرائيل

واني أنا عبدك

وبأمرك قد فعلت هذه الامور

استجبني يا رب استجبني

ليعلم هذا الشعب

أنك أنت الرب الاله

وانك أنت حولت قلوبهم رجوعاً

فرغ ايليا من الصلاة واذا نار السماء تسقط بقوة من السماء فتأكل المحرقة والحطب والحجارة والتراب . . وتلحس المياه التي في القناة .

فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا : الرب هو الله الرب هو الله .

فقال لهم ايليا امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل فأمسكوهم . فنزل بهم إيليا الى نهر قيشون وذبحهم هناك

* * *

كان نجاح ايليا عظيماً

ولكننا لا نراه نجاحاً كاملا

لقد اعترت ذلك النجاح عوامل ضعف كثيرة صيّرت منه فشلا ذريعاً

فقد استهواه النجاح و بدلا من أن يقف ليحض الشعب على التوبة الى الله والتعبد له طلب منهم أن يقبضوا على أنبياء البعل وذبحهم على نهر قيشون . كان أول ما رآه الشعب من نصرة يهوه دماء تملأ النهر

وقد ملأه النجاح بكثير من الغرور و بكثير من الكبرياء فظن أن مملكة يهوه لن تقوم لها قائمة الا به وظن أنه هو القوة التي لا تقهر . ألم يقف أمام كل الشعب؟ ألم يتحدّ بعل وأنبياء بعل ؟ ألم يتحدّ اخاب وايزابل وانبياء السواري ؟

وها نحن نرى ذلك البطل يسقط في قرارة الفشل ؟

علمت ايزابل ما عمله ايليا مع أنبيائها فأرسلت تنذره أنها ستفعل به ما فعل بالانبياء وكان انذارها شديداً أقسمت بآلهتها ان تنفذه . واضطرب البطل الذي لم يعرف الاضطراب . ونحن لا نعجب لاننا نرى عناصر الضعف من الداخل وقد قوّضت صرح قوته ؟

وهرب ايليا !!

هرب هو وغلامه . وفي بئر سبع ترك غلامه وسار في البرية مسيرة يوم حتى

أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه . قال ، قد كفى الآن يارب خذ نفسي لانني لست خيراً من آبائي . ولاشك اننا نتعجب من مسلكه . هل كان يطلب حقاً ان يموت ؟ إذن لماذا هرب من الموت ؟. ولئن يموت شهيداً بيد ايزابل أشرف له. من أن يموت على فراشه . نظن انها حالة من حالات الضعف وانه لم يقصد منها إلا مجرد الشكوى لله !

ونام ايليا حزيناً مر النفس

ولكن الله لم يتركه بل أرسل له ملاكاً يشدده . جاءه الملاك ومسه وقال قم وكل، فتطلع واذا كعكة رضف ـ مما يخبز على الصخر ـ وكوز ماء. فقام وأكل وشرب ثم رجع فاضطجع وعاد الملاك وأيقظه ليأكل أيضاً فقام وأكل وشرب وتقوى . وسار في البرية أربعين نهاراً واربعين ليلة حتى وصل إلى جبل الله حوريب ودخل المغارة وبات فيها

وفي المغارة تحدث الله اليه

مالك ههنا يا ايليا

فاجاب غرت غيرة للرب اله الجنود لأن بني اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها !

وأمره الرب ان يخرج ويقف على الجبل امام الرب فخرج ووقف!

وظن ان الرب سيكلمه بصوت القوة

فأصغى !

واذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور امام الرب

ولم يكن الرب في الريح

وجاءت زلزلة بعد الريح هزت الأرض كلها بل هزت الجبل من أساسه

ولم يكن الرب في الزلزلة

وبعد الزلزلة اشتعلت نار هائلة مروعة

ولم يكن الرب في النار

و بعد النار جاء صوت منخفض خفيف

وعلم ايليا ان الله يتكلم فلفَّ وجهه برداء وخرج ووقف في باب المغارة

كان ايليا يظن ان الله لا يتكلم الا في الريح وفي الزلزلة وفي النار . ولذلك أرسل ايليا صوته مدوياً، هاتوا أنبياء البعل، لايفلت منهم أحد. وامسكهم وذبحهم في نهر قيشون

ولكن الله أعلن له أن هناك ماهو أقوى من الريح والزلزلة والنار . هناك الصوت المنخفض الخفيف

ولقد دوى ذلك الصوت المنخفض الخفيف في أذنيه كأعلى ما يكون صوت

مالك ههنا يا ايليـــا

لماذا تركت مكان خدمتك وجئت الى الجبل ؟

وقال ايليا

غرت غيرة للرب اله الجنود

لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك

ونقضوا مذابحك

وقتلوا أنبياءك بالسيف

فبقيت أنا وحدي

وهم يطلبون نفسي ليأخذوها !!

وكان جواب الله

كلا . يا ايليا

هناك حزائيل الذي يملك بأمري بدلاً من بنهدد

وياهو الذي سأضعه بدلاً من أخاب

واليشع الذي سيأخذ مكانك

حزائيل ملك الأمم وياهو ملك اسرائيل واليشع النبي ، الثلاثة جنودي وسيسحقون أعدائي . فالذي ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو والذي ينجو من سيف ياهو يقتله اليشع

ولا تظن يا ايليا انك قد بقيت وحدك

فاني قد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله ! !

وسجد ايليا لله شاكراً

وعاد متعزياً ممتلئاً من القوة والرجاء ! !

٧٧

المركبة النارية

«وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة الى السماء ... وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا ابي يا ابي مركبة اسرائيل وفرسانها. ولم يره بعد»
(٢ مل ٢ : ١١ و ١٢)

جاء الأمر الالهي لايليا أن يذهب الى عبر الاردن لأن خدمته قد انتهت من الارض ولأن اليشع سيتمم رسالة الله عوضاً عنه

وقد سار الاثنان ايليا واليشع من الجلجال. وحاول ايليا أن يترك اليشع هناك قائلا ان الرب قد أرسله الى بيت ايل، ولكن اليشع رفض البقاء وقال، حي هو الرب وحية هي نفسك اني لا أتركك .

ونزلا الى بيت ايل

وفي بيت ايل خرج بنو الانبياء وقالوا لاليشع، أتعلم انه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك؟ فانتهرهم قائلا انى أعلم فاصمتوا

وكذلك حاول ايليا مرة أخرى أن يترك اليشع في بيت ايل قائلا ان الله أرسله الى اريحا . وأصرّ اليشع أن يرافقه طول الطريق . وفي اريحا جاء بنو الانبياء وتكلموا كما تكلم أنبياء بيت ايل وأجابهم اليشع نفس الجواب

ومرة ثالثة حاول ايليا أن يترك اليشع في اريحا قائلا قد أرسلني الرب الى الاردن . ومرة ثالثة رفض اليشع ان يبقى وأصرّ على ان يرافقه كل الطريق فانطلقا كلاهما

على ان خمسين نبياً من أنبياء اريحا انطلقوا خلفهما وراقبوهما وهما يسيران الى الاردن !

وأخذ ايليا رداءه ولفّه وضرب الماء فانفلق الى هنا وهناك فعبر كلاهما في اليبس!

ولما عبرا قال ايليا لاليشع :

اطلب . ماذا أفعل لك قبل ان اوخذ منك

فقال اليشع ليكن نصيب اثنين من روحك على !

وقال ايليا : صعبت السؤال

على ان الجواب لك أنت

فان رأيتني اوخذ منك يكون لك كذلك و إلا فلا يكون !

وهكذا سار الاثنان يتكلمان في مواضيع الخدمة بين الشعب . وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة إلى السماء !

وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة اسرائيل وفرسانها

ولم يره بعد

لا يمكن لغير عين اليشع أن ترى ما رآه . إن كثيرين يرون في صعود ايليا الى السماء صورة اخرى . انهم لا ينظرون مركبة النار ولا خيل النار ولا الصعود إلى السماء

إن كثيرين من المؤمنين اليوم يصعدون الى السماء في مركبة من نار ولكننا لا نرى المركبة . فنبكي ونولول ونقول، ماتوا وانتهوا وانحدروا الى الهاوية !!

أما اليشع فرأى مركبة النار وخيل النار وصعود ايليا الى السماء . ومع انه حزن لفراق سيده وحرمانه منه، ومع انه أمسك ثيابه ومزقها إلا انه قام برجاء . وأخذ معه رداء ايليا الذي سقط عنه . نعم فلم يبق من ايليا فى الارض إلا رداؤه ورفع اليشع الرداء وضرب الماء وقال أين هو الرب إله ايليا ثم ضرب الماء ايضاً فانفلق الماء إلى هنا وهناك فعبر !!

ولما رآه بنو الانبياء الذين في اريحا قبالته قالوا : قد استقرت روح ايليا على اليشع !

فجاءوا للقائه وقدموا له التوقير والخضوع والولاء !

ولكنهم طلبوا منه أن يرسلوا خمسين رجلاً ذوي بأس ليذهبوا ويفتشوا على ايليا لئلا يكون روح الرب قد حمله وطرحه على أحد الجبال أو في أحد الاودية

ورفض اليشع ان يجيبهم قائلا ان ايليا صعد في مركبة نارية الى السماء الى الله

أما هم فلم يصدقوا

انهم لا يؤمنون بمركبة من نار وخيل من نار وصعود الى السماء

إن الحياة لهم شيء يقع تحت حكم الحس ولذلك يطلبون أن يبحثوا ويتأكدوا لأنفسهم . فلما اشتد الحاحهم سمح لهم فأرسلوا خمسين رجلا ففتشوا ثلاثة أيام فى كل مكان ولم يجدوه بالطبع . فجاءوا الى اليشع وأخبروه فأجابهم ألم أقل لكم انى رأيت المركبة النارية التى صعد فيها النبى الى السماء !؟!

٧٨

زوجة النبى

« فقال اذهبي استعيري لنفسك اوعية من
خارج من عند جميع جيرانك اوعية فارغة.
لا تقللي .... » (٢مل ٤ : ٣)

كان النبي جاثياً في عليته يستقبل الشمس الغاربة وهي تعانق جبل حرمون فى أورشليم وهو يضرع إلى الله أن تبقى أورشليم قبلة انظـــار اسرائيل إلى أن ينتهي الزمن . وكان يقدم صلاة صامتة امتزج فيها الحزن بالابتسام واليأس بالرجاء . وكان يعتلج في صدره الـكثير من الألم لان ملكه وشعب مدينته اهملوا شريعة الله وعبدوا التماثيل !

كان اليشع غارقا في صلاته وفي آلامه عندما طرقت سمعه صرخة عميقة مرّة لم يسبق له ان سمع صرخة مرّة نظيرها. وقد خيل اليه انها صرخة قلب مطعون فقام من مكانه والقى نظرة إلى الطريق واذا به يرى امرأة تفاضل مع غلامه جيحزي وجيحزي يمنعها. و بلغ إلى سمعه طرف من الحديث

هي تقول وصدرها يرتفع و ينخفض، ولديّ . ولديّ . ليس لي في الدنيا غيرهما اتركني ادخل إلى النبي وأحدثه حديث ولديّ

ولـكن جيحزي وقف في طريقها وقال ان سيدي في محرابه يصلي ولا يمكن لأنسان ما ان يقتحم خلوته عندما يصلي

—ولـكني سأقتحم هذه الخلوة. نعم سأقتحمها. لا يوجد شيء يستطيع أن يقف في طريقي . ان الجحيم نفسه لا يستطيع أن يمنعني . سأقتحم هذه الخلوة من اجل ولديّ .. وشهقت المرأة معولة وقالت، ولديّ ولديّ العزيزان جاء المرابي اليوم يريد ان يأخذهما عبدين!!

واضطرب اليشع ونادى المرأة فبغتت ولكنها أقبلت اليه في خطوات متعثرة .

ولما وقفت امامه ابصر امرأة لم تبتعد كثيراً عن سن الشباب وقد بقى لها الكثير من جماله أبرزته الثياب السوداء التي اتشحت بها . واذ تأمل في وجهها علم انها زوجة زميله وتلميذه النبي !!

وندت من صدره أنّة وفاضت من عينه دمعة فقد ذكر أن ذلك الزوج مات بالأمس القريب بعد مرض قصير !

وسأل المرأة ما بك وماذا تطلبين مني ؟؟

وقالت المرأة أنت تعلم ان زوجي كان رجلاً يخاف الله. وقد كنا لا نشكو الفاقة الى أن جاءت سنة الجدب فاضطر أن يستدين مئة دينار . ولم نستطع ان ندفع تلك الدنانير وكان اشغل ما يشغل زوجي ابان مرضه انه يموت قبل ان يوفي الدين !

ومات زوجي !!

وجاء المرابي في اليوم التالي!

جاء لا لكي يمسح دموعي!

ولا لكي يلمس بيد العطف جرح قلبي !

ولكنه جاء لكي يطعن ذلك القلب أيضاً!!

جاء لكي يأخذ ولديّ له عبدين !!

وسأل اليشع منذ متى كان ذلك الدين، ولكنه عاد فاستدرك ... تقولين انكما استدنتما في سنة الجدب أى منذ خمس سنوات ؟؟

كان اليشع يسمع عن المرابي وعن الربا الذي يتقاضاه وكان يرتاع لذلك. وصمت قليلاً ثم قال اظن ان الرجل جاء يطالبك بخمسمائة دينار !!

وقالت المرأة ياليته وقف عند هذا الحد مع انني لا أملك ما يوفي هذا المقدار أو

نصفه أو ربعه . ولكنه قدم لي حسابه فاذا هو ٥٦٢٢ دينار واثنان وثلاثون فلساً فقد أضاف إلى حسابه مئة وعشرين ديناراً لكل مئة دينار في السنة !!

وارتاع النبي !

انه لم يصدق انه يوجد جشع في العالم نظير هذا !

وعندما اخبرته ان الرجل ينوي أن يأخذ ولديها عبدين كان ارتياعه لا حد له !

انه لم يصدق انه توجد في العالم قسوة نظير هذا ! !

واغمض النبي عينيه

ونظر بعينيه المغلقتين إلى غير المنظور !

ولو أننا تابعنا نظراته لرأيناه يعود الى الأمس البعيد عندما كان ذلك المرابي شاباً حيياً تقياً له قلب كبير !

لقد ذكر المرة الأولى التي رآه !

رآه عندما كان يبكي !!

رآه عندما لم يستطع ان يحتمل ان يرى الأطفال يطلبون الطعام فافرغ جيبه في يدى الوالد الفقير وانثنى لا يلوى على شيء . انه لا يريد أن يرى دموع التأثر أو يسمع كلمات الشكر. وقال للرجل دون أن ينظر في وجهه، أبق المال عندك الى أن تستطيع ان توفى واذا لم تستطع فقد ابرأت ذمتك منه !!

وان اليشع ليذكر ذلك الرجل وقد عاد الى الشاب يحمل الدين وتقدمة فوقه. لقد صحّت زراعة الرجل ونجحت تجارته فهو يوفي دينه كله ويضع عليه قليلاً من « الفوائد ». وهو يذكر ان الشاب عارض في أخذ الفوائد وشدد ولكن الرجل ألح وشدد في الحاحه فاخذها . وكان يحس في أول الأمر ان ذلك سرقة !!

على انه شيئاً فشيئاً بدأ يسيغها . وبعد ان كان يتقاضى نصف دينار في كل مئة رفع القيمة الى دينار ثم الى اثنين الى أن جعل سعره عشرة دنانير لكل شهر أي مئة وعشرين لكل سنة . ولم يكن اليشع ماهراً في الحساب فانه «ضرب» مئة وعشرين

ديناراً في أربع سنوات وظن ان المبلغ يصل الى الخمسمائة دينار ولكنه نسي المئة الاولى ونسي الحساب المركب !!

وذكر اليشع المرة الأولى التي وقف الشاب امام أرملة يتقاضاها دينه وهو يتشدد معها ثم يدفعها الى أن تبيع بقرتها ... ولقد باعها متألماً ولكن حسّه تبلد بعد ذلك فهو يبيع كل شيء لا تهمه دموع ولا انكسار قلب . ما اكثر البيوت التي باعها والحقول التي سلبها. وكان يضحك وهو يسمع زعقات المساكين في جوف الليل وهو يقذف بهم الى عرض الطريق !!

والآن هاهو ينوي أن يبيع ابنى الأرملة!

وتمتم اليشع ياله من وحش !

* * *

كانت المرأة طول الوقت جاثية عند قدميه وهي تذرف الدموع الملتهبة تبكي زوجها الذي دفنته ... وتبكي ولدها اللذين يوشكان أن يذهبا الى حياة هي شر من الموت !

وهتف النبي بمرارة !

وماذا عسى ان افعل لك؟

ماذا تنتظرين مني ؟

لماذا جئت اليّ من دون الناس ؟!

اني لاأملك دينك ولا نصف ذلك الدين!

ولا ربعه ولا عشره !

لماذا جئت اليّ ؟

لماذا لم تذهبي الى الأغنياء ؟

لماذا لم تطرقي باب الملك ؟

وأعولت المرأة وقالت، لقد تحجرت القـلوب يا أبى . ان كل طريق امامى مغلق. أما أنت فانك ملاذ البائسين. قد تكون فقيراً في المال ولكنك غني في المحبة ان لك قلباً ياسيدى . ولئن لم تستطع أن تعطيني المال لأفدى ولدى فانك تستطيع أن تشاركني في البكاء!!

وضاقت نفس اليشع!!

وبان الألم واضحاً على وجهه!

انه لايملك مالاً بالمرة!

ليته أخذ المال الذى قدم له بالأمس ولكنه رفض لانه لايبيع بركات الله!

مجاناً أخذ ومجاناً يعطى!!

انه أيضاً لا يستطيع أن يحتمل أن يؤخذ ابنا الأرملة عبدين!

وسألها في مرارة نفسه ألا يوجد عندك شيء . ألا يوجد ذهب أو نحاس ألا يوجد حقل أو بيت .. ألا يوجد عندك شيء؟

فأجابت المرأة وأسفاه ياسيدى . لا يوجد عندى شيء بالمرة . لقد أكلنا آخر رغيف بالأمس وأفرغنا آخر نقطة زيت هذا الصباح ، وصمتت قليلاً ثم قالت ساخرة : كلا . بل توجد في قاع الكوز نقطتان أو ثلاث نقط من الزيت!!

وقال النبي، وقد أشرق وجهه بضياء، قال، وهو لا يلتفت بوجهه اليها. قال، وكأنه يسمع صوتاً من بعيد ، اذهبي استعيرى لنفسك أوعية من خارج من عند جيرانك أوعية فارغة. اجمعي كل ماتستطيعين ان تجمعيه. لانه هكذا قال الرب اني سأملأ كل أوانيك الفارغة من كوز الزيت الذى عندك. اجمعي الأوعية الفارغة ثم ادخلي وأغلقي الباب على نفسك وعلى بنيك وصبيّ في جميع هذه الأوعية وماامتلأ انقليه!

وعادت المرأة الى بيتها!

عادت مشرقة الوجه عامرة القلب بالايمان!!

وتطلع المرابي اليها متسائلا ، هل عثرت على كنز أو على ميراث؟؟

فأجابت نعم عد اليّ بعد اسبوع واحد فتأخذ مالك أو تأخذ الولدين وذهب الرجل وهو يسأل نفسه من أين ستجيء بالمال. لقد علم انها ذهبت الى اليشع لكن اليشع رجل فقير .. ثم قال الرجل لنفسه لنصبر الاسبوع !

وطرقت المرأة بيوت الأهل والجيران والاصحاب وطلبت أن يقرضوها أوعية فارغة. وأقرضوها أوعية من فخار وأوعية من نحاس. وتجمّع لها عدد هائل من الأوعية وكانت كلما قالت كفى ذكرت كلمة النبي ،لا تقللي،فاقترضت اكثر . وامتلأ بيتها من الأوعية حتى لم يوجد مكان !!

ثم أغلقت المرأة على نفسها وعلى ولديها وأمسكت كوز الزيت وأمالته نحو الوعاء الفارغ !

ياللعجب ان نقطة الزيت اصبحت نبعاً ! !

هاهو الزيت ينزل سيلاً فائضاً، وهاهو الوعاء يمتلىء. وهاهو وعاء ثان وثالث ورابع . هاهي عشرات الأوعية الفارغة تمتلىء زيتاً . وابنها يقدم لها بعد أن يمتلىء الوعاء وعاء جديداً !

وامتلأ الوعاء الأخير ولم يبادر ابنها بتقديم وعاء آخر فقالت هلم قدّم لي ايضاً وعاء . ولكن الابن اجابها لقد انتهت الأوعية .. وهنا وقف الزيت

وألقت المرأة نظرة على أوعية الزيت. انها عدد كبير جداً .. انها ثروة . ولكن الزيت ليس لها. ينبغي ان تسأل النبي ماذا تعمل به، فهي تسرع وتخبره بالأمر وهو يقول اذهبي بيعي الزيت وأوفي دينك وعيشي أنت و بنوك بما بقى

ومرة اخرى يصل إلى أذني ذلك الهمس الساخر عن كوز الزيت الذي ملأ مئات الأوعية . انها قصة لا يقبلها الذهن المثقف الذي يدرس الحساب والمعادلات انها اكذوبة ، وعلى أحسن الفروض قصة ، قصة قصد الكاتب أن يستخرج منها دروساً وعبراً لا حقائق ووقائع !!

وأولئك المتعلمون الذين يقرأون في كتب العلم عن حبة القمح التي تموت ثم

تقوم عشرات بل مئات الحبوب. وعن حبة الرمل التافهة التي تدخل جوف الصدفة فتنتقل من لاشيء إلى عشرات الألوف من الجنيهات، اذ تصبح لؤلؤة ثمينة لا يعدلها مال . وذرة الفحم التي تعيش في جوف الأرض مدة فتجتاز طور الفحم الى طور الماس . انهم يقرأون في العلم مايجعل القليل كثيراً، ونقطة الماء بحراً كبيراً . ومع ذلك فهم يشكّون في قوة الله !

الله الذي خلق حبة القمح وحبة الرمل وقطعة الفحم ونقطة الماء، الله الذي خلق، كيف لا يستطيع أن يزيد ؟!

انني أومن بالله !

واومن بقدرة الله !

واومن بآيات الله !

نعم أنا اومن !!

٧٩

امرأة عظيمة

« وفي ذات يوم عبر اليشع الى شونم . وكانت هناك امرأة عظيمة فأمسكته ليا كل خبزاً » ٢ مل ٤:٨

هي امرأة من بني إسرائيل

وقيل انها امرأة عظيمة . ولعلهم قصدوا الى انها امرأة غنية . ولا عجب فان الاغنياء ينبغي أن يكونوا عظماء ! ! ! وسواء كانوا يستحقون الاكرام أم لا يستحقونه فان الناس ينحنون أمامهم ويكرمونهم !

أما هذه المرأة فكانت عظيمة حقاً !

وهي تستحق كل اكرام ، ليس فقط من الجيل الذي عاشت فيه ، لكن من الاجيال التي تليه !

ونحن لا نعرف اسمها . . كما اننا لا نعرف شيئاً بالمرة عن قومها . كل ما نعرفه انها امرأة غنية من شونم ، البلدة التي أخرجت ابيشبح الشونمية ، الفتاة الجميلة التي كانت حاضنة لداود في شيخوخته ، والتي قيل انها شولميث سليمان ! !

وكانت متزوجة ولكننا لا نعرف شيئاً عن زوجها !

ولم يكن لها ابن !

ونحن نلمح علامات عظمتها . فانها وهي بدون عقب تتمير بشخصية قوية تغطي شخصية زوجها بحيث يتضاءل أمامها . واذا علمنا أن تلك الازمان لم تعط المرأة مكانها كانسان له كيان مستقل، أمكننا أن ندرك قوة تلك الشخصية التي استطاعت أن تخفي الرجل تقريباً . قد يكون لمالها بعض الاثر في ذلك . ولكن المال اذا أضفى شيئاً من القوة على امرىء فانه لا يستطيع أن يخلق له قوة جديدة .

ولا بد انها كانت كريمة مضيافة ، فوق انها كانت تقية عظيمة الدين . كان النبي اليشع يمر بشونم كلما قام بجولاته التعليمية . وكانت تلك المرأة تمسك به وتقدم له الاكرام اللائق بالضيف بل الاكرام اللائق بخادم الله !!

وكثرت زيارات اليشع لشونم وكثر نزوله في بيت شونم !

ورأت المرأة انها مقصرة نوعاً فى اكرام النبي . أو رأت انه لا يحس بالراحة المطلوبة خصوصاً وهو يلاقي كثيراً من التعب في أسفاره . وهي ترغب أن توفر له كل أسباب الراحة . فهي تقول لزوجها ، علمت أنه رجل الله مقدس الذى يمر علينا دائماً . فلنعمل علّية على الحائط صغيرة ونضع له هناك سريراً وخواناً وكرسياً ومنارة حتى اذا جاء يميل اليها — وأسرعت ونفذت فكرها . وبنيت العلّية . وجاء النبي ووجد مكاناً مستقلاً عن البيت يحسّ فيه بكل ما يستطيع الكرم الانساني بل كرم التقوى أن يقدمه !!

كان النبي يأتي في النهار أو في الليل . ويدور إلى السلم الخلفي ويصعد الى

العلية . وكانت المرأة حالما تسمع حسّ رجليه تبادر فتقدم له كل حاجة جسمه المتعب من غسل قدمين ومن طعام !

وأحس أليشع أنه مدين لتلك المرأة !

ماذا يعمل لها ؟

و بماذا يكافئها؟

ونادى أليشع غلامه جيحزي وطلب منه أن يدعو المرأة اليه. فأقبلت ووقفت خارج باب العلية ، وقد غطت وجهها من باب التوقير والاحترام . وطلب أليشع من جيحزي أن يعبر لها عن تقديره لصنيعها وشكره لها ورغبته في أن يرد لها بعض جميلها . وكانت كلماته قوية عميقة مؤثرة « هوذا قد انزعجت بسببنا كل هـذا الانزعاج . فماذا يصنع لك . هل لك ما يتكلم به الى الملك أو الى رئيس الجيش » لم يكن الملك تقياً ولم يكن الحـكام متدينين ولكنهم كانوا يكرمون أليشع . وقد رغب النبي أن يؤدي خدمة لذلك البيت الذي وجد فيه التقوى والغيرة والكرم والمحبة — ولا نعلم لماذا آثر أليشع أن يتحدث الى المرأة بدلا من الرجل، ربما لانها كانت الشخصية البارزة في البيت ور بما وهو الأرجح لان الرجل لم يكن في البيت اذ كان يقيم غالب وقته في الحقـل . وأجابت المرأة أنها لا تحتاج الى شيء وأنها ساكنة وسط شعبها آمنة مطمئنة . . قالت هذا ومضت الى حال سبيلها !

وتضايق أليشع !!

أنه يريد أن يصنع من أجلها شيئاً . وهو يسأل جيحزي فماذا يصنع لهـا . ويقول جيحزي أنه ليس لهـا ابن ورجلها قد شاخ . فيطلب أليشع منه أن يدعو المرأة مرة ثانية. وهي تأتي كما أتت قبلا وتقف في الباب فيقول « في هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحضنين ابناً » .

والمرأة تعلم أن أليشع رجـل الله وتعلم أنه نبي أجرى الله على يديه آيات . . ولـكن أن تعطى ابناً ؟ ! لا . هذا شيء كثير . أنه اكثر جداً مما تؤمل . انه حلم

بعيد التحقيق . هل تحبل وتلد أولاداً . لقد انتهى لها كل رجاء في هذا الأمر . لقد كافحت سنين طويلة لتحصل على الولد وقال لها الاطباء أخيراً كفى عن مساعيك . لن تحبلي ولن تلدي بنين . ومن ذلك الوقت كفّت عن طرق أبواب الاطباء . ومن ذلك الوقت استسلمت للقضاء. وها هي تعيش راضية في بيت زوجها !!

لكن ها هوذا النبي يقول لها انها في نحو هذا الميعاد نحو زمان الحياة ستحتضن ابناً وهي تقول للنبي ، يا سيدي رجل الله لا تكذب على جاريتك . لا تفتح أمامها أملا تعلم أنه بعيد الاحتمال !!

هل كانت تؤمن ؟

نعتقد أنها آمنت وان دلت كلماتها في الظاهر على غير ذلك . ولكننا إذ نحلل كلماتها نرى أنها تقصد أن العطية اكبر جداً مما تستحق أو تنتظر !

وحبلت المرأة !

وولدت في الميعاد ابناً !

وكبر الغلام !

ولنا أن نتخيل ذلك البيت بعد وجود الغلام فيه !

كان الغلام كل شيء !

كان نور حياة أمه !

وكان فخر وقوة أبيه !!

كانت كل العواطف النبيلة في ذلك البيت تجتمع معاً وتتركز في شخص واحد هو ذلك الغلام

كان كل أمل سام وكل حلم نبيل يتألق في ضياء شباب ذلك الغلام !

أصبحت الحياة للزوجين شيئاً آخر !

لقد أحبّا الحياة من أجل الغلام!

واستعذبا كل ألم وكل مشقة لانهما كانا يعملان لتوفير أسباب الراحة للغلام!

ولقد كانت تمر بهما كما تمر بسائر الناس أوقات تثقل فيها نفساهما ولكنهما كانا لا يعبسان بل يديمان الابتسام لانهما كانا يبصران الغلام ! !

الغلام الذي أعطاه الله لهما في شيخوختهما !

وربما جلسا يتحادثان معاً عن أفضال الله عليهما . لقد كانا يظنان أنهما يعطيان شيئاً لله. هما اللذان يبذلان . ويوم بنيا علّية النبي ... ووضعا فيها السرير والخوان والمنارة رأيا في ذلك شيئاً من التضحية وأن تكن تضحية مستحبة . ولقد خجلت المرأة عندما قال النبي « هوذا قد انزعجت بسببنا كل هذا الانزعاج » . . خجلت وان كانت قد رأت في كلام النبي شيئاً من الصحة . لم يكن بناء العلية شيئاً بسيطا . لقد تعبت هي وتعب زوجها و بذلت مالا . كانت مبتهجة بذلك وكانت ترغب أن تعمل أضعاف أضعاف ما تعمل وأن تتعب أضعاف أضعاف ما تتعب . وأن تبذل أضعاف أضعاف ما تبذل . ولكن هذا لا يعني أنها لم تكن تحس بانها تعمل وتتعب وتبذل ! !

أما الآن وهي تنظر الى غلامها فهي تحسّ أن عملها وتعبها و بذلها شيء تافه وحقير لا يجوز أن يخطر على ببالها أو يأتي على لسانها . لقد كان يوماً مباركاً ذلك اليوم الذي حل فيه النبي دارها وأكل طعامها ! !

لقد جاء وجاءت معه أعظم بركة نالتها في الحياة — وهي قد وقعت في نفس الحيرة التي وقع فيها النبي ماذا تصنع له ؟

* * *

وحدث في أحد أيام الصيف أن الصبي ذهب مع أبيه الى الحقل . يغلب انها كانت المرة الأولى التي أبصر فيها الحقل . لذلك لم يستقر في مكانه . هو يركض من هنا الى هناك . يقفز فوق الحزم و يطارد الفراش و يتعلق بالحمار . وكانت الشمس ترسل أشعتها شواظا من نار ، ولكن الصبي لم يعبأ بها بل ظل يركض هنا وهناك صائحا ضاحكا متحدثا . على أنه بعد وقت أحسّ أن رأسه توجعه . . ثم ازداد

الوجع حتى أصبح لا يطاق فصرخ رأسي رأسي . وحاول أبوه أن يخفف عنه . وضع شيئا من الخرق المبلولة بالماء وبالخل على رأسه ولكن الوجع اشتد والولد لا يكف عن الصراخ رأسي رأسي . واذذاك طلب أبوه من أحد الغلمان أن يحمله الى أمه . وحمله الغلام على حمار الى البيت ووصل مكدوداً متعبا . رأسه تكاد تنفجر . أخذت الأم ابنها وأضجعته على حجرها ولكنه لم يلبث إلا ساعة او بعض ساعة ولفظ أنفاسه الاخيرة !

مات الصبي !

انطفأ نور حياتها !

هوت قصور أحلامها الى الحضيض!

ما هي الحياة بدون الصبي؟

ما هو البيت والحقل ؟

ما هو المال والجاه ؟

كل هذا لا شيء بل أقل من لاشيء بغيره !

ان كل بركة هي لعنة بدون الصبي !

إذن لتمزق ثيابها وتضع مسحاً على جسدها وترابا على رأسها . لتلطم وجهها ولتنح على وحيدها كما لم تنح أمرأة على ولد ! !

لترفع رأسها الى السماء!

ولتجدّف !

نعم لتجدّف !!

إذ كيف يسمح الله بان تقع عليها هذه التجربة الساحقة ؟ !

هل طلبت من الله ابناً ؟

هل التمست أن يكون لها نسل؟

ألم تستسلم للقضاء ؟ ؟

ألم تقبل أن تعيش عقيما ؟
هو الذي أعطاها الابن !
وهو الآن يأخذه!!
لئن كان يريد أنها تعيش مستوحشة فلماذا أعطاها ؟
ام تراه يسر بأن يمزق قلبها ؟
كلا . لقد كانت المرأة عظيمة!
لقد تمزق قلبها !
واهتز كيانها !
وامتلأت عيناها بدموع جافة !
لقد فقدت كل شيء !
ولكنها لم تفقد ايمانها ! !
ولم تفقد حكمتها وحسن تدبيرها!!
فهي تحمل الصبي الى علّية النبي!
وتنيمه على سريره !
وتخفي الخبر عن بيتها !
وعن رجلها !!

هي تطلب منه فقط أن يرسل لها وأحداً من الغلمان وأحدى الاتن لأنها تنوي أن تذهب الى رجل الله في الكرمل . كانت الكرمل النقطة المركزية للانبياء . وكانت تقام هناك اجتماعاتهم . يدرسون الكتب ويتعلمون . . ويعلمون . وكان اليشع رئيس مدرسة الانبياء . وكان هناك في ذلك الوقت !!

وعجب زوجها !
لماذا تذهب الى رجل الله ؟
ليس الوقت رأس شهر ولا سبت !

أليس سلام للصبي؟؟

فقالت سلام !!

وشدت على الأتان وأطلقت لها العنان والغلام يركض خلفها . كانت تسير في طريق صخري وكانت الشمس قد مالت نحو الغرب وكانت أشعتها تشبه سياطاً من الجحيم ولكنها لم تحس بشيء من ذلك . . الى ان وصلت الى حدود الكرمل .

كان اليشع وقتذاك جالساً على ربوة وأمامه جيحزي وقد انصرف بنو الانبياء كل الى مكانه. ورفع اليشع عينيه فأبصر الشونمية على الأتان، والأتان تركض بأقصى سرعتها . فطلب من جيحزي أن يركض للقائها ويسألها عن سلامة من لها . وركض جيحزي وقال اسلام لك . اسلام لزوجك اسلام للولد . وأجابت سلام !!

انها لم تشأ أن تتحدث مع غلام النبي . انها لم تأت اليه هو . هل كانت تعرف خبيئة نفسه وأنه لا يملك من الحياة الروحية إلا المظهر . . أم كانت تدرك أن موضوعها يتطلب قوة اكثر من قوته . وسواء كان هذا السبب او ذاك فانها ظلت منطلقة حتى وصلت الى حيث اليشع . فنزلت عن الاتان وانطرحت على الأرض ممسكة بقدمي النبي . وأحس جيحزي أن المرأة لا تقدم لسيده الاكرام اللائق به وان امساكها بقدمي النبي عدم احترام له فتقدم جيحزي بخشونة يدفعها . ولكن اليشع أمره ان يتركها . ألا يرى أن نفسها مرّة وان مرارة نفسها تبيح لها ان تعبّر عن طلبها بالكيفية التي تروق لها — نعم لاحظ اليشع مرارة نفسها وان كان الله قد كتم عنه سر تلك المرارة !!

وقالت المرأة لاليشع هل طلبت ابنا من سيدي . ألم اقل لا تخدعني ؟!

وقبل ان تكمل حديثها أدرك اليشع، او قل ان الله كشف له عن حقيقة الامر فقال لجيحزي اشدد حقويك وخذ عكازي بيدك وانطلق بكل عجلة . لا تتأخر ولو للسلام او لرد السلام وضع عكازي على وجه الصبي. وانطلق جيحزي وظن اليشع ان المرأة ستتبعه ولكنها بقيت ممسكة بقدميه وقالت كلا يا سيدي انه ليس جيحزي بل

أنت. ليس عكازك بل شخصك. حي هو الرب وحية هي نفسك انني لا اتركك!

وقام اليشع معها !

لم يكن سيرهما مسرعاً !

فقد أحست المرأة بالتعب !

ولم يكن اليشع قويا !!

وقابلهما جيحزي عائداً وحمل لهما نبأ فشله . لقد وضع العكاز على وجه الصبي فلم يكن صوت ولا مصغ ! !

ولكن المرأة لم تفشل !

واليشع لم يقف !

ها هو يدخل الى العلية !!

وهو يرى الصبى ميتاً . . موتاً حقيقياً !

انه ليس مغمى عليه كما يريد البعض ان يظن!

ولكنه ميت ومضطجع على سريره !

وأغلق اليشع الباب !

وليس يعرف إلا الله قوة ذلك الصراع الذي قام بين النبي وإلهه . لقد كان صراعاً لم يختبر النبي مثله قبل . . هل تكلم بلسانه ؟ اننا لم نسمع صوته ولكنه فعلا كان يتكلم فقط بغير لسانه . كان يصارع مع الله قائلا أعطني الصبي . كانت روحه تصارع وقلبه يناضل، أعطني الصبي يا رب. انه لا يطلبه لانه يريد ان يأتي آية كما فعل جيحزي . ولكنه يطلبه لانه كان يلمس مرارة نفس امه . بل أن مرارة نفسها انتقلت اليه . انه يحس انه هو « ام » الصبي . انه يشعر ان حياته هو متعلقة بحياة الصبي . انه يصعد الى السرير ويحتضن الصبي وكأنه يريد أن يضع روحه في الصبي . . .

* * *

وفتح الصبي عينيه !
وعاش ! !

* * *

لم تكن مهمة سهلة
كان صراع قلب مملوء بالمحبة !
وصراع نفس عامرة بالايمان !
وأين القوة التي تستعصي على المحبة والايمان ؟!
ان الموت لا يستطيع ان يثبت أمامهما !
ان الله نفسه يقول، حوّلي عني عينيك لانهما قد غلبتاني . . !
و يقول، قد جاهدت مع الله وقدرت !!
فتح الصبي عينيه !
وعاش !!

* * *

وحمل جيحزي الخبر الى أم الصبي!
فأتت وسقطت عند رجلي اليشع!
وسجدت الى الارض!
ثم حملت ابنها !
وخرجت والدنيا لا تسعها من فرط فرحها!
خرجت وحدثت رجلها !
وقومها !!
وكانت شهادتها رسالة نور في جيل الظلام الذي خيم على اليهودية !
نعم ففي وسط الظلمة أشرق نور!

٨٠

أبرص وأبرص

« وكان الاراميون قد خرجوا غزاة فسبوا من ارض اسرائيل فتاة صغيرة فكانت بين يدى امرأة نعمان . فقالت لمولاتها ياليت سيدي امام النبي الذي في السامرة فانه كان يشفيه من برصه »
(٢مل ٥ : ٣ و ٤)

نحن الآن امام قصر في مدينة دمشق ، قصر رفيع العماد عالي القباب وقد امتدت امامه طريق غرست على جانبها الأشجار و برزت بجانبها الأزهار

و يقف امام القصر عدد من جنود الجيش وقد تقلدوا سلاحهم

واذ نسأل عن القصر وساكنيه نعلم انه للقائد العام لجيش أرام. وهو رجل فارع الطول ممتلىء الجسم مهيب الطلعة منتصب القامة حاد النظرات جبار بأس . وقد قاد جيش أرام في غزوات ناجحة وكانت الخطط الحربية التي وضعها تدل على طول باع في فنون الحرب !!

وقد قلده الملك القيادة واولاه ما تستحقه هذه الوظيفة من مال ومجد وكرامة

نال «نعمان» وهو اسم القائد العام ، وكان من أصل سرياني — كل مايشتاق انسان ان يناله . فقد حصل على المال والوظيفة والجاه والزوجة . ولكنه لم يكن سعيداً لان مرضاً خبيثاً عرف طريق بدنه فنغص عليه حياته. وكان يتألم منه كثيراً فما اكثر الليالي التي قضاها مسهداً يتقلب على فراشه متأوهاً — كان نعمان أبرص!!!

وقد ذهب إلى العدد العديد من الأطباء والدجالين والكهنة واستعمل كل دواء

كتبه طبيب وكل وصفة كتبها دجال وكل صلاة وصفها كاهن ولكن مرضه لم ينقص، بل بدا انه يزداد . وقد شقي نعمان من ذلك أى شقاء !!

وكانت لنعمان زوجة فاضلة لم تكن كالزوجات الوثنيات بل كانت مسيحية في علاقتها بزوجها فقد تألمت لألم نعمان وكانت في خلوتها كثيراً ما تبكي وترفع عينيها إلى الآلهة تنشد عونها . وما اكثر من طرقت أبوابهم من أطباء تلك الأيام والسحرة والعرافين وما اكثر ما انفقت دون جدوى !!

وحدث أن جيوش أرام غزت يوماً في أرض يهوذا وعادت بسلب كثير . وكان بين السلب فتاة يهودية صغيرة جميلة رقيقة . وقد أهداها الغزاة لقائدهم وهو بدوره أهداها لزوجته. و يبدو ان امرأة نعمان عاملتها بغير ما كانت تنتظر من العنف فمالت اليها وأخلصت في خدمتها

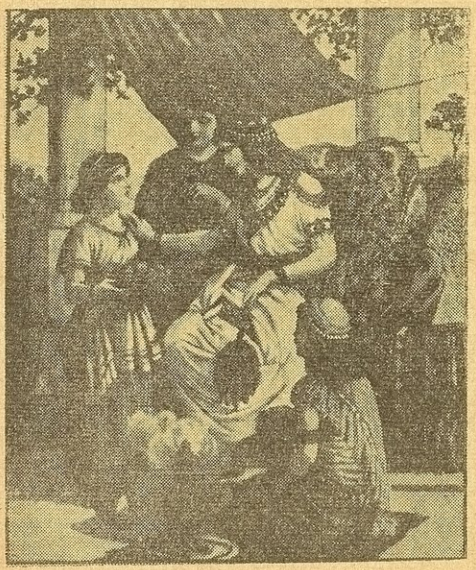
وكانت الفتاة تلاحظ أن سيدتها لا تكاد تبتسم وان الضحك لا يعرف طريقه اليها بل «ضبطت» الفتاة سيدتها تبكي . وسعت حتى كشفت سر بكائها وعلمت بجهود امرأة نعمان مع السحرة والعرافين . فتقدمت اليها يوماً وحدثتها عن الهها وقوة الهها ثم حدثتها عن نبي الله في السامرة واعمال القوة التي أجراها . اخبرتها انه ضرب النهر برداء سابقه فانشق النهر ومرّ في اليابس . وان ملك يهوذا ومعه ملكان خرجوا للحرب وكادوا يهلكون من العطش لولا ان النبي أسعفهم فاستنزل لهم من السماء مطراً لحياتهم — وحدثتها عن زوجة النبي التي مات زوجها عن دين كبير وان الدائن لما جاء يقتضيها الوفاء ولم يكن لها شيء اراد أن يأخذ ولديها عبدين ولكن اليشع أجرى لها آية الزيت فأوفت الدين وفاض لها الكثير — ثم حدثتها عن ابن المرأة الشونمية الذي مات ولكن النبي أقامه من الموت

وكانت زوجة نعمان تستمع للحديث بلذة وشغف وتتمنى لو أن نبياً نظير هذا قام في دمشق — وفيما هي تحلم أحلامها الجميلة هذه اذا بالفتاة اليهودية تقول، لماذا لا يذهب سيدي إلى النبي في السامرة فانه كان يشفيه من برصه !!

وكان ابتهاج زوجة نعمان طاغياً . وقد أسرعت وحدثت زوجها عند مجيئه بقوات و« كرامات » النبي الذي في السامرة وألحت عليه أن يذهب

وذهب نعمان إلى ملك أرام وتحدث اليه عن إله بني اسرائيل ونبي السامرة وكان مستعداً أن يبذل الكثير في سبيل تخليصه من مرضه الملعون . ولذلك استقبل الكلام بقبول . ولم يفرق ملك أرام بين إله اسرائيل وملك اسرائيل . أليست الآلهة في خدمة الملوك، إذن ليرسل كتاباً ومعه هدية ثمينة الى ملك اسرائيل يأمره أن يشفي عبده نعمان ؟ !

وقامت قافلة كبيرة من دمشق الى السامرة . قافلة فيها جود وعبيد وهدايا محملة على البغال وظلت تسير غرباً حتى وصلت إلى السامرة واتجهت مباشرة إلى بيت الملك واستقبل الملك قافلة دمشق بترحاب ممتزج بالخوف . وقدم نعمان كتاب سيده وكان كتاباً قصيراً لا يحوي الا الكلمات : « ... فالآن عند وصول هذا الكتاب اليك هوذا قد أرسلت اليك نعمان عبدي فاشفه من برصه »



الجارية تحدث زوجة نعمان عن النبي الذي في السامرة

وما أن قرأ ملك اسرائيل الكتاب حتى مزق ثيابه وقال لعبيده هل أنا مكان الله لكي أميت وأحيي حتى ان هذا يرسل إليّ أن أشفي رجلاً من برصه فاعلموا و نظروا انه انما يتعرض لي

ونحن نقف مندهلين امام عمل الملك ألم يسبق له أن سمع عن اليشع. ان اليشع يعيش منه قاب قوسين أو أدنى . وقد عمل عجائب وعظائم وقد وصل صيته الى أقاصي الأرض وهوذا قائد جيش أرام يأتي الى السامرة يبتغي قوة الشفاء عنده . ومع ذلك فان ملك اسرائيل لم يسمع عن ذلك النبي ، أم ترى كان ما أتاه نسياناً بسبب خوفه. لقد طغى عليه الخوف فأنساه انه يوجد نبي لله في السامرة وان ذلك النبي يستطيع أن يشفي نعمان ـ في الحق اننا لا نستطيع أن نجد عذراً مقبولا لعمل ملك اسرائيل!!

ويظهر أن خوف ملك اسرائيل كان عظيماً وان الاضطراب شمل الحاشية كلها وان المدينة تحدثت عن حرب موشكة أن تشتعل . ووصل الخبر إلى اليشع في صومعته فتأسف في نفسه كثيراً وأرسل الى الملك يقول لماذا مزقت ثيابك ليأت الرجل الي فيعلم انه يوجد نبي في اسرائيل!!

وجاء نعمان في موكب عظيم بخيله ومركباته ووقف عند باب بيت اليشع . جاء وهو يظن ان النبي سيكون بانتظاره على الباب وانه سيرحب به كما رحب به الملك وانه سيقيم صلاة وسيقوم بعبادات.. ولكن شيئاً من ذلك لم يكن فقد انتظر بالباب وطال به الانتظار وأخيراً نزل من بيت اليشع رسول وسأل أين نعمان ثم قال له اذهب اغتسل سبع مرات في الاردن فيرجع لحمك اليك وتطهر !!

وغضب نعمان!

هل هذه نهاية رحلة من دمشق الى السامرة ؟

«لقد كنت انتظر أن يخرج النبي الي ويقف ويدعو باسم الرب الهه ويردد يده فوق الموضع فيشفى الابرص »

ولكنه لا يخرج الي هو!

بل يرسل رسولا !

ولئن سكتّ عن ذلك واحتملت المهانة لأني ابتغي الشفاء، فاني لا استطيع أن أسكت على العلاج

اغتسل في نهر الاردن ؟

نهر الاردن القذر المملوء بالطين ؟

ان السليم اذا اغتسل في الاردن يصاب ؟؟!

لماذا لااغتسل في نهري دمشق ، أبانة وفرفر ، وماؤهما كالفضة النقية، لماذا لا اغتسل فيهما فأطهر ؟؟

وأمر رجاله أن يحوّلوا المركبات إلى الشرق ومضى بغيظ عظيم!

وهنا تقدم بعض رجاله والتمسوا أن يقولوا له كلمة فاذن لهم . فقالوا لو أن النبي طلب منك أمراً عظيما يتطلب أسفاراً في بحور وصحاري وفوق تلال وجبال أما كنت تفعل ذلك .. فكم بالحري اذا قال لك اغتسل واطهر . لماذا لا تجرب علاج النبي وهو سهل، أم ان سهولة العلاج عيب؟

وتردد نعمان قليلا وهدأ غيظه ورأى في حديث عبيده شيئاً من المنطق فعاد الى نهر الاردن وغطس سبع مرات وصعد من الماء!

ياللعجب العجاب !!

لقد اختفى الابرص !

لقد رجع لحمه كلحم صبي صغير !!

نسى نعمان في غمرة فرحه انه رجل عظيم وأنه قائد كبير وجعل يثب و يطفر ويذكر الله إله اسرائيل بكل تمجيد — نعم نسى نعمان ذلك ولكنه لم ينس أن يشكر النبي فعاد اليه. جاء هذه المرة لا كما جاء المرة الاولى في كبرياء وصلف، بل في تواضع وشكر ودخل الى النبي ووقف امامه وقال ، هوذا قد عرفت انه ليس اله فى كل الارض الا فى اسرائيل!!

والآن فخذ بركة من عبدك !!

كان نعمان يظن ان اليشع سيتقبل تقدمته بسرور ثمناً لبركة الشفاء ، ولكنه

ذهـل وهو يسمع اليشع يقول ، حي هو الرب الذي انا واقف امامه اني لا آخذ . وظن نعمان أن قول اليشع هو من باب التمنع فألحّ عليه أن يأخذ فأبى ! !

ونظر نعمان الى اليشع

انه شخص ضئيل الجسم وقد انهـكت جسمه حياة التقشف فبرزت عظامه وتغضنت عروقه !!

ولـكن نعمان اذ سمع كلامه جعلت تلك الشخصية تعظم وتعظم حتى امتدت الى السماء. لقد وقف اليشع ملـكا عظيما !

بل إلهاً كبيراً!!

وهنا جثا نعمان امامه !

إذن يا سيدي اسمح لعبدك بحمل بغلين من تراب السامرة لابسطه في دمشق وابني فوقه مذبحاً لله لاني منذ الآن عبد لاله اسرائيل !

وكذلك ياسيدي اسأل ان يصفح الرب عن عبدك اذا مادخلت مع ملكي ليسجد في هيكل رمون. . وسجدت معه . ان سجودي يا سيدي ليس تعبداً ولكنه واجبي السياسي بصفتي رئيس الجيش.. انني لن اقرب بعد محرقة او ذبيحة لآلهة أخرى بل للرب.

ولا نعلم هل سمح له اليشع بما طلب ام لا . كل ما نعلمه انه قال له امض بسلام

ومضى نعمان وقد امتلأ قلبه بالتوقير لاله إسرائيل و نبي إله اسرائيل . إله يشفي الابرص. ونبي يرفض المال. لا شك ان إله اسرائيل هو الله ونبي اسرائيل هو نبي الله!!

* * *

كان نعمان يتحدث الى نفسه بهذه الـكلمات عندما قيل له ان شخصاً يركض خلفهم . وحققوا النظر فاذا هو جيحزي غلام نبي اسرائيل الذي كان واقفاً أمامه . واسرع نعمان فأمر بالوقوف ونزل من مركبته للقائه وقال اسلام ؟!

واجاب جيحزي سلام . ان سيدي قد أرسلني لأن غلامين من جبل افرايم من بني الانبياء قد جاءا اليه يطلبان معونته وهو يطلب ان تعطيهما وزنة فضة وحلتي ثياب

ترى هل صدّق نعمان جيحزي ؟

يظن البعض أنه صدّقه !!

ولا شك ان مقام اليشع هبط في نظر نعمان نوعا ما . شخص يرفض بالحاح ان يأخذ شيئاً بكرامة . ثم يرسل غلامه فيركض خلفه و يطلب ! و بالرغم من ان نعمان التمس المعاذير لاليشع لأنه لم يطلب لنفسه إلا ان مقامه السابق تأثر !

على ان البعض يظنون ان نعمان لم يصدق جيحزي وله الحق ان يكذبه . ولكنه لم يشأ ان يظهر له ذلك بل ألحّ عليه ان يأخذ بدل وزنة الفضة وزنتين. وحمل المال والثياب غلامان من غلمان نعمان الى ان اودعها جيحزي في بيته ثم عادا الى نعمان ، ولا بد انهما أخبراه ان المال دخل بيت جيحزي لا بيت اليشع !

أما جيحزي فدخل ووقف امام اليشع وسأله اليشع من اين يا جيحزي فأجاب بنغمة بريئة ، لم يذهب عبدك الى هنا او هناك !!

وهنا تكلم اليشع

ألم يذهب قلبي حين رجع الرجل من مركبته للقائك؟

اهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب ؟

وزيتون و كروم وغنم و بقر وعبيد ؟!

كان جيحزي يسمع كلام اليشع مذهولا . ان أحداً لم يره حين ركض خلف نعمان . . ولم ير احد نعمان ينزل من المركبة وهو يعطيه الفضة والثياب . ثم الزيتون والكروم والغنم والبقر والعبيد هذه لم تخرج عن فكره هو . كان يحدّث نفسه عن شرائها . ولكن عين النبي رأت ما كان يجول في رأسه وفي صدره ! !

كان جيحزي ينتفض وهو يسمع كلمات النبي و يتلّوى ويصفر وجهه ولكن اضطرابه بلغ اشده وهو يسمع اليشع يقول « فبرص نعمان يلصق بك و بنسلك الى الابد » .

وهكذا عاد نعمان الابرص الى بيته صحيحاً!

وخرج جيحزي من حضرة النبي أبرص !!

٨١
انتهاء المجاعة

« ثم قال بعضهم لبعض لسنا عاملين حسنا. هذا اليوم هو يوم بشارة ونحن ساكتون » ٢مل ٧: ٩

عرفت مدينة السامرة ماهو الجوع. فقد حاصرها الاعداء من كل ناحية وقطعوا عنها كل سبيل للخبز وللماء — ولم تمض إلا شهور قلائل حتى بدت مظاهر تلك المجاعة في ابشع صورها. بدأت الحالة تسوء مع الفقراء أولاً لان مواد الطعام أصبحت لا تباع إلا في السوق السوداء وكلما طالت أيام الحصار ارتفعت الاسعار. وظلت الاسعار ترتفع بسرعة جنونية حتى وصلت الى أرقام خيالية. فبيع زبل الحمام. بيع لا لكي يسمدوا به الأرض بل لكي يأكلوه. نعم اكلوا زبل الحمام بعد أن اختفت الاطعمة التي تؤكل. وقد بيع زبل الحمام بثمن مخيف. بيع ما يوازي الحفنة منه بمبلغ كان وقتها عشرين قرشاً أي بما يساوي اليوم أزيد من جنيهين!! ورأس الحمار أيضاً اكلوه، وكان طعاماً لكبار الاغنياء لانه كان يساوي نحو خمسة جنيهات أي ما يساوي اليوم أزيد من خمسين جنيهاً !!

ولنا أن نتصور حالة قوم يأكلون زبل الحمام ويشتهون رأس الحمار. لنا أن نتخيل حالتهم لكن لماذا نتخيل. لماذا لا نعود إلى الاسفار المقدسة لنسمع حديث الجوع في السامرة. لنسمع ذلك الحديث المروع المخيف من نفس سكان السامرة !!

ها نحن نقف أمام قصر الملك. وها هو الملك يتمشى على السور وهوذا امرأة تأتي اليه وهي تجر معها إمرأة أخرى وتصرخ خلص يا سيدي الملك. وكانت مرارة الملك عظيمة فصاح بها، لا يخلصك الرب. من أين اخلصك. أمن البيدر أم من المعصرة. ثم هدأ الملك قليلاً وقال لها، مالك؟! فقالت، أنني وهذه المرأة نقيم متجاورتين وقد عشنا معاً سنين طويلة كاحسن ما تكون الصديقتان. وقد خرج رجلانا إلى

القتال في جيش الملك ولسنا نعلم مصيرها . لعلهما قد ماتا في هذه المجزرة .وقد مرت علينا يا سيدي الملك أيام قاسية ولـكننا احتملناها . كم من ليلة بتنا على الطوى وكم من يوم مرّ دون أن نتبلغ إلا بقليل من زبل الحمام . ولقد كنا نخرج الى اكوام الزبالة والـكلاب تكشر في وجوهنا ولـكنا لم نأبه لها بل شاركناها فأكلنا كل ما لم تستطع الـكلاب أن تأكله .. بل اكلنا ياسيدي الملك المشيمة الخارجة منا !!!

وجئنا الى الامس وقد هدنا الجوع.لم نجد طعاماً مدة أيام وطفلانا ظلا يصرخان طول النهار وطول الليل. ليس في اثدائنا لبن لهما !!!

فاتفقنا على أن نريحهما من الحياة.ليموتا.انهما سيموتان على كل حال.اذن لماذا لا يموتان الآن . لماذا ينتظران ويقاسيان أياماً صعبة . ثم لماذا لا نفيد من موتهما ؟ اتفقنا ياسيدي الملك على أن نذبحهما ونأكلهما فذبحنا ابني بالأمس وسلقناه واكلناه ياسيدي الملك.اكلنا ابني،نعم اكلناه.وقدطلبت منها اليوم أن تذبح ابنها لنأكله فخبأته!

لم يستطع الملك أن يسمع اكثر من ذلك ، لقد جنّت المرأة ولا شك . هل يمكن أن تقتل امرأة ابنها وهل يمكن أن تسلقه وتأكله ؟ لقد جنّت المرأة ولا شك. أطاح الجوع برشدها وأطاح الجنون بأمومتها . وتألم الملك كما لم يسبق له أن تألم من قبل وتمزق قلبه، فمزق ثيابه وظهر مسح على جسده نعم كان الملك متذللاً ! !

على أنه لم يكن تقياً !

كان ينبغي أن يتذلل الى الهه !

وكان ينبغي أن يفحص نفسه !

ويعترف بخطيئته !!

ولـكنه لم ير الخطأ في نفسه ! !

ولا في شعبه ! !

بل في نبي الله اليشع ! !

إذن ليقتل اليشع ! ! !

وما ذنب اليشع ؟

انه ذنب المنذر للأثيم !

انه ذنب الطبيب للسقيم !!

انه ذنب الرقيب للشعب !!

وكان حرياً بالملك أن يذهب الى اليشع و يطلب منه أن يصرخ الى الرب إلهه عسى أن يفتكر الاله فيهم فلا يهلكون جوعاً . ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك بل حلف أنه سيقطع في ذات اليوم رأس اليشع بن شافاط ! !

وكشف الله للنبي نية الملك الشرير .

فتمكن من النجاة من القتل غيلة كما نوى الملك أن يفعل !

وأعلن للشيوخ الذين حوله أن الله سيرسل خلاصه دافقاً فائضاً وأن ليس لهم أن ينتظروا طويلاً فغداً سينادى على كيلة دقيق القمح بما يساوي أزيد قليلا من عشرة قروش وعلى كيلتي دقيق الشعير بذلك الثمن . وكان أحد جنود الملك واقفاً ولعله الرسول الذي أرسله الملك لقتل اليشع. هذا سخر من كلام اليشع وقال له بنغمة التهكم اللاذع هوذا الرب يفتح طاقة في السماء فلن يكون شيء من هذا ! أما اليشع فنظر اليه حزيناً وقال أنك سترى بعينيك ولكنك لن تأكل منه ! !

* * *

في نحو ذلك الوقت كان أربعة برص يقيمون في محلتهم وقد اشتد بهم الجوع حتى كاد يأتي عليهم. لا نعلم اسماء هؤلاء الاربعة ولو أن التقاليد تقول أنهم جيحزي وأولاده الثلاثة . هؤلاء لما اشتد بهم الجوع تفاوضوا معاً، لماذا لا نرتمي في احضان الآراميين الغزاة فان تحننوا علينا بقليل من الطعام عشنا وردت حياتنا . وان قتلونا استرحنا من الجوع ونحن مائتون على كل حال !!!.

وخرج البرص من مكانهم وانطلقوا الى محلة المحاصرين وكان اندهاشهم عظيما. ليس هناك حسّ ولا صوت. لقد أزعج الله الغزاة فظنوا أن اسرائيل قد استأجرت

ملوك الامم ضدهم فهربوا وتركوا في عجلتهم كل شيء . وجاء هؤلاء البرص الى آخر المحلة ودخلوا خيمة واحدة فأكلوا وشربوا وحملوا منها فضة وذهباً وثياباً ومضوا وطمروها . ثم رجعوا ودخلوا خيمة أخرى وحملوا منها ومضوا وطمروا !!

وكانوا على وشك الدخول الى خيمة ثالثة حين أحسوا بوخزات حادة في ضميرهم. لسنا عاملين حسناً ـ نأكل نحن والقوم في المدينة يموتون جوعاً، ونطمر وهم لا يجدون شيئاً . كلا . لسنا عاملين حسناً. اليوم يوم بشارة ونحن ساكتون . وهمس أحدهم وكيف نستطيع أن نخبر بهذه البشارة في هذا الليل ، لماذا لا ننتظر الى الصباح ؟ فهتف الثاني، لكم أخشى أننا اذا انتظرنا الى ضوء الصباح فسيصادفنا شر ، أي شر وانتهى أمرهم على الاخبار بما علموا . فقصدوا الى باب المدينة وتحدثوا الى الحارس وهو اتصل بغيره من الحراس وحملوا الخبر الى الملك !!

ولم يتحمس الملك للخبر بل استقبله بكثير من الشك والتردد . فلما اكدوا له أن الخبر صحيح قال أن الأمر لا يزيد عن خدعة ماكرة يقصد بها الغزاة الى افناء البقية الباقية من الشعب . وان من الحكمة البقاء داخل الاسوار. ولكن المشيرين ألحوا على ارسال طليعة من فرسان للتحقق من الأمر . واكتشفت الطليعة حقيقة الأمر فهجم الشعب يبتغي الطعام ونادى المنادي ، كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل !!

وأرسل الملك جنديه ليقف في الباب يمنع السيل المندفق من الناس، ولكنهم اندفعوا بعنف وداسوه تحت أقدامهم ومات دون أن يأكل من الطعام !!

وهكذا تحققت نبوة النبي !!

لقد استهزأ الجندي قائلا : أن هذا لن يكون ولو فتحت طاقة في السماء !

وقال النبي انك سترى ذلك ولكنك لن تأكل منه، وهكذا كان !!

٨٢

النبى الذي ذهب مرغماً

« فقال الرب انت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولاربيتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التى توجد فيها اكثر من اثنتى عشر ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم » (يونان ٤ : ١٠و١١)

هذا نبي رأيناه يبرز من الغموض
لانعرف له أسرة ولا عشيرة
ولا نعلم شيئاً عن مسقط رأس أو وطن
ولم يتحدث التاريخ عن بدء حياته أو ختامها
كل مانعلمه عنه ان اسمه يونان بن امتاي
وان الله أمره بالذهاب إلى نينوى
وقصة تلك الدعوة !!
صار قول الله إلى يونان بن امتاي قائلا
قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لانه قد صعد شرهم امامي
كانت نينوى عاصمة مملكة أشور
وكانت تحكم العالم المعروف وقتذاك
وكانت ، شأنها شأن كل العواصم الكبيرة ، مدينة امتزجت فيها حسنات المدنية بسيئاتها وخيرها بشرها. بل في الحق كان شرها أغلب. وقد كان يقطنها —

على ما قيل مليونان. وكان سادتها يعيشون عيشة حيوانية يتمرغون في أعطاف الترف ويتنقلون من فراش إلى فراش. وقد تفننت نساؤها في ابتكار وسائل الزينة والاغراء. فعمّ الفسق دورها وجرت الخمور أنهاراً في أزقتها وملك المسكر — وما يتبع المسكر من آثام — قيادها. ونتج عن ذلك سيل من شرور اخرى هي شرور المظالم والرشوة ودوس الفقير والسلب والنهب. وبالجملة كانت نينوى سدوماً أخرى أو جحيما صغيراً يرسم للبشر صورة للجحيم الأكبر!!

وقال الله ليونان

اذهب إلى نينوى وناد عليها لأن شرهم قد صعد أمامي!
أما ذلك النداء فكان قصيرا قوياً جازماً
« بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى!! »

* * *

سمع يونان دعوة إلهه
ونحن نرى من خلال عظام رأسه
ونحن نرى من خلال ضلوعه
ثورة في فكره
وثورة في قلبه
مزيجا من سرور واحتقار وغيظ
نعم فقد سرّ لان المدينة العظيمة ستنقلب
وأحس نحو المدينة الاممية بزراية
وساءه أن يذهب لينذرها بمصيرها؟
لماذا يرسله الله لينذرها؟
لماذا؟
لماذا يذهب نبي اسرائيلي إلى تلك المدينة الدنسة

لماذا لا يتركها لتنال نصيبها الحق بدون انذار؟

ألم يفعل ذلك مع سدوم ؟

تتقلب نينوى إذن بدون انذار !!

أم تراه قصد من الانذار صوتا للمدينة ؟

فربما أصغت إلى الصوت !

وتأثرت ! !

وآمنت ! !

وتابت واستغفرت !!

والتمست الرحمة !!

نعم ربما فعلت ذلك !

والله إله رحيم !!

فسيرى دموعهم!

وسيسمع صلاتهم !

وسيصفح عنهم !

وهمس يونان في نفسه :

يا للبلية !!

أنا يونان بن امتاي !

أنا النبي الاسرائيلي !

أنا اكون سببا في نجاة نينوى !؟!

اللهم لا . . . اللهم لا ! !

انني استمطر اللعنات عليها !

والسخط والغضب !!

والهلاك الماحق !!

لن اذهب إلى نينوى !
لن اذهب وفيّ رمق !

* * *

وقام يونان ليهرب من وجه الرب !
ذهب من كنعان إلى يافا !

وفي يافا وجد سفينة مقلعة إلى الغرب فتقدم من قبطانها ورجاه أن يحمله معه ودفع الأجرة ونزل في السفينة وانطلق الى جوفها وهناك نام نوما ثقيلا !
لقد استراحت نفسه!
استطاع أن يهرب من وجه الرب ! ! !
و بعد أيام قليلة ستفصله ألوف الأميال عن نينوى !
وستهلك نينوى ! !
ستنقلب ! !

* * *

على أن يونان أخطأ الحساب لقد ظن انه قد هرب من وجه الرب . لـكن الله أرسل ريحاً على السفينة واذا بالسفينة الكبيرة تضطرب كريشة امام عنفها . وزأر البحر زئيره المخيف وتعالت الأمواج جبـالاً فوق جبال وصوتها المرتفع يوقع الذعر في القلوب!
ما هذه العاصفة !

وقال القبطان والنوتية اننا لم نقابل طيلة حياتنا عاصفة مروعة نظير هذه العاصفة. صعدت السفينة فوق الأمواج ثم قذفت بها الأمواج الى الحضيض. وخيل للقوم أن السفينة ستتناثر قطعاً ،فانبطح جمعهم على وجوههم. وصرخ كل نوتي الى الهه والتمسوا الرحمة بكل لسان وهم يعترفون و ينذرون ولكن العاصفة كانت تزداد طغيانا !!
وكان القبطان يتفقد السفينة وقد عنّ له أن يفحص جوفها خشية حدوث عطل

فيه . وفي جوف السفينة أبصر رجلاً مستغرقا في النوم !

وكان عجب القبطان عظيما !!

وكان غيظه أعظم ! !

هل يمكن أن ينام انسان امام تلك العاصفة الهوجاء . كيف يستطيع أن يظل نائما وزئير الأمواج قد أيقظ السمك في البحر والوحش في البر والطير في الهواء ؟

وهل يجوز لانسان أن ينام ؟؟

أيها الرجل ! !

مالك نائما!

قم ! !

قم اصرخ الى الهك عسى أن يفتكر الاله فينا فلا نهلك !!

وقام يونان !

وسمع زئير الأمواج !

ورأى العاصفة العاتية !

وعلم ان الله يتكلم !!

* * *

واجتمع الركب جماعة ضعيفة قليلة على سطح السفينة والقوا قرعاً ليعرفوا بسبب من هذه البلية !

وفيما هم يلقون القرعة وقع عليهم صمت كصمت القبور . وكان كل قلب يدق بصوت مرتفع!!

فهذا النوتي الفينيقي يذكر انه سلب التاجر الذي اشترى منه جانباً من البضائع ولم يدفع ثمنها فهل كان غضب السماء عليه بسبب ذلك ؟

والنوتي المصري يذكر انه لم يوفِ نذره للالهة يوم أقلع مع انه أقسم بشدة أن

يتمم النذر ، العل هـذا هو سبب العاصف ؟ ؟

أما النوتي اليوناني فيضطرب من القرعة لانه يذكر انه أساء الى عذراء وانه غدر بها و بقومها وربما كانت الآلهة تبحث عنه ؟ ؟

وهكذا كان كل نوتي يضطرب من القرعة و يخشى أن العاصفة هي يد الآلهة تبحث عنه لتوقع عليه قصاص اثمه ! !

أما يونان فكان يعلم بيقين !

نعم كان يعلم انه هو السبب !

لانه عندما سمع صوت الأمواج !

وعندما أبصر العاصف علم ان الله يتكلم ! !

ووقعت القرعة عليه !

فاندفعت النوتية نحوه وسألوه

أخبرنا :

ماهو عملك ؟

ومن أين أتيت ؟

وما هي أرضك ؟

ومن أي شعب أنت ؟ ؟

* * *

وقال يونان :

أنا عبراني !

وأنا نبي لله ، الله الحقيقي الذي خلق السماء والأرض ، الله الذي كل آلهة الأمم أمامه لا شيء !

أنا نبي لله !

وقد أمرني الله أن اذهب الى نينوى !

ولم أشأ ان اذهب !

فأنا هارب !

نعم أنا هارب من وجه الله ! !

* * * *

وخاف الرجال خوفا عظيما وقالوا له لماذا فعلت هذا ، لماذا أسأت الى نفسك والينا والآن قل لنا ماذا تصنع حتى يكف غضب الهك عنا ؟

واطرق يونان إطراقة طويلة ، ثم رفع رأسه وقد بان التصميم في عينيه وقال خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم لأنني عالم أنه بسببي هـذا النوء العظيم عليـكم !

ولـكن الرجال لم يشاءوا أن يفعلوا ذلك . لقد كانوا كراماً . وقد حاولوا أن يرجعوا السفينة إلى البر فلم يستطيعوا لأن البحر كان يزداد اضطراباً . هذا ويونان يحضهم على طرحه في البحر وهو يقول لهم أن البحر لن يسكن الا اذا طرحوه فيه. فلما يئسوا من البحر صرخوا الى اله يونان وقالوا آه يارب لا نهلك من أجل هذا الرجل ولا تجعل علينا دماً بريئاً لانك يا رب فعلت كما شئت . ثم أخذوا يونان وطرحوه في البحر !

وهنا حدثت الآية ! !

وقف البحر عن اضطرابه ! ! !

ولـكن اضطراباً أشد ملأ قلوب الرجال . خافوا من الرب خوفاً عظيماً . يا له من إله . أن انساناً ما لا يستطيع أن يهرب منه . وذبح القوم ذبيحة للرب ونذروا نذوراً ! !

* * *

طرح الرجال يونان في البحر .

وكان يونان يظن أن البحر سيبتلعه الى غير رجعة !

ولـكن الله كان قد سبق فأعدَّ حوتاً كبيراً ليبتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال !

وفتح يونان عينيه فلم ير شيئاً !

وحاول أن يعرف مكانه فلم يعرف . كل ما عرفه انه في جوف قبر متحرك . وأنه يحس بضيقة لم يجز نظيرها طيلة حياته . انه يكاد يختنق بل لقد اختنق بالفعل. أن انفاسه لا تجد لها مكاناً لا في صدره ولا خارج صدره . انه يوشك ان يموت ولـكنه في ضيقته يتجه الى الله !

وهنا استراحت نفسه !

أن أشد ضيق لا يحجبنا عن الله !!

أن وجه الله لا يمتنع عن يونان ولو كان يونان في اعماق البحر !

ترى هل كان يونان يردد تلك الـكلمات التي قالها قبله ذلك المرنم ؟ ؟

أين من روحك أمضي
أين لي منـك الهروب
أنت في كل مكان
حاضر أيا مهـوب
أن صعدت في الاعالي أو فرشت في القبور
أو أخذت لي جناحاً أو سكنت في البحور
فهنـاك أنت تهدي قدمي يا قدير
ويداك تمسكاني حيثما أنا أسـير
قلت يغشاني ظلام واذا حولي ضياء
فلديك ليس ليل أنت يا نور السماء
انما الليل مضى عند ربّي كالنهار
والظلام مثل نور مشرق لقد أنار

وصلى يونان من جوف الحوت
وكانت صلاة تستحق أن تنقش على كل قلب :
دعوت من ضيقي الرب فاستجابني !
صرخت من جوف الهاوية فسمعت لى !
لانك طرحتني في العمق !
في قلب البحار !
فاحاط بي نهر !
جازت فوقي جميع تياراتك ولججك!
فلقد قد طردت من أمام عينيك !
ولـكنني أعود انظر الى هيكل قدسك !
قد اكتنفتني مياه الى النفس !
أحاط بي غمر !
التفّ عشب البحر برأسي !
نزلت الى اسافل الجبال !
مغاليق الأرض علىّ الى الابد !
ثم أصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي !
حين أعيت فيّ نفسي ذكرت الرب فجاءت اليك صلاتي الى هيكل قدسك
الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم !
أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفي بما نذرته !
للرب الخلاص!!

* * *

ترى هل نطقت شفتا يونان بهذه الصلاء أم أن قلبه تحدث بها بغير كلام ؟

هذا سؤال لا نستطيع أن نجيب عليه لأننا لا نعلم ، وانما الذي نعلمه ان هذه الصلاة صعدت الى الله وان الله سمع وأنه اجاب ! !

وأمر الرب الحوت فقذف يونان الى البر !!

* * *

و يسألني الكثيرون هل ابتلع الحوت يونان حقاً ؟

أم هي رواية خيالية ؟

وان الوحي قصد منها دروساً ؟

ولست أعلم لماذا يحاول الناس الشك في حرفية القصة . وقد قرأنا في الجرائد أن حوتاً قذف رجلا وأنهم وجدوه مغمى عليه واتضح انه مكث في جوف الحوت أزيد من ثماني وار بعين ساعة !!

ولعل الاعتراض بضيق حلق الحوت هو أضعف اعتراض إذ أن هناك أنواعا كثيرة من السمك لها بلعوم كبير يسع الرجل واكثر من الرجل !!

ينبغي أن يكون مرجعنا قصة الوحي ونحن نؤمن بها ونصدق كل كلمة فيها فقد حدثت حرفيا، وان كان هذا لا يمنع ما فيها من المعاني الرمزية أو النبوية . فقد أشار المسيح انه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في جوف القبر ثلاثة ايام وثلاث ليال . . وهكذا كان ! !

* * *

وصار قول الله الى يونان ثانية :

قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة!

وناد لها المناداة التي انا مكلمك بها ! !

ولم يكن بد من الطاعة !

فقام وذهب الى المدينة !

ودخل فيها مسيرة يوم !

ونادى :

بعد أربعين يوما تنقلب نينوى !

كانت مناداته حكماً يبدو أنه حكم نهائي . ولكنها كانت في الحقيقة رسالة رحمة. أليس فيها أنذار وأليس في الانذار دعوة، اذن كانت مناداة يونان دعوة للتوبة

وسمع سكان نينوى مناداة يونان!

ورأوا فيها دعوة من الله !

فآمن أهل نينوى بالله !

ونادوا بصوم !

ولبسوا مسوحاً من كبيرهم الى صغيرهم !

وبلغ الأمر الى ملك نينوى فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد . ونودي وقيل في نينوى عن أمر الملك وعظمائه : لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا ولا ترع ولا تشرب ماء !!

وليتغط بمسوح الناس والبهائم !

ويصرخوا الى الله بشدة !

ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة!!

وعن الظلم الذي في أيديهم ! !

لعل الله يعود ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك !!

* * *

ورأى الله أعمالهم !

وتوبتهم !

فعفا عنهم !

* * *

لم تنقلب نينوى!

وكان حريا بيونان أن يفرح . فقد اثمرت مفاداته ثمراً شهيا . كان حريا أن يسر وهو يرى نينوى مدينة جديدة وقد أشرق فيها ضياء الصلاح ونور البر . ولكن يونان اغتم واغتاظ وصلى الى الله طالباً منه أن يأخذ حياته . إذ كيف ينبيء بهلاك نينوى ونينوى لا تهلك ، وكيف يساعد في حياة نينوى عدوة اليهود وقال « آه يارب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي لذلك بادرت بالهروب الى ترشيش لاني علمت أنك إله رؤف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر فالآن يارب خذ نفسي لأن موتي خير من حياتي » .

وسمع الله صلاة يونان !

ولكنه اجابه جواباً مهدئاً : هل اغتظت بالصواب ؟ !

وخرج يونان من المدينة وجلس شرقي المدينة وصنع لنفسه هناك مظلة وجلس تحتها في الظل. وكان لايزال يؤمل أن الله يخرب المدينة فجلس حتى يرى ماذا يحدث

ورتب المولى أن يعطي درساً للنبي الغاضب فأعد يقطينة ارتفعت فوقه لتكون ظلاً على رأسه لكي يخلصه من غمه وفرح يونان من أجل اليقطينة فرحا عظيما !!

ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر في الغد فضربت اليقطينة فيبست. وحدث عند طلوع الشمس ان الله أعد ريحاً شرقية حارة على رأس يونان !

فذبل !

فطلب لنفسه الموت !

وقال موتي خير من حياتي !

وقال الله ليونان ، هل اغتظت بالصواب من اجل اليقطينة ؟

واجاب يونان، نعم اغتظت بالصواب حتى الموت!!

يا للعجب يا يونان ! !

تشفق على يقطينة لم تتعب فيها ولا ربيتها !

بنت ليلة كانت و بنت ليلة هلكت !

أفلا اشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي صنعتها يداي ؟

أفلا اشفق على ربوات البشر الذين فيها وهم يأثمون عن جهل ؟

كلا يا يونان لايجوز لك أن تغتاظ بل يحق أن تفرح وتسر لان مدينة كبيرة كانت ميتة فعاشت وكانت ضالة فوجدت!!

وفهم يونان الدرس !

وعاد الى بلاده بذهن جديد !

ولعله استمر يؤدي رسالته المرسلية فيما بعد ليأتي بالنفوس الضالة الى الله عالما أن من رد خاطئا عن ضلال طريقه

يخلص نفسا من الموت !

ويستر كثرة من الخطايا !

٨٣

الملكة الحسناء

« وكتب مردخاي هذه الامور وأرسل رسائل الى جميع اليهود الذين في كل بلدان الملك احشويرش القريبين والبعيدين ليوجب عليهم ان يعيدوا في اليوم الرابع عشر من شهر اذار واليوم الخامس عشر منه في كل سنة حسب الايام التي استراح فيها اليهود من اعدائهم . والشهر الذي تحول عندهم من حزن إلى فرح ومن نوح إلى يوم طيب »

أستير ٩: ٢٠ — ٢٢

هذه قصة سجلتها الاسفار المقدسة تبيانا للعناية الالهية وما يتصل بهذه العناية من آيات هى معجزات

كان بنو اسرائيـــل في أرض السبي وقد طوحت بهم الاقدار فمزقت شملهم ونثرتهم شرقاً وغربا وشمالا وجنوبا !!

ولـكن التشريد والغربة لم يفقداهم تلك العزيمة التي نعهدها فيهم ولا ذلك اليقين في كيانهم كأمة ستعود يوماً ما الى بلادها وستسود يوماً ما على جميع الامم !

وكانوا يعلمون أن كيانهم يتوقف الى حد كبير على ما يمكن أن يحصلوا عليه من مال . فعملوا — بكل وسائل العمل — على ان يكون عندهم المال . ونجحوا !!

وكانت متاجرهم ومصارفهم في أرض السبي المراكز المالية للبلاد . وكانت مالية الدولة في أيديهم وكان تأثيرهم — تبعاً لذلك — على شئون البلاد السياسية والاجتماعية لا حد له !!

على ان الجمهور كان يبغضهم !
كان يرى فيهم مصّاصي دماء !
وكان يحسدهم لثرائهم !

وكان يبغضهم لاختلافهم عنه ولابتعادهم عن اوساطهم ولاسباب اخرى ليس من السهل وصفها او تحديدها . ربما كان بعضها ان اليهود كانوا يكنّون في قلوبهم كراهة وحقداً واحتقاراً للناس الذين عاشوا في وسطهم . ومع انهم كانوا يخفون ذلك الاحساس في أعماق قلوبهم ويسترونه بملق الكلام وناعم الحديث والابتسام ولكن الجمهور كان يحس به ولا يزال. وكان القوم ينعتونهم بكل صفة رديئة ويسبونهم بكل كلمة كريهة ويوحدون بين كلمة حقير ويهودي وكانوا هم يمرون على ذلك والابتسامة تعلو شفاههم . لقد علمهم التشريد أن ينحنوا حيث يلزم ان ينحنوا ويبتسموا حيث يلزم ان يبتسموا ويصمتوا حيث يلزم ان يصمتوا .. وهكذا عاشوا !!

وكانوا يتعرضون بين آن وآخر لاضطهادات اقسى فـكان كثيرون منهم يجرون الى السجون وكثيرون منهم تصادر أموالهم وكثيرون منهم يقتلون . وكانت

مجازر تقوم فيضيع فيها مئات بل ألوف من نفوس اليهود ولكنهم كانوا يعودون بعد العاصفة ويبدأون من جديد !

وكان اليهود في زمن قصتنا يتمتعون بشيء من الرخاء في زمن الملك اكسركسيس الفارسي الذي عرف باسم احشويرش . ولكن الجو كان ينذر بانقلاب خطير يذهب فيه ريحهم ويضيع أثرهم . ولكن إلههم دبرت عنايته حفظهم وهو ما نراه في قصة الملكة الحسناء أستير .

* * *

١ — لأمر الملكي بسيادة الرجل

أقام الملك احشويرش في السنة الثالثة لملكه وليمة كبيرة لجميع رؤسائه وعبيده جيش فارس ومادي . ولسنا نعلم المناسبة التي دعت الى هذه الوليمة . قيل انها كانت بمناسبة قيامه بغزو بلاد اليونان . وقد امتدت الوليمة الى ستة شهور وانفقت فيها مئات الالوف من الجنيهات ونحرت فيها ذبائح بلا عدد وفاضت الخمور انهاراً في طرقات شوشن عاصمة المملكة . وعلقت الزينات الفاخرة في كل انحاء المدينة واضاءت الانوار بحيث صارت العاصمة شعلة من نار ! !

وأقامت الملكة وشتى أيضاً وليمة للنساء في بيت الملك دعت اليها خاصة السيدات !

وشرب الملك كثيراً !

وسكر ! !

وهيأت له الخمر ان يعرض جمال الملكة زوجته على الجمهور . وطلب من خصيانه ان يأتوا بها وقد وضعت التاج على رأسها . وكان على حكماء الملك المحيطين به ألا يسايروا الملك في طلبه الذي كان خرقا للتقاليد وكان خروجا على اللياقة . كان يمكنهم أن يأخذوا الامر بالسياسة ويحولوا الملك عن طلبه . لكنهم على ما يظهر لهذا السبب او لذاك اغروا الملك على ان يتمسك بطلبه !!

وأبت الملكة ان تأتي هذا العمل الشائن البعيد كل البعد عن اللياقة والادب !

وأحس الملك ان كرامته خدشت وانه يجب أن ينتقم لهذه الكرامة انتقاماً هائلا

فاجتمع بحكمائه وكانوا سبعة !

هـل ترغب ان تسمع اسماءهم ؟ نعم . هم كرشَنا وشيثار وادماثا وترشيش ومَرَس ومَرسَنا وممركان . سبعة رؤساء فارس ومادي الذين يرون وجه الملك ويجلسون اولا في الملك !

اجتمع الملك بحكمائه وسألهم ماذا يعمل بالملكة وشتى لانها خالفت أمر الملك ولم تأت عن يد الخصيان . ولقد كنا ننتظر ان يسلك الحكماء مسلك الصحو فلقد أصدر الملك أمره وهو ثمل وكان أمره خروجا على التقاليد . والملكة دلت برفضها على أنها سيدة فاضلة محتشمة . كانت تعلم انها تعرض حياتها للموت بعصيانها ولكنها فضلت ذلك على ان تظهر مكشوفة الوجه أمام جماعة سكيرة قد صيرها الخمر حيوانات قذرة !!

كنا ننتظر ان يهدىء الحكماء من ثورة الملك ولكنهم لم يفعلوا. ووقف أحدهم وهو ممركان وقال ان الملكة لم تذنب فقط في حق الملك بل في حق الامة كلها . وجرمها لا يتصل بحاضر المملكة بل بمستقبلها ايضا . فستسمع النساء ان الملكة وشتى عصت على الملك ولم تنفذ امره وستقلدها بطبيعة الحال سيدات الامة وستتعرض الاسرة الفارسية للسقوط . سيضيع مركز الرجال . وستكون النساء رئيسات وفي هـذا الخراب الشامل والسقوط الكامل — ومن اللائق ان يخرج الملك أمراً ملكياً يكتب في سنن فارس ومادي فلا يتغير، ان تطرد وشتى من الملك وان يعطى مكانها لمن هى احسن منها ! !

وعندما يسمع هذا الامر في كل المملكة تعطي جميع النساء الوقار لازواجهن من الكبير الى الصغير !!

وأنت ترى ان ممركان لم يكن على ما يظهر يدافع عن كرامة الملك . فان وشتى لم تسىء الى الملك بقدر ما أساء الملك إلى نفسه . ولم يقلل عصيانها في هذا الامر من هيبة الملك . لقد كانت تعلم أنه يملك ان يطردها او يقتلها . وكانت تعلم انه اذا ما

غض النظر عن اساءتها فانما يفعل ذلك تفضلا منه وكرماً — نعم كانت وشتى تعلم ذلك وكان نساء المملكة يعلمن ذلك وكان مموكان يعلم ذلك . ولكن مموكان دافع عن رأيه بحماس لانه كان يدافع عن كرامته هو على الاغلب !!!

يبدو انه فقد مكانه في البيت

وان زوجته كانت تحتقره

وقد ظن انه يمكن ان يستعيد مكان الاحترام بمرسوم ملكي !!!

كلا يا مموكان ان الرجل الذي لا ينال احترامه بشخصه لا يستطيع الف مرسوم ملكي ان يرد له كرامته الضائعة !

لكن المشورة أعجبت الملك فقد كان لا يزال في حمو غضبه على وشتى . وكان يستعد للغزوة الكبيرة لبلاد اليونان فكان عصيانها فألاً سيئاً . ولذلك أرسل كتباً إلى كل بلدان الملك إلى كل بلاد حسب كتابتها و إلى كل شعب حسب لسانه « ليكون كل رجل متسلطاً في بيته » !!!

٢ — الحسناء اليهودية

و بعد مدة هدأ غضب الملك ، وعاد الى الحوادث الماضية فلم يرها كما رآها وقتها . وذكر وشتى و يبدو أنه ذكرها بالخير وعادت محبته وتقديره لها ولكنه ذكر الامر الملكي الذي أصدره ، الامر الذي لا يستطيع حتى الملك ان يغيره . وربما خشي غلمانه وخصيانه ان يغضب الملك عليهم فيأمر بقتلهم فدبروا ان يبعدوا وشتى نهائياً عن ذهن الملك. اشاروا ان يطلب الملك فتيات حسنات المنظر يجمعن من كل بلاد المملكة و يسلمن إلى يد هيجاي خصي الملك حارس النساء و بعد فترة تجمّل يختار الملك الملكة من بينهن . وكانت عملية جمع الفتيات واختيار الفتاة عملية لا يقرها ذهن أدبي ولا نقول ذهن مسيحي!!

فقد ارسل الملك وكلاءه يجمعون الفتيات الجميلات . لم يكن هناك إلا شرط واحد لشراء « البضاعة » هو جمال الفتيات . وكانت الفتيات يقمن مدة سنة في

بيت النساء يتعطرن مدة ستة شهور بزيت المرّ وستة اشهر بالاطياب وادهان تعطر النساء . وفي نهاية السنة تحمل الفتاة في نوبتها إلى بيت الملك وتقضي الليلة مع الملك!! كانت تدخل في المساء وتعود في الصباح إلى بيت النساء الثاني إلى يد شَعشغار خصي الملك حارس السراري . لم تعد تدخل إلى الملك إلا اذا سرّ بها الملك ودعيت باسمها !

ولك ان تتصور عدداً غفيراً من الفتيات تطمع كل فتاة ان تكون الفتاة المحظوظة فتستعد لليلة الامتحان سنة كاملة . ولكنها كانت تعود في الصباح وقد صارت سرية للملك. وقد اجتمع للملك مئات السراري كل ما اخذنه من حياتهن الزوجية ليلة واحدة صرن بعدها أسيرات بيت النساء محكومات بيد شعشغار الخصي حارس النساء !!

وكان في شوشن القصر رجل يهودي اسمه مردخاي ابن يائير بن شمعي بن قيس رجل يميني وكان يتولى امر ابنة عم له كانت طفلة فكفلها حتى صارت شابة وكان اسمها هدسة اي استير وكانت جميلة الى حد الفتنة !!

وجُمعت استير مع الفتيات!

هل جمعت بدون رغبة مردخاي؟

ام انه هو الذي قدمها ؟

الذي يظهر من سياق القصة انه هو الذي دفعها إلى ذلك المصير . ولم تخبر استير عن شعبها وجنسها لأن مردخاي اوصاها ان لا تخبر . وكان يتمشى يوماً فيوماً أمام دار بيت النساء ليستعلم عن سلامة أستير وعما يصنع بها !!

ولا شك أننا لا نستريح كثيراً لتصرف مردخاي فلقد دفع ربيبته إلى حضن ملك سكير شهواني وثني . دفعها لتكون إحدى السراري إذ كان يستبعد ان تكون ملكة البلاد . دفعها وربما أخذ ثمنها من الوكلاء دراهم معدودات . او ربما كان ينتظر الثمن عندما يكون لها شأن في بيت الملك !!

غير ان أعمال الله تختلف عن أعمال البشر . وهو بحكمته يحول تدبيرات الناس الى عناية يتمم بها قصده !

ونحن نرى أثار تلك العناية من الأول !

فها هو هيجاي يستقبل أستير استقبالا حسنا . لقد حسنت الفتاة في عينيه ونالت نعمة بين يديه . ان يد الله ظاهرة هنا . لقد كان هيجاي يستقبل عشرات الفتيات كل يوم وكان يكدسهن في غرف بيت النساء . ولكنه حالما رأى أستير بادر بأدهان عطرها وانصبتها ليعطيها إياها مع السبع الفتيات المختارات لتعطى لها من بيت الملك !

ثم نقلها إلى أحسن مكان في بيت النساء !

كانت الفتيات يكثرن الطلبات خصوصاً عندما كانت تأتي نوبتهن الدخول إلى بيت الملك وكل ما كانت تطلبه الفتاة كان يعطى لها . أما أستير فلم تطلب شيئاً إلا ما أعطاه هيجاي



استير الملكة

واخذت أستير إلى الملك احشويرش فوجدت نعمة في عينيه واحساناً قدامه اكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها وملكها مكان وشتى .

وعمل الملك وليمة عظيمة لجميع رؤسائه وعبيده وليمة أستير . وعمل راحة للبلاد وأعطى عطايا حسب كرم الملك .

وظلت علاقة أستير بمردخاي كما كانت . كان يجلس على باب الملك وكان يرسل لها مشوراته وتدبيراته وكانت تعمل حسب قوله كما كانت في تربيتها عنده !

وفي تلك الأيام حدث حادث بدا غير هام في وقته . ولكن أثره فيما بعد كان عظيما . . حدث أن غضب بغثان وتَرش خصيا الملك حارسا الباب وطلبا ان يمدّا أيديهما إلى الملك أحشويرش . فعلم الأمر عند مردخاي فأخبر أستير الملكة . فأخبرت أستير الملك باسم مردخاي ففحص عن الأمر ووجد فصلبا كلاهما على خشبة وكتب ذلك في سفر أخبار الأيام أمام الملك !

٣ — الوزير الأكبر

والآن ننتقل قليلا من بيت الملك إلى وزير الملك . اختار الملك لنفسه وزيراً اسمه هامان بن همداثا الأجاجي وهو من نسل أجاج العماليقي عدو إسرائيل !

وكان هامان بالرغم من مركزه الكبير العالي صغير النفس وضيعاً مع انتفاخ وكبرياء وغرور . كما أنه كان لا يصلح للمراكز السياسية العليا التي تحتاج إلى الكتمان لأن اسراره كانت موضوع مناقشة أحبائه وزرش زوجته على مائدة الوليمة !

ويلذ لنا أن ندرس هذه الشخصية التي احتلت اكبر مركز إداري في الشرق في ذلك الوقت . فقد كانت مملكة فارس تمتد وقتئذاك من الهند شرقا إلى شمال أفريقيا غربا ووصلت قواتها إلى حدود بلاد اليونان شمالا والسودان جنوبا !

كان هامان رئيساً للوزارة وكان يجلس على اكبر كرسي في البلاد ولكنه كان في حقيقته عبداً وكان وضيع النفس حقيرها . كان يمر في الطرقات فيسجد الجميع أمامه وكان ذلك يسرّه كثيراً وكان يظن أن ذلك المظهر دليل على مكانه العظيم . ولكننا نلاحظ صغار نفسيته في مسلكه مع مردخاي . لم يشترك مردخاي اليهودي مع الساجدين لهامان وقد راجعه القوم في ذلك فأخبرهم أنه يهودي وأن دينه يمنعه من السجود لغير الله . وقد أوصلوا الخبر لهامان . ولو أن هامان كان عظيم النفس حقاً لمرّ على ذلك مر الكرام . إذ من هو مردخاي حتى يأبه له او يهتم به، سجد أم لم

يسجد . ولكن هامان كان كما قلنا صغير النفس فغاظه أن يمتنع يهودي عن احترامه والسجود له . وفكر في أن يوقع عليه أشد قصاص وهو القتل . . بل فكر في أن لا يكتفي بقتله . ان قتله لا يبرد نار هامان . لن يبردها إلا قتل جميع اليهود . وقد دلل بذلك على قساوة قلبه وحماقته وشره !

وكذلك كان هامان فارغ الدماغ، يعتمد على الخرافات كثيراً. فكر في أن يختار يوماً يقتل فيه أعداءه. فجمع المنجمين وكانوا يلقون قرعاً أو فوراً . ووقعت القرعة على الشهر الثاني عشر !

وفوق الكل فقد كان هامان جباناً لا يلجأ إلى السياسة المستقيمة بل إلى سياسة الوقيعة والدّس. انه لا يقف مواجهاً لليهود في حرب نبيلة ان كان في الحرب شيء من النبل، ولكنه يدور من الخلف و يطعن طعنة الغدر . ونحن نراه يذهب إلى الملك ويتحدث اليه عن ذلك الشعب المتشتت والمتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكة فارس، و يلاحظ سنتهم المغايرة لجميع الشعوب وهم لا يعملون سنن الملك. أسماؤهم لها طابع وحدها. ودينهم يقف وحده مناوئاً لدين الدولة. و إلههم إله عجيب حقاً تبحث عنه فلا ترى له صورة ولا تمثالا . وعاداتهم لا تتلاءم بتاتاً مع عادات شعب الملك . وهم يعيشون منعزلين إلى جانب . وتاريخهم يدل على أنهم يتحينون الفرص للانقضاض على الملوك الذين سبوهم . ويليق بالملك أن يتحفظ لنفسه ولا يتركهم. وان الخير كل الخير أن يصدر أمر ملكي بابادتهم — وقال هامان انه مستعد أن يزن عشرة آلاف وزنة من الفضة في أيدي الذين يعملون العمل ليوتى بها إلى خزائن الملك !!

فنزع الملك خاتمه من يده وأعطاه لهامان بن همداثا الأجاجي عدو اليهود وفوّضه في عمل ما يشاء بالشعب الذي يرغب في ابادته !!

وكتب الأمر الملكي بابادة اليهود !

وارسلت الكتابة إلى مرازبة الملك و إلى ولاة بلاد فبلاد و إلى رؤساء شعب فشعب، كل بلاد ككتابتها وكل شعب كلسانه !

وكان الأمر الملكي لإهلاك وإبادة جميع اليهود من الغلام إلى الشيخ والاطفال والنساء في يوم واحد هو اليوم الثالث عشر من الشهر الثاني عشر . وان يسلبوا غنيمتهم !

لم يكن الشعب في حاجة إلى أمر ملكي لتنفيذ أمر الملك . فان القوم بطبيعتهم يكرهون اليهود . ولولا قيام الحكومة على رعاية الامن العام لقتلوهم كلهم !

وهناك موضوع الغنيمة . كان اليهود أغنياء وكانت أموالهم تستحق أن يبذل القوم في سبيلها شيئاً !

وخرج السعاة يحملون الأمر الملكي وأمر الملك بخمهم . فلما علم الأمر اهتزت البلاد وارتبكت مدينة شوشن . أما هامان فجلس مع الملك للشرب !

وحيثما وصلت الكتابة اضطرب الامر فتحفزت الشعوب للقتل والسلب والنهب أما اليهود فوقع الخبر عليهم كالصاعقة . ماذا عساهم أن يعملوا ! ؟

انهم حفنة صغيرة في محيط كبير من الاعداء !

وهم مشتتون ومتفرقون في كل انحاء المملكة !!

والحكومة هي التي تأمر بقتلهم ، الملك والوزراء والحكام والولاة والبوليس يعضدون القتلة ويؤيدونهم ! !

لقد انقضت الكارثة عليهم دهماء!

انتهى أمرهم !

سيذهب ريحهم وسيتلاشون في لحظة ! !

وفي كل كورة حيثما وصل اليها أمر الملك وسنته كانت مناحة عظيمة عند اليهود وصوم و بكاء ونحيب . وانفرش مسح ورماد لكثيرين !

وسمع مردخاي !

سمع كل ما عمل !

فشق ثيابه ولبس مسحاً برماد وخرج الى وسط المدينة وصرخ صرخة عظيمة

مرّة . وجاء إلى قدام بيت الملك يلتمس من يوصل صوته الى الملكة لأنه لا يدخل أحد باب الملك وهو لابس مسحاً !

ودخلت جواري أستير وخصيانها وأخبروها بما عمل مردخاي . لقد كانوا يلاحظون عطفها عليه ومراعاتها إياه . أخبروها أن الرجل العجوز الذي يجلس بباب الملك يلبس مسحاً برماد ويئوح نوح ثاكل على وحيده !

فاغتمت الملكة جداً !

وأرسلت ثياباً لألباسه فرفض !

وتضايقت الملكة جداً !

وكان بين خصيانها واحد توليه الملكة عطفاً خاصاً وتأتمنه على خاصة اسرارها فأرسلته الى مردخاي تستفسر أمره . وذهب هتاخ الى حيث مردخاي يفترش رماده وعلم منه بكل القصة . أخبره مردخاي عن مقدار الفضة التي عدها هامان لوزنها لخزائن الملك لابادة اليهود . واعطاه صورة كتابة الأمر الذي أعطى في شوشن لاهلاكهم . وحمل هتاخ وصية مردخاي للملكة ان تدخل الى الملك وتتضرع اليه وتطلب منه لأجل شعبها !

واتى هتاخ الى أستير ونفض اليها خلاصة القصة ووصية مردخاي . وكان ألمها عظيماً . ان لها ثلاثين يوماً لم تدخل الى الملك . وهي لا تستطيع ان تدخل بدون دعوة منه إلا ان يمد لها قضيب الذهب . كان في البلاد كثيرون من المتآمرين على سلامة الملك وكان الدخول الى الملك محفوفاً بالخطر فربما كان الداخل جاسوساً أو خائناً . انها لا تستطيع ان تفعل شيئاً . وأرسلت أستير هتاخ الى مردخاي تخبره بالأمر وتتأسف انها لا تستطيع ان تساعد شعبها في محنته !

أما مردخاي فانه لما علم بجواب أستير أرسل لها رسالة حازمة . هل تظنين انك إذا جدّ الجد تنجين في بيت الملك دون جميع اليهود ... الا فاعلمي انك ان سكت سكوتاً في هذا الوقت فان الله سيأتي بالنجاة والفرج لليهود من مكان آخر

واما انت و بيت ابيك فستبيدون . ومن يعلم ان كنت لوقت مثل هذا وصلت الى الملك ؟ !

ووصلت الرسالة الى أستير !

ووعتها ! !

ورأتها رسالة حق وقولة صدق !!

من يعلم ان كنت لوقت مثل هذا وصلت الى الملك ؟؟

وتأملت الملكة في قصتها !

من هي ؟

وما هو بيت أبيها ؟

انها فتاة يتيمة مات أهلها وكفلها ابن عمها !

وهي فتاة من الشعب المكروه !

وهي لا تملك أية مؤهلات لمركزها السامي !

إذن كيف وصلت الى التاج ؟

لا أسرة !

ولا عزوة !!

ولا عشيرة !!

ولا مال !!

ولا نفوذ ! !

لاشيء بالمرة تستطيع أن ترفعه معتزة به !!

انه «هو» الذي نقلها من قاع الحفرة الى حالق !!

«هو» الذي رفعها من التراب لأجلسها مع الاعزاء !!

نعم «هو» !!

« هو » وحده !

لـكن لماذا ؟

نعم . لماذا ؟

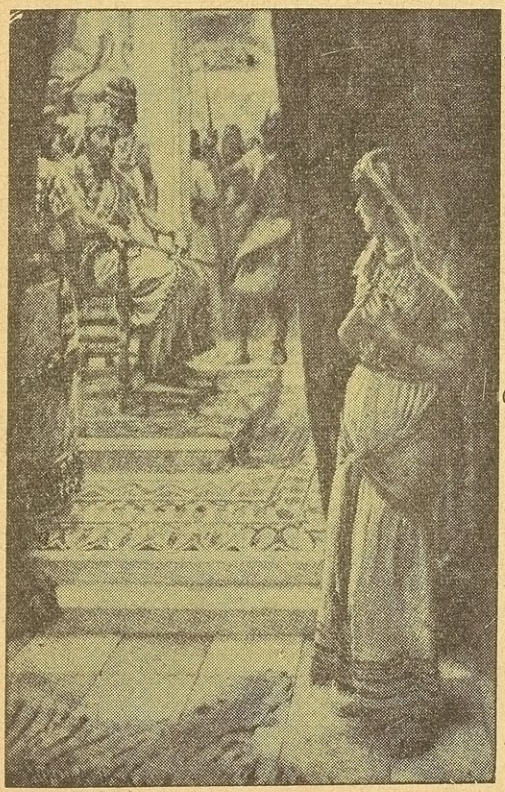
من يعلم ان كانت لوقت مثل هذا وصلت الى الملك !!

وحزمت استير امرها ثم التفتت الى هتاخ وقالت ان يجاوب مردخاي. اذهب اجمع جميع اليهود الموجودين في شوشن وصوموا من جهتي . لا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً . وأنا ايضاً وجواريّ نصوم كذلك. وهكذا ادخل الى الملك خلاف السنّة. ادخل وأنا ارجو أن أجد نعمة في عينيه فيمد لي قضيب الذهب فتحيا نفسي..واذا هلكت هلكت!!

وصام مردخاي !

وصام اليهود ! !

وصامت أستير !!



استير تجازف بحياتها وتتقدم الى احشويرش لاجل شعبها

وفي اليوم الثالث لبست ثياباً ملكية ووقفت في دار بيت الملك الداخلية مقابل بيت الملك ، والملك جالس على كرسي ملكه في بيت الملك مقابل مدخل البيت !

وقفت وقد أرسل وجهها الجميل ضياء من بهاء وشركتها مع الله أضافت على جمالها نوراً وكمالا . ورآها الملك فنالت نعمة في

عينيه ومد لها قضيب الملك الذي بيده فدنت أستير ولمست رأس القضيب. وقال لها الملك ما لك يا استير الملكة وما هي طلبتك. الى نصف المملكة تعطى لك. وكانت استير حكيمة أريبة فلم تطلب طلبتها مباشرة بل أرادت ان تختار ميدانها. فقالت ان حسن عند الملك فليأت الملك وهامان اليوم الى الوليمة التي عملتها له. وقال الملك اسرعوا بهامان ليفعل كلام استير ... وهكذا كان!

ولعل بعضنا يأخذ على الملكة انها وضعت خمراً على مائدتها وانها أغرت الملك على كثرة الشرب. ولكننا الآن لسنا بصدد ذلك. لقد كانت الخمر وقتذاك عنصراً أساسياً في ولائم القوم. ونحن نشكر الله إذ فتح اعيننا فرأينا، وأنعم علينا بحياة النقاوة فاعتدلنا وآمنا ان الخمر رجس من الشيطان!!

وقال الملك لأستير وهم على المائدة قولي يا استير الملكة ما هو سؤلك فيعطى لك وما هي طلبتك. الى نصف المملكة تقضي؟!

وانحنت أستير امام الملك وقالت: ان سؤلي وطلبتي، ان وجدت نعمة في عيني الملك واذا حسن عند الملك ان يعطى سؤلي وتقضى طلبتي ان يأتي الملك وهامان الى الوليمة التي أعملها لهما ... وغداً افعل حسب أمر الملك؟!

لم ترَ الوقت مناسباً!!

كانت تتحيّن الفرصة لتضرب ضربتها!!

* * *

وحدثت أمور في تلك الليلة!!

هامان خرج من الوليمة فرحاً وطيب القلب. ان نجمه يتألق. ها قد نال حظوة لدى الملكة. انها لا تدعو الى وليمتها الملك إلا هو. ان لها طلبة ربما تنتظر ان هامان يجيبها. و بعد ذلك سيقبض بيديه القويتين على السلطة خلف العرش ..

ولقد قيل ان فكره اتجه الى امور بعيدة!

ان الملكة تحبه، ما في ذلك شك!!

واذا ذهب الملك لسبب من الاسباب . وتزوج هامان من استير فسيجلس على العرش !

ستكون له أستير الجميلة !!

وسيكون له التاج !!

وفرك هامان يديه وسار في طريقه يحدث نفسه بالجمال والتاج !!

ولكنه انقبض عندما مر في طريقه بمردخاي !

ان ذلك اليهودي الفظ لا يقوم له ولا يتحرك من مكانه !!

يا له من يهودي عنيد !

انني لم استطع أن اكسر كبرياءه!

وملأ دم الغضب عينيه وكاد يسقط على الارض من شدة الغيظ . ولكنه تجلد ودخل بيته وأرسل فاستحضر أحباءه وزوجته!

وكانت مؤامرة ضد المسكين مردخاي!!

عدّد هامان لاحبائه وزوجته عظمة غناه!!

وكثرة بنيه!

وكل ما عظمه الملك به ورقاه على الرؤساء وعبيد الملك !

وقال هامان لقد بلغت أقصى المجد . حتى ان استير الملكة لم تدخل مع الملك الى الوليمة التي عملتها الا اياي!

وأنا غداً ايضاً مدعو اليها مع الملك!

على ان كل هذا ـ وهو كثير ـ لا يساوي عندي شيئاً كلما رأيت مردخاي اليهودي جالساً في باب الملك!

وقال أحد حاشيته يريد أن يهوّن الأمر على هامان، لا بأس دعه ينعم بعض الوقت بمكانه فلقد آذن وقته هو وجميع طائفته البغيضة !

وقالت زرش : كلا . ولماذا ينعم بالعيش الى ان يأتي يوم اليهود . فليعملوا

خشبة ارتفاعها خمسون ذراعاً . وفي الصباح قل للملك ان يصلبوا مردخاي عليها. ثم ادخل مع الملك فرحاً الى وليمة الملكة !

ووافق اصحاب هامان.. ووافق هامان

وهكذا حمل جوف ذلك الليل تدبير صلب مردخاي وهو لا يعلم !

وقال هامان لقد انتهينا من مردخاى !!

* * *

على انه ان كانت عين مردخاي قد نامت!!

وعيون أصدقاء مردخاي مغلقة !!

فان هناك عينا ساهرة !!

هي عين لا تنام!!

وعندما ننام وعندما نتعرض للسوء تكون تلك العين الساهرة ملجأ وملاذاً لنا !

ورتبت تلك العناية تدبيرها !

في تلك الليلة طار نوم الملك !!

وحاولوا أن يسروه بهذا الأمر و بذاك فلم يشأ، وأمر فجاءوا بسفر تذكار أخبار الأيام فقرئت امام الملك . وجعلوا يقرأون الى أن جاء الصباح . وقرأ القارىء قصة بغثانا وترش خصيي الملك حارسى الباب اللذين طلبا أن يمدا أيديهما إلى الملك أحشويرش واللذين كشف مردخاي مؤامرتهما . وسأل الملك أية كرامة وعظمة عملت لمردخاي لاجل هذا؟ وأجاب غلمان الملك الذين يخدمونه: لم يعمل معه شيء!!

واستاء الملك كثيراً!

كيف نسي أن يرد الجميل !!

لقد أنساه الشيطان ذلك الواجب المقدس .. ولكنه سيعوض الرجل !

كلا يا أحشويرش !!

لم يكن الأمر أمر نسيان !
ولا أمر شيطان !!
ولكن الله رتب ترتيبه ودبر تدبيره !!
ومكافأة مردخاي يجب أن تتأخر !
وهو الله الذي أطار نومك !!
هو الذي جعلك لاتسر من المغنين والمغنيات!!
وهو الذي جعلك تطلب سفر الأخبار!!
وهو الذي جعل آخر ماتسمعه قصة الخصيين!!
الله وحده هو المسيطر على الكون والمرتب لكل تفصيلاته !!

* * *

كانت الشمس قد أرسلت أشعتها الأولى
وسأل الملك ان كان أحد رجال الحاشية موجوداً . فقال غلمان الملك له هوذا هامان واقف في الدار . وأمر الملك له أن يدخل !
ولما دخل هامان قال له الملك :
ماذا يعمل لرجل يسر الملك أن يكرمه ؟
فقال هامان في سره : ويحك ياهامان هوذا الكرامة تأتيك زرافات ووحداناً كرامة فوق كرامة ومجداً فوق مجد !
لكن ماالذي ينقصك من مجد ياهامان؟
هل جالت في رأسه فكرة الجمال والتاج؟
لقد نال أرفع وظائف الدولة!
وأرفع أوسمتها !
وتطلعت عينه إلى مافوق ذلك !
تطلعت إلى الملك!!

ولئن تعذر عليه أن يكون ملكاً دائماً!

فلا أقلّ من أن يملك يوماً أو بعض يوم!!

مرّ كل هذا في ذهن هامان في أقل من لحظة ثم قال : ان الرجل الذي يسر الملك بأن يكرمه يأتون باللباس السلطاني الذي يلبسه الملك !

وبالفرس الذي يركبه الملك!

وبالتاج الذي يوضع على رأس الملك!

ويدفع اللباس والفرس لرجل من رؤساء الملك الأشراف ويلبسون الرجل الذي سر الملك بأن يكرمه ويركبونه على الفرس في ساحة المدينة وينادون قدامه هكذا يصنع للرجل الذي يسر الملك بأن يكرمه !

وقال الملك لهامان أسرع وخذ اللباس والفرس كما تكلمت وافعل هكذا لمردخاي اليهودي الجالس في باب الملك ـ لايسقط شيء من جميع ماقلته ! !

وغاص قلب هامان فيه ؟

مردخاي !

مردخاي الذي جاء يطلب أن يصلب على خشبة ارتفاعها خمسون ذراعاً ؟

مردخاي هذا ينال الكرامة التي لم ينلها هامان ؟؟

ومن الذي يقدم له هذه الكرامة ؟ هامان نفسه!!

دارت رأس هامان . وخرج يتعثر في خطواته لكي يتمم أمر الملك ومردخاي ؟

كان جالساً يرسل في الجو نظرات ساهمة وهو يتأمل في المصير السيء الذي قضى به على شعبه ، ويسأل السماء ان كان ثمت رجاء . ويتمتم بين حين وآخر ترى ماذا عملت استير وهل أفلحت في مهمتها أم قضى عليها وعلينا ؟

وكان بين حين وآخر يرفع إلى السماء عينين مخضلتين بالدموع ولكنه يحس ان السماء قد أغلقت أبوابها دونه ودون قومه ، وهم يستحقون؟!

وفيما مردخاى في سهومه أقبل رجال الملك وجذبوه من مكانه ، ولعله ظن ان الكارثة على وشك أن تنقض. انهم سيبدأون به. ولكنهم يجذبونه بلين و يخلعون عنه مسحه و يضعون عليه اللباس الملكى البهي. وهو ينظر اليهم مذهولا. ثم انهم يضعون على رأسه .. ما هذا ؟ التاج ؟ التاج الملكى . لاشك انه يحلم . انه يحلم بكل تأكيد . انه ينتظر أن يضعوا حبالا في عنقه و يجروه إلى وسط المدينة ليصلبوه !!

ولكنهم يركبونه على فرس الملك و يمسك هامان نفسه الوزير الأكبر نفسه يمسك بالمقود و ينادي، هكذا يفعل للرجل الذي يسر الملك أن يكرمه !!

رجع مردخاي إلى باب الملك !

رجع إلى ما كان عليه !

وربما رجع إلى مسحه وان كنا نستبعد ذلك !!

ولقد يظن بعضنا ان ذلك الاكرام الذي ناله كان بدون نتيجة !!

ان وظيفة في القصر أفضل منه !!

ان علاوة مرتب لها قيمة اكثر !!

ان عملا مادياً ربما كان له أثر أجل وأعظم !!

لكن هل الأمر كذلك حقاً ؟

عاد مردخاي إلى مكانه أنضر وجهاً واكثر اشراقاً. انها لفتة إلهية . ولقد فهم ان الله يقول له . اخلع مسحك يامردخاي . واخلع خوف قلبك ودموع عينك ان الله مهتم بك ومعني بأمرك !!

وهل كان يستطيع ان يستمر في غم حياته وهو يرى عناية الله معه؟؟

اليهودي !

اليهودي المحتقر !

اليهودي المحتقر الذي حكم عليه وعلى قومه بالموت . بل لقد تعين يوم تنفيذ

الاعدام ـ ينال ذلك الاكرام الذي لم يسمع التاريخ بمثله : هامان الشرير عدو اليهود هو منفّذ ذلك الاكرام ؟!

انه أمر لايكاد يصدق!!

ولـكن هكذا كان !!

ورفع مردخاي عينه إلى السماء ومسح دمعة حائرة في عينه هي دمعة الندامة على شكه في عناية الله وابتسم وجهه وشكر الله!!

انه يؤمن الآن ان الفرج والنجاة قد جاءا . وان الله الذي يتطلع اليه بايمان ضعيف، ساهر على شعبه ولو ناموا !!

وهامان ؟

هامان عاد أيضاً إلى بيته!

لكن شتان بين عودة مردخاي وهامان!!

هامان ، أسرع إلى بيته نائحاً ومغطى الرأس. وقص على زرش زوجته وجميع أحبائه كل ما أصابه . كانت جلسة حزينة وقد انحنت رؤوس الكل. انهم يحسون ان مردخاي ليس بالفريسة السهلة . يبدو أن خلفه قوة جبارة ترعاه . قوة سرية لا ينظرونها والا فكيف يتم هذا الأمر العجيب . في الوقت الذي يسهرون هم يدبرون أمر قتله يسهر الملك وهو يدبر أمر اكرامه . وفي الوقت الذي يذهب ليطلب أن يصلبوا مردخاي يأمر الملك أن يكرموا مردخاي . وعلى يد من ؟ على يد هامان !

لا. لا. ان الأمر أعظم مما يظنون . ومردخاي اكثر من شخص عادي . ان زوجة هامان وحاشيته يقولون، اذا كان مردخاي الذي ابتدأت تسقط قدامه من نسل اليهود فلاتقدر عليه بل تسقط قدامه سقوطاً !

هل كانوا يدبرون طريقاً للتراجع !!

هل فكروا في الهروب

لقد فكر قبلهم قوم في التراجع ولكنهم لم يستطيعوا . عندما تبعت مركبات

فرعون بني اسرائيل في البحر الأحمر . ولكنهم بعد وقت أحسوا ان السماء تحارب بهم وان الله نفسه يقف ضدهم فيخلع بكر مركباتهم . وفي اضطرابهم قالوا نهرب من اسرائيل لان الرب يقاتل المصريين عنهم . ولكن أين المفر انهم لا يستطيعون أن ينجوا

هل فكر قوم هامان مثل هذا التفكير ؟

هل جلسوا يدبرون طريقاً للتراجع؟ ربما. ولكنهم فيما هم يدبرون وصل خصيان الملك وأسرعوا للاتيان بهامان إلى الوليمة التي عملتها استير !!

وذهب هامان إلى الوليمة !

ولكنه ذهب شاحب الوجه مثقل النفس!

ثم ما هذا الاضطراب الذي يحس به . انه لا يرى سبباً له . انه يجلس خائفاً انه يرى رعباً يقبل عليه . ان الوليمة تبدو أمامه ساحة اعدام . ان ابتسامة الملكة ترعبه . ولكنه جلس يشرب ... على انه كان يجلس ساهما . انه يسمع الكلام كما لو كان آتياً من بعيد !!

وسمع صوتاً هو صوت الملك

ماهو سؤلك يااستير الملكة فيعطى لك وماهي طلبتك . ولو إلى نصف المملكة تقضى ؟

وسمع صوت الملكة تقول

ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك أيها الملك . واذا حسن عند الملك فلتعط لي نفسي بسؤلي وشعبي بطلبتي لاننا قد بعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والابادة . ولو بعنا عبيداً واماء لكنت سكتّ مع أن العدو لايعوض عن خسارة الملك !!

«نفسي بسؤلي وشعبي بطلبتي..» «قد بعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والابادة..» «العدو لا يعوض عن خسارة الملك» . ما هذه الكلمات الغريبة . من هو وأين هو هذا الذي يتجاسر بقلبه على أن يعمل هكذا ؟؟

فقالت ستير :

هو رجل خصم وعدو !

هذا هامان الرديء !!

وكان غضب الملك عظيما !

لقد نسي موضوع اليهود !

وكان يظن ان هامان مخلص له كل الاخلاص . ولكنه الآن يكتشف انها وقيعة ومؤامرة !!

هل يجسر هامان أن يرفع عينه الى أقداس الملك . الى المرأة التي أحبها ... والى شعبها ؟؟

ترك الملك المكان بغيظ الى جنة القصر ليسكن قليلاً من ثورة نفسه !

وتواقع هامان على سرير الملكة يتوسل عن نفسه . وعاد الملك فرآه في موقفه هذا . وخيل له أن هامان يدنس فراشه، فصاح هل بلغت بهامان الجرأة أن تلمس يده القذرة سرير الملكة . فاسرع رجال الحاشية وغطوا وجهه . كان معنى تغطية الوجه انه قد حكم عليه بالموت ـ ها قد صدر الحكم بنهاية الرجل الذي تألق نجمه مدة . وأحست الحاشية ان هامان قد انتهى . فقال حربونا واحد من الخصيان الذين بين يدي الملك، هوذا الخشبة أيضاً التي عملها هامان لمردخاي الذي تكلم بالخير نحو الملك قائمة في بيت هامان ارتفاعها خمسون ذراعاً . فقال الملك اصلبوه عليها !!

فصلبوا هامان على الخشبة التي أعدها لمردخاي ! ! !

وصودر بيت هامان وأعطى للملكة !

وتحدثت أستير مع الملك فدعا اليه مردخاي فنزع الملك خاتمه الذي أخذه من هامان وأعطاه لمردخاي . و بذلك أصبح مردخاي اليهودي كبير مستشاري الملك !

كان كل ما تم إلى الآن عظيما ومجيداً ولكن الامر بهلاك اليهود كان لا يزال قائماً . ونحن نشاهد استير الملكة تتكلم امام الملك . . بل تسقط عند رجليه

باكية تتضرع اليه أن يزيل شر هامان الاجاجي وتدبيره الذي دبره على اليهود !

مدّ الملك لاستير قضيب الذهب فقامت ووقفت أمام الملك وقالت، اذا حسن عند الملك وأن كنت قد وجدت نعمة أمامه واستقام الامر امام الملك وحسنت أنا لديه فليكتب لكي ترد كتابات تدبير هامان بن همداثا الاجاجي التي كتبها لابادة اليهود الذين في كل بلاد الملك . لانني كيف أستطيع أن أرى الشر الذي يصيب شعبي وكيف استطيع أن أرى هلاك جنسي ؟ ؟

ونالت أستير نعمة في عيني الملك !

وتكلم معها ومع مردخاي بكلمات التطمين:

هوذا قد أعطيت بيت هامان لاستير !

أما هو فقد صلبوه !

لقد قطعنا رأس الحية ولا خوف مما اجراه ذلك الشرير من تدبير !

ولما كانت الأوامر الملكية غير قابلة للنقض فاني أبيح لكما أن تكتبا أوامر أخرى لا تنقض بحسب الظاهر الأمر الملكي الأول ولكنها تجعله بدون تأثير . اكتبا باسمي أوامر ملكية تبيح لليهود أن يقفوا أمام مقاوميهم وتأمر الوزراء والحكام ورجال الادارة أن يقفوا في صف اليهود . وكان هذا اكثر مما يطلبه مردخاي !

خرج مردخاي من حضرة الملك في لباس بهي وقد تحلى بالأوسمة والنياشين. وأمر الكتّاب فكتبوا وأرسل الرسائل بواسطة السعاة فذهبوا وأمر الملك يعجلهم . وحيثما وصل أمر الملك كان لليهود نور وفرح وبهجة وكرامة !

وفي كل بلاد ومدينة كل مكان وصل اليه كلام الملك وأمره كان فرح وبهجة عند اليهود ويوم طيب . وكثيرون من شعوب الأرض تهوّدوا لان رعب اليهود وقع عليهم !!

وجاء اليوم الثالث عشر من أذار، اليوم الذي عين لتنفيذ حكم الموت على اليهود! ونظر اليهود حولهم يبحثون عن طالبي أذيتهم فلم يجدوهم . والجماعات التي سبق

لها أن رتبت أمر الهجوم انكمشت في مكانها. وقد وقف كل رؤساء البلدان والمرازبة والولاة وعمال الملك في صف اليهود . بل تحول اليهود من جماعة خائفة مضطربة تحاول ألا تموت موتاً رخيصاً إلى جماعة قوية جبارة تضرب اعداءها ضربات ساحقة وتقتل منهم وتسلب غنيمة . بل لا يكفي اليهود يوم واحد فيستأذنون ليوم ثان يفتكون باعدائهم فتكا ذريعاً !

نعم تحول يوم الخوف الى يوم اطمئنان!
ويوم الظلام الى يوم نور !
ويوم الحزن الى يوم ابتهاج!

والقرعة التي ألقيت وهي الفوريم لتعيين يوم هلاكهم صارت قرعة لخلاصهم، لذلك فكروا أن يحيوا أيام الفوريم أيام أعياد لا أيام صيام واحزان !

واذا رأيت اليهود اليوم يعيدون أيام الفوريم فاذكر الملكة الحسناء التي رتبت العناية أن تكون اداة خلاص للشعب المختار، نعم اذكر استير الجميلة ! !

٨٤
الرفقاء الاربعة

« أما هؤلاء الفتيان الاربعة فأعطاهم الله معرفة وعقلا . . فكلمهم الملك فلم يوجد بينهم كلهم مثل دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا فوقفوا أمام الملك » (دا ١ : ١٧ و ١٩)

دانيال وحننيا وعزريا وميشائيل أربعة شبان من بني اسرائيل !
كانوا أربعة جمعت بينهم الغربة !
ولم تكن غربة سهلة بل كانت مرّة قاسية !

كانوا من أمراء بلادهم !

ولـكن الحرب طوحت ببلادهم و بذويهم. وحملهم الاعداء مسبيي السيف الى أرض لم يعرفوها و بين قوم لم يألفوهم!

وقد جازوا في أول الأمر أظلم أيام !

ولـكن الأمور ما لبثت ان استقرت والأحوال هدأت !

وها هم الاربعة يحسُّون أن الأمور تسير معهم أفضل مما سارت. رقّت معاملة القوم لهم وتلطفوا في الحديث معهم. فقد صدرت الأوامر باقامة معهد يخرج حاشية للملك من ابناء الأسر، فتياناً لا عيب فيهم حسان المنظر حاذقين في كل حكمة وعارفين معرفة وذوى فهم بالعلم — على أن تكون كتابة الكلدانيين ولسانهم مادة أساسية في الدراسة — ومدة الدراسة ثلاث سنوات يقف المتخرجون في نهايتها امام الملك مع الحاشية والحـكماء ! !

واختير الرفقاء الاربعة لهذه الدراسة مع غيرهم من ابناء الاشراف من البلدان الأخرى . وكانت اسماؤهم اليهودية غير مساغة فغيروها لهم إلى اسماء كلدانية فتحول دانيال إلى بلطشاصر وحنفيا إلى شدرخ وعزريا إلى ميشخ وميشائيل إلى عبدنغو!

وكان المعهد داخلياً !

وكان الطعام يقدم للطلبة !

وأمر الملك بالاهتمام به حتى يتخرج الشبان اصحاء الابدان اصحاء العقول. فعيّن الملك نفسه لهم وظيفة كل يوم بيومه من أطايب الملك وخمر مشروبه !

ووقع الشبان الاربعة في حيرة !

انهم يهود !

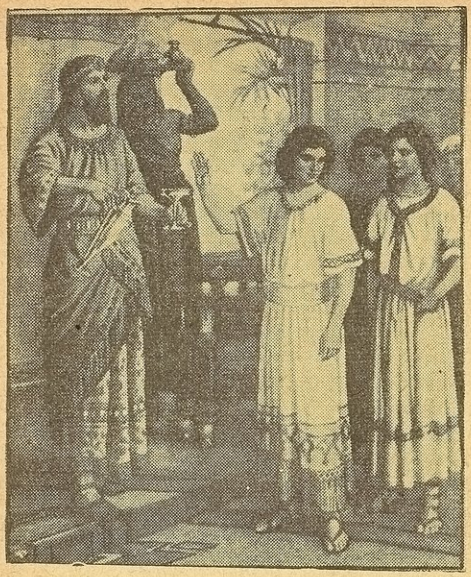
وكيهود لا يجوز أن يأكلوا طعام الامم ولا أن يشربوا خمر الامم ! !

وحزم دانيال أمره ألا يتنجس بأطايب الملك أو بخمر مشروبه - ووافقه رفقاؤه على ذلك .

لم يكن فراراً سهلا !

فقد كان وليد حرب شديدة !

كانت الظروف تهمس في أذنيه ألا يتشبث بشرائع دين أو قوانين عبادة . فهو مسبي في أرض غريبة ليست له الحرية أن يختار هذا أو يرفض ذاك . وهو تحت حكم ملك يأمر فيطاع وقد يغضب من دانيال فيأمر فتطاح رأسه ورؤوس اخوانه. ثم أين هي الخطية في الطعام أو في الشراب؟ أن جميع الشبان يأكلون ويشربون فلماذا لا يسايرون الشباب؟ ومن ذا يأخذ عليهم اكلهم وشربهم؟ إلههم؟ لقد انكسر ذلك الاله أمام آلهة الغزاة وليس له حق أن يرفع رأسه في أرض الكلدانيين!! اباؤهم وكهنتهم؟ لقد انتهوا، الذين ماتوا منهم بالمرض ماتوا والذين هلكوا بالسيف هلكوا !



دانيال ورفاقه يطلبون أن يعفوا من طعام الملك وخمر مشروبه

ليأكلوا . . وليشربوا وليكفوا عن ترهاتهم وخزعبلاتهم !

ولكنهم لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يكفوا عن ترهاتهم وخزعبلاتهم . لقد هدم الهيكل وتمزقت كتب الدين. ولكن الله ظل باقياً في قلوبهم وأمام عيونهم . وسيظلون عبيداً لالههم ولو تركه الجميع !

وكان دانيال حكيما بعيد النظر فالتمس من الموكل بالاشراف عليهم ان يعفيهم من الطعام الذي لا يتفق مع دينهم — ومع ان الرجل تردد في أول الأمر إلا أنه

اجابهم الى رغبتهم خصوصاً وهم ليسوا متعسفين في طلبهم . انهم يقولون جرّب عبيدك عشرة أيام . عشرة أيام فقط نأكل البقول ونشرب الماء ثم قارن بيننا و بين من يأكلون من أطايب الملك . واحكم علينا بعد التجربة بما ترى !

وأكل الرفاق الاربعة البقول !

وشربوا الماء !

وأكل غيرهم اللحوم المحمرة !

والفطائر !

وشربوا الخمور المعتقة !

واندهش رئيس السقاة ! !

فقد كان الفرق عظيما بينهم و بين غيرهم وإذ ذاك كان يرفع أطايبهم وخمر مشروبهم ويعطيهم قطاني !!

وفى نهاية السنين الثلاث وقفوا أمام الملك مع غيرهم من الشبان وكلمهم الملك فلم يوجد بينهم كلهم مثل دانيال وحننيا وعزريا وميشائيل. وفي كل أمر حكمة فهم الذي سألهم عنه الملك وجدهم عشرة اضعاف فوق كل حكماء مملكته !

وهكذا اكرم الله الذين اكرموه !

٨٥
التمثال

« اجاب دانيال قدام الملك وقال. السر الذى طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون على ان يبينوه للملك لكن يوجد إله في السموات كاشف الاسرار. وقد عرّف الملك نبوخذ نصر ما يكون في الايام الاخيرة » (دانيال ٢ : ٢٧ و ٢٨)

كان للملك نبوخذنصر جيش كبير من الحكماء وكانوا فرقاً متنوعة فمنهم

المجوس وهم علماء الفلك يرقبون الشمس والكواكب و ينبئون بالحوادث على مقتضى ما تكشفه لهم، على زعمهم. ومنهم السحرة وهم الذين يستشيرون قوات العالم السفلي و يعقدون المعاهدات مع «ست» إله الشر أو أمثاله في مختلف الأمم. ومنهم العرافون وهم غالباً من الكهنة الذين يستشيرون الآلهة أو من حلّت فيهم روح الآلهة. ومنهم الكلدانيون وهم الحكماء الاصليون لذلك الاقليم . كانوا قبل أن تقوم لبابل قائمة وكانوا يؤدون رسالتهم بمفردهم الى أن وفد عليهم المجوس من المشرق والسحرة من مصر والعرافون من اليونان !!

و يسأل الكثيرون عن حقيقة اعمال تلك الطغمة وهل كانت لهم قوة حقيقية وهل كانوا يستطيعون أن يخترقوا حجب الغيب أو يقبضوا على الشيطان و يقيدوه بسلاسل أو يعقدوا معه المعاهدات . والناس أميل إلى تصديق مايشاع عما يأتيه مثل هؤلاء من اعمال. أما نحن فنؤمن انهم كانوا جماعة في غاية الذكاء وانهم كانوا يتلقون كثيراً من العلوم التي تساعدهم على استخلاص النتائج من الأسباب . والوصول الى أنباء المستقبل من الماضي. أما باقي الادعاءات فنحن لا نؤمن بها بل ننكرها ونعتقد انها كذب وتضليل. وسيكون لنا مع هذه الفئة شأن في قصة الحلم الذي رآه الملك على فراشه !!

حلم الملك نبوخذنصر أحلاماً أزعجته وأطارت نومه. فأمر بأن يستدعى المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون فحضروا ووقفوا امام الملك واخبرهم الملك انه قد رأى حلماً انزعجت لرؤياه روحه واضطربت نفسه بحثاً عن معناه . وتكلم الحكماء:

عش أيها الملك إلى الأبد

أخبر عبيدك بالحلم فتبين تعبيره

و يبدو أن الملك لمح في وجوه القوم أو في كلامهم ما أثار شكوكه من نحو مقدرتهم وحكمتهم. أو انه كان يشك في ذلك من قبل وهو يريد أن يزيل شكه فيلقي أمراً جازماً، قد خرج مني القول ان لم تنبئوني بالحلم و بتعبيره فانكم تصيرون إرباً إرباً

وتجعل بيوتكم مزبلة. اما اذا بينتم الحلم وتعبيره فانكم تنالون من قبلي هدايا وحلاوين واكراماً عظيما . فبيّنوا لي الحلم ... ثم بينوا بعد ذلك تعبيره !!

وشحب وجه حكماء الملك ولكنهم حاولوا أن يتجلدوا وقالوا ليخبر الملك عبيده بالحلم فنبين تعبيره

ورأى الملك في كلامهم المراوغة والدوران فقال لهم اني أعلم يقيناً انكم تكتسبون وقتاً اذ رأيتم ان القول قد خرج مني بانه ان لم تنبئوني بالحلم فقضاؤكم واحد . لانكم قد اتفقتم على كلام كذب وفاسد لتتكلموا به قدامي إلى أن يتحول الوقت . فأخبروني بالحلم فاعلم انكم تبينون لي تعبيره !!

وهنا أعترف الكلدانيون بالحق !

اعترفوا انهم عجزة عن اجابة الملك إلى طلبه!

قالوا :

ليس على الارض انسان يستطيع أن يبين أمر الملك !

الأمر الذي يطلبه الملك عسر بل مستحيل!

ليس آخر يبينه قدام الملك غير الآلهة !

الآلهة وحدهم !!

الآلهة الذين ليست سكناهم مع البشر !!

* * *

وغضب الملك !

إذن ما هذا الذي كنتم تدّعونه بالأمس ؟

ألم تقولوا انكم متصلون بالسماء ؟؟

ألم تعلنوا انكم تتحدثون إلى النجوم ؟ ؟

ألم تذكروا انكم تجلسون مع الآلهة؟؟

ألم تدّعوا انكم تستطيعون أن تكتشفوا أعمق أسرار الأزل وأسرار الأبد ؟

إذن أنتم كاذبون !
مدّعون !
دجّالون !
محتالون !

ومكانكم لا يجوز أن يكون في حضرة الملك!
يجب أن تذهبوا إلى أعماق الهاوية !

* * *

وأصدر الملك أمره بابادة كل حكماء بابل !
فقبضوا عليهم وجعلوا يقتلونهم فرقة فرقة !
وطلبوا دانيال واصحابه ليقتلوهم !

أين كان دانيال عندما استدعى الحكماء امام الملك ؟
هل كان غائباً في مهمة للملك؟
أو كان عمله في مكان آخر بعيد عن قصر الملك؟
أو انه لم يكن بعد من الرؤساء بين الحكماء؟
يغلب ان الأمر كان هذا أو ذاك !
ولكن أمر الملك كان يشمل جميع الحكماء!
ودانيال واصحابه ينبغي أن يقتلوا !
ولكن دانيال لا يعرف سر الأمر!
انه لم يسمع عن أحلام الملك !
ولا عن جواب الحكماء!

وهو يتقدم إلى أريوخ حكمدار البوليس يسأله لماذا اشتد الأمر من قبل الملك؟
ويحدثه أريوخ بالأمر من أوله إلى آخره ويخبره انه مضطر الى أن ينفذ فيه حكم

الموت كأمر الملك . ولكن دانيال يستمهله ريثما يتقدم إلى الملك ليطلب منه وقتاً. وأريوخ يرى الصواب في إجابته إلى طلبه. ويتقدم دانيال إلى الملك ويلتمس منه أن يعطيه وقتاً فيبين للملك التعبير!

والملك يقبل بسرور!

انه لا يقتل الحكماء لانه راغب في القتل لكن لأن أحلامه تفزعه . فاذا استطاع دانيال ان يبين له حلمه وتعبيره فقد أراح نفسه وهدأ ثوران روحه .. واذا لم يستطع فلن يستطيع ان يهرب من الموت!

— إذن اذهب يادانيال واستشر إلهك وعد إليّ لتنال هدايا وحلاوين واكراماً عظيما او عد إليّ لتقتل!

ومضى دانيال إلى بيته

وارسل إلى اصحابه حننيا وميشائيل وعزريا واعلمهم بالأمر، ليطلبوا المراحم من قبل إله السموات من جهة هذا السر لكي لا يهلك دانيال واصحابه!

لا نعلم كم من الزمن ظل دانيال ورفاقه يصلون. ولكن المرجح ان دانيال مكث في بيته يصلي منذ رجع من حضرة الملك . وأقبل الليل عليه وهو يصلي . وحينئذ كشف له السر في رؤيا الليل!

كان أربعة يصلون كل واحد في مكانه ولكن صلواتهم صعدت كتلة واحدة الى السماء . يالها من قوة!

وقبل أن يحمل دانيال رسالته الى الملك خرّ على وجهه وبارك اله السموات وكانت صلاته تسبحة :

ليكن اسم الله مباركاً من الأزل والى الأبد!

لان له الحكمة والجبروت!

وهو يغير الأوقات والأزمنة!

يعزل ملوكاً وينصب ملوكاً!

يعطي الحكماء حكمة !
ويعلم العارفين فهما !
هو يكشف العمائق والاسرار !
يعلم ماهو فى الظلمة !
وعنده يسكن النور !
اياك يا اله أبائي أحمد !
واسبح الذي اعطاني الحكمة والقوة !
وأعلمني الآن ما طلبناه منك !
لانك أعلمتنا أمر الملك !

* * *

ودخل دانيال الى اريوخ وطلب منه ألا يبيد حكماء بابل وان يدخله الى قدام الملك ليبين له التعبير — ودخل أريوخ الى قدام الملك مسرعا وحدثه عن دانيال واستعداده لاجابة أمر الملك

ودخل دانيال فقال له الملك، هل تستطيع أنت على أن تعرفني بالحلم الذي رأيت وبتعبيره. واجاب دانيال انها ليست استطاعته هو « لان السر الذي طلبه الملك هو فوق قدرة البشر. لكن يوجد اله في السموات كاشف الاسرار هو الذي كشف لي. ولم يكشفه لي لحكمة فيّ اكثر من كل الاحياء. ولكن لكي يعرف الملك بالتعبير ولكي تعلم افكار قلبك »

كان دانيال يلقي كلاما غريبا على أذن الملك. وكان قلب الملك يضطرب فى داخله. انه يرى أمامه رجلاً من مسبييه ولكنه يحسّ انه أعظم من انسان. انه يسمو به الى أعلى السموات ومع ذلك فهو وديع ومتواضع !

وبدأ دانيال يقص للملك حلمه :

أنت أيها الملك كنت تنظر واذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل !

رأس هذا التمثال من ذهب جيد !

صدره وذراعاه من فضة !

بطنه وفخذاه من نحاس !

ساقاه من حديد !

قدماه بعضهما من حديد والبعض خزف!

كنت تنظر الى أن قطع حجر بغير يدين!

فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف !

فسحقهما !

فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا !

وصار كعصافة البيدر في الصيف !

فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان !

أما الحجر الذي ضرب التمثال !

فصار جبلاً كبيراً !

وملأ الارض كلها ! !

* * *

هذا هو الحلم !

فنخبر بتعبيره قدام الملك :

* * *

كان الملك يستمع إلى دانيال وهو ذاهل . انه يحدثه كما لو كان معه في الحلم . وعند ما حدثه عن التمثال وعن الذهب والفضة والنحاس والحديد . . بلغ اندهاشه حداً لم يستطع برغم وقاره الملكي أن يخفيه !

أي انسان هو هذا الذي يرى مايراه النائم في حلمه. لا بد انه ليس بشراً وانما هو إله تزيّى في صورة الناس . ولكنه يقول انه لا يستطيع أن يكشف السر ويقول أن الهه هو الاله كاشف الاسرار . . يا له من إله !

لا بد انه ليس نظير آلهة بابل التي لا تتحرك ولا تنظر ولا تشم ولا تتكلم . . انه إله حقاً !

كان الملك يهمس لنفسه بمثل هاتيك الكلمات عند ما انتبه الى كلمات دانيال وهو يقول هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره قدام الملك !

وقال الملك، نعم نعم قل يا دانيال ما هو التعبير ؟ وأجاب دانيال :

ان التمثال أيها الملك يرمز للممالك التي كانت والتي سيتمخض عنها التاريخ ! فأنت أيها الملك ملك ملوك لان إله السموات اعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً أنت هذا الرأس من ذهب !

و بعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك هي مملكة من فضة !

ومملكة ثالثة أخرى من نحاس، فتتسلط على كل الارض !!

وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لان الحديد يدق و يسحق كل شيء . وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء !

و بما أنك رأيت القدمين والاصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة بعض المملكة يكون قوياً و بعضها ضعيفاً !

وفي أيام أولئك الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهي تثبت الى الأبد !

لم يكن التعبير كامل التفاصيل ولكنه كان كافياً. ولقد حاول الكثيرون أن يطابقوا بين التمثال و بين عصور التاريخ، واختلفوا هنا وهناك ولكنهم اتفقوا على المملكة التي قامت أثر مجيء الحجر الذي قطع بغير يدين !

قالوا أن رأس الذهب هو مملكة بابل!

والصدر والذراعان هما مملكة فارس !

والبطن والفخذان هما مملكة اليونان !

والساقان هما مملكة رومه !

والخزف والحديد هما مملكة البطالسة !

والحجر هو مملكة المسيح !

وقالوا أن التمثال يرمز لأكثر من مملكة بابل وفارس . انه يرمز لعصور ممتدة تنتهي بسيادة مملكة المسيح على الأرض !

أما نبوخذ نصر فانه عند ما سمع كلام دانيال خرّ على وجهه وسجد لدانيال وأمر أن يقدموا له تقدمة روائح وسرور . ولا شك أن دانيال عارض معارضة شديدة ولكنهم قدموا التقدمات للروح المستقر فيه — وقال الملك :

حقاً إلهكم إله الآلهة !

ورب الملوك !

وكاشف الاسرار!

وعظم الملك دانيال وأعطاه عطايا كثيرة عظيمة وسلّطه على كل ولاية بابل وجعله رئيس الشحن على جميع حكماء بابل !!

واكرم الملك أصدقاء دانيال أيضاً فولاهم مناصب كبيرة في ولاية بابل !

. . . على انه مما يؤسف له أن الملك نسى شهادته هذه كما سنرى ذلك فى الحوادث التالية !!

٨٦

النار ولا الانكار

« فأجاب نبوخذنصر وقال تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملاكه وانقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك واسلموا اجسادهم لكي لا يعبدوا او يسجدوا لاله غير إلههم » دانيال ٣:١٨

حنفيا وعزريا وميشائيل ثلاثة شبان سبق أن تعرفنا اليهم ، وعرفنا اسماءهم الكلدانية شدرخ وميشخ وعبدنغو !

رأيناهم أول مارأيناهم يقفون الى جانب «الاعتدال» فيرفضون الطعام الشهي والخمر المعتقة ، ويفضلون على ذلك الطعام الخشن وشراب الماء . ويعلنون بذلك أن دينهم أعزّ عندهم من كل طعام وشراب . ولقد رأيناهم ينالون المركز الممتاز والمقام الكبير أمام الملك ، ويحتلون الوظائف العالية مما اثار عليهم غيرة الحاسدين الشانئين !

وحدث أن ملك بابل ، الملك نبوخذنصر صنع تمثالا عظيما من الذهب ارتفاعه ستون ذراعاً ، وكان اكبر تمثال صنع من الذهب في بابل . ونادى شعبه ، ياقوم هذا ربكم فاعبدوه ، ولا تعبدوا إلهاً غيره . فاذا سمعتم صوت العود والمزمار والرباب والسنطير وباقي آلات العزف فليقف كل انسان في مكانه ثم يخر جاثياً لتمثال الذهب الذي صنعته . وقد عين الملك قصاص المخالفين لأمره ، قصاصاً مروعاً فقد حكم ان من لا يسجد للتمثال ينبغي أن يطرح في اتون النار المتقدة خارج مدينة بابل !!

ولم يسأل القوم كيف يكون إلهاً ما يصنع بالأيادي ، ولم يسألوا كيف يكون إلهاً ما لا يحس ولا يتكلم ولا يتحرك . ومع اننا نأخذ عليهم حماقتهم في ذلك إلا أننا لا نلومهم كثيراً . ألم يكن التمثال عظيم الحجم كبير الجرم يمثّل القوة ، أليست القوة إله الناس في كل جيل يخرّون أمامها سجّداً ؟؟ وألم يكن التمثال من الذهب ،

الذهب الذي يكرمه الناس اكثر مما يكرمون أي إله ويتعبدون له اكثر مما يتعبدون للاله الحقيقي ! والى اليوم يسجد الناس للقوة وللمال ، فليس عجباً أن تخر شعوب مملكة بابل لتمثال نبوخذنصر . نعم فقد سجد جميع الناس لذلك التمثال وعبدوه . . سجدوا كلهم ما عدا نفر قليل . واذا شئنا الحصر قلنا ما عدا ثلاثة أشخاص هم أصدقاؤنا الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو !

وكان يمكن أن تمر المسألة بسلام لولا أن هناك حاسدين لأصدقائنا ، حسدوهم من أجل ما وصلوا اليه فانتهزوها فرصة لكي يطوحوا بهم إلى غير رجعة !

وأسرع الوشاة إلى الملك يقصّون له حديث المستهينين بأمره . وقد حشوا قصتهم بكثير من الغمز والاثارة فقالوا ، ان جماعة من بني سبي يهوذا لم يجعلوا لك أيها الملك اعتباراً ولا لتمثال الذهب الذي صنعته . وغضب الملك ولكنه عندما علم من هم الذين رفضوا التمثال رقّ لهم وأراد أن يتيح لهم فرصة النجاة من الحريق . فأعطاهم فرصة ثانية وهددهم بالموت في الأتون وقال لهم متحديا من هو الاله الذي يستطيع أن ينقذكم من يدي ؟

وكان موقف الشبان الثلاثة مخيفاً !

على هذا الجانب يوجد إلههم ، وبجانبه الاتون !

وعلى الجانب الآخر يوجد التمثال ومعه الحياة !

وعليهم أن يختاروا اما الحياة بعيداً عن الله او الموت في الاتون مع الله . ولم تطل حيرتهم . وتكلم الشبان وقد دوى صوتهم حتى أسمع العوالم بأسرها !

يا نبوخذنصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر !

هوذا يوجد إلهنا الذي نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة

وان ينقذنا من يدك أيها الملك !

وإلا ! !

فليكن معلوماً لك أيها الملك !!

اننا لا نعبد آلهتك !
ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته!!

* * *

يا له من موقف رائع !!
يقفون قِلّة أمام ملك عظيم !!
يتحدوّن سلطانا له مركبات وأجناد !!
يتمسكون بالههم سواء أنقذهم !
او تركهم يحترقون في النار !!

* * *

وكان غضب الملك عظيما !
من هم هؤلاء الشبان الذين يتحدّون الملك وأوامر الملك ؟ !
لن يكفيني أتون النار لأحراقهم !
حمّوا الاتون سبعة أضعاف !!
ليأت رجال القوة وليقذفوا بهم إلى وسط الأتون !
وتمّ أمر الملك فحميت الأتون سبعة أضعاف
وجاء رجال القوة وأوثقوا المساكين الثلاثة وقذفوا بهم إلى وسط الأتون !
كانت النار شديدة وكان لهيبها يمتد الى مسافات حتى أن ذلك اللهيب قتل الرجال الذين رفعوا شدرخ وميشخ وعبدنغو . وتأكد كل انسان أن الشبان الثلاثة قد انتهى أمرهم وضاع ذكرهم !
على أن الملك بعد قليل وثب من مكانه ونادى مشيريه !
— ألم نلق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار ؟
— هذا صحيح أيها الملك !
— ولكني أنظر أربعة رجال . . أربعة رجال محلولين . . يتمشون . نعم

يتمشّون في وسط النار . يا للعجب يتمشّون في وسط النار . والرابع ليس انساناً ، كلا ليس انساناً بالمرة هو شبيه بابن الآلهة!!

واقترب الملك من باب الأتون ونادى !

يا شدرخ وميشخ وعبدنغو !

ياعبيد الله العلي !

اخرجوا وتعالوا !!

وخرج شدرج وميشخ وعبدنغو من وسط النار والتف القوم حولهم وتحسسوا أجسامهم بأيديهم واشتموا ثيابهم بأنوفهم . . . يا للعجب هوذا النار . لم تكن لها قوة على أجسامهم، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق ، وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم . . وهنا خرّ الملك نبوخذنصر على وجهه وقال :

تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو

الذي أرسل ملاكه

وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه

وغيروا كلمة الملك

وأسلموا أجسادهم لكي لايعبدوا أو يسجدوا لاله غير إلههم !!

فمنّي قد صدر أمر :

بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبدنغو فانهم يصيرون إربا إربا !

وتجعل بيوتهم مزبلة !

إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا !!

٨٧

الملك المتكبر

« فالآن انا نبوخذ نصر اسبح واعظم واحمد
ملك السماء الذي كل اعماله حق وطرقه عدل
ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على ان يذله »
دانيال ٤ : ٣٧

هذه قصة رواها صاحبها
ولم يقصر روايتها على خاصته
بل أشاعها وأذاعها
وقد أرسلها رسالة الى كل الشعوب والأمم والألسنة الساكنين في الارض كلها . فلنسمع لتلك الرسالة أو لنقرأها
وقد بدأها الكاتب بذكر اسمه فقال :
أنا نبوخذ نصر
ونبوخذ نصر ليس مجهولاً منا ، فهو الملك العظيم الذي حكم بابل طويلاً !
رأى الملك حلماً فروعه ورؤيا أفزعته. فأمر باحضار جميع الحكماء وطلب منهم تفسير حلمه فوقفوا حيارى . كان يمكنهم ان يقولوا له كلاماً يطمئن نفسه ولكنهم خافوا منه لانه كان يعرف على الأغلب أساليبهم
وأخيراً أدخلوا اليه دانيال الذي دعاه بلطشاسر على اسم إلهه والذي يقول الملك عنه ان فيه روح الآلهة القدوسين
ونحن نسمع الملك يتحدث الى كبير حكمائه قال :

يا بلطشاسر كبير المجوس. من حيث اني اعلم ان فيك روح الآلهة القدوسين، ولا يعسر عليك سر فأخبرني برؤى حلمي الذي رأيته و بتعبيره . ثم أخذ يقص له حلمه وخلاصته انه كان يرى شجرة كبيرة في وسط الارض وطولها عظيم وانها كبرت وقويت حتى بلغ علوها الى السماء ومنظرها الى أقصى الأرض . أوراقها جميلة ، وثمرها كثير ، وفيها طعام للجميع، وتحتها استظل حيوان البر ، وفي اغصانها سكنت طيور السماء ، وطعم منها كل البشر !

و بينما كان نبوخذ نصر يتأمل في الشجرة و يعجب بها و يقول في نفسه ليس في الكون أعظم منها، بينما هو كذلك اذا به يبصر كائناً جليلا مجيداً له بهاء ، وقد كسفت الشمس من ضياء وجهه . وقد نزل ذلك الكائن الالهي من السماء وصرخ بشدة فاذا الارض تضطرب من كلماته ، اقطعوا الشجرة واقضبوا أغصانها وانثروا أوراقها وابذروا ثمرها . ليهرب الحيوان من تحتها والطيور من أغصانها . . . ولكن اتركوا ساق أصلها فى الارض !!

وتغيرت نغمة الكلام فانتقلت من المؤنث الى المذكر ومن الجماد الى الانسان وهذا ما سمعه الملك . . « اتركوا ساق أصلها في الارض مشدوداً بقيد من حديد ونحاس في عشب الحقل. وليبتل بندى السماء. وليكن نصيبه مع الحيوان في عشب الحقل. ليتغير قلبه عن الانسانية وليعط قلب حيوان ولتمض عليه سبعة أزمنة . هذا الأمر بقضاء الساهرين والحكم بكلمة القدوسين لكي تعلم الأحياء أن العلي متسلط في مملكة الناس فيعطيها من يشاء و ينصّب عليها أدنى الناس » !

واستيقظ الملك وقد ملأت صدره مخاوف مجهولة وملأ قلبه قلق لايعرف سره. وكان كلما انشغل في هذا الأمر أو ذاك ظهرت أمام عينيه الشجرة العظيمة ورنت فى أذنيه كلمات الساهر والقدوس . وكان يتساءل هل هناك علاقة بين جزئي الحلم . ما هي الشجرة . وما هو ذاك الذي سيقيد بقيد من حديد ونحاس . وما معنى تغير قلبه من الانسانية الى الحيوانية وما هي السبعة الأزمنة ؟؟!!

وحاول حكماء بابل ان يجدوا تعليلا يقبله الملك الذي لا يخدعه تضليلهم فلم يجدوا وأقرّوا انهم لا يستطيعون أن يعبروا للملك حلمه !

وختم الملك حديثه لكبير المجوس بالقول ، هذا الحلم رأيته أنا نبوخذ نصر الملك . أما أنت يا بلطشاسر فبيّن تعبيره لأن كل حكماء مملكتي لا يستطيعون أن يعرّفوني بالتعبير . أما أنت فتستطيع لان فيك روح الآلهة القدوسين !

* * *

ورفع دانيال وجهه نحو السماء ونظر بعينين مغلقتين الى الفضاء البعيد الممتد ، وكان كأنه يخترق حجب المستقبل. وكانت شفتاه تتحركان بكلمات غير مسموعة ، وقد بانت على وجهه آثار عراك ، وتجلّت علامات حيرة وارتباك ، بل ظهر على وجهه اضطراب وخوف ، وقد تقلصت عضلاته وهطل العرق غزيراً على وجهه . وبان ألم قاسٍ ومرّ في ثنايا جبينه. وكان الملك يتطلع اليه في أول الأمر في قلق ينتظر ما يقوله دانيال عن حلمه ، ولكنه حين أبصر ألمه واضطرابه عطف عليه وقال له بنغمة رقيقة : يا بلطشاسر لا يفزعك الحلم وتعبيره !

أما دانيال فقال له بلغة تلك الايام، ياسيدي الحلم لمبغضيك وتعبيره لأعاديك.. ثم أخذ يفسر له الحلم فقال :

الشجرة التي رأيتها التي كبرت وقويت و بلغ علوها الى السماء ، ومنظرها الى كل الأرض وأوراقها جميلة وثمرها كثير وفيها طعام للجميع وتحتها سكن حيوان البر وفي أغصانها سكنت طيور السماء ... هذه الشجرة هي أنت أيها الملك الذي كبرت وتقويت وعظمتك قد زادت و بلغت الى السماء وسلطانك الى أقصى الارض !

وحيث رأى الملك ساهراً وقدوساً نزل من السماء وقال اقطعوا الشجرة وأهلكوها ولكن اتركوا ساق أصلها في الارض مشدوداً بقيد من حديد ونحاس في عشب الحقل وليبتل بندى السماء وليكن نصيبه مع حيوان البر حتى تمضي عليه

سبعة أزمنة... فهذا هو التعبير أيها الملك وهذا هو قضاء العلي الذي يأتي على سيدي الملك. يطردونك من بين الناس، وتكون سكناك مع حيوان البر، ويطعمونك العشب كالثيران، ويبلّونك بندى السماء فتمضي عليك سبعة أزمنة، حتى تعلم ان العلي متسلط في مملكة الناس ويعطيها من يشاء.. وحيث أمروا بترك ساق أصول الشجرة فان مملكتك تثبت لك عندما تعلم ان السماء سلطان!

كان دانيال يقول كلماته بنغمة الحزن والألم وكان الملك يحسّ بما يحز في قلب دانيال من أمانة وولاء، لذلك أصغى الى كلامه، دون أن يغضب منه. ولو أن شخصاً آخر ذكر له ذلك المصير لأمر في الحال بقتله. أما دانيال فانه أمين لسيده وأمين فوق ذلك لربه. ونبوخذنصر يكرمه ويحترم كلامه، فهو يصغي اليه مطرق الرأس. فلما فرغ من التعبير رفع الملك رأسه ونظر الى دانيال وكأنه يقول هل هذا كل شيء؟ واذا بدانيال يقول:

لذلك أيها الملك فلتكن مشورتي مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعله يُطال اطمئنانك!!

لقد كان دانيال عظيماً

ولكن عظمته هنا بزّت كل عظمة. انه يقول الحق كما هو بدون مداورة. ويقوله لمن يعلم ان حياته في يديه. ما أحرى الوعاظ ان يترسموا خطى دانيال في ذلك فيجمعون بين المحبة والقوة، العطف والصراحة، ويقدمون نصائحهم خالصة مخلصة!

وتأثر الملك في أول الأمر ووعد دانيال ان يتبع مشورته.. وربما سلك في طريق صالح يوماً أو بضعة أيام، ولكنه بعد ذلك نسي وعده لدانيال، ونسي الشجرة، والساهر والقدوس، وانغمس في مظالمه ومآثمه وشهواته وفجوره، وظل سادراً في غلوائه، سادلاً ثوب خيلائه مدة سنة كاملة!

كان الملك في نهاية الشهور الاثني عشر يتمشى على سطح قصره وكان يطل من علٍ على مدينة بابل العظيمة الجاثمة بجانب النهر، وقد امتدت قصورها، وارتفعت

صروحها وبانت علامات القوة والثراء فيها .. وهو لا يعلم لماذا مرّ حلم الشجرة في ذهنه في تلك اللحظة ، وقد خيّل اليه انه يسمع كلمات الساهر والقدوس التي سبق ان سمعها في الحلم فتصلب وجهه وظهرت القسوة في عينيه ومدّ يده يتحدى السماء ويتحدى القضاء وقال، اليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها لبيت الملك بقوة اقتداري ولجلال مجدي؟ وكان ينوي ان يكمل حديثه فيقول ان قوة ما لن تستطيع ان تنزعه من عرشه، ولو كانت قوة الآلهة مجتمعين ـ ولكنه لم يكمل حديثه لانه قبل ان ينطق بكلمة اخرى وقع صوت من السماء قائلا: لك يقولون يا نبوخذ نصر الملك، ان الملك قد زال عنك ويطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوان البر ويطعمونك العشب كالثيران ، فتمضي عليك سبعة أزمنة حتى تعلم ان العلي متسلط في مملكة الناس وانه يعطيها من يشاء !!

ولا يعلم نبوخذ نصر كيف حدث الامر قيل انه أصيب بالجنون. وحاول قومه عبثاً ان يردوه الى صوابه ولكنه ثار كثور بري هائج فطرد من بين الناس وأكل العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء حتى طال شعره مثل النسور وأظفاره مثل الطيور . وظل في هذه الحالة سبعة أزمنة !!!

وهذه نفس كلمات نبوخذ نصر عن عودته الى ملكه قال :

« وعند انتهاء الايام أنا نبوخذ نصر رفعت عيني الى السماء فرجع الي عقلي وباركت العلي وسبحت وحمدت الحي الى الابد الذي سلطانه سلطان أبدي وملكوته الى دور فدور وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الارض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل

في ذلك الوقت رجع اليّ عقلي وعاد اليّ جلال مملكتي ومجدي وبهائي وطلبني مشيري وعظمائي وتثبت على مملكتي وازدادت لي عظمة كثيرة

فالآن

أنا نبوخذ نصر

أسبّح

وأعظّم
وأحمد ملك السماء
الذي كل أعماله حق
وطرقه عدل
ومن يسلك بالكبرياء
فهو قادر على ان يذله ! !

* * *

وهكذا ختمت حياة الملك نبوخذ نصر هذا الختام الطيب !

٨٨
بيلشاصر

« وأنت يا بيلشاصر ابنه لم تضع قلبك مع انك عرفت كل هذا ، بل تعظمت على رب السماء فأحضروا قدامك آنية بيته وأنت وعظماؤك وزوجاتك وسراريك شربتم بها الخمر وسبحت آلهة الفضة والذهب والنحاس والحديد والخشب والحجر التي لا تبصر ولا تسمع ولا تعرف وأما الله الذي بيده نسمتك وله كل طرقك فلم تمجده » دانيال ٥ : ٢٢ ، ٢٣

مات نبوخذ نصر
ونرغب لو أنه مات مؤمناً
مات والكتاب يذكر أن بيلشاصر ابنه
ولكن تلك البنوة كانت كما تقول الوثائق التاريخية بنوة شرعية لا طبيعية .
فقد مات نبوخذ نصر عن ابنة زوّجها من قائد جيشه نبونيدس وولدت الابنة ابناً

هو بيلشاصر الذي تبناه جده. ولما مات الجد ملك نبونيدس ولم تكن أيامه سهلة فقد بدأت مملكة مادي التي اتحدت فيما بعد مع فارس تظهر شيئاً من القوة وقامت تبعاً لذلك حروب بينها و بين بابل وأشرك نبونيدس ابنه بيلشاصر معه في الملك وقام على رأس جيش يحارب فارس وترك ابنه يدافع عن العاصمة التي حاصرها الأعداء. على ان مهمة الدفاع عن بابل لم تكن في نظر الملك مهمة شاقة فقد كان النهر يخترق المدينة وكانت تبعاً لذلك لا تحسّ بالحاجة الى الموارد الطبيعية. فليمكث المحاصرون حول بابل ما شاءوا . انهم لن يستطيعوا أن يؤذوها وانما يؤذون أنفسهم ! !

والملك امعاناً في السخرية من المحاصرين يقيم وليمة كبيرة حضرها عظماء المملكة الالف وحضرها مع هؤلاء زوجات الملك وسراريه ومع هؤلاء حفل من خدم وعبيد وفرق مغنين وفرق راقصات !

وأكل الجميع !

وشربوا !

وسكر الملك !!!

وفي سكره ذكر الأواني المقدسة لهيكل أورشليم التي كان قد سلبها أبوه نبوخذ نصر . ولكن أباه كان لا يجسر أن يهين تلك الأواني المقدسة . أما هو فانه بعد أن سكر ذكر أصنامه فمجّدها . وأراد أن يظهر اكرامه لها فأمر باحضار آنية هيكل الله وشرب فيها الخمر هو وعظماؤه وزوجاته وسراريه . شربوا الخمر وسبحوا آلهة الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجر !!!

وصعدت في جو المكان ضحكات هازئة وكلمات سخرية ضدّ إله اسرائيل. وكان الجو كله يوحي بسرور منقطع النظير !

على ان شيئاً ما حدث

واذا سكوت وانقباض

ظهرت أصابع يد انسان كتبت بازاء النبراس على مكلس حائط قصر الملك !

ونظر الملك

فتغيرت هيئة الملك

وأفزعته أفكاره

وانحلّت خرز حقويه

واصطكت ركبتاه

وصرخ بشدة يطلب السحرة والمنجمين والكلدانيين

ترى هل كانت اليد التي رآها الملك حقيقية أم أن السكر خيّل له ان هناك يداً ولا يد وكتابة ولا كتابة ؟؟

وهل رأى أحد آخر غير الملك تلك اليد الكاتبة أم أن الملك وحده هو الذي رأى ؟

يغلب أن الملك وحده هو الذي رأى ولكن مارآه كان أمراً حقيقياً بدليل ان الكتابة بقيت أمامه شاهدة على صدق ما رأى !

وقال الملك لحكمائه أي رجل يقرأ هذه الكتابة ويبين لي تفسيرها فانه يلبس الارجوان وتوضع قلادة من ذهب في عنقه ويتسلط ثالثاً في المملكة أي يكون مقامه حالا بعده و بعد أبيه !!

ووقف الحكماء حيارى . ولم يكن دانيال مع الحكماء الذين أدخلوهم اليه إذ كان قد فقد نفوذه بعد موت نبوخذ نصر !

كانت الكلمات المكتوبة . منا . ثقيل . فرس . وهي ثلاث كلمات لثلاثة موازين . ولم يفهم الحكماء المقصود منها !

ولقد يتساءل بعضنا ألم يكن في إمكان أولئك «الحكماء» ان يفسروا الكلمات بما يتراءى لهم مما يخدعون به الآخرين عادة ؟ ونظن أن الموقف لم يكن يحتمل ذلك فقد أحسّ الجميع ان جواً رهيباً يملأ المكان وان روحاً علوياً يتطلع اليهم و يفحص

خباياهم . وان تلك اليد التي كتبت جاءت من قبل إله عظيم لا يجوز أن يسلكوا بازائها بغير الخشوع والوقار !!

وهكذا صمت الحكماء !

وأعلنوا انهم عاجزون !!

ففزع الملك بيلشاصر جداً وتغيرت فيه هيئته . واضطرب عظماؤه . ووصل نبأ الاضطراب الى حيث كانت الملكة الوالدة تقيم بعيدة عن ضوضاء الحفلة. فأسرعت الى بيت الوليمة وقالت للملك : أيها الملك عش الى الابد . لا تفزعك أفكارك ولا تتغير هيئتك . يوجد في مملكتك رجل فيه روح الآلهة القدوسين . وفي أيام ابيك وجدت فيه نيرة وفطنة وحكمة كحكمة الآلهة والملك نبوخذ نصر ابوك جعله كبير المجوس والسحرة والكلدانيين . من حيث ان روحاً فاضلة ومعرفة وفطنة وتعبير الأحلام وتبيين ألغاز وحل عقد وجدت في دانيال هذا الذي سماه الملك بلطشاصر !

فليدع الآن دانيال فيبين التفسير !!

وأدخل دانيال إلى قدام الملك !!

ونحن نحس بصدمة عنيفة ونحن نسمع الملك يبدأه بالقول :

أأنت هو دانيال من بني سبي يهوذا الذي جلبه أبي الملك من يهوذا ؟ وهي كلمات تدل على صفات ذلك الملك الاحمق ، صفات الحماقة والكبرياء والجهل. فقد كان ينبغي أن يتقدم اليه بما يقتضيه الأدب الملكي خصوصاً وهو في أشد الحاجة اليه !

على أنه لم يقف عند حدّ سؤاله السابق بل قال أيضاً، قد سمعت عنك أن فيك روح الآلهة وأن فيك نيرة وفطنة وحكمة فاضلة . والآن ادخل قدامي الحكماء والسحرة ليقرأوا هذه الكتابة ويعرفوني بتفسيرها فلم يستطيعوا أن يبينوا تفسير الكلام . وأنا قد سمعت أنك تستطيع أن تفسر تفسيراً وتحل عقداً . فان استطعت

الآن أن تقرأ الكتابة وتعرفني بتفسيرها فتلبس الارجوان وقلادة من ذهب فى عنقك وتتسلط ثالثاً في المملكة !

وهنا لا يسعنا إلا أن ننحني احتراماً وتوقيراً لخادم الله الامين الذي يحتفظ بكرامة خدمته ولا يتدنى نظير أجرة مهما عظمت قيمتها . وتكلم دانيال كلاماً غريباً في اذن الملك . لم يسبق أن قال أحد كلاماً نظيره . كان كل المحيطين به جماعة وضيعة مملقة منافقة . أما هذا فيجسر أن يقول للملك:

لتكن عطاياك لنفسك !
وهب هباتك لغيري !
لكني اقرأ الكتابة للملك !
واعرفه بالتفسير !!!

* * *

على أنه لم يبادر بقراءة الكتابة بل بدأ يلقي عظة للملك . فذكر له طرفاً من سيرة أبيه نبوخذ نصر وان الله العلي أعطاه ملكوتاً وعظمة وجلالا وبهاء . . وأنه بسبب ذلك ارتفع قلبه وقست روحه تجبراً ولذلك انحط عن كرسي ملكه ونزعوا عنه جلاله وطرد من بين الناس وتساوى قلبه بالحيوان وكانت سكناه مع الحمير الوحشية فأطعموه العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء حتى علم أن الله العلي سلطان في مملكة الناس وأنه يقيم عليها من يشاء !

كانت قصة نبوخذنصر موضوع بابل كلها وقد تواضع نبوخذنصر أمام الله وكتب لجميع الشعوب التابعة له ، « فالآن أنا نبوخذنصر اسبح وأعظم وأحمد ملك السماء الذي كل أعماله حق وطرقه عدل ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله» أما بيلشاصر وقد عرف ذلك فلم يتواضع أمام الله وها هو دانيال يقول له :

« وأنت يا بيلشاصر ابنه لم تضع قلبك مع أنك عرفت كل هذا بل تعظمت على

رب السماء فأحضروا قدامك آنية بيته وأنت وعظماؤك وزوجاتك وسراريك شربتم بها الخمر وسبحت آلهة الفضة والذهب والنحاس والحديد والخشب والحجر التي لا تبصر ولا تسمع ولا تعرف

أما الله الذي بيده نسمتك

وله كل طرقك

فلم تمجده

حينئذ ارسل من قبله طرف اليد فكتبت هذه الكتابة

وهذه هي الكتابة التي سطرت:

منا... منا... تقيل... وفرسين

وهذا تفسير الكلام:

« منا » احصى الله ملكوتك وأنهاه

« ثقيل » وزنت بالموازين فوجد ناقصاً

« فرس » قسمت مملكتك واعطيت لمادي وفارس!!

* * *

فهل تواضع بيلشاصر وهل سأل دانيال كيف السبيل الى النجاة؟ كل ما عمله أنه أمر أن يلبسوا دانيال الارجوان وقلادة من ذهب في عنقه وينادوا عليه أنه يكون متسلطاً ثالثاً في المملكة — فعل ذلك ليتمم كلامه كملك ولكنه لم يفكر في الأمر جدياً. ولعله استهزأ بالقول ان مملكته ستأخذها مادي وفارس فهو مطمئن الى النهر الذي يخترق مدينته. ولم يعلم أن قوات العدو حولت النهر الذي يشق بابل الى الجهة الغربية ودخلت المدينة في نفس تلك الليلة واستولت على بابل وفي تلك الليلة قتل بيلشاصر!

٨٩

ولاء مكلّف

«ثم كتب الملك داريوس الى كل الشعوب والامم والالسنة الساكنين في الارض كلها . ليكثر سلامكم . من قبلي صدر أمر بانه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال لانه هو الاله الحي القيوم الى الابد وملكوته لن يزول وسلطانه الى المنتهى . وهو ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب في السموات وفي الارض . هو الذي نجى دانيال من يد الاسود » . دانيال ٦ : ٢٥ — ٢٧

سقطت مملكة بابل

وقامت مملكة مادي وفارس

ونحن نرى الملك داريوس المادي يحكم

ولسنا نعلم كيف اختار دانيال ليتولى أعظم مناصب الدولة . ربما سمع عن الشاب الذي كانت له عزيمة ، الذي وضع في قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه

وربما حدثوه عن الحكيم الذي أنقذ رؤوس الحكماء الآخرين اذ طلب من إلهه أن يكشف له حلم الملك نبوخذ نصر

وربما أخبروه عن حلم التمثال الذي فسره كبير المجوس

ولا يستبعد انهم أخبروه عن جنون نبوخذنصر لانه لم يستمع لانذار الله الذي كشفه له دانيال

ولابد انه سمع بقصة اليد الكاتبة و بقصة الرجل الذي وقف امام الملك ، ملكا بل أعظم من ملك

سمع داريوس كل ذلك على الأغلب فاختار دانيال واحداً من ثلاثة يشرفون على اعمال الوزراء الآخرين ...

* * *

كانت مملكة فارس تضم جميع الممالك الواقعة بين بلاد الهنـــد شرقاً و برقة وطرابلس غرباً وتمتد شمالاً إلى حدود اليونان وجنوباً إلى بلاد السودان — وكان داريوس الملك حكيما فأقام مئة وعشرين وزيراً يراقبون الشئون المالية والادارية لهذه البلاد وعلى هؤلاء ولّى ثلاثة، أحدهم دانيال كما ذكرنا

ففاق دانيال على الوزراء والمرازبة لان فيه روحاً فاضلة وفكر الملك في أن يوليه على المملكة كلها

وهنا ثارت غيرة الوزراء الآخرين

كيف ينال « اليهودي » المسبي هذه المكانة العظيمة . كيف يصير رئيساً لأسياده . ولكن الملك يحبه ويوليه حمايته . إذن ليعملوا على إسقاطه . ان رئيساً كبيراً كدانيال لابد وان تكون له سقطات. أليست مالية الدولة كلها في يديه... اذن لابد انه يسلب منها ويشتري الضياع أو يودع في المصارف أو يبني القصور. ولابد انه يقبل الرشوة ويداري على التزوير والاختلاس . ولابد انه يرّقي المحاسيب والأقارب ويغترف من مال الدولة بلا حساب ويضع في الوظائف من لا يصلحون !! كانوا يظنون انه لابد وان يفعل ذلك واكثر من ذلك ، لانهم هم كانوا يفعلون ذلك لو أن الأمر كان بيدهم . ولكنهم برغم كثرة بحثهم واستقصائهم لم يقدروا أن يجدوا عليه علة ولا ذنبا لانه كان أمينا ولم يوجد فيه خطأ ولا ذنب !

ياللصفحة البيضاء ! !

ياللصفحة النقية ! !

رجل ، مال الدنيا في يديه ولا تتلوث يداه ! انها الاعجوبة العظمى !!

لكن هكذا شهد الاعداء « لانجد على دانيال هذا علة الا أن نجدها من جهة شريعة إلهه». وهكذا دخل الدين في القضية كما دخل بعد ذلك وكما يدخل إلى اليوم. ولو علم أولئك القوم أن فضيلة دانيال وأمانته وحكمته كل هذه مستمدة من دينه لما فكروا في هدم ذلك الدين ، بل فكروا في التعرف إلى ذلك الدين والايمان به . ولكنهم تآمروا على قتل الرجل عن طريق دينه !

فجلسوا ورتبوا مؤامرتهم وتوجهوا إلى الملك

وقدموا له التحية الملكية

وقالوا

ان جميع وزراء المملكة والشحن والمرازبة والمشيرين والولاة قد تشاوروا على أن يضعوا أمراً ملكياً ويشددوا نهياً بان كل من يطلب طلبة حتى ثلاثين يوما من إله أو انسان إلا منك أيها الملك يطرح في جب الاسود ، فثبّت الآن النهي أيها الملك وأمض الكتابة لكي لا تتغير كشريعة مادي وفارس التي لا تنسخ



دانيال في جب الاسود وملاك الله يحرسه

ياله من أمر ملكي غريب!!

أن يحرم على الناس أن يطلبوا من إله

أو يلتمسوا من إنسان

مدة ثلاثين يوما !!

فالجائع لا يقصد من المحسنين إلا الملك ! ! !

والمريض لا يلتمس الشفاء من الله بل من الملك !!!

والذي يقع في ورطة لا يستغيث إلا بالملك !!!

هو أمر لا يدل على شيء ، اذا دل . إلا أن من وضعوه قد خلوا من كل عقل ومن كل سلامة تفكير . على أن الذين وضعوه كانوا أعمق غوراً مما يظن الناظر أو السامع . لقد كانوا حكماء ، ولو انهم كانوا حكماء في الشر. فقد عرفوا أين يوجهون ضربتهم الساحقة لدانيال. انه لا يؤمن إلا بالله الواحد خالق السموات والارض. وهو يتعبد لالهه بكل وسائل التعبد . انه يتجه بوجهه إلى هيكل أورشليم ، و بقلبه إلى إلهه، ويرفع صلاته له ثلاث مرات في اليوم . انه يقصد ربه كلما جد الجد . ولقد رأوه يصرف الليل كله يصلي يوم كشف الله حلم الملك نبوخذنصر . وقد رأوه يصوم و يصلي ثلاثة أسابيع ... ان علاقته بالهه علاقة مستمرة . ان الله له ألزم من الهواء الذى يستنشقه والشمس التي تبعث فيه الحرارة. ان الشركة مع إلهه أهم عنده من الطعام ومن الشراب . حقاً لقد عرف خصوم دانيال أين يضربونه ضربة لا قيام له بعدها ! !

أما الملك فقد أعماه الثناء وحجب التمليق عن عينيه الحقائق المستورة . وقد سرّه أن يكون هو إله القوم مدة ثلاثين يوماً . ولو كان حكيما لرفض العرض بكل شدة . هل يمكن أن يكون إلهاً؟ هل يمكن أن يحتمل متاعب الناس وآلامهم مدة ثلاثين يوماً ؟؟

ولكنه كان غبياً فوقّع الأمر !

و بذلك صار «الأمر» شريعة لا يمكن أن تنسخ!

وعلم دانيال بالأمر الملكي !

وعلم بالسرّ الكامن خلفه !

فماذا يعمل ؟

همس « العقل » في أذنه : اخضع يادانيال انها ايام عصيبة. وأنت «يهودي» و« مسبي » وأعداؤك جبابرة . والقانون نفسه يعضدهم . اخضع . وهل يخسر الله كثيراً اذا كففت عن الصلاة له مدة شهر ؟ ان واجب الولاء للملك يقتضي أن تخضع. الحكمة تهديك إلى الخضوع . خذ الأمر بالسياسة والا أطاح القانون برأسك ورؤوس ذويك. وبعد فانها ثلاثون يوماً فقط!!

ولئن كان لابد من الصلاة فليكن ذلك في السر لا في الجهر . وسيقبل الله صلاتك وسيقبل عذرك !

ولكن « الضمير » التفت إلى «العقل» وقال اذهب عني ياشيطان . نعم فان الشيطان تزيّى بثوب العقل وتحدّث. نعم كان موقف دانيال دقيقاً. ان حياته معلقة على خيط ، لكن ماهي حياته بالنسبة لشهادته لالهه ؟ ان ضميره يثور عليه اذا امتنع عن الصلاة . وجمهور عبيد الله يتطلعون اليه كما يتطلع الشعب إلى القائد ليروا ماذا يعمل دانيال بازاء هذه الورطة . ونفس أعدائه يراقبونه ليروا هل يستمر أميناً لالهه وهل يستحق إلهه منه الولاء الكامل . والله من السماء ينظر إلى عبده ليرى هل يثق العبد الأمين في سيده ـ وقال ضمير دانيال لعقله :

صمتاً أيها الشيطان ! !

لئن كان الله ليس بحاجة إلى صلاتي فأنا في أشد الحاجة إلى هذه الصلاة !!

ولئن كان الله لا يخسر شيئاً اذا لم اصلّ، فان خسارتي أنا هي أشد وأعظم من كل خسارة!!

ثم ان الله في السماء قوي وقدير !!

سينقذني ولاشك . ماهي الأسود أو أفتك من الأسود بالنسبة له ؟

واذا ماأراد أن يتركني لأموت في جب الأسود فلتكن ارادته . ان حياة بعيداً

عن الله شرّ من شرّ موت . والموت في سبيل الله أفضل من أفضل حياة ! !

وهكذا ذهب دانيال إلى بيته وكواه مفتوحة في عـلّيته نحو أورشليم . فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك !

فعل ذلك علناً ورآه أعداؤه . وكان هذا كل ما يبتغونه . فتقدموا الى الملك وتحدثوا بنغمة ظاهرة البراءة :

ألم تمض أيهـا الملك نهياً بأن كل انسان يطلب من إله أو انسان حتى ثلاثين يوماً الا منك أيها الملك يطرح في جب الأسود ؟

واجاب الملك وقال، الامر صحيح كشريعة مادي وفارس التي لا تنسخ !

حينئذ قالوا ان «دانيال الذي من بنى سبي يهوذا » لم يجعل لك أيها الملك اعتباراً ولا للنهي الذي أمضيته . بل ثلاث مرات في اليوم يطلب طلبته !

وهنا تكشّفت المؤامرة للملك . وعلم ماهو الشرك الذي نصبه أولئك الاشرار لدانيال صديقه . وكيف صار هو بغبائه مخلب القط . فاغتاظ على نفسه ، كيف استطاع القوم أن يخدعوه و يستخلصوا منه حكماً باعدام كبير وزرائه ، الرجل الذي يأمن له اكثر مما يأمن لنفسه ؟؟

وجعل الملك قلبه على دانيال لينجيه، واجتهد بكل الوسائل لينقذه ، ولكنه ، وهو الملك، عجز عن انقاذه . آه من ذلك القانون الذي يجعل الأوامر الملكية غير قابلة للنسخ. بعد أن يبصم الامر بالخاتم الملكي يصبح شريعة لا تنقض . ينبغي أن يطرح دانيال في جب الاسود ولو قال الملك بغير ذلك!

ويبدو ان أعداء دانيال لمحوا محاولة الملك في انقاذ دانيال فقصدوا اليه وقالوا وقد شاع التهديد في كلامهم، « اعلم أيها الملك ان شريعة مادي وفارس هي أن كل نهي أو أمر يضعه الملك لا يتغير ! »

حينئذ أمر الملك فأحضروا دانيال وأمر بأن يطرح في جب الاسود . وقال في نفسه وقد همّوا بطرحه « لقد عجزت عن انقاذك يادانيال . نعم أنا الملك عجزت .

لا نجاة لك بانسان». ثم قال بصوت مرتفع: «الهك الذي تعبده دائماً هو ينجيك»

وطرحوا دانيال في الجب!

وأتى بحجر ووضع على فم الجب!

وختمه الملك بخاتمه وخاتم عظمائه لئلا يتغير القصد في دانيال!

ولقد يسأل سائل عن ذلك الجب ماهو؟ كان جب الاسود في بابل كهفاً عميقاً متسعا وكانوا يصلون اليه من باب على سطح الارض وكان يربّي فيه عدد من الاسود الضارية وكان الملوك يقاصّون بعض المجرمين بطرحهم في ذلك الجب بعد أن يتركوا الاسود بدون طعام عدداً من الايام!

وسقط دانيال وسط الاسود الجائعة. وأيقن الملك أن دانيال قد انتهى، فمضى الى قصره وبات صائما ولم يؤت قدامه بسراريه وطار عنه نومه — أن خسارة دانيال خسارة لا تعوض. ليس دانيال فرداً ولكنه جيل من الناس!

وفي الصباح الباكر مضى الملك الى جب الاسود. هل مضى يسكب دمعة على القبر الذي ضم جثمان دانيال. أم انه مضى لكي يناجي روحه بعد أن انقطع عن مناجاة جسمه.. أم ان أملاً صغيراً كان يراوده ان الهه يقدر أن ينجيه. ولماذا لا ينجيه ذلك الاله. لقد اخبروه عن عظائم قام بها. لقد سمع عن أولئك الثلاثة الذين تحدّوا كلمة الملك وآثروا أن يموتوا محترقين من أن يسجدوا لتمثال نبوخذنصر. وحدثه الاحياء ممن كانوا هناك أن النار لم يكن لها سلطان عليهم بل ان رائحة النار لم توجد في ثيابهم من يعلم فربما أنقذ ذلك الاله عبده دانيال؟!

ونادى الملك دانيال بصوت أسيف يادانيال عبدالله الحي!

هل الهك الذي تعبده دائما قدر على أن ينجيك من الاسود!؟

ياللعجب!!

ان صوتا يأتي من أسفل الجب!

ان دانيال يتكلم!!

يا أيها الملك عش الى الابد!

الهي أرسل ملاكه وسدَّ أفواه الاسود . فلم تضرني لاني وجدت بريئا قدامه وقدامك أيضا أيها الملك لم افعل ذنبا !!

هل يمكن أن نصف فرح الملك ؟

كان ابتهاجه طاغيا !

دانيال حي !!

الهه أرسل ملاكه !

وسد أفواه الاسود !

فلم تضرّه !!

وأمر الملك فاصعدوا دانيال . ولم يوجد فيه ضرر لانه آمن بالهه

كانت آية لله !

كانت أعجوبة لمجده !!

* * *

وأمر الملك فأحضروا أولئك الرجال الذين اشتكوا على دانيال وطرحوهم فى الجب هم ومن لهم . ولم يصلوا الى أسفل الجب حتى بطشت بهم الاسود وسحقت كل عظامهم ! !

مجداً لله ! !

٩٠

أمة في رجل

« اني انا عامل عملا عظيما فلا اقدر ان انزل . لماذا يبطل العمل بينما اتركه وانزل » نحميا ٦ :٣

كان الناس ينظرون الى نحميا فيرونه رجلا كسائر الرجال وفي الاحصاء يعدونه واحداً . مَثَله مثل أي فرد عادي. لكننا إذ ننظر اليه مدققين نرى انه ليس فرداً واحداً ولكنه في الحق أمة في رجل !!

وحتى ندرك هذه الحقيقة يجدر بنا ان نصغي إلى قصته، ونراه وهو يعمل الاعمال التي عجز عن اتيانها أبطال الرجال فننحني أمامه اجلالا وتقديراً !

ونحن نراه اول ما نراه في مدينة شوشن القصر عاصمة الامبراطورية الفارسية . وكان أحد اليهود المسبيين . ولكنه استطاع باجتهاده وأمانته ان يصل الى أعظم وظيفة في القصر الملكي وهي وظيفة ساقي الملك . وقد كانت لهذه الوظيفة أهمية خاصة لا يختار لها إلا أنبل الاشخاص من اكرم العائلات إذ كانت حياة الملك موكولة اليه . وكانت المؤامرات تحاك للملك وكان المتآمرون يحاولون ان يصلوا الى قتل الملك بالسم عن طريق الساقي . لذلك كان الملك يختار الساقي من أشد الناس ولاء له وكان يغدق عليه من عطاياه الشيء الكثير !

وبينما كان نحميا يسير في أحد الأيام في شوارع المدينة تقابل مع أحد أقاربه حناني وكان يعتبر أخاً له . الارجح انه كان أحد ابناء عمومته أو ربما كان شقيقه . وكان اللقاء حاراً . وبعد أن انتهى السلام والعناق ومعاودة السلام والسؤال عن الصحة ونحو ذلك، سأله نحميا عن مدينة أورشليم كيف هي وكيف حال اليهود الذين رجعوا اليها . وأجاب حناني ومن معه ، أن اليهود الذين نجوا من السبي في أورشليم هم فى شرّ عظيم وعار وسور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار ! !

فلما سمع نحميا ذلك الكلام حزن حزناً مفرطاً، فجلس على الأرض كعادة الحزانى وبكى وناح أياماً وصام وصلى أمام إله السماء . ويلذ لنا أن نسمع الكلمات التي نطقت بها شفتاه لله وقد كانت كلمات ملتهبة إذ كانت من قلب ملتهب قال :

أيها الرب إله السماء الاله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه

لتكن اذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذي يصلي اليك نهاراً وليلا لأجل بني اسرائيل عبيدك . ويعترف بخطايا بني اسرائيل التي أخطأنا بها اليك . فاني أنا و بيت أبي قد أخطأنا . لقد أفسدنا أمامك ولم نحفظ الوصايا والفرائض والاحكام التي أمرت بها موسى عبدك !

اذكر الكلام الذي أمرت به موسى عبدك قائلاً ان خنتم فاني افرقكم فى الشعوب . وان رجعتم إليّ وحفظتم وصاياي وعملتموها، ان كان المنفيون منكم في أقصاء السموات فمن هناك أجمعهم وآتي بهم الى المكان الذي اخترت لأسكان اسمي فيه . فهم عبيدك وشعبك الذي افتديته بقوتك العظيمة ويدك الشديدة !

يا سيد لتكن اذنك مصغية الى صلاة عبدك وصلاة عبيدك الذين يريدون مخافة اسمك وأعط النجاح اليوم لعبدك وامنحه رحمة أمام الملك ارتحشستا !

و بعد عدة أيام كان نحميا واقفاً أمام الملك يقدم له كأس الخمر . ولكن وجهه كان منقبضاً . والتفت الملك اليه ولاحظ انقباضه فقال له لماذا وجهك مكمد وأنت غير مريض . ما هذا إلا كآبة قلب . فخاف نحميا خوفاً عظيما . ان حياة ساقي الملك معلقة على خيط . ان أقل شك يكفي أن يطيح رأسه ولن يتطلب الامر إلا اشارة من الملك . وهوذا الملك يلاحظ انقباض نحميا ويلمح الى قلبه الكئيب وهو يسأل عن سر الكآبة وفي هذا تعريض باحتمال عدم ولاء !

ولكن نحميا في خوفه بسط للملك سبب حزنه بصورة مؤثرة قال، ليحيى الملك الى الابد، كيف لايكمد وجهي والمدينة بيت مقابر ابائي خراب وأبوابها قد اكلتها النار ؟!!

وتأثر الملك وسأل نحميا عما يمكن أن يعمل معه . هنا فرصة نادرة . الملك

يسأل عما يطلب وهو لا يسرع بالجواب بل يتجه اولا نحو الله ويصلي . كان نحميا رجل الصلاة . كان يصلي باستمرار . كان يعيش بالقرب من باب السماء . وبعد ان صلى صلاة سرية قصيرة بالطبع، قال للملك، إذا سر الملك واذا أحسن عبدك أمامك ترسلني الى يهوذا الى مدينة قبور ابائي فأبنيها !!

فقال له الملك والملكة جالسة بجانبه، الى متى يكون سفرك ومتى ترجع . وكان الملك كريماً وعين له نحميا زماناً. ثم طلب من الملك أن يأمر فتعطى له رسائل توصية وتفويض لتسهيل مهمته وللحصول على المواد اللازمة للبناء . وأعطاه الله نعمة لدى الملك فأعطاه كل ما طلب واكثر . وكانت مهمته تتطلب سلطة تدعمها قوة ، فعيّنه مندوباً فوق العادة في يهوذا وارسل معه رؤساء جيش وفرساناً ووصل الى أورشليم !!

وكانت الرحلة شاقة ولكن نحميا لم يسترح إلا ثلاثة أيام ، قام بعدها مساء هو وعدد قليل من الرجال ودار حول سور المدينة وجعل يتفرس في كل جزء منه . ثم التفت الى من معه وقال لهم « انتم ترون الشر الذي نحن فيه كيف ان اورشليم خربة وأبوابها قد احترقت بالنار . هلم فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عاراً . ثم أخبرهم عن يد إلهه الصالحة عليه وأيضا عن كلام الملك الذي قاله له . وكانت دعوته لهم عميقة فتأثروا جداً وأجابوه :

« لنقم ولنبن »

ولعله يخيل للبعض منا ان بناء السور أمر تافه لا يحتاج الى كل هذه الضجة، إذ ماذا يعني السور للمدينة ؟! ولكننا بقليل من الدرس ندرك اهميته العظيمة . كانت اورشليم بغير سور عدداً من البيوت المتناثرة التي لا تربطها صلة والتي تتعرض للسرقة والحريق والتي لا ينظر اليها إلا بكل احتقار. لانها لا تخص إلا جماعة اليهود المسبيين. أما السور فيجمع بينها ويصيّر من تلك البيوت المتناثرة مدينة بل مملكة تقف امام المهاجمين والغزاة وتعلن انها أمة قوية وان ملكها الله . وبهذه الوحدة ستطيع ان ترسم خططها الدينية والاجتماعية والسياسية والحربية . كانت اورشليم بدون سور

جسماً كاملا ولكن لا ارتباط بين جزء فيه وجزء آخر . فهو جسم أقرب الى الموت منه الى الحياة . ولكنها كانت بالسور جسما يرتبط كل جزء فيه بالأجزاء الاخرى فهو جسم حي قوي يستطيع ان يأتي عظائم!!

ولقد تحمس اليهود لبناء السور وقاموا بابتهاج يعملون . ولكن ثلاثة أعداء هم رؤساء القبائل المحيطة بأورشليم ،سنبلط الحوروني طوبيا العبد العموني وجشم العربي، هؤلاء الثلاثة لم يرق في وجههم ان يقوم نحميا و يبني السور واظهروا ذلك في هزئهم باسرائيل واحتقارهم . وقد حاولوا أن يظهروا نحميا بمظهر المتمرد على ملك فارس وقالوا له ، ما هذا الأمر الذي انتم عاملون اعلى الملك تتمردون أما نحميا فلم يذكر لهم رسائل الملك وتوصياته بل قال لهم « إن إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبني وأما انتم فليس لكم نصيب ولا حق ولا ذكر في اورشليم »

وقامت حركة البناء وكان أول من قام الكاهن العظيم الياشيب فقد بنى باب الضأن ومدّ سوره إلى برج المئة إلى برج حننئيل.و بجانبه بنى رجال اريحا و بجانبهم بنى زكور بن أمرى . و باب السمك بناه بنو هسناءة .. وهكذا قامت كل أسرة ببناء جزء من السور. وقد سجل نحميا في كتابه اسماء العائلات التي بنت . ومع انها تبدو لنا اسماء جامدة ميتة خصوصاً وهي اسماء غريبة على آذاننا ، ولكنها في الحق صور خالدة للحياة في أسمى قوتها !

و يلذ لنا أن ندرس ذلك السجل بين حين وآخر ونقرأ اسماء مريموث بن اوريا بن هقوص ومشلام بن برخيا بن مشيز بئيل وصادوق بن بعنا وهكذا اسماء رجال ماتوا وانتهوا . كما يلذ لنا ان نقرأ اسماء أجزاء السور . على انه وان كان البعض يستثقلون تلك الاسماء فان فيها اشياء حرية الالتفات !

فقد اشترك في البناء جماعة مختلفة الدرجات والمقام والطباع فهذا الياشيب الكاهن العظيم وهذا عزئيل بن حرهايا من الصياغين وحننيا من العطارين وهذا

رفايا بن حور رئيس نصف دائرة اورشليم وهذا نحميا بن عزبوق رئيس نصف دائرة بيت صور وملكيا بن ركاب رئيس دائرة بيت هكاريم .

وكذلك نلاحظ في ذلك السجل ان بعض البناة لم يكتفوا بالقسم الذي بنوه فبنوا أيضاً أقساماً أخرى !

وكان الترتيب ان تبني كل عشيرة القسم من السور الذي يقابلها !

ولا شك ان دموعنا تفيض حزناً ونحن نقرأ عن تخلف البعض عن القيام بهذه المهمة. وها هو السجل يذكر أن التقوعيين رمموا الجزء المقابل لهم « وأما عظماؤهم فلم يدخلوا أعناقهم في عمل سيدهم » على ان دموعنا تفيض سروراً وشكراً ونحن نقرأ ان الذين قاموا بالعمل لم يكونوا من الرجال فقط فقد رمم فى السور شلوم بن هلوحيش رئيس نصف دائرة اورشليم « هو و بناته » ! !

وظهر السور ! !

واقترب كل جزء من السور من الاجزاء الاخرى واتصل كل السور إلى نصفه.

وكان للشعب قلب في العمل ! !

وهنا بدأت حركات المقاومة !!

على هذا الجانب سنبلط ورفاقه . لما سمع سنبلط ان نحميا ومن معه آخذون في بناء السور غضب واغتاظ كثيراً وهزأ باليهود وتكلم أمام اخوته وجيش السامرة وقال ماذا يعمل اليهود الضعفاء . هل يتركونهم. هل يذبحون . هل يكملون في يوم. هل يُحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة . وأجاب طوبيا العموني ساخراً ان ما يبنونه إذا صعد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم !!

وسمع نحميا وتألم ورفع عينيه نحو السماء وقال اسمع يا إلهنا لاننا قد صرنا احتقاراً !

ولم تقف مقاومة سنبلط ومن معه عند حد الاحتقار بل امتدت إلى حد المؤامرات فاجتمعوا ودبّروا ان يفاجئوا اليهود ويقتلوا من يقتلون و يشردوا من يشردون . وقالوا « ان اليهود لا يعلمون ولا يرون حتى ندخل إلى وسطهم ونقتلهم ونوقف

العمل » . على ان نحميا علم بالأمر واستعد له. ويصح ان يكون استعداد نحميا مثالا فقد صلى هو ورجاله أولا ثم أقاموا حراساً نهاراً وليلا . ورتب الحراس في الاماكن المناسبة . ومن ثم شدد رجاله قائلا : لا تخافوهم بل اذكروا السيد العظيم المرهوب وحاربوا من أجل اخوتكم و بنيكم و بناتكم ونسائكم و بيوتكم !

وسمع أعداء اليهود ان مؤامرتهم قد كشفت فكفوا . ومن ذلك الوقت عاد جميع اليهود الى البناء . على ان النصف قاموا بالبناء والنصف الآخر بالحراسة !

كانت أياماً قاسية !!

ونحميا لم يجلس في داره و يرسل رجاله ولكنه كان طول النهار وطول الليل فى ثيابه متقلداً سلاحه !!

وأدرك سنبلط ما لنحميا من القيمة ففكر هو وزميلاه ان يزيحوه من الطريق فأرسل هو وجشم اليه يطلبان أن يجتمعا معه للتفاوض في الامور المتصلة بأورشليم ولكن نحميا أدرك الغاية من ذلك الاجتماع وعلم ان القصد محوه من الطريق. فأرسل اليهما يعتذر من عدم الذهاب . قال، اني أنا عامل عملا عظيما فلا أقدر أن أنزل لماذا يبطل العمل بينما أتركه وانزل اليكما — وتكررت الدعوة أربع مرات وتكرر الجواب أربع مرات !!

وفي المرة الخامسة أرسل سنبلط رسالة منشورة بيد غلامه مكتوب فيها « قد سُمع بين الأمم وجشم يقول انك أنت واليهود تفكرون أن تتمردوا لذلك أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً حسب هذه الأمور وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في اورشليم قائلين في يهوذا ملك . والآن يخبر الملك بهذا الكلام . فهلم نتشاور معاً »

كان ظاهر الرسالة ينبيء عن رغبة من جانب سنبلط في إزالة أثر الاشاعة أن نحميا ينوي التمرد على ملك فارس . ولو كان مخلصاً لكانت رسالته شيئاً طيباً . ولكنه كان ينوي الغدر فارسل اليه نحميا ينكر هذه الاشاعات بل ينكر وجود الاشاعة نفسها و يتهم سنبلط باختلاقها !

استعان سنبلط عليه بكل قوات الجحيم وكل مشورات الأبالسة . واستطاع ان يجد له محالفين ممن كان يلزم أن يكونوا الى جانب نحميا فقد استأجر ضده عدداً من العظماء و رؤساء الدين والأنبياء فقد كان الياشيب الكاهن المقام على مخدع بيت إلهنا قد هيأ لطوبيا مخدعاً عظيماً حيث كانوا سابقاً يضعون التقدمات والبخور والآنية وعشر القمح والخمر والزيت فريضة اللاويين والمغنين والبوابين ورفيعة الكهنة . صحيح أن هذا تم في غياب نحميا إذ كان قد عاد الى شوشن ولكنه تم . ولما عاد نحميا استاء جداً وطرح جميع آنية بيت طوبيا خارج المخدع !

وفي تلك الأيام اكثر عظماء يهوذا توارد رسائلهم على طوبيا ومن عند طوبيا أتت الرسائل اليهم لأن كثيرين في يهوذا كانوا أصحاب حلف له وقد بلغ بهم الامر أنهم كانوا يخبرون أمام نحميا بحسناته !!

وفوق ذلك بل أشنع من ذلك استأجر سنبلّط الانبياء. ويحدثنا نحميا انه دخل يوماً بيت شمعيا بن دلايا بن مهيطبئيل وهو مغلق وطلب منه شمعيا أن يختبىء في بيت الله لأنهم دبروا قتله في الليل ، هكذا أراه الله كما يقول . أما نحميا فقد تحقق أن الله لم يرسله ، وأن طوبيا وسنبلط قد استأجراه . فقال له ، أرجل مثلي يهرب ومن مثلي يدخل الهيكل فيحيا . لا أدخل !!

استأجره طوبيا وسنبلط لكي يخيف نحميا فيهرب ، فيكون لهما خبر رديء يعيرانه به وقد استأجرا غير شمعيا نوعديه النبية وباقي الأنبياء ! !

ومع كل هذا حاول هذان المدوان أن يشيعا روح التذمر والفشل والذعر بين الشعب . وهكذا رأى نحميا كل أبالسة الجحيم تحار به وتحاول أن تشل يده وتعطل عمله. ولكن نحميا كان يعيش بالقرب من باب السماء وكان يتذود القوة اللازمة لمواجهة كل الصعاب امامه !!

فهل كانت المقاومة الوحيدة التي لقيها نحميا من سنبلط وزملائه ، وهي مقاومة

تتطلب جهد الجبابرة ؟ بل كانت هناك مقاومة من نواح أخرى . كانت مقاومة من الشعب ومقاومة من الرؤساء ومقاومة من الأنبياء !

أما الشعب فكانوا في روح الفشل فقد قال يهوذا « قد ضعفت قوة الحمالين والتراب كثير ونحن لا نقدر أن نبني السور » . كذلك لم تكن غيرتهم نحو الههم ومدينة الههم مما يشجع على المضي في بناء السور . وحياتهم كانت حياة معطوبة ملوثة فقد تركوا شريعة الله ولم يحفظوا السبت ثم اختلطوا بالاجانب واساءوا الى قدسية الزواج فساكنوا نساءً أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الاشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب فشعب!

لا عجب أن انحدر هذا الشعب وأذلّه الغرباء. ولا عجب ان احتقروه واستعبدوه. وماذا يستطيع نحميا ان يعمل ! لقد وقف وحده يصارع ولكنه كان ممتلئاً بالهه فاستطاع ان يرفع الشعب من الوحل ليقفوا معه امام الله . وكانت حرباً طويلة وشاقة ولكنه لم ييأس ولم يترك خدمته !!

ان بطولة نحميا أمام سنبلط بطولة جبار ولكن بطولته أمام الشعب الذي باع نفسه هي بطولة اله . لو لم يكن نحميا مملوءاً بالله ما استطاع أن يستمر في كفاحه لتكوين أمة اسرائيلية !!

ولا الى هنا وقفت الصعوبات امام نحميا . بينما يصرخ الى الله طالباً قوة يقابل بها سنبلط إذا به هو يسمع صراخاً من الشعب !

كان صراخ الشعب ونسائهم عظيماً على اخوتهم اليهود . كان من يقول بنونا وبناتنا نحن كثيرون . دعنا نأخذ قمحاً فنأكل ونحيا . وكان من يقول حقولنا وكرومنا وبيوتنا نحن راهنوها حتى نأخذ قمحاً في الجوع . وكان من يقول قد استقرضنا فضة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا . والآن لحمنا كلحم اخوتنا وبنونا كبنيهم . وها نحن نخضع بنينا وبناتنا عبيداً ويوجد من بناتنا مستعبدات وليس شيء في طاقة يدنا وحقولنا وكرومنا للآخرين!!

يا له من صراخ !!

قوم ظلمهم الامم ونهبوا كل شيء لهم كان ينتظر ان يعطف بعضهم على بعض ولكنهم كانوا من القساوة بحيث سلبوا اخوتهم . كانوا يقرضون بالربا الفاحش مع ان الوصية لهم ألا يقرضوا اخوتهم ربا. وكان الدينار يقترضه الفقير ليشتري به قمحاً يزداد و يزداد حتى يصبح مقداراً لا يكفيه بيت الرجل وحقله بل يضطر ان يعطي أولاده عبيداً نظيره !

وكان الذي يملك مالاً يمتص بذلك المال دماء اخوته !!

وارتفع الصراخ !

وسمع نحميا !

لو أن شخصاً آخر لسقط قلبه !

هذا هو الشعب الذي جاء ليخلصه من العبودية ؟ !

لكن نحميا مملوء بقوة الله ومحبة للشعب ! !

كان غضبه عظيما ! !

ثم جمع العظماء والولاة و بكتّهم وقال لهم انكم تأخذون الربا كل واحد من اخيه . وقال لهم نحن اشترينا اخوتنا اليهود الذين بيعوا للامم حسب طاقتنا . وانتم ايضاً تبيعون اخوتكم فيباعون لنا ، فسكتوا ولم يجدوا جواباً ثم قال لهم ليس حسناً الامر الذي تعملونه . اما تسيرون بخوف الهنا بسبب تعيير الامم أعدائنا وذكر لهم أنه هو واخوته اقرضوا الشعب بدون ربا وطلب منهم أن يردوا لهم هذا اليوم حقولهم وكرومهم و زيتونهم و بيوتهم والجزء من مئة من الفضة والقمح والخمر والزيت الذي يأخذونه منهم ربا. فقالوا انهم يردون ولا يطلبون منهم شيئاً ووعدوا أن يفعلوا كما قال

ودعى نحميا الكهنة واستحلفهم ان يعملوا حسب ذلك الكلام ثم نفض حجره وقال هكذا ينفض الله كل انسان لا يقيم ذلك الكلام من بيته ومن تعبه

وهكذا يكون منفوضاً وفارغاً ، وقال كل الجماعة ، آمين ، وسبحوا الرب وعمل الشعب حسب هذا الكلام ! !

وربما يسأل أحدنا كيف استطاع نحميا ان يقنع الشعب ليعملوا هذا ؟ لا بد انه كان قوي الحجة ولا بد أنه كان خطيباً مقتدراً في الكلام. وقد كان على الأغلب كذلك . إلا أن سر قوته كان في خلقه . كان كريم الخلق . تعين والياً على اورشليم فلم يأكل لا هو ولا اخوته خبز الوالي . بخلاف الولاة الذين سبقوه فانهم ثقّلوا على الشعب وأخـذوا منهم خبزاً وخمراً فضلا عن أربعين شاقلا من الفضة حتى ان غلمانهم تسلطوا على الشعب . وهو لم يفعل ذلك ، من أجل خوف الرب . وقد تمسك ايضاً بشغل السور . ولم يشترِ حقلا . وكانت مائدته تضم ضيوفاً كثيرين . كان قلبه يفيض بالمحبة على الشعب المسكين فترفق بهم . لذلك كان قوياً في مطالبة الرؤساء ان يتركوا الربا ويردوا حقول المساكين وكرومهم !

ما أحوجنا الى نحميا اليوم !

الى نحميا لا يسلب مال الفقراء بمرتبه الضخم الذي يبـذره في متعه وملاذه ويشتري الحقول والعمارات ويوزع مالا يستطيع أخذه على الأقارب والمحاسيب !

ما أحوجنا الى نحميا ! !

وقد نجح نحميا !

بنى السور المهدم ورفعه عالياً !

وكوّن من اورشليم الممزقة مدينة عظيمة!!

وجمع الشعب المشتت الى أمة واحدة !!

وأعاد لشعب اسرائيل مجده القديم ! !

وكسر شوكة الأعداء سنبلط وطوبيا وجشم وباقي المقاومين !!

وقام بالاصلاحات الدينية . فأعاد العبادة في الهيكل والوعظ وقراءة الـكتاب والمواسم والأعياد والذبائح ـ وحفظ السبت ! !

كما قام بالاصلاحات الاجتماعات من تنقية ربط الزواج والمحافظة على النسل الطاهر . مع إزالة الفوارق الاجتماعية ومساعدة الفقراء !

ما اكثر الاعمال التي قام بها نحميا !

وما اكثر الاشخاص الذين يضمهم شخصه !

فنحن نرى نحميا البناء !

ونحميا الوالي !

ونحميا الجندي والقائد !

ونحميا المحسن والكريم !

ونحميا رجل الدين !

ونحميا المصلح الاجتماعي !

ونحميا السياسي ! !

وفوق الكل نحميا رجل الصلاة !!

كل هؤلاء واكثر نجدهم في نحميا فقد كان بحق أمة في رجل !!!

٩١

الرجل الذي هزم الشيطان

« فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي
ايوب ، لانه ليس مثله في الارض : رجل كامل
ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر » أيوب ١ : ٨

هو رجل سلّط عليه الشيطان أقسى سهامه وأحاطه بسلسلة من تجارب ولكنه لم يستطع أن يهزمه

وذهب الشيطان مدحوراً !

عاش ايوب فى اقليم عوص المجاور لأدوم ، ولسنا نعلم على وجه التحقيق شيئاً عن أصله. فقد قال البعض انه من أبناء ابرهيم من زوجته قطورة. وقال غيرهم بل هو من نسل عيسو — وقال غيرهم غير ذلك. الا ان المتفق عليه انه وجد قبل ان يخرج اسرائيل من مصر وان موسى كتب قصته وهو في مدان !

وقد قال البعض ان القصة كتبت أصلا بالشعر العربي وان سليمان الحكيم نقلها شعراً الى العبرانية !!

ويميل البعض الى ان أيوب شخص خرافي وان قصته قصة رمزية تمثيلية. لكن العهد الجديد يكشف لنا عن حقيقة شخصية ايوب !

ايوب اذن شخص تاريخي وجد في بلاد أدوم قبل ان يتكون اسرائيل مملكة . . . . !!

وكان هذا الرجل كاملا ومستقيما يتقي الله و يحيد عن الشر !

وقد افاض الله عليه خيره بغنى، فكانت له الوف من الغنم والجمال والبقر والحمير. وكان له عبيد واماء وذهب وفضة !

واعطاه الله النسل الصالح فكان له سبعة بنين وثلاث بنات . ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب فى كل الارض !!

وكان بنوه يذهبون و يعملون وليمة في بيت كل واحد منهم في يومه و يرسلون و يستدعون اخواتهم الثلاث ليأكلن و يشربن معهم !!

وكان ايوب يهتم بحياة اولاده !

وكان يراقبهم في ولائمهم . بل كان يصعد محرقات على عددهم كلهم اذ كان يخشى انه ربما اخطأ بنوه وجدفوا على الله في قلوبهم !

كان ايوب متمتعا برضاء الله !

لكن الشيطان لم يكن راضيا !!

بل كان كلما ازداد رضاء الله عليه يزداد هو سخطا !!

انه لا يستريح طالما ان هناك من يسلك بالكمال امام الله !!

ولقد صور الكاتب تلك الحرب المروعة التي أشعلها الشيطان ضد عبد الله الامين . فقدم لنا العدو واقفا امام المولى يشتكي . والمولى يسأله من اين اتى، وهو يجيب من الجولان في الارض ومن التمشي فيها . والمولى يسأله محذراً « هل جعلت قلبك على عبدي ايوب لانه ليس مثله في الارض . رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر » . والشيطان لا ينكر تقوى ايوب ومظاهر تدينه ولكنه ينكر اخلاصه ويذكر ان ايوب قد أخذ أجر تقواه مقدماً. فهل مجانا يتقي ايوب الله . اليس انك سيجت حوله وحول بنيه وحول كل ماله من كل ناحية. باركت اعمال يديه فانتشرت مواشيه في الارض ... » ولا شك ان الشيطان كان يعلم انه يغالط في حديثه وانه بفرض صحة كلامه فان الشكر من أجل البركة دليل على نقاوة القلب. على ان الشيطان لم يقف عند هذا الحد بل قال لله « ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ماله فانه في وجهك يجدف » — وسمح الله للشيطان أن يمس مال أيوب

وقد تساءل الكثيرون لماذا سمح ؟

هل سمح بذلك لكي يرى النتيجة ؟

لقد كان يعلم يقيناً ان ايوب سيثبت امام التجربة وان العدو سيخسر الجولة .

ام هل سمح لكي يكشف للشيطان حقيقة ايوب ولكي يعلن له ان أتقياءه سيظلون أتقياء ؟

لاشك اننا لانستريح إلى أن الله يهتم بان يعرف الشيطان أو لا يعرف . وان كان البعض يرون انه انما يرد على شكواه المستمرة ضد المؤمنين !!

نظن انه سمح بذلك لكي يتيح لأيوب فترة تمرين قواه الروحية فتزداد بذلك تلك القوى ويجتاز اختبارات صالحة تفيده هو وتفيد غيره !!

وجاءت الكوارث تترى !!

كان أيوب جالساً امام بيته كعادة أمراء الشرق وحوله بعض الصحاب. وبعض الخدم عندما أقبل أحد غلمانه راكضاً يلهث من كد السير وقد اكتسى وجهه بكساء كريه من خوف واضطراب وحزن .. امتزج ذلك بالتراب والعرق .. وسقط عند قدمي سيده وقال : آه ياسيد . . كانت البقر تحرث والاتن ترعى بجانبها فسقط عليها السبئيون وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف و بقيت أنا وحدي لأخبرك!!

وقبل أن يتحسر أيوب على البقر والاتن والغلمان أقبل غلام آخر بنفس الصورة التي أقبل بها سابقه وسقط عند قدميه وقال :

أواه يا سيد، نار الله سقطت من السماء فأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم ونجوت أنا وحدي لاخبرك !!

وقبل أن يفرغ من كلامه أقبل غلام ثالث وقال، الكلدانيون عينوا ثلاث فرق فهجموا على الجمال وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت أنا وحدي لأخبرك!!

كان الغلمان يلقون رسائلهم المروعة ، وكان أيوب يضطرب لكل رسالة ويهتز كقصبة هاجتها عاصفة . ولكنه عندما سمع رسالة الغلام الأخير وهو يقول ، بنوك و بناتك كانوا يأكلون و يشربون في بيت أخيهم الأكبر واذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الغلمان فماتوا ونجوت أنا وحدي لأخبرك .. عندما سمع هذه الرسالة انفجر بركان فى قلبه فقام من مكانه ومزق جبته وجز شعر رأسه !

كان حزنه طاغياً !

لم يسبق أن أصيب انسان بما أصيب هو به!!

لقد خسر كل شيء!

بين لحظة وضحاها خسر المال وخسر البنين !!

وكان الشيطان يوشوش في أذنه، هذا كله ثمرة صلاتك وتعبدك. غيرك لايعرف

الله ولا يتعبد له فتزداد أمواله و يكثر أولاده وأنت تتقي الله وتحيد عن الشر فتضيع أموالك و يموت أولادك !!

هذا هو الله الذي طالما تحدثت عن بره وعنايته ومحبته!!

هذا هو الله الذي عيناه تنظران الصالحين و يكافئهم !!

نعم هذا هو الله !!

كان أيوب يسمع هذه الكلمات تخترق أذنيه وذهنه وقلبه.. ولكنه نفضها عنه فانه في غمرة حزنه خرّ على الارض وسجد ..سجد امام الله مقدماً ولاءه وتعبده له مستلهماً قوته امام الكارثة الدهماء. وجاءته النجدة الالهية فنطقت شفتاه « عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً اعود الى هناك . الرب اعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً » !!

شكراً لله انه هو الذي أحاط ايوب بالنعمة وألهمه الصبر والتسليم وفتح عينيه الى شخصه هو لا الى عطاياه !!

نعم شكراً لله !!

* * *

كان اندحار الشيطان عظيما !

وكان ينتظر انه يذهب إلى أحد الوديان و يختبيء مخفيا عاره !

ولكنه الشيطان وكفى !!

انه يأتي بوجهه الصفيق ولسانه المسموم وعينيه الماكرتين و يقف مرة اخرى امام الله يشتكي على أيوب . لاينكر أن ايوب لا يزال متمسكا بكماله ولكنه يقول « جلد بجلد وكل ما للانسان يعطيه لاجل نفسه . ولكن ابسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فانه في وجهك يجدف عليك »

وسمح الله للشيطان أن يمس عظم أيوب ولحمه .. فضربه بقرح ردىء من باطن قدمه الى هامته. قيل انها الدمامل الخبيثة المعروفة بمرض «اليمفيجوس» ملأت جسمه

بصورتها البشعة ورائحتها النتنة وصديدها الكريه — وقيل انها أورام سرطانية . وليس يهمنا اسم ذلك القرح . يكفينا ان نعرف انه لم يستطع احتمال آلامه فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها !

كانت الحالة التي وصل اليها أيوب شر ما يمكن ان يصاب به انسان !

ذلك الرجل المكرم العظيم العائش بصحته بين اولاده تعضده ثروته ... ذلك الرجل الذي كان الله يضيء بسراجه على رأسه و بنوره سلك الظلمة.. غسل خطواته باللبن، والصخر سكب له جداول زيت... ذلك الرجل الذي كانت مهابته على الشباب وعلى الشيوخ والذي بقيت كرامته حديثة عنده.. الرجل الذي كان يجلس رأسا و يسكن كملك ، ذلك الرجل يقول بعد اذ ابتلى « أما الآن فقد ضحك عليّ اصاغري أياما الذين كنت استنكف من ان اجعل آباءهم مع كلاب غنمي .. »

ووشوش الشيطان في أذن الزوجة :

لقد سبق للشيطان أن ربح جولته عن طريق زوجة ، فلماذا لا يجرب ذلك السلاح مرة اخرى؟ ها هو يحدثها عن الأشرار وما يأخذون من خير ، وعن عبادة زوجها وولائه لله وما ناله أخيراً. وامتلأ صدرها غلا على الله فقالت، أنت متمسك بعد بكمالك ؟ استمر استمر وانتظر أجر ذلك الكمال .. بارك الله .. ومت !!

ونظر أيوب الى زوجته نظرة حزينة وقال لها، ماهذا الذي تقولين.. تتكلمين كلاما كاحدى الجاهلات . أالخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل !

وكانت هذه الكلمات طعنة نجلاء للعدو !

وهكذا ربح أيوب الجولة الثانية !!

٩٢

اصدقاء ايوب

« وكان بعدما تكلم الرب مع أيوب بهذا الكلام أن الرب قال لأليفاز التيماني قد احتمى غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فيَّ الصواب كعبدي أيوب » ايوب ٤٢ : ٧

كان لأيوب ثلاثة أصدقاء كانوا أمراء في قبائلهم اليفاز التيماني و بلدد الشوحي وصوفر النعماني . الاول يتصل بأمراء ادوم والثاني من نسل قطورة ولا نعلم شيئاً عن الثالث !

سمع هؤلاء الاصحاب عما أصاب أيوب . سمع كل منهم في مكانه فأرسل الى زميليه وتواعد الثلاثة على اللقاء في مكان ليتوجهوا معاً الى صديقهم ليواسوه و يعزوه!

لقد ترك أيوب جميع أصدقائه، لكن هؤلاء الأصدقاء الثلاثة ظلوا أمناء لصديقهم ورفع الاصدقاء الثلاثة أعينهم من بعيد وأبصروا أيوب جالساً في الرماد كالجيفة النتنة ورائحة صديده تزكم الأنوف . من هذا التعس الذي يمثل البؤس المتجسم؟ انه بالطبع لايمكن أن يكون أيوب .. ولكن واسفاه اتضح لهم انه ايوب!!

لقد كانوا يذكرون في الطريق ما وقع على صديقهم ولكنهم لم يخطر ببالهم ان ما أصابه قد بلغ إلى هذا الحد . كانت الكارثة اكبر جداً مما ظنوا فلم تستطع قلوبهم ان تثبت أمامها . . لقد تمزقت تلك القلوب فرفعوا أصواتهم و بكوا. ومزق كل واحد جبته وذرّوا تراباً فوق رؤوسهم نحو السماء !!

كانت الكارثة فوق كل ما تخيلوا. ومع انهم كانوا قد أعدوا كلاماً يواسون به صديقهم، إلا أن الكارثة ألجمت أفواههم فقعدوا معه على الارض سبعة أيام وسبع ليال لم يكلمه أحدهم بكلمة لانهم رأوا ان كآبته كانت عظيمة جداً ! !

و بعد الايام السبعة تكلم ايوب وتكلم الاصدقاء وكان كلامهم تحليلا فلسفياً للألم . حاول الاصدقاء ان يقنعوا أيوب انه اخطأ إلى الله وان ما أصابه هو أجرة خطيته. وناضل هو في تبرير نفسه . و يلذ لنا ان نتابع تلك المناقشة التي هي الجانب الاكبر من تلك القصة .

بعد الايام السبعة فتح أيوب فاه

وسبّ يومه :

« ليته هلك اليوم الذي ولدت فيه والليل الذي قال قد حبل برجل . ليكن ذلك اليوم ظلاماً. لا يعتنِ به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار . أما ذلك الليل فليمسكه الدجى .. ليكن عاقراً . لا يسمع فيه هتاف »

ونحن لا نلومه وهو يلعن اليوم والليل . انه يفرج عن نفسه . ولكنه لا يفعل ذلك فقط . أنه يدخل في سر الحياة لماذا خلقه الله للألم انه يسأل « لِمَ لم أمت من الرحم. عندما خرجت من البطن. لِمَ لم أسلم الروح. لماذا أعانتني الركب ولم الثدى حتى أرضع . . لِمَ يعطي لشقي نور وحياة لمرّي النفس . الذين ينتظرون الموت وليس هو و يحفرون عليه اكثر من الكنوز »

ولعل ايوب لا يقف وحده يسأل هذا السؤال. انه يقف في صف طويل من المتألمين الذين يسألون :

لم يعطى لشقي نور !؟

وهنا تقدم اليفاز التيماني ، تقدم متردداً. كان العطف يملأ قلبه ولكنه يريد ان يقول الحق كاملاً انه يبدأ رقيقاً حازماً «ان امتحن احد كلمة معك فهل تستاء ..» وصمت قليلاً ثم قال « ولكن من يستطيع الامتناع عن الكلام » . انه يبدأ حديثه بتو بيخ ايوب « ها انت قد ارشدت كثيرين وشددت أيادي مرتخية . قد أقام كلامك العاثر وثبّت الركب المرتعشة . والآن إذ جاء عليك ضجرت . إذ مسّك ارتعت » . ثم اعلنها ـ كما يعتقد ـ حقيقة قاسية « ان التجارب

والآلام ثمرة الاثم » . قال « اذكر من هلك وهو بريء واين ابيد المستقيمون . كما قد رأيت ان الحارثين اثماً والزارعين شقاوة يحصدونها »

وقد عاتب ايوب على وقوفه امام الله وتحدّيه له وسؤاله عن سر الألم فقال « ألانسان ابرّ من الله ام الرجل اطهر من خالقه . هوذا عبيده لا يأتمنهم والى ملائكته ينسب حماقة فكم بالحري سكان بيوت من طين الذين أساسهم في التراب » . ولئن أرسل تأديبه فبركة لانه « هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله . فلا ترفض تأديب القدير » . إن الله كثير المراحم ولمن يقبلون تأديبه بالتوبة ، الاحسان والجود . هكذا تحدث اليفاز ، تحدث بنغمة الواثق وهو يقول «ها ان ذا قد بحثنا عنه. كذا هو . فاسمعه واعلم أنت لنفسك »

لم يقبل أيوب كلام اليفاز !

كان كلام اليفاز كلام رجل لم يختبر الألم. وقد تنهد أيوب من ثقل تجربته وقال: « ليت كربي وزن ومصيبتي رفعت في الموازين جميعها لانها الآن أثقل من رمل البحر » وهل للمجرب ان يتكلم وهل ينطق بالحكمة . انه يقول متهكما « من أجل ذلك لغا كلامي لان سهام القدير فيّ وحمتها شاربة روحي . أهوال الله مصطفة ضدي »

وبعد أن شكا إلى الله آلامه وتمنى لو أنه يسحقه ويلاشيه، التفت إلى أصدقائه ووبخهم على كلامهم الشديد وقال « هل قلت اعطوني شيئاً أو من مالكم ارشوا من أجلي . أو نجّوني من يد الخصم أو من يد العتاة افدوني » .

ثم سألهم ان يدلوه في أي شيء اخطأ قال «علّموني فأنا أسكت. وفهّموني في أي شيء ضللت» ـ انه لا يقبل توبيخاً لا يستند على غير أساس. انه يأمرهم بالسكوت « ارجعوا . لا يكون ظلم » .. ثم يرفع عينيه إلى السماء ويقول « فيه حقي. هل في لساني ظلم أم حنكي لا يميز فساداً » .. ويخاطب المولى معاتباً « ما هو الانسان حتى تعتبره وحتى تضع عليه قلبك . وتتعهده كل صباح وكل لحظة تمتحنه . حتى متى

لا تلتفت عني ولا ترخيني ريثما أبلع ريقي . أأخطأت . ماذا أفعل لك يا رقيب الناس. لماذا جعلتني عاثوراً لنفسك حتى اكون على نفسي حملاً ولماذا لا تغفر ذنبي ولا تزيل اثمي لأني الآن اضطجع في التراب تطلبني فلا اكون »

وهنا غضب بلدد الشوحي على أيوب . انه يلقي كلاماً قوياً ، أقوال فيه ريح شديدة. انه يتحدث اليه بصراحة ولا يجامله في الكلام، ان الله قاض عادل «هل الله يعوّج القضاء أو القدير يعكس الحق» كلا . إن اعماله كلها حق «اخطأ اولادك اليه فدفعهم إلى يد معصيتهم» ومن اللائق ان تبكر إلى الله وتتضرع اليه لانه لا يرفض الكامل . . ولا يأخذ بيد فاعلي الشر .

اما أيوب فيسلم بكلام بلدد يقول صحيح . قد علمت انه كذا . ولكنه لا يسلم لانه الحق وانما لأن الله قوي « هو حكيم القلب وشديد القوة . من تصلّب عليه فسلم . المزحزح الجبال ولا نعلم . الذي يقلبها في غضبه. المزعزع الارض من مقرّها فتتزلزل أعمدتها . الآمر الشمس فلا تشرق ويختم على النجوم . الباسط السموات وحده والماشي على أعالي البحر. صانع النعش والجبار والثريا ومخادع الجنوب. فاعل عظائم لا تفحص وعجائب لا تعد» هو قوي وحكيم القلب ليس من يجسر أن يحاسبه. انني كامل ولكني لا استطيع ان اقف قدامه . إن حسابه حساب القوي « أنا مستذنب فلماذا أتعب عبثاً . ولو اغتسلت في الثلج ونظفت يدي بالاشنان فانك في النقع تغمسني حتى تكرهني ثيابي »

انه لا يستطيع ان يبرىء نفسه امام الله لا لأنه مذنب لكن « لانه ليس هو انساناً مثلي فأجاوبه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة . ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا » ـ ورفع ايوب صوته وقال « ليرفع عني عصاه ولا يبغتني رعبه . إذاً اتكلم ولا اخافه . . . »

ونكلم صوفر النعماني وكان كلامه قاسياً. وبخ ايوب توبيخاً صارماً قال : « أكثرة الكلام لا يجاوب ام رجل مهذار يتبرر . أصلفك يفحم الناس ام تلخ

وليس من يخزيك » ـ وقد وبخه لانه يطلب ان يقف مع الله في المحاكمة وهو من هو — قال « يا ليت الله يتكلم و يفتح شفتيه معك و يعلن لك خفيات الحكمة. انها مضاعفة الفهم فتعلم ان الله يغرمك بأقل من اثمك » ـ ثم وبخه على كبريائه الفارغة «أإلى عمق الله تتصل ام إلى نهاية القدير تنتهي». هو الله العظيم أعلى من السموات واعمق من الهاوية أطول من الارض طوله وأعرض من البحر.. «هو يعلم اناس السوء ويبصر الاثم . . اما الرجل ففارغ عديم الفهم وكجحش الفرا يولد الانسان »

وخرج صوفر من ذلك إلى أن الله رأى اثم ايوب ولو لم يرَ ايوب ذلك الاثم وانه أجرى عليه تأديبه وان على ايوب ان يتوب إلى الله فيرحمه ويحسن اليه !

وتكلم ايوب للمرة الرابعة:

انه يخبر اصحابه انهم ليسوا وحدهم اصحاب الحكمة. إن له فهماً نظيرهم. ليس هو أقل منهم. انه يعلم عن الله كل ما ذكروه . ولكنه يطلب منهم ألا يقفوا بينه و بين الله . وذكر أيوب قسوتهم عليه وظلمهم له فقال انه يريد أن يكلم القدير وان يحاكم إلى الله « اما انتم فملفقو كذب . اطباء بطالون كلكم . ليتكم تصمتون صمتاً . يكون ذلك لكم حكمة » « أتقولون لأجل الله ظلماً وتتكلمون بغش لأجله أتحابون وجهه أم عن الله تخاصمون »

وقال لهم بحزم اسكتوا عني فأتكلم أنا وليصبني مهما اصاب. انه سيقف امام الله ليبرر نفسه . مستعداً لكل نتيجة . انه يقول « هوذا يقتلني . لا افعل شيئاً . فقط ازكّي طريقي قدامه» ـ ويرفع ايوب رأسه نحو السماء و يعلن انه يستطيع ان يبرر نفسه امام الله بشرط ان الله يبعد يديه عنه ولا يدع هيبته ترعبه . وفي هذا يعلن ايوب إيمانه بعدالة الله و بره وكماله . انه يستطيع ان يقف امام الله مطمئناً اكثر من اطمئنانه للمحاكمة أمام أصحابه !!

والمرة الثانية تكلم اليفاز فأعلن لأيوب ان اصحابه لا يحكمون عليه انما شفتا ايوب تستذنبانه فيقول له « انت تنافي المخافة وتناقض التقوى لدى الله . لان

فمك يذيع اثمك وتختار لسان المحتالين . ان فمك يستذنبك لا أنا وشفتاك تشهدان عليك . . » بل يوبخ كبرياءه فيقول « لماذا يأخذك قلبك ولماذا تختلج عيناك ، حتى ترد على الله وتخرج من فيك أقوالاً . من هو الانسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر . هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه . فبالحري مكروه وفاسد الانسان الشارب الاثم كالماء » واكّد له مرة أخرى ان الشرير مهما اكتسى سمناً وربّى شحماً على كليتيه فسيقع عليه العقاب « حبل شقاوة وولد اثماً وبطنه انشأ غشاً »

فهل يسكت ايوب بل يتكلم للمرة الخامسة وسيظل يتكلم حتى يسكت جميع اصحابه. وهو يتكلم هذه المرة بعنف متهماً إياهم بتكرار كلام غيرهم «معزون متعبون كلكم » . ان كلامهم هو كلام في الهواء . كلام فارغ . انه كان يستطيع ان يتكلم نظير كلامهم لو كانت انفسهم مكان نفسه . ولكن ألمه يجعل كلامه ثقيلاً . انه يحمل اثقالاً من الألم تسحقه . حتى الموت لا يريحه « إذا رجوت الهاوية بيتاً لي وفي الظلام مهدت فراشي وقلت للقبر انت ابي وللدود انت امي واختي. فأين إذن آمالي . آمالي من يعاينها » . .

ولم يستطع بلدد الشوحي ان يسمع ايضاً فصاح في ايوب « يا ايها المفترس نفسه في غيظه هل لأجلك تخلى الارض او يزحزح الصخر من مكانه . نعم . نور الاشرار ينطفىء ولا يضيء لهيب ناره . . » ويتحدث عما يصيب الشرير من اوصاب واتعاب وأهوال وظلام وموت . . تلك مساكن فاعلي الشر وهذا مقام من لا يعرف الله .

وثار ايوب على بلدد الشوحي ورفاقه طلب منهم ان يثبتوا عليه عاره. ها انه يصرخ إلى الله ولكن الله لا يجيب. لقد هدمه من كل جهة. على انه لا ييأس. غزاته حلوا حول خيمته. اخوته ابعدهم عنه. معارفه زاغوا عنه. اقاربه قد خذلوه والذين عرفوه نسوه، نزلاء بيته واماؤه حسبوه اجنبياً . عبده لا يصغي له . امرأته كرهت

رائحته، الأولاد رذلوه.. وهو يقول لأصحابه « تراءفوا انتم عليّ يا اصحابي لان يد الله قد مستني ». لكن هل يضيع رجاؤه في الله ولو قتله. كلا. انه يقول « أما أنا فقد علمت ان ولي حي والآخر على الارض يقوم. وبعد ان يفنى جلدي هـذا وبدون جسدي أرى الله ».

وظهر الألم على وجه صوفر النعماني والقى كلمات إتهام عميقة ضد ايوب. لقد اتهمه بالرياء وأعلن له ان الرجل إذا اخفى اثمه عن البشر فان « السموات تعلن اثمه والارض تنهض عليه. تزول غلة بيته. تهراق في يوم غضبه. هـذا نصيب الانسان الشرير من عند الله وميراث أمره من القدير »

وطلب أيوب إلى أصحابه أن يسمعوا منه كلمة ويستهزئوا به فيما بعـد. انه يندهش من كلامهم. لئن كان البوار نصيب الشرير فلماذا ينجح الاشرار في الارض « لماذا تحيا الأشرار ويشيخون. نعم ويتجبرون قوة. نسلهم قائم أمامهم معهم وذريتهم في أعينهم بيوتهم آمنة من الخوف وليس عليهم عصا الله. ثورهم يلقح ولا يخطىء. بقرتهم تنتج ولا تسقط.. »

لئن كان الله يضر بني من أجل اثم فلماذا يترك الأشرار يشمتون « يسرحون مثل الغنم رضعهم وأطفالهم ترقص. يحملون الدف والعود ويضربون بصوت المزمار. يقضون أيامهم بالخير ». وعندما تنتهي أيامهم لا يتألمون بل في لحظة يهبطون إلى الهاوية. «فيقولون لله ابعد عنا وبمعرفة طرقك لا تنسر. من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع ان التمسناه »

هل تحدثونني عن أجرة الاثم إذن خبروني كيف يموت هذا الشرير في عين كماله: كله مطمئن وساكن. أحواضه ملآنة لبناً ومخ عظامه طري. والثـاني يموت بنفس مرة ولم يذق خيراً. أالله يعلم معرفة وهو يقضي على العالمين؟

وتحركت روح اليفاز فيه بكلامه فنطق: هل ينفع الانسان الله. هل من مسرة للقدير اذا تبررت أو من فائدة اذا قومت طرقك. انظر ما فعلت أيها الانسان

اليس شرّك عظيما وآثامك لانهاية لها. لانك ارتهنت أخاك بلاسبب وسلبت ثياب العراة . ماء لم تسق العطشان وعن الجوعان منعت خبزاً . الأرامل ارسلت خاليات وذراع اليتامى انسحقت. لاجل ذلك حواليك فخاخ و يرعبك رعب بغتة

و نصح اليفاز ايوب قائلا «تعرّف به واسلم . بذلك يأتيك خير » — وطلب منه أن يقبل الشريعة من فيه وان يضع كلامه في قلبه وان يرجع إلى القدير و يبتعد عن الظلم عند ذاك تأتيه رحمة الله و بركة القدير تحيط به

وانكر ايوب على اليفاز كلامه وأكّد انه لم يعمل شراً مما ذكره قال « من يعطيني أن اجده فآتي إلى كرسيه أحسن الدعوى امامه واملأ فمي . وذكر ايوب انه متيقن انه سيحسن الدعوى قدامه « لانه يعرف طريقي . اذا جربني اخرج كالذهب »

صمت اليفاز وصمت صوفر ولم يكن عند بلدد شيء كثير ليقوله . انه لايعرف ان يجيب على كلام ايوب ولكنه بعد قليل من التردد يقول « السلطان والهيبة عنده . هو صانع السلام في أعاليه . هل من عدد لجنوده وعلى من لايشرق نوره . فكيف يتبرر الانسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة . هوذا نفس القمر لا يضيء والكواكب غير نقية في عينيه . فكم بالحري الانسان الرمة وابن آدم الدود »

والقى ايوب خطابه الاخير تمسك فيه بكماله وأبى أن يخضع لكلام اصدقائه وذكر انه أنقذ المسكين المستغيث واليتيم ولامعين له وأجرى الكثير عن اعمال الصلاح ثم اخذ يذكر الشرور التي ابتعد عنها وما أقوى الكلمات التي نطقت بها شفتاه

«عهداً قطعت لعيني فكيف اتطلع في عذراء.. اليس هو ينظر طرقي و يحصي جميع خطواتي »

«ان حادث خطواتي عن الطريق وذهب قلبي وراء عيني أو لصق عيب بكفي ازرع وغيري يأكل وفروعي تستأصل »

«ان غوى قلبي على امرأة او كنت على باب قريبي فلتطحن امرأتي لآخر ... لان هذه رذيلة وهى إثم»

«ان كنت رفضت حق عبدي وامتي في دعواهما عليَّ فماذا كنت اصنع حين يقوم الله واذا افتقد فبماذا اجيبه »

«ان كنت منعت المساكين عن مرادهم او أفنيت عيني الأرملة أو أكلت لقمتي وحدي فما أكل منها اليتيم ... ان كنت رأيت هالكاً لعدم اللبس أو فقيراً بلا كسوة ... ان كنت قد هززت يدي على اليتيم لما رأيت عوني في الباب. فلتسقط عضدي من كتفي ولتنكسر ذراعي من قصبتها »

«ان كنت قد جعلت الذهب عمدتي أو قلت للابريز أنت متكلي . ان كنت قد فرحت اذ كثرت ثروتي ولان يدي وجدت كثيراً. ان كنت قد نظرت إلى النور حين ضاء أو إلى القمر يسير بالبهاء . وغوى قلبي سراً ولثم يدي فمي . فهذا ايضاً اثم يعرض للقضاة لاني اكون قد جحدت الله من فوق »

«ان كنت قد فرحت ببلية مبغضي أو شمتُّ حين أصابه سوء. ان كان أهل خيمتي لم يقولوا من يأتي بأحد لم يشبع من طعامه . غريب لم يبت في الخارج . فتحت للمسافر أبوابي »

«ان كنت قد كتمت كالناس ذنبي لاخفاء اثمي في حضني اذ رهبت جمهوراً غفيراً وروعتني اهانة العشائر فكففت ولم اخرج من الباب »

ورفع ايوب صوته وصاح :

«من لي بمن يسمعني. هوذا امضائي!

ليجبني القدير !

ومن لي بشكوى كتبها خصمي فكنت أحملها على كتفي كنت اعصبها تاجاً لي!

* * *

تكلم أيوب بهذا متحدياً السماء والارض . ولم يجد واحد من الثلاثة جواباً يردون به عليه فصمتوا .. وطال صمتهم!

* * *

صمتوا كلهم

ولكن شاباً برز من أحد الاركان

شاباً لم نره من قبل

برز ذلك الشاب واسمه اليهو

برز محتداً غاضباً ساخطاً على أيوب لانه حسب نفسه أبرّ من الله . وعلى اصحابه الثلاثة حمى غضبه لانهم لم يجدوا جواباً ومع ذلك استذنبوا أيوب

وكان اليهو قد صبر على أيوب وعلى اصحابه بالكلام لانهم اكثر منه أياماً . فلما عجزوا عن الكلام تكلم هو . على انه لم يقل أزيد مما قاله الآخرون لقد قالوا ان الله يرسل الآلام والتجارب قصاصاً للخطية وتأديباً للذنب . وهو قال ان الله يرسل التجارب اصلاحاً للذنب وتربية للمذنب ووقاية. ونحس ان كلام اليهو تغلب فيه المهارة الكلامية اكثر من حقيقة الحجة بل يخيل الينا انه قصد إلى اعلان مقدرته اكثر من اثبات الحقيقة التي يدافع عنها

ونحس كذلك بالغرور يملأ نفس ذلك الشاب . انه يقف امام أيوب مخطئاً ومع ذلك لايزيد عما قاله الآخرون . ثم يقول لأيوب ان كان عندك كلام فأجبني تكلم فأنا أريد تبريرك والا فاستمع أنت لي. أنصت فأعلمك الحكمة. ولم يكفه أن يدعي انه معلم الحكمة لأيوب بل هو يطلب من الحكماء والعارفين ان يسمعوا أقواله ويتعلموا من حكمته . وكانت كل حجته ان الله عظيم والقدير لا ندركه . عظيم القوة والحق وكثير البر . لا يجاوب . وهذا كلام حسن ولكن أيوب لم ينكره ولا كان هذا موضوع خلاف . ان موضوع المناقشة كان لماذا جرب الله أيوب .

أيوب يقول أنا لم آت اثما واصحابه يقولون بل أتيت . أيوب يقول اني أريد أن اسأل الله وهم يقولون وهل يسأل الله — ولما جاء اليهو كنا نظن انه سيقول شيئا ولكنه لم يقل

وهكذا فشل البشر فلم يستطيعوا أن يحلوا مشكلة الألم

لماذا يضع الله الألم على الناس ؟

٩٣

الله وأيوب

« فأجاب ايوب الرب فقال قد علمت انك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر . فمن ذا الذي يخفي الفضاء بلا معرفة . ولكني قد نطقت بما لم افهم بعجائب فوقي لم اعرفها . اسمع الآن وانا اتكلم . اسألك فتعلمني بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني . لذلك ارفض وأندم في التراب والرماد » ايوب ٤٢ : ١ — ٦

لم يستطع الناس أن يحلوا لأيوب مشكلة الألم !

ومع أن اليهو ظن انه جاء بجديد إلا انه صمت أخيراً . وظهر كأن المشكلة ستستمر بدون حلّ

ولكننا في ظلمة حيرتنا وهي في نفس الوقت ظلمة حيرة أيوب ، نرى الله . ونسمعه يتكلم من العاصفة فيقول

« من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة . أشدد الآن حقويك كرجل فاني اسألك فتعلمني »

ياطالما نادى أيوب ملتمساً أن يقف امام الله ليحاجه . والآن هاهو الله يناديه ان تعالَ وتكلم

ونظر الله إلى أيوب بعطف ، أيوب المحدود المعرفة وسأله أين كنت حين

أسست الأرض أخبر ان كان عندك فهم ... على أي شيء قرت قواعدها أو من وضع حجر زاويتها

ومن حجز البحر بمصاريع.. وأين الطريق إلى حيث يسكن النور وماذا تعرف عن خزائن الثلج ومخازن البرد.. والمطر هل له أب ومن ولد مآجل الطل.. والنجوم. هل تربط أنت عقد الثريا أو تفك ربط الجبار

وصمت أيوب . . وعاد الله يتكلم

أتعرف وقت ولادة وعول الصخور

من سرّح الفراء حرا ومن فك ربط حمار الوحش

والثور الوحشي أيرضى أن يخدمك وماذا تعرف عن جناح النعامة . . والفرس والعقاب .

وانكمش أيوب في نفسه وقال ها أنا حقير فماذا أجاوبك . وضعت يدي على فمي . مرة تكلمت فلا أجيب ومرتين فلا أزيد

ياللعجب هل هذا أيوب الذي كان يلتمس قائلاً من يعطيني أن أجده فآتي إلى كرسيه . والذي قال انه سيبرر نفسه أمامه وليكن ما يكون « هوذا يقتلني لا افعل شيئاً فقط أزكي طريقي قدامه »

عندما يشرق نور الله علينا تبدو حقيقتنا لأنفسنا

وعاد الرب يطلب من أيوب أن يتكلم . . وصمت أيوب بالطبع وسأل الله عما يعرفه أيوب عن بهيموث ولوياثان ..

واجاب ايوب الرب فقال

قد علمت انك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر فمن ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة . ولكني نطقت بما لم افهم . بعجائب فوقي لم اعرفها . اسمع الآن وأنا اتكلم . اسألك فتعلمني . بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني. لذلك ارفض وأندم في التراب والرماد

ونحن نلاحظ ان الله لم يحلّ قضية الألم بالكيفية التي كان أيوب ينتظرها. لقد سأل أيوب ، لماذا أتألم ولكن الله لم يجب عن هذا السؤال ولماذا يجيب . ليست قضية الألم هى القضية الوحيدة التي يجهلها أيوب . انه يجهل أشياء كثيرة جداً فلتكن قضية الألم أيضاً من الاشياء التي يجهلها —

ولكنه يكشف لأيوب بركة التجارب في أنها تدفع المجرب لرفع عينه نحو الله . وفى انها تمكن المجرب من خدمة الآخرين خدمة اكثر انتاجاً

وتكلم الله بعد ذلك لاليفاز التيماني قائلا قد احتمى غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك لانكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب

لاشك ان أيوب اخطأ ولكنه في خطأه كان يعظم الله البار العادل الكامل. أما هم فحاولوا ان يثبتوا لأيوب انه شرير وان الله يقتص منه. كان إله ايوب أسمى بكثير من إله اليفاز واصحابه . وايوب عندما رأى الله قال ارفض واندم في التراب

واكرم الله ايوب فصلى من اجل اليفاز وصاحبيه اطاعة لأمره تعالى ورفع الرب وجه ايوب . ورد الرب سبيه لما صلى لاجل اصحابه . لقد خرج ايوب من نفسه وصلى لاجل آخرين فاعطاه الله خلاف البركة لاصحابه بركة لنفسه !

وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً . واذ ذاك جاء أخوته واخواته ومعارفه وأكلوا خبزاً معه في بيته ورثوا له وعزوه !

أين كان هؤلاء في بليته ؟

ولماذا لم يقدموا له أقراطهم قبل ذلك ؟

أنهم البشر في كل جيل !

وعاد ايوب إلى مجده السابق !

وعاش سنين طويلة يذكر الله !!

ويشكر الله !!

فهرست الكتاب

نمرة القصة	عنوان القصة	الصفحة
١	قصة الخلق	١
٢	ابو البشر	٤
٣	الحية	١١
٤	الأم الأولى	١٥
٥	الاخان	٢٠
٦	الهارب	٢٢
٧	الرجل الذي سار مع الله	٢٦
٨	قوس قزح	٣٠
٩	أب المؤمنين	٣٦
١٠	فآمن ابرهيم بالله	٣٩
١١	اسماعيل	٤٢
١٢	اسحق	٤٦
١٣	الاميرة	٥١
١٤	المرأة التي صارت عمود ملح	٥٨
١٥	ملك سالم	٦٥
١٦	اختيار الزوجة	٦٨
١٧	أسرة منقسمة	٧٨
١٨	السياسة والحيلة	٨١
١٩	بيت إيل	٨٨
٢٠	يعقوب في أرض الغربة	٩٣
٢١	اسرائيل	١٠٠
٢٢	تجارب نارية	١٠٣
٢٣	صاحب الاحلام	١٠٧
٢٤	الطريق الى العرش	١١٠

نمرة القصة	عنوان القصة	الصفحة
٢٥	الخطية التي دفنت	١٢٠
٢٦	المنقذ	١٣٣
٢٧	المنقذ	١٣٥
٢٨	كلية البرية	١٤١
٢٩	الدعوة	١٤٤
٣٠	موسى وفرعون	١٤٩
٣١	الضربة العاشرة	١٥٤
٣٢	على الجانب الشرقي	١٥٧
٣٣	خبز الملائكة	١٦٠
٣٤	الوصايا العشر	١٦٣
٣٥	العجل الذهبي	١٦٦
٣٦	خيمة الاجتماع	١٧٣
٣٧	اربعون سنة	١٧٧
٣٨	تمرد	١٨٤
٣٩	الحية النحاسية	١٨٩
٤٠	الشخصية المزدوجة	١٩٤
٤١	خليفة موسى	٢٠٤
٤٢	ايمان زانية	٢١٢
٤٣	الرجل الذي قاتل البعل	٢٢٠
٤٤	عذراء جلعاد	٢٢٧
٤٥	شمشون ودليلة	٢٢٩
٤٦	شمشون يتزوج	٢٣٢
٤٧	انتقام شمشون	٢٣٧
٤٨	نهاية شمشون	٢٤١

نمرة القصة	عنوان القصة	الصفحة
٤٩	الموآية الحسنا	٢٤٨
٥٠	الطفل الذي خدم	٢٥٩
٥١	كلمة الرب الى صموئيل	٢٦٢
٥٢	التابوت وداجون	٢٦٤
٥٣	الملك الاول	٢٦٧
٥٤	الملك الجميل	٢٧٤
٥٥	الراعي الصبي	٢٧٩
٥٦	روح صموئيل	٢٨٦
٥٧	الملك النبيل	٢٩٠
٥٨	خطية داود	٢٩٤
٥٩	أيام سود	٣٠٠
٦٠	الملك الحكيم	٣١٣
٦١	سلمان البنا	٣١
٦٢	احكم الملوك	٣٢٣
٦٣	انقسام المملكة	٣٢٦
٦٤	ملوك يهوذا واسرائيل	٣٣٢
٦٥	ابن سلمان	٣٣٧
٦٦	الملك اسا	٣٣٩
٦٧	صديق آخاب	٤٤١
٦٨	زعيم الثورة	٣٤٥
٦٩	ايزابل	٣٥٤
٧٠	غربان الله	٢٥٦
٧١	بستان الدم	٣٥٧
٧٢	يا هو ابن نمشي	٣٦١

نمرة القصة	عنوان القصة	الصفحة
٧٣	ملك عظيم	٣٦٥
٧٤	الملك الشاب	٣٧٢
٧٥	ابن الارملة	٣٧٧
٧٦	على جبل الكرمل	٣٨٠
٧٧	المركبة النارية	٣٨٦
٧٨	زوجة النبي	٣٨٩
٧٩	امرأة عظيمة	٣٩٥
٨٠	ابرص وابرص	٤٠٥
٨١	انتهاء المجاعة	٤١٢
٨٢	النبي الذي ذهب	٤١٦
٨٣	الملكة الحسنا	٤٢٨
٨٤	الرفقاء الاربعة	٤٥١
٨٥	التمثال	٤٥٤
٨٦	النار ولا الانكار	٤٦٣
٨٧	الملك المتكبر	٤٦٧
٨٨	بيلشاصر	٤٧٢
٨٩	ولاء مكلف	٤٧٨
٩٠	أمة في رجل	٤٨٦
٩١	الرجل الذي هزم الشيطان	٤٩٦
٩٢	اصدقاء ايوب	٥٠٢
٩٣	الله وايوب	٥١٢
	فهرست الكتاب	٥١٥
	فهرست الصور	٥١٧

فهرست الصور

صفحة	
١٠	آدم وحواء
٢٢	القاتل الأول
٣٠	نوح يدخل الحيوانات
٣٢	علامة العهد
٤٢	اسماعيل
٤٥	هاجر واسماعيل
٦٨	رفقة حسناء حاران
٨١	يعقوب يقدم طبق العدس
٨٨	حلم يعقوب
١٠٧	احلام يوسف
١١٢	يوسف يفسر الاحلام
١٢٤	يوسف واخوته
١٣٤	الطفل موسى
١٤٥	موسى في العليقة
١٥٥	الدم
١٦١	يجمعون المن
١٧٤	خيمة الاجتماع
١٧٥	امام التابوت
١٧٥	صدرية الكاهن الاعظم
١٧٦	ناداب وابيهو

صفحة	
١٧٨	عنقود العنب
١٩٧	عصا هارون
٢٠٠	بلعام يسجد امام الملاك
٢٤٧	نهاية شمشون
٢٥٠	راعوث ونعمى
٢٥١	راعوث تجمع في الحقل
٢٥٢	راعوث و بوعز
٢٦١	صموئيل يصلي
٢٦٥	داجون والتابوت
٢٨٣	داود يصرع الاسد
٣٨٥	داود وجليات
٢٩٠	داود لا يقتل شاول
٢٩٨	أنت هو الرجل
٣١٤	سليمان يطلب الحكمة
٣٣٦	يهوياداع يمسح يوآش ملكا
٤٠٧	الجارية وامرأة نعمان
٤٣٤	استير الملكة
٤٤٠	استير امام احشويرش
٤٥٣	دانيال ورفاقه
٤٨٠	دانيال في جب الاسود

Books by Same Author

A. *Stories and Illustrations.*

1. Stolen Jewels.
2. Selected Jewels.

B. *Memoirs.*

3. A Bright Sunset.
4. Carol Bird.

C. *The Minutes.*

5. Five minutes with the Young.
6. Ten ,, ,, ,,
7. Fifteen ,, ,, ,,
8. Twenty ,, ,, ,,
9. Thirty ,, ,, ,,
10. Fifty ,,
11. The Minutes.

D. *Sermons and Bible Helps.*

12. Pulpit and Pew.
13. The Ideal Home.
14. The Other End.
15. Three Commandments.
16. The Spirit—Filled Life.
17. Repentence and Forgiveness.
18. Treasures of the King.
19. A Tour in the Book of Genesis.
20. The Last Week.
21. The Seven Churches.
22. Five Crowns.

E. *S. S. Helps.*

23. The Guide.
24. The Weekly.

To be published in the Near Future.

1. Encyclodia of Illustrations.
2. A Library in a Book.
3. Throughout the New Testament.
4. Autobiography of a Pastor.
5. The **Minister** in the **States**, *(in English)*

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU02429721

LIT-LIT
JUL 30 1954
RECEIVED
ANSWERED

الثمن ~~٣٠~~ قرشا